
King Saud University 1957
جامعة الملك سعود



المنح المكية في شرح الهمزية ، تأليف
ابن حجر الهيثمي ، أحمد بن محمد ـ
٩٧٤ هـ ، كتبت سنة ١٢٩٢ هـ .
٤٤٠ ق ١٩ س ١٥٫٥ × ٢١ سم
نسخة جيدة ، خطها مغربي ، طبع
الاعلام ١ : ٢٢٣ كشف الظنون ٢ : ١٣٤٩
١ ـ الشعر ، العصر التركي والمملوكي ،
أدب اللغة العربية أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ
النسخ ج ـ أفضل القرى لقراء أم القرى
د ـ شرح الهمزية هـ ـ شرح أم القرى
في مدح خير الورى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ختم بنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم بكتاب أخرس الفصحاء وأعجز البلغاء
عن التعرض بمثل أقصر سورة من سوره بل آية من
آياته، وبجوامع الكلم وبدائع الحكم وعظيم
الخلق وسائر أقواله وأفعاله وحالاته،
وخرق له خوارق الوجود بمعجزات لم تبلغ
العقول ولم تمر لها بها استقصاء
الحاد حتى لعسير رواياته وعموميات نعت
الخلائق عن أن يصلوا إليها وعلاه وكمال من به وشرف
كمالاته، وبالمنة سمح

عليها

عليها بدر وجوده، في أفق سعوده، وفاض عليها أبيض
جوده، في عالم شهوده، فأنار من أخلاقها وعقولها
وكمل من إقبالها وقبولها، وزين من بديع فصاحتها وعجيب
بلاغتها، وراض ما استصعب من آبيها وأغاض ما أشرأب
من نوائبها ما طارت به خير الأمم والعدول الشهود على من
عليهم تعدى بنص القرآن القطعي
البرهان القاصم لظهر المعاند نحو ترهاته، وأوجب على الكافة
غاية تعظيمه ومنه ذكر مناقبه ومآثره، وبيان أوصافه
السنية وأحواله العلية وخصائصه ومعجزاته، ولذلك
ذهب الناس في هذه الفنون كل مذهب، وأظهروا تعظيمه
نظما ونثرا، سرا وجهرا، كما وجب، مجيبا منهم بالحكمة واسعا
وإمداداته، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة انتظم بها في سلك عناياته، وأشهد أن سيدنا
محمدا عبده ورسوله المخصوص منه بجوار وهباته، والمعوض إليه
أمداد الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين بمعالي القرب
وبشاراته، صلى الله عليه وسلم وعلى الدواعي بحماة الدين
القويم عن زيغ كل زائغ وتحريفاته، وهداة الخلق إلى الصراط

المستغرق بإيضاح كلياته وجزئياته صلاة وسلاما دائمين بدوام نعم
الله تعالى على خواصه وأهل طاعته، وبعد فمما يتعين على كل مكلف
أن يعتقد أن كمالات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا تحصى، وأن أحواله
وصفاته وشمائله لا تستقصى، وأن خصائصه ومعجزاته لم تجتمع
قط في مخلوق، وأن حقه على الكمل فضلا عن غيرهم أعظم
الحقوق، وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتو
قيره وإعظامه، واستجلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه
وأن المادحين لجنابه العلي، والواصفين لكماله الجلي، لم يصلوا
إلى قل من كل، لا أخذ لنهايته، وغيض من فيض، لا الوصول إلى غايته،
ومن ثم كان أبلغ بيت هذا المطلع الآتي، كما يعلم مما يأتي، فيه
وفي بردة المديح

ثم يليه

فإن فضل رسول الله ليس له — حد فيعرب عنه ناطق بفم

ثم يليه

دع ما ادعته النصارى في نبيهم — واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر — وأنه خير خلق الله كلهم، ثم يليه

فاق النبيين في خلق وفي خلق — ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أداء كل ما يتعين من ذلك كيف
وآي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحة من كل صفاته
بما لا يستطاع إليه الوصول، وقد قيل

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه — من بعد ما مدحته محكم التنزيل

فيعلم

فيعلم أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن
استقصاء ما حباه مولاه الكريم من مواهبه، ولكان المسلم بساحل
بحرها مقصرا عن حصر بعض بحرها، ولقد ع لعجيبة أن ينشد وأجيبه

وعلى تفنن واصفيه بحسنه — يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وإنه لخليق بقول القائل

فما بلغت كف امرئ متناولا — من المجد إلا والذي نال أطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحة — ولو حذقوا إلا الذي فيك أفضل

ولابن خطيب الأندلسي

مدحتك آيات الكتاب فما عسى — يثني على علياك نظم مديحي

وإذا كتاب الله أثنى مفصحا — كان القصور قصار كل فصيح

وقد رأى العارف المحقق السراج بن الفارض الشعبي رضي الله عنه
في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم أي بالتصريح
وإلا فقصائده في الحقيقة إنما في الحضرة الإلهية أو فيه صلى الله
عليه وسلم فقال

أرى كل مدح في النبي مقصرا — وإن بالغ المثني عليه وأكثرا

إذا الله أثنى بالذي هو أهله — عليه فما مقدار ما يمدح الورى

قال البدر الزركشي ولهذا لم تتعاط فحول الشعراء المتقدمين
كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان
مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه وإن جلت دون مرتبته والأوصاف بأن المعاني

ولئن كملت دون وصفه وكل خلق في حقه تقصير ويصبو على البليغ النطق
فلا يبلغ الا قليلا من كثير هذا ولمن من ابلغ ما مدح به صلى الله عليه وسلم
من النظم الرائق البديع، واحسن ما خشع عن كثير من شمايله من
الوزن الفائق المنيع، واجمع ما حوته قصيدة من مآثره وخصايصه
ومعجزاته، وافصح ما اشارت اليه منظومة من بدايع كمالاته، ما
صاغه صوغ التبر الاحمر، ونظمه نظم الدر والجوهر، الشيخ الامام
العارف الكامل الهمام المتقن المحقق، الاديب البليغ المدقق امام
الشعراء، واشعر العلماء، وبليغ الفصحاء، وافصح الحكماء البلغاء
الشيخ شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن
ابن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي كان احد ابويه من
بوصير الصعيد والاخر من دلاص فركبت النسبة منهما فقيل له
الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها بلد ابيه فغلبت
عليه ولد سنة ثمان وستمائة واخذ عنه الهمام ابو حيان
والامام اليعمري ابو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن
جماعة وغيرهم وتوفي سنة ست او سبع وتسعين وستمائة
على ما قاله المقريزي لكن صوب شيخ الاسلام العسقلاني انه
ولد سنة اربع وتسعين وتوفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة وستمائة
وكان من عجايب الله تعالى في النظم والنثر ولو لم يكن له الا الدهر
قصيدته المشهورة بالبردة التي سبب نظمها عن وقوع فالج

به

به اعيا الاطباء ففكر في اعمال قصيدة يستشفع بها الى النبي صلى الله
عليه وسلم ثم بدا الى ربه في انشادها فقرأ الى ما سماها بيده الكريمة عليه
فعوفي لوقته ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها
فعجب اذ لم يخبر بها احدا فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى
الله عليه وسلم وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها وقيل
انه اشتد رمده بعد نظمها فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
فقرأ عليه شيئا منها فتفل في عينيه فبرئ لوقته لكفاية ذلك شرفا
وتقدما كيف وقد ازدادت شهرتها الى ان صار الناس يتدارسونها
في البيوت والمساجد كالقرآن وكان يعاني صناعة الكتابة على الجها
بات ببلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب ابا العباس المرسي
رضي الله تعالى عنه وارضاه وجعل جنات المعارف متقلبه ومثواه
فعادت عليه بركته وساعده حظه وبهمته الوافرة على اهل زمانه
ورزقه الله بعد من الشهرة والحظ ما لم يصل اليه احد من اقرانه
فرحمه الله ورضي عنه من قصيدته الهمزية المشهورة العذبة
الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة المعاني العديمة
النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها ولا وصل
على الى حسنها وكمالها حتى ان الامام البرهان القيراطي المولود
سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفي سنة احدى وثمانين
وسبعمائة فانه مع جلالته وتضلعه من العلوم النقلية والعقلية

وتقدمه على اهل عصره في العلوم العربية والادبية لاسيما علم
البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه من مره ونهايته
من بدايته اراد ان يحاكيها فواته الشنب وانقطعت به الحيل عن ان
يبلغ من معارضتها ادنى ارب وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها
وبلاغة جمعها وبداعة صنعها وامتلاء الخافقين بانوار جمالها
وادحاضها دعاوي اهل الكتابين ببراهين جلالها فهي دون نظايرها
الاخذة بازمة العقول الجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لاكثر
المعجزات والحاكية للشمايل الكريمة على سنن قطع اعناق افكار
العلماء الشعراء على ان تشرايب الى محاكات تلك المحكيات والمسالمة من
عيوب الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على اخرى وضرب على
اخرى ومن حيث فن القوافي كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية بمعناه
قبل سبعة ابيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف حروف الروي
والاقواء وهو اختلاف حركته لكنها وان شرحت وتعاورتها الافكار
وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودستور مانع يجلو عرايس ابكارها
على منصات الالباب مع الاختصار ويظهر مخبآت اسرارها ظهور
الشمس في رابعة النهار ويفتح مقفلات معمياتها عما قد يوجب
القصور والعثار وينبه على نفايس فرايدها وينوه بجلالة عرايس فرايدها
عن غرايب تعقيدها ويفصح عن فنون بلاغتها وبدايع تانيقها وتشييدها
فاستخرت الله تعالى في شرح كذلك وان كنت لست هناك راجيا

ان

ان ندرج به في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق
بسببه سوابغ مدده ولحظه الاعظم ومستعينا بالله تعالى
ومتوكلا عليه ومفوضا ساير اموري اليه وسايلا منه بدايع
الطافه وتتابع اتحافه وتيسير هذا المطلب ونجاح هذا المارب
انه الجواد الكريم الرءوف الرحيم وسميته المنح المكية في
شرح الهمزية ثم بلغني ان الناظم سماها ام القرى تشبيها لها
بمكة بجامع انها احتوت بطريق التصريح او الايماء على ما في
اكثر المدايح النبوية وحينيذ سميته افضل القرى لقراء ام القرى
وقد بين شارحها الامام المحقق في العلوم الالهية والشرعية
الشمس الجوجري شيخ مشايخنا رحمه الله وشكر سعيه ولا اعلم
لها شارحا غيره بحرها وعروضها وضربها وقافيتها وما يدخلها
من العلل والزحاف بما فيه الكفاية لكنه ليس له كبير جدوى هنا لان
من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج اليه الا لمجرد التذكير ومن
لا يعرفه يستوي عنده ذكر ذلك وحذفه واليسير منه والكثير
وخلاصة شيء منه انها من بحر الخفيف وهو مركب من ستة اجزاء
سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مرتين وقد يدخله
الخبن في مستفعلن فيصير متفعلن فينقل الى مفاعلن لانه اخف
بل وفي جميع اجزايه فيحذف ثانيه كما هو حسن والكف وهو حذف
سابعه من البعض او الكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو

صالح وقد يجتمعان وهو قبيح في بيت دخله التشعيث بان يفقد صورة الوتد
فيصير مفعولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفة ووقع في كثير من ابيات
هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف وان اجري مجرى العلل وقافيتها
من المتواترة وهو ما فصل بين ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس هنا
بين الالف والواو الساكنين سوى الهمزة التي هي الروي والقافية قيل
آخر كلمة من البيت والاصح انها من آخر حرف متحرك منه قبل ساكنين
فقافية البيت الآتي على الاول لفظ سما وعلى الاصح انها من الميم منه
وسترى كثرة ما راعاه الناظم من انواع البديع لا سيما الاقتباس
القرآني لكن فيه كلام منتشر للعلماء وخلاصة الحكم فيه انه مجمع
على جوازه كما قاله بعض المتأخرين المطلعين قال وقد استعمله
العلماء قاطبة في خطبهم وانشائهم واستنكره قوم جهلا منهم
بالمنصوص والمنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما
حديث له والصحابة والتابعون والعلماء قديما وحديثا ونصوا في
كتب الفقه على جوازه وزعم بعض المالكية منعه برده استعمال
مالك رضي الله تعالى عنه له ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد
البر وعياض وقد نقل الشيخ داود المتأخر اتفاق المالكية والشافعية
على جوازه وفي شرح جمع الجوامع لابن الشاط التصريح بجوازه
ولا فرق فيه بين ان يزاد على اللفظ القرآني او ينقص منه او يغير اعرابه
والا قال السكاكي اعلم ان شان الاعجاز عجيب لا يدرك ولا يمكن وصفه

اعني الاقتباس القرآني وانه مجمع على جوازه الخ

كالاستقامة

كالاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطن
السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال غيره لا تدرك معرفة
الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدليل
عليه كما ان القنادون في المحاسن قد يكون اجلا منها في العيون والقلوب
ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة واهل الذوق
ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسائل
والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة
فاليه يرجع فضل بعض الكلام على بعض ولكون علم المعاني والبيان
والبديع بهذه المثابة كان يسمى قديما صنعة الشعر ونقد الشعر
ونقد الكلام وتسميته بالمعاني والبيان والبديع حادثة من المتا
خرين كما اشار لذلك الكمال ابن الانباري والعسكري وغيرهما وقد
حصلت لي رواية هذه القصيدة وغيرها من شعر الناظم من طرق
متعددة منها بل اعلاها اني ارويها عن شيخنا شيخ الاسلام وخاتمة
المتأخرين ابي يحيى زكرياء الانصاري الشافعي عن العز ابي محمد بن الفرات
عن العز ابي عمرو بن البدر بن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر ابن
حجر عن الامام المجتهد السراج البلقيني والسراج ابن الملقن والحافظ
زين الدين العراقي عن العز بن جماعة رحمهم الله تعالى عن الناظم وارويها
ايضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطي عن جماعة منهم الشمني
بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله بن علي الحنبلي كذلك عن

العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله تعالى وقد راعى الناظم رحمه الله
أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة للحديث الحسن أو الصحيح كل
أمر ذي بال أي حال يهتم به لا يبتدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
فهو أجذم أي مقطوع البركة ولا تنافيه رواية الحمد لله لأن القصد
البداءة بأي ذكر كان كما أفادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر
البسملة والحمدلة لبيان أفضل الذكر لا غير ومن ثم ابتدأ القرآن بهما
ولم ينظر الناظم لما قيل أن الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة لأن محمله
على ما فيه هجو ليس كهذه القصيدة لأنها اشتملت على أفضل العلوم
والمعلومات فهي أحق بالبداءة بالبسملة من كثير من العلوم ثانيهما
ما هو الأحق بالرعاية على كل بليغ من براعة المطلع وهو سهولة اللفظ
وصحة السبك ووضوح المعنى ورقة التشبيب وتجنب الحشو وتناسب
المعاني وعدم تعلق البيت بما بعده ويسمى أيضا حسن الابتداء وقد
انتزعوا من هذه براعة الاستهلال في النظم والنثر بأن يكون مبدأ الا
فتتاح دالا على ما بني على ذلك النظم أو النثر عليه من الغرض المسوق إليه
كقول أبي تمام السيف أصدق أنباء من الكتب لما كان غرضه ذكر الفتح
والتحريض على الحروب وما افتتح به الناظم هذه القصيدة فيه جميع
تلك الشروط وزيادة كما لا يخفى على متأمل الغرض وهو ما ذكر من أوصافه
صلى الله عليه وسلم التي ارتقى فيها إلى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان
جميع ما بعده من المدح إلى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما تضمنه هذا

المطلع

المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم يسبق ناظمه لمثله كيف
هي في الأصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط أو الاستفهام على
الفتح لخفته وعلى حركة التقاء الساكنين وترد للشرط وخرج عليها
نحو ينفق كيف يشاء وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وللا
ستفهام وهو الغالب إما حقيقيا نحو كيف زيد أو غيره كما هنا إذ
هي للإنكار المشوب بالتعجب المتضمن للنفي كما يعلم مما يأتي وكما
في الآيتين الآتيتين وتقع خبرا قبل ما لا يستغني نحو كيف أنت وحالا
قبل ما يستغني نحو كيف جاء زيد أي على أي حالة جاء ومنه ما هنا في
النظم إذ هي حال من ترقى أي على أي حالة ترقى الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام رقيك أي لا يكون ذلك ولا كان وعن سيبويه أنها ظرف فموضعها
نصب دائما وتقديرها في أي أو على أي حال وجوابها المطابق على خير
ونحوه وأنكر ذلك الأخفش والسيرافي فموضعها عندهما رفع مع
المبتدأ نصب مع غيره وتقديرها في نحو كيف زيد أصحيح زيد ونحو ذلك
كيف جاء زيد أراكبا جاء زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه وقال ابن
مالك لم يقل أحد إن كيف ظرف إذ ليست زمانا ولا مكانا ولكنها لما
كانت تفسر بقولك على أي حال لكونها سؤالا عن الأحوال العامة
سميت ظرفا لأنها في تأويل الجار والمجرور واسم الظرف يطلق عليهما
مجازا قال ابن هشام وهذا حسن انتهى وعلم من قوله لكونها الخ أنه
يستفهم بها عن حال الشيء لا عن ذاته قال الراغب وإنما يسئل

بما عقا بعد ان يقال فيه تشبيه وغير تشبيه ولهذا لا يبعد ان يقال في الله كيف
قال وكلما اخبر الله به بلفظ كيف عن نفسه فهو استخبار على طريق التنبيه
للمخاطب او التوبيخ او الانكار نحو كيف تكفرون بالله كيف يهدي الله
قوما كفروا وفرق الزمخشري بين كيف والهمزة بان كيف سؤال يقع بعض
لا مطلقا فقد قال الله سبحانه وتعالى في الاية الاولى فوض الامر اليهم في ان
يجيبوا باي شيء اجابوا ولا كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيف فانك
تقول اجئتك راكبا ام ماشيا فتوقف وتحصر ومعنى الاطلاق ما قاله صاحب
المفتاح كيف سؤال عن الحال وهو ينتظم فيها الاحوال كلها وللكفار
حين صدور الكفر عنهم لا بد ان يكونوا على احدى الحالتين اما عالمين بالله
او جاهلين به فاذا قيل تكفرون بالله اعادا في حال العلم تكفرون بالله ام في
حال الجهل هذا معنى التفرقة بين الاية ترقى رقيك الحسي فماضيه
مكسور القاف من رقي السلم وحصل فيه صلى الله عليه وسلم ببدنه يقظة
بمكة ليلة الاسرا قبيل الهجرة الى السما ثم الى سدرة المنتهى ثم
الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار ثم الى
العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي
وغير ذلك مما لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل والمعنوي من رقي
بالفتح وهو التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة اخرى
وخلق اخر اكمل واعظم وهكذا الى ما لا غاية له فيقع كلامه استعمال
المشترك في معنييه او الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح

عندنا

اجدى

7

عند نافع الاصل وعلى مقابله المنقول عن الاكثر فيكون هذا من عموم
المجاز الانبياء جمع نبيء فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبا بهمز
وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر ومخبر عن الله تعالى او من النبوة
فلا يهمز لانه مرتفع او مرفوع الرتبة على غيره من الخلق ونهيه صلى الله
عليه وسلم عن الهمز بقوله لا تقولوا يا نبيء الله بالهمز بل قولوا
يا نبي الله اي بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشي صلى الله عليه
وسلم في الابتداء سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه
فلما قوي الاسلام وتواترت به القراءة نسخ النهي عنه لزوال سببه
وهو حر ذكر من بني آدم سالم من منفر كعمى وما وقع ليعقوب وشعيب
لم يكن عمى حقيقيا وكذلك بلاء ايوب صلى الله عليه وسلم لم يستقذر بل
صار بدنه بعد الشفاء اجمل منه قبله اوحي اليه بشرع ولم يؤمر
بتبليغه فان امر فرسول ايضا وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من
قبله على الاشهر فالرسول اخص مطلقا من النبي ولا يطلق على غير
الادمي كالملك والجني الا مقيدا ومنه جاعل الملائكة رسلا الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره
في الاول اذ هو فيه ايحاء ما يتعبد به هو وامته وفيهما مجرد الارسال
للغير بما يوصله اليه فان قلت نفي رقي الانبياء رقيه لا يستلزم
نفي رقي الرسل فيه لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد
انما هو نفي رقي كل منهما رقيه ولم يات به عبارته قلت ممنوع

اكمل

بل هي واقعة بل مصرحة به لأن قوله ما طاولتها سماء صريح في
نفي رقي الكل فيه كما يعلم مما يأتي في شرحه لأن النكرة في
حيز النفي للعموم وفي أنه أراد بالأنبياء هنا ما يشمل الرسل وأيضا
فنفي الحقيقة مطلقة كالنبوة التي تضمنها لفظ الأنبياء هنا
يستلزم نفيها مع قيدها ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما
ذكره الناظم ولا ينافي ذكر الرسل فيما قبله على أن المحقق الكمال ابن
الهمام نقل في مسايرته أن المحققين على ترادف النبي والرسول
فلعل الناظم ممن يرى ذلك وإن كنت رددته في شرح المنهاج
لمخالفته للأحاديث الصريحة الصحيحة في عدد الأنبياء والرسل
وسيأتي بعضها فتنبه لهذا ثم منها ما صرح به كلامه لما مر في
معنى كيف أنه استفهام ومتضمن لنفي رقيهم كرقيه وللتعجب
ممن يتشكك في ذلك وهذا أولى ممن قال وللتعجب من وقوعه لو
وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك الرقي بمعنييه
السابقين وأنه المنفرد بغاية كمال الشرف والرفعة إجماعا أما
الأول فواضح وأما الثاني فكذلك عند من تأمل آي القرآن وما اشتملت
عليه إما تصريحا أو تلويحا من الإشارة إلى إنافة قدره العلي عنده
وأنه لا مجد يساوي مجده وقال المفسرون في ورفع بعضهم
درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا
الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من

بعضها وأيضا فنفي

الشهادة

الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمميز الذي لا يلتبس ومن
تلك الدرجات أن آياته ومعجزاته أكبر وأبهر إذ ما من معجزة لنبي
٨ قبله إلا وله مثلها أو أبهر منها كما يعتقده الأئمة وسيأتي بعضه
وزاد عليهم بمعجزات لم يقع نظيرها لأحد منهم وناهيك بكتابه
القرآن فإنه لا تتناهى معجزاته ولا تنقضي آياته وأن أمته أزكى
وأكثر وخير وأطهر من بقية الأمم بنص كنتم خير أمة أخرجت
للناس وخيرية الأمة تستلزم خيرية نبيها وأفضلية دينها إذ لا
شك أن خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم
وأن صفاته أعلى وأجل وذاته أفضل وأكمل كما يصرح به قوله تعالى
فبهداهم اقتده لأنه تعالى وصف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
بالأوصاف الحميدة ثم أمره أن يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم
أن يأتي بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق
فيهم وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها إليه بعد تنصل
كل منهم واعترافه بأنه ليس أهلا لها التصريح بذلك أيضا وكذا
الحديث الصحيح أنا سيد ولد آدم وفي رواية أنا أكرمهم على ربي
وفي حديث الترمذي أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وهو
صريح في دخول آدم كحديث البخاري وغيره أنا سيد الناس يوم
القيامة وحديث أنا سيد العالمين وصححه الحاكم واعترض بذلك

يوم القيامة ولا فخر

يعلم افضليته على الملائكة لان آدم افضل منهم بنص الاية ويؤيده
الحديث الاتي على الاثر ليس احد من الملائكة وحديث الترمذي الحسن
كما بينه البلقيني في فتاويه ردا على الترمذي وانا اكرم الاولين والا
خرين وهذا صريح في شمول الانبياء والملائكة جميعهم وفي حديث
قال آدم يا رب اسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم لما غفرت لي الحديث
وفيه انه تعالى قال يا آدم كيف عرفته ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتني
بيدك اي بقدرتك الباهرة ونفخت فيّ من روحك اي سرك العجيب
الذي لا يعلم حقيقته احد غيرك رفعت راسي فرايت على قوائم العرش
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك
الا احب الخلق اليك قال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي
واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه
الحاكم واعترض لكن صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وله حكم المرفوع
ولولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد
خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد
رسول الله فسكن وفي روايات اخر لولاه ما خلقت السماء ولا الارض
ولا الطول ولا العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا نارا
ولا شمسا ولا قمرا وصح انا اول من تنشق عنه الارض فالبس الحلة من حلل
الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الملائكة يقوم ذلك المقام
غيري وفي رواية ذكرها السراج البلقيني في فتاويه ايضا انه تعالى

قال

قال له قد فضلت عليك بسبعة اشياء اولها اني لم اخلق في السموات
والارض اكرم علي منك وفي اخرى ذكرها ايضا ان جبريل قال له ابشر
فانك خير خلقه وصفوته من البشر حباك الله بما لم يحب به احدا من
خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن حبر او نحوه من علماء
اهل الكتاب الذين لا يقولون شيئا الا عنه هذا سيد العالمين وصح ايضا
عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل امام اهل الكتاب بشهادته صلى
الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة امورا منها وان اكرم
خليقة الله على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم فقيل له فاين
الملائكة فضحك وقال للسائل يا ابن اخي هل تدري ما الملائكة انما
الملائكة خلق كخلق السموات والارض والرياح والسحاب والجبال وسائر
الخلق التي لا تعصي الله شيئا وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم صلى
الله عليه وسلم وبين السراج البلقيني ان هذا له حكم المرفوع
وهو كذلك فانه من اجل الصحابة فلا يقول الا عنه صلى الله عليه وسلم
او عما صح من التوراة قال واختيار الباقلاني والحليمي افضلية الملا
ئكة يمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم اي وبهذا جزم بعض
اجلاء تلامذته كالبدر الزركشي او على تفضيل في نوع خاص اي لانه
قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل ثم قال ولا
يظن باحد من ائمة المسلمين انه يتوقف في افضلية نبينا على جميع
الملائكة وكذلك سائر الانبياء واطال في الحط والرد على من توقف في

في ذلك وزعم أن هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال وهذا الزعم باطل
فإن هذا ليس من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف والبيان
بسواد لفقها وابط حسنا على كل من تأهل لذلك وقد صح في الحديث
المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله
أحب إليه مما سواهما وتأمل قوله مما سواهما تجده ظاهرا بل
صريحا في كل ما ذكرناه ومنها ما أفاده كلامه من جواز التفضيل
بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو ما عليه عامة العلماء
لما مر من الأدلة الصريحة فيه وأما قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم
فهو باعتبار الإيمان فيهم وبما أنزل إليهم وأما الأحاديث الصحيحة
لا تفضلوني على الأنبياء، لا تفضلوا بين الأنبياء، لا تخيروا بين الأنبياء
فهي إما قبل علمه بالتفضيل وأنه أفضلهم وإما محمولة على التوا
ضع لتصريحه بالتفضيل أو على تفضيل يؤدي إلى تنقيص أو إلى غض
من مقام أحدهم وعليهما يدل سبب الحديث أو على التفضيل في
ذات النبوة أو الرسالة فإنهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون
فيه وإنما يتفاوتون في زيادة الأحوال والمعارف والخصوصيات
والكرامات وزعم حملها على التفضيل بآرائنا ليس في محله لأن
تفضيل ذلك بالرأي المحض مجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه
لمنعه وأما حديث الصحيحين ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من
يونس بن متى من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب فيحمل

التخصيص

11

التخصيص فيها بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق
لاختلاف محليهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم إلى قاب
قوسين ونزول يونس صلى الله عليه وسلم إلى قعر البحر أي لا تتوهموا
من هذا التفاوت الصوري تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة
كل إليه واحدة وإن تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان
فهو نهي عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا ومنها أن قوله الأنبياء
يشمل من عرف منهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك وإن اختلفوا في عدد من عرف منهم
والمشهور فيه ما في حديث أبي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت
يا رسول الله كم الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت
يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم
غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم ثم قال يا أبا ذر
أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو
أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك
يا أبا ذر وأول نبي من بني إسرائيل أي من بعد أولاد إسرائيل وهو
يعقوب صلى الله على نبينا وعليه وعليهم وسلم موسى وآخرهم
عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وروى هذا الحديث
بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان في كتابه الأنواع والتقاسيم
وصححه لكن خالفه ابن الجوزي فذكره في موضوعاته واتهم به

قف على عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

ابراهيم بن هشام قال الحافظ بن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد
من ائمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث والله اعلم وفي المغني في
شرح المنهاج في الخطبة ان حديث كون الانبياء مائة الف واربعة
وعشرين الفا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا زوا علمه
وروى ابو يعلى كان فيمن خلا من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي
ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت انا يا حرف نداء للبعيد او القريب
المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته صلى الله عليه وسلم عن
ان تلحقوا او تساووا وهي اكثر حروفه استعمالا ولهذا لا يقدر عند الحذف
سواها نحو رب اغفر لي ولا ينادى اسم الله وايها وايتها الا بها
قال الزمخشري وفيه التأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه يعتنى
به جدا اسماء بالتنوين والنصب لانها نكرة موصوفة وهي في
حيز التشبيه بالمضاف فينصب لا غير على الاصح وقال الكسائي
يجوز فيها النصب والضم وبعض القراء اوجب النصب اذا كان
العائد من الصفة اليها ضمير غيبة كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا
والضم اذا كان ضمير خطاب كيا رجل ضربت زيدا تنبيه لا يأتي
هنا الخلاف في النكرة غير المقصودة وهو قول الاصمعي لا تنادى
مطلقا والمازني لا يتصور ان يوجد في الندا نكرة غير مقبل عليها
قال وما جاء منونا منصوبا فتنوينه ضرورة والكوفيون شرط صحة
ندائها ان تكون صفة في الاصل حذف موصوفها وخلفته نحو

الا انه يقتضي الاقبال
ومع تنوينه يقتضي

ياذاهبا

١٢

يا ذاهبا والمنع ان لم تكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال الاربعة
حيث لم توصف النكرة بمفرد او جملة او ظرف والا جاز نداؤها مطلقا
اتفاقا فان قلت ما هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما
يأتي وموصوفة بجملة ما طاولتها سماء كما تقرر وحكمهما
متناف فان قصدها يوجب بناءها على الضم ووصفها يوجب
نصبها على الاصح كما تقرر فما المغلب منهما حينئذ قلت لم
ار للنحاة في مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا في المقصودة
البناء وفي الموصوفة النصب ومفهومهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة
يقتضي انه لا فرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة يقتضي
انه لا فرق بين الموصوفة وغيرها لا يقال الوصف يستلزم القصد
ومع ذلك لم ينظروا للقصد معه لانا نمنع استلزامه له اذ لا
بدع ان الاعمى يقول يا رجلا صالحا خذ بيدي من غير ان يقصد احدا
بعينه ولكن لا يبعد ان يدار الامر في نحو هذه الصورة على نظر
الناظر فان اعتبر الوصف او القصد اجرى على كل حكمه المذكور له
فائدة يجوز تنوين المنادى المبني للضرورة اجماعا ثم اختلفوا اهل
الاولى ابقاء الضم او الاولى النصب فالخليل وسيبويه والمازني على
الاول علما كان او نكرة مقصودة وعيسى ابن عمر والجرمي والمبرد على
الثاني ردا الى اصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه في
الضرورة واختار ابن مالك في شرح التسهيل ابقاء الضم في العلم

والنّصب في النّكرة المعينة لان شبهها بالمضمر اضعف وبعض
المتاخرين عكسه وهو اختيار النّصب في العلم لعدم الالتباس فيه
والضم في النكرة المعينة ليلا تلتبس بالنكرة غير المقصودة اذ لا جارف
حينيذ الا الحركة لاستوايهما في التّنوين اذا تقرر ذلك وقلنا بان
النّكرة المنونة هنا مبنيّة على الضم على احد شقي كلام الكسايي او
على ما ذكرته انه اذا اريد بالنّكرة الموصوفة مقصود بنيت على الضم
فالاولى هنا على الاول والرابع بنا الضم وعلى الثّاني والثالث النصب
والذي اقوله ان الضم متعين هنا على الكل لانه الظاهر خلافًا لما يوهمه
الراي الرّابع ان محل الخلاف حيث لا الباس يتولد منه محذور وهنا
النّصب يترتب عليه محذور لا ايهامه ان السّماء الاولى نكرة غير مقصودة
وحينيذ يفسد المعنى لان النّكرة غير المقصودة لا يفي نفي مطاولة
نكرة غير مقصودة ايضًا لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة
كما هو المراد هنا اذ هي اسم جنس يشتمل على ساير الاجرام العلوية
فان هذه بهذا المعنى هي التي لا تطاولها سما اي مرتفع غيرها لانه
لم يوجد في هذا الوجود ارفع منها فتامّل ذلك حق التامل واحفظه
فانه ممّا يتعين استعادته لا سيما مع النّظر لما قاله الشّارح ممّا
لم يعثر فيه على شي ممّا ذكرته ما نافية طاولتها اي غالبتها
في الطول والارتفاع سما وهذا الشّطر الثّاني كالدّليل للشّطر
الاوّل اذ التّقدير لم يرتق احد منهم ارتقاك لانه لم يستطع

مطاولته

مطاولتك في ارتقايك الحسي ولا المعنوي وان كانت درجاتهم كلها
ومراتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات واكمل المراتب واجل
الصفات قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وهذه الاية
صريحة في فضلهم على جميع الملايكة بل الخلق اذ العالم ما سوى
الله تعالى وانما جمع جمع العقلاء تغليبًا لهم وفيه استعارة لفظ
السّما الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثاني لبقية الانبيا عليهم
الصّلاة والسّلام لان السّما اعلا ما يرى من الاجرام الحسيّة كما انهم
اعلا الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقا الملايم للمستعار منه لم يساوو
مستانفة على ما يانى فتكون من اسلوب الحكيم او حال من فاعل ترقى   في مستانف
في علاك جمع عليا تانيث الاعلا من علا بالفتح يعلو علوا في المكان
وعلى بالكسر يعلا علا في الشرف قال الشّارح ولما كان نفي المطاولة
لا يلزم منه نفي المساواة وكان المعنى لا يتم الا بنفيها صرح بذلك
وتبعه غيره فقال العالم يلزم من نفي المطاولة نفي المساوات
اشار الى نفيها وان كان يوخذ ممّا تقدم لكن بطريق التّصريح   لا
انتهى وهو عجيب مع ما مرّ في كيف انه افاد بطريق التصريح نفي رقي
احد منهم رقيه وهذا مساو لقوله لم يساووك فالحق انه تاكيد
واطناب فقط على ان لذكره فايدة اخرى هي البرهان عليه بطريق
اخرى وحينيذ يكون ما سلكه من ذكر الجملة الاولى في شطر البيت
الاوّل والبرهان عليها بعد في الشّطر الثّاني ثم اعادتها بمعناها

لم يساووك في علاك وفي

في اول البيت الثاني والبرهان عليهما بما في بقيته من بديع تحقيقه
وكمال بلاغته وقد حال اي وقد جزو منع جملة مستانفة او حالية
من الفاعل او المفعول وقد هنا واجبة الذكر او التقدير عند البصريين
قالوا التقريب الماضي من الحال واعترضهم المحقق السيد الجرجاني وتبعه
المحقق الكافيجي وغيره بان هذا غلط منهم سببه اشتباه لفظ
الحال عليهم فان الحال الذي تقربه قد حال الزمان والحال المبين للهيئة حال
الصفات ولك رده بانهما وان تغايرا الكنهما متقاربان كما هو شان
الحال وعاملها وحينئذ لزم من تقريب الاول تقريب الثانية للمقارنة
لها في الزمن فتامله فانه مهم اذ في تغليط اولئك الائمة الذين
لا يحصون زمع امكان تاويل كلامهم تساهل آسفًا بالقصر اي ضوء
عظيم ظاهر منك خصك الله به وهو مجاز عن علوم القرآن المحيطة
بعلوم الاولين والاخرين وغيرهما التي اختصه الله بها وامره ان
يسئله ان يزيده منها وهذا مقتبس من تسميته تعالى للقرآن نورًا
في ايات كثيرة من كتابه نحو واتبعوا النور الذي انزل معه وعلى هذا
اختصه الله به من الجمال الظاهر بما اتاه من الحسن في خلقه بما
لم يلحقه فيه يوسف فضلًا عن غيره كما اخبر به صلى الله عليه
وسلم وفي خلقه بما ابان الله تعالى رفعته فيه الى الغاية بقوله عز قايلًا
وانك لعلى خلق عظيم وهذا مقتبس من تسميته تعالى النبيء نورًا
في نحو قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم

بحيث

حال [illegible] ونحو [illegible]

ان الشارح [illegible] بعيد
[illegible] له يتفاعل ترقى البعيد
اعل يساوي كل الغريب وان
[illegible]
الجملة كالبرهان او التعليل
[illegible]
[illegible] ايضا على انها
التبادر [illegible]

١٢

يكثر الدعاء بان الله تعالى يجعل كلا من حواسه واعضائه وبدنه نورًا اظهارًا
لوقوع ذلك وتفضل الله عليه به ليزداد شكره وشكر امته على ذلك
كما انا امرنا بالدعاء الذي في اخر سورة البقرة مع وقوعه وتفضل الله
له بذلك ومما يؤيد انه صلى الله عليه وسلم صار نورًا انه كان اذا مشى
في الشمس او القمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا للكثيف وهو صلى الله
عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثائف الجسمانية وصيره نورًا
صرفًا لا يظهر له ظل اصلًا خرقًا للعادة كما خرقت له في شق صدره
وقلبه مرارًا ولم يتالم بذلك دونهم وسناء بالمد اي رفعة عظيمة
او تبيتها لم يبغه اليها مخلوق اي انتفت مساواتهم له لمانع منعهم
عن اللحوق به هو ما اختص به من ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم
يصل احد الى ادنى شاوهما فضلًا عن كماله وفي جعله هذين جازين
استعارة تجريدية كما ان في جمعها الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف
لان الزيادة وقعت ذيلًا وطرفًا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد احدهما
بزيادة حرف اخر في اخره كقولهم العارف العارف وهو احد
اقسام الجناس الناقص ومنها نحو الشاق والمساق ويسمى بالمردوف
لان حرف الزيادة مردوف بها وقع فيه التجانس ونحو داء ودواء ويسمى
بالمكتنف لان الزيادة مكتنفة اي متوسط بين ما اكتنفاه وقد يقع
الاختلاف باكثر من حرف نحو من امن ويسمى متوجا ونحو هد ومجاهد
وجوى وجوانح سماه في التلخيص مذيلًا واهل البديعيات على ان

لعله تساووهما

حرف

الجناس وفايدته ومحل مراعاته

الزايد من آخره حرف او اكثر يسمى مذيلا ومن اوله كذلك يسمى مطرفا
تنبيه الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وفايدته الميل الى الاصغا
اليه فان مماثلة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها فلهذا اكثر منه
الناظم في هذه القصيدة وربما تركت التشبيه على كثير منه في محله
استغناء بظهوره او تقدم التشبيه على نظيره ومع كون الجناس يوجب
الميل والاصغاء فمحل مراعاته ما لم تعارضه قوة المعنى وتمكنه مع
فقده والا لم يراع ومن ثم قال تعالى وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين
ولم يقل بمصدق رعاية لجناس الاشتقاق لان معنى قولك فلان مصدق
لي انه قال لي صدقت ومعنى مومن لي انه صدقني وامنني والمقصود
الثاني لا الاول فترك الجناس لذلك وترك ايضا في اتدعون بعلا وتذرون
احسن الخالقين لان التجنيس تحسين وانما يستعمل في مقام الوعد
والاحسان لا في مقام التهويل او لان يدع اخص من يذر لانه ترك الشيء
مع سبق الاعتناء به فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله
الحق ثم تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين وتذرون
مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض عن ربهم
وامتنع تدعون لابهامه وبهذا تظهر غباوة بعض الادباء في قوله
لو قال وتدعون لراعى الجناس وبقيت اجوبة اخرى ليست بذاك فلذا
تركتها وفي قوله وقد اخ التذييل وهو ان يوتى بعد تمام الكلام التذييل
بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى العلة لتوكيد ما قبلها وتحقيق

كقوله

الاستعارة واقسامه

١٥

كقوله تعالى وهل يجازى الا الكفور بعد ذلك جزيناهم بما كفروا وقول
النابغة اي الرجال المهذب بعد ولست بمستبق اخا تنبيه ثان
سيمر بك ذكر استعارات بليغة يحتاج الى معرفتها في هذه القصيدة
فلا باس بالاشارة الى بعض شيء مما يتعلق بها وحدها انها مجاز
يتضمن تشبيه ما عني به بما وضع له فهي مجاز لغوي لانها لفظ
استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة ومن ثم احتاجت
لقرينة كرايت اسدا يرمي ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار
له والمستعار منه فيه اما داخل فيهما كاستعارة الطيران للعدو بجامع
ان في كل قطع المسافة او لا كاستعارة الاسد للشجاع فالشجاعة
عارضة للاسد وهي باعتبار طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبار
ان كلا اما عقلي واما حسي ثم اللفظ المستعار ان كان اسم جنس ولو تاويلا
كعلم يشعر بوصف سميت اصلية او فعلا او مشتقا منه بان يقصد
به المعنى القايم بالذات او حرفا فتبعية او كان الاستعارة تعتمد التشبيه
المقتضي لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه او مشاركا للمشبه
به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقايق اي الامور الثابتة دون معاني
الافعال ونحوها ومتى لم تقترن بما يلايم احد طرفيها سميت مطلقة
او بما يلايم المستعار له فمجردة او بما يلايم المستعار منه فمرشحة
وهي ابلغ لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه وادعاء ان المستعار
له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه وما كان وجه الشبه فيه منتزعا

من عدة امور تسمى استعارة تمثيلية كما يقال للمتردد في امر اني اراك تقدم
رجلا وتؤخر اخرى وبقي من اقسامها الاستعارة بالكناية والاستعارة
التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويان غير داخلين في تعريف المجاز
فاذا اضمر التشبيه في النفس ولم يصرح بشيء من اركانه سوى المشبه
ودل على ذلك التشبيه بذكر شيء من خواص ذلك المشبه به سمي ذلك التشبيه
المضمر استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه
يتخيل ان المشبه من جنس المشبه به انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق
وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص
امر باخر بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضا بانه اثبات الحكم للمذكور
ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما
حقيقي واما مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب اي لا صفة له غير ذلك وهو
كالمحال لتعذر ان يكون لذات صفة واحدة فقط ولم يقع منه شيء في القران
والمجازي نحو وما محمد الا رسول اي مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبري
من الموت الذي استعظموه ذهولا عن كونه من شان الاله وانكر قوم
افادة انما له وترد عليهم ايات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما
يأتيكم به الله واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان معنى انما
قام زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفي
غيره عنه كالجلوس ونحوه مثلوا اي صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام
او الواصفون لشمائلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم على حد حتى

نحو

انما مثلوا صفاتك للناس

توارت

توارت بالحجاب صفاتك جمع صفة وهو ما دل على معنى زائد على الذات
محسوس كالابيض او معقول كالعالم للناس من الانس فيختص ببني ادم
فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا لا للتعويض ال عنها للجمع بينهما
او من نوس اذا تحرك فيعم الجن كذا قيل والذي في القاموس الناس يكون
من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم قال
وناس الابل ساقها وانا سه حركه كما نعت لمصدر محذوف مفعول
مطلق لمثلوا اي تمثيلا مثل ما مصدرية مثل النجوم الماء اصله موه
بالتحريك فهمزته بدل من الهاء وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف
بلون مقابله والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى ان الضمير
للانبياء عليهم الصلاة والسلام او ما شاركهم فيه من الصفات
وان كملت فيهم لم يصل لادناها غيرهم لانها بلغت فيه من الكمال
ما لم يبلغه مخلوق فهي فيه حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من
غير حائل وفيهم كصور النجوم التي ترى في الماء دون حقيقتها وشتان
ما بينهما واسناد ذلك التصور اليهم على هذا مجاز عقلي كقول الموحد
انبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبياء
عليهم الصلاة والسلام انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها
لهم فالتمثيل في النجم حقيقي لكنهم مع ذلك لم يصلوا التصوير كنهها
لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية
لمبادئها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير وفي

كما مثل النجوم الماء

الماء قيل البيض
وقيل الاسود

هذا من الابلغية في المدح ما لا يخفى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام
مع كمال الفهم الاكبر اذا عجزوا عن ادراك حقائق صفاته العلية كان غيرهم
اعجز لا يقال هذا يستغنى عنه بما ياتي في قوله الا بشرت قومها
بك الانبياء لان ذلك في مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا في بيان
صفات ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان اكثروا الاوصاف
وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة واكمل قوانين الفصاحة
فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا لوائح منها وعجزوا عن ادراك شيء من
حقائقها كما ان غاية من يرى النجوم في الماء انه يدرك مبادئ اوصافها
ويعجز عن ادراك حقائقها وقد شرح الناظم هذا بقوله في بردة المديح
بقوله اعيا الورى فهم معناه البيتين وهذا البيت من جملة التذييل
ايضا بناء على المعنى الاول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفي المساواة
بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان على مطلعها وشرح وبيان له كما
مر ولما قرر ان ما اوتيه من المزايا لا تدرك غاياتها ولا حقائقها زاد
ذلك تقريرا وتمكينا في النفوس فقال انت ايها العلم المفرد الذي لا يساوى
ولا يدانى مصباح اي سراج فهو مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا
كل اسم موضوع لاستغراق المفرد المنكر المضاف هو اليه كما هنا
والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه يوم القيمة فردا واجزاء المفرد المعرف
نحو يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب الى متكبر اي على
كل اجزائه و قراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم يكن نعتا لنكرة

انت مصباح كل فضل

ولا

ولا توكيدا لمعرفة بل تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا
وقطعها نحو وكلا ضربنا له الامثال واعلم انها حيث اضيفت لمنكر
وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو وكل شيء فعلوه في الزبر وعلى كل
ضامر ياتين او لمعرف جازت مراعاة لفظها في الافراد والتذكير ومراعاة
معناها وكذا اذا قطعت نحو كل يعمل على شاكلته وكل اتوه داخرين
وانها حيث وقعت في حيز نفي بان سبقتها اداته او فعل منفي نحو ما
جاء كل القوم وكل الدراهم لم اجد لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها
فيفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله
لا يحب كل مختال فخور فمفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر
اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي في حيزها
كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه الى كل
فرد فرد كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا جميعه هنا لانه لنفاسته
وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغي ان يستفاد ويحفظ فضل وكمال يعزى
لغيرك في الوجود لانك الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده
ما صح من خبر آدم فمن دونه تحت لوائي وخبر انما انا قاسم والله يعطي
وخبر لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وخبر ان ابراهيم قال انما
كنت خليلا من وراء وراء وآثر التشبيه بالسراج على القمر بل لانه يقتبس
منه الانوار بسهولة وتكاعه فرع عنه فيبقى بعده ووجه التشبيه
ان نوره صلى الله عليه وسلم يظهر الاشياء المعنوية كنور المصابيح

ونور السراج يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب أن المحسوس أظهر
من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله عليه وسلم لكونه
معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافي ذلك أن السراج دونه
صلى الله عليه وسلم بلا نسبة ويمكن أنه من التشبيه المقلوب كقوله
تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وإذا تقرر أن كمالات غيره المشبهة بالأضواء
مستمدة من كماله الذي هو الضوء الأعلى فبسبب ذلك ما يبدو
أي يبرز في الوجود ضوء ينشأ عن ضوء أحد مطلقا إلا ضوءك وأنت
المخصوص بأنك الذي يبرز عن ضوئك الذي أكرمك الله به الأضواء
كلها من الآيات والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وإن تأخر وجودك
عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن نور نبوءتك متقدم
عليهم بل وعلى جميع المخلوقات وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده
عن جابر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه
الله قبل الأشياء قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك
من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك
الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس
ولا قمر ولا إنس ولا جن فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور
أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش
ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول السماوات ومن
الثاني الأرضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء

يبرز عن ضوئه الأضواء

نبه على حديث عبد الرزاق بسنده

فخلق

١٢

فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة
بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله
محمد رسول الله الحديث وفي حديث أول ما خلق الله القلم وجاء
بأسانيد متعددة أن الماء لم يخلق شيء قبله ولا ينافي ما في
الأول في نور نبينا لأن الأولية في غيره نسبية وفيه حقيقية فلا
تعارض وفي حديث عند ابن القطان كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق
آدم بأربعة عشر ألف عام وفي الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك
النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره الحديث
وصح خبر متى كنت قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وليس
المراد من ذلك التقدير بل إن غيره كذلك بل الإشارة إلى كون روحه
العلية مثبتة لها ذلك الوصف دون غيرها في عالم الأرواح إذ ورد
أن الأرواح خلقت قبل الأجساد بألفي عام وفي حديث عبد الرزاق
السابق تأييد لما قيل أنه تعالى لما خلق نور نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم أمره أن ينظر إلى نور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فغشيهم
من نوره ما أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال هذا
نور محمد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به
وبنبوءته فقال الله تعالى أشهد عليكم فقالوا نعم فذلك قوله تعالى
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية ومن
الشاهد بن في هذه الآية كما قاله التقي السبكي من التنويه

أو لقيت نبيا

بغدرة العالم الا يخجي وفيهامع ذلك انه على تغدير مجيه يكوز مرسلا
اليهم والى اممهم فتكوز رسالته عامة لجميع الخلو فهو نبي الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ولذا يكونوا كلهم يوم الغيمة تحت لوا حمده
صلى الله عليه وسلم واستعارة المصباح للبضل الفني على التشبيه ببيت
واسع يحتاج الناس الى دخوله وسراج فيه استعارة بالكناية تتبعها
استعارة تخييلية والضو الذي هو اعلا مز النور بدليل جعل الشمس ضيا
والفمر نورا الصفات الكمال استعارة مصرحة بجامع از كلا مز الضوين
المعنوي والحسي يهدي الى المفصود والكمالات الدينية بنور الظاهر
والباطز لك لا لغيرك ذات اصلها مونث ذي المفتضية لموصوف والملاز
للاضافة على الباكر جاز ذي بمال ثم استعملوها استعمال الاسما المستفلة
وفالوا ذات فديمة ونسبوا اللفظها فقالوا ذاتي وفد تستعمل بمعنى نفس
الشي وحفيفته كما هنا وكما في فول خبيب رضي الله تعالى عنه وذاك
في ذات الاله العلوم جمع علم وهو هنا صفة ينجلي بها المذكور لمن
فامت به انجلا تاما او الادراك الجازم الذي لا يحتمل النفيض وحد بحدود
اخر كلها مدخولة ايضا ومرادفه المعرفة لكن لا يفال الله عارف لانها
تستدعي سبوجهل بخلاف العلم واليفين لكن فرق بينهما بعض المحففين
بان اليفين خاص بما مز شانه از يتطرق اليه شك فلا يفال تيغنت از الواحد
نصف الاثنين وفال الراغب اليفين مز صفة العلم فوق المعرفة والدراية
واخواتها يفال علم يفين ولا يفال معرفة يفين وهو سكون النفس مع

اي ذات العلوم الغيب

بتمام

١٦

ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملك او بالالغا في الروع
او بخلق العلم الضروري او بسماع الكلام النفسي من فيض عالم الغيب مصدر
وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل اي الغايب وهو ما لم يشاهد لكن
بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة او المجعول
اي المغيب خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله تعالى
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الاية لان العلم به افخم واظهر لان
اكثر علوم نبينا صلى الله عليه وسلم تتعلق بالمغيبات بدليل فعلمت علم
الاولين والاخرين في الحديث المشهور لانه تعالى اختص به لكن من حيث
الاحاطة والشمول العلمي بالكليات والجزئيات فلا ينافي ذلك اطلاع
الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من الخمس المغيبات
التي فال فيهن صلى الله عليه وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله تعالى لانها
جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة لذلك مكابرة فقد وفع للانبيا
عليهم الصلاة والسلام والاوليا من ذلكم ما لا يمكن عده لا سيما ما وفع
لنبينا صلى الله عليه وسلم وسياتي بسط جملة مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات في شرح قوله وكم اخرج خبا له الغيوب خبا
وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اخر الكتاب ومنها اي العلوم بمعنى
المعلومات وهو متعلق بالاسماء لادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم واصله
أأدم لكنهم لينوا الثانية تخفيفا وجعلوها الفا في التصغير وانا نظرا
لبدلها
لتليينها من الادمة بالسكون او الفتح او من اديم الارض كما صح عن ابن

ومنها لادم الاسماء

عباس رضي الله تعالى عنهما وروي عن علي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم
وأديم الأرض ظاهر وجهها أو الأدمة السمرة وهو مراد من قال اللون يقارب
السواد ومن قال يشبه التراب واستشكل بما ورد من براعة جماله
وأن يوسف صلى الله عليهما وسلم كان على الثلث من جماله وقد يجاب بأن الجمال
لا ينافي السمرة لأنها بين البياض والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد
القول بأنه عربي وبه صرح الجواليقي وغيره ورد بأن توافق اللغتين
غير منكر وبأنه لا دليل على أن الاشتقاق من خواص كلام العرب وأجيب
بأن الأصل عدم التوافق وبأن الوجه أن الاشتقاق خاص بكلام العرب
فقد أطبقوا على التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق
وصح خبر أن آدم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب أنه كان يتكلم
بالسريانية الأسماء مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على
معنى فيشمل الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم إلى هذا التفصيل مع العلم
به مما قبله لأن آدم ميزه الله تعالى على الملائكة بالعلوم التي علمها
له وكان سببا لأمرهم بالسجود والخضوع له بعد استعلائهم عليه
بذمه ومدحهم بقولهم أتجعل فيها الخ فربما يتوهم أن هذه المرتبة
الباهرة لم تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم إذ قد يوجد في المفضول ما
ليس في الفاضل فرد ذلك التوهم ببيان أن آدم لم يحصل له من العلوم إلا مجرد
العلم بأسمائها وأن الحاصل لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقائقها
ومسمياتها ولا ريب أن العلم بهذا أعلى وأجل من العلم بمجرد أسمائها لأنها

إنما

إنما يؤتى بها للتمييز للمسميات فهي المقصودة بالذات وتلك بالوسيلة
وشتان ما بينهما ونظير ذلك أن المقصود من خلق آدم صلى الله عليه
وسلم إنما هو خلق نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود
بطريق الذات وآدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين
إنما سجد الملائكة لأجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبينه
ثم ما سلكه الناظم من أن آدم إنما علم أي بإحدى الطرق السابقة
أنبا الأسماء فقط أي الألفاظ الموضوعة بإزاء الأعيان والمعاني هو
الوارد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليه فقيل علم الأسماء الموضوعة
لكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا في البلاد وكثروا اقتصر
كل قوم على لغة وهذا يقوي ما هو الأصح في الأصول أن اللغات كلها
توقيفية وقيل إنما علم لغة واحدة لأن الحاجة لم تدع إلا إليها وأما
بقية اللغات فبالوضع ومقابل ما سلكه الناظم قولان أحدهما
أنه علم مدلولاتها لأن المزية في العلم إنما تحصل بمعرفة مقاصد
المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة أسمائها كذا وكذا قال بعض
المحققين وهذا وإن قرب من المعنى فهو بعيد من اللفظ أي لأن قوله تعالى
بأسماء هؤلاء وما بعده ظاهر أو صريح في الأسماء فقط ومعنى ثم
عرضهم أي الأعيان لأنها التي تعرض دون الأسماء إنما أبرزت إليهم
ليخبروا بأسمائها فلا فائدة فيه لكون المعلم المسميات خلافا لمن زعمه
ثانيهما وهو الذي سلكه صاحب الكشاف أنه علم الأمرين معا جمعا بين

فـ الأصح في الأصول أن اللغات كلها توقيفية فـ

مقتضى اللفظ والمعنى ولما ذكر شرف ذاته وترفيه صلى الله عليه وسلم
بما يبهر العقول انتقل الى شرف ذكر نسبه كذلك فقال مستأنفا لم
تزل حال كونك في ضمائر الكون أي الوجود وضمائره مستوراته الخفية
من الاصلاب والارحام تختار أي تصطفى لك الامهات جمع ام وهي الوالدة
وان علت واصلها امهه بجمع على امهات وقيل امهات للادميات
وامات لغيرهن والآباء جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه
تخفيفا أي كما طابت ذاتك بما اوتيته من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك
فلم يكن في امهاتك من لدن حواء الى امك آمنة ولا في آبائك من لدن
آدم عليه الصلاة والسلام الى ابيك عبد الله الا من هو مصطفى مختار
وشاهد ذلك حديث البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا
حتى كنت من القرن الذي كنت منه وحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة
من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم وحديث الترمذي بسند حسن ان الله خلق
الخلق فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني في خير قبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا أي روحا
وذاتا وخيرهم بيتا أي اصلا وحديث الطبراني ان الله اختار الخلق
فاختار منهم بني آدم ثم اختار من بني آدم فاختار منهم العرب
ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم واعلم ان آدم ولد من حواء اربعين

لم تزل في ضمائر الكون تختا
ر لك الامهات والآباء

ولا في عشرين بطنا الا شيث وصية فانه ولد منفردا كرامة لكون نبينا
صلى الله عليه وسلم من نسله ثم انه لما توفي وصى بنيه بوصية ابيه له
الا يضع هذا النور أي الذي كان بجبهة آدم ثم انتقل الى شيث الا في
المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الى ان
وصل ذلك النور بجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله تعالى
هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الاحاديث
كحديث البيهقي في سننه ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء
ما ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت
المرأة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها وروى ابن سعد وابن عساكر
عن محمد بن السائب بن الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه
وسلم ماية ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في امر
الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن عساكر خرجت من نكاح ولم
اخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني ابي وامي لم يصبني من سفاح
اهل الجاهلية شيء وابو نعيم لم يلتق ابواي قط على سفاح لم يزل
الله ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطيبة (الطاهرة) مصفى مهذبا
لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما وابن مردويه قرأ صلى الله عليه
وسلم لقد جاءكم رسول من انفسكم أي بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا
وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح تنبيه
لك ان تأخذ من كلام الناظم الذي علمت ان الاحاديث مصرحة به

لعظافي الكثرة ومعنى في كله ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم غير
الانبيا وامهاته الى ادم وحوا ليس فيهم كافر لان الكافر لا يقال
في حقه انه مختار ولا كريم ولا طاهر بل نجس كما في اية انما المشر
كون نجس وقد صرحت الاحاديث السابقة بانهم مختارون وان
الابا كرام والامهات طاهرات وايضا فهم الى اسماعيل كانوا من
اهل الفترة وهم في حكم المسلمين بنص الاية الاتية وكذا من
بين كل رسولين وايضا قال تعالى وتقلبك في الساجدين على احد التفا
سير فيه ان المراد تنقل نوره من ساجد الى ساجد وحينئذ فهذا
صريح في ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل
الجنة لانهما اقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل
في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا الى من طعن فيه ان
الله احياهما له فامنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه
وسلم فقول ابن دحية يرده القران والاجماع ليس في محله لان ذلك
ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية فلا يرده قران
ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية
والكرامة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم ردت عليه الشمس بعد مغيبها
فعاد الوقت حتى صلى العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا
وطعن بعضهم في صحة هذا بما لا يجدي ايضا وخبر انه تعالى لم ياذن لنبيه
صلى الله عليه وسلم في الاستغفار لامه اما كان قبل احيايها له وايمانها

> قد علم ان ابوي النبي صلى الله عليه وسلم امنة وعبد الله من اهل الجنة

> انظر كلام صاحب [illegible] تشنيع من [illegible] من يحكم [illegible] الله عليه وسلم

به او ان المصلحة اقتضت تاخير الاستغفار لها عن ذلك الوقت فلم يوذن
له فيه حينئذ فان قلت اذا قررتم انهما من اهل الفترة وانهم
لا يعذبون فما فايدة الاحيا قلت فايدته اتحافهما بكمال لم يحصل
لاهل الفترة لان غاية امرهم انهم الحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة
من العقاب واما مراتب الثواب العلية فهم بمعزل عنها فاتحفا بمرتبة
الايمان زيادة في شرف كمالهما في حصول تلك المراتب لهما وفي هذا
مزيد ذكرته في الفتاوي ولا يرد على الناظم ان فيه كافر معا ان الله تعالى
ذكر في كتابه العزيز انه ابو ابراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لان اهل الكتابين (خ: الكتاب)
اجمعوا على انه لم يكن اباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم ابا
بل في القران ذلك قال تعالى واله ابايك ابراهيم واسماعيل مع انه عم
يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث
واما من اخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره فقد تساهلوا واستروح وحديث
مسلم قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان
ابي واباك في النار يتعين تاويله واظهر تاويلاته عندي انه اراد بابيه
عمه ابا طالب لما تقرر ان العرب تسمي العم ابا وقرينة المجاز فيه الاية
الاتية الشاهدة بخلافه على ما صح محاملها عند اهل السنة وان عمه هو
الذي كفله بعد جده عبد المطلب وانه انما قصد بذلك ان يطيب خاطر
ذلك الرجل خشية ان يرتد للوقوع في سمعه ولا ان اباك في النار فهو من
باب المشاكلة على حد قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك

ومكروا ومكر الله، قيل انه انما قاله له بعد ان ولى، او كان ذلك قبل ان
ينزل عليه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له انه سئل عن
اطفال المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سئل عنهم فذكر انهم
في الجنة، واما قول النووي رحمه الله تعالى في حديث مسلم ان من مات
في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو في النار وليس
في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء قد بلغتهم دعوة
ابراهيم وغيره عليهم الصلاة والسلام انتهى، فبعيد جدا للاتفاق
على ان ابراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب، ورسالة اسماعيل اليهم
انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه وسلم عموم بعثة
بعد الموت، وقد يؤول كلامه بحمله على عبدة الاوثان الذين ورد
فيهم انهم في النار، وبهذا يرد كلام الفخر الرازي الغريب من كلام
النووي، ثم رأيت الابي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي
بان كلامه متناف لحكمه بانهم اهل فترة، وبان الدعوة بلغتهم
ومن بلغتهم الدعوة ليسوا اهل فترة لانهم الامم الكائنة بين
ازمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا ادركوا الثاني، ثم قال
ولما دلت القواطع على ان لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان اهل
الفترة غير معذبين انتهى، وهذا موافق لما ذكرته، وما احسن قول
بعض المتوقفين في هذه المسألة الحذر الحذر من ذكرهما
بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لحديث الطبراني

لا تؤذوا



لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات انتهى، واما الذين صح تعذيبهم مع
كونهم من اهل الفترة فلا يردون نقضا على ما عليه الاشاعرة من اهل
الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء ان اهل الفترة لا يعذبون، وسبب
ذلك انا عهدنا في الغلام الذي قتله الخضر انه حكم بكفره مع صباه
لامر يعلمه الله وحده، فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وان
لم تبلغهم الدعوة لامر يعلمه الله ورسوله فلا يرد هؤلاء نقضا
على ما استفيد من الآية ومشى عليه اولئك الائمة ان اهل الفترة لا يعذبون
وهذا الذي ذكرته في الجواب اولى من الجواب بان احاديثهم اخبار آحاد
فلا تعارض القطع بان اهل الفترة لا يعذبون، او بان التعذيب المذكور
في الاحاديث مقصور على من بدل او غير من اهل الفترة بما لا يعذر به
كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع، وكان قائل هذا ممن يرى وجوب
الايمان بالعقل، والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا يجب
توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم، ومن المعلوم ان العرب
لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل صلى الله عليه وسلم وان اسماعيل
انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام، فلا فرق بين من غير
وبدل وغيره، وما عدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه لانه لا قياس في
ذلك، وقول ابي حيان ان الرافضة القائلين بان آباء النبي صلى الله
عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين
فلك رده بان مثل ابي حيان انما يرجع اليه في علم النحو وما يتعلق به

وأما المسائل الأصولية فجمع عنها بمعزل كيف والأشاعرة ومن ذكر
معهم فيمن مر اتفقا على أنهم موفون غير معذبين فنسبته ذلك
للرافضة وحدهم مع أن هؤلاء الذين هم أئمة أهل السنة قائلون به
قصور أي قصور وتساهل أي تساهل ما مضت فترة وهي ما بين موت
الرسول أو بعثة الرسول الذي يليه كما بين عيسى ونبينا صلى الله عليه
وسلم واختلفوا في قدرها والمشهور أنه نحو ستمائة سنة أي
زمن خال من الرسل جمع رسول ومن تغير بعده أول الكتاب أي ما مضى زمن
خال من الرسل نبي فيه ذكرك إلا جددته وبشرت من البشارة وهي
الخبر السار قومها ليس فيه إضمار قبل الذكر لأن مرجع الضمير الفاعل
وهو متقدم الرتبة وإن تأخر لفظه على أنه يحتمل على بعد أن الضمير للفترة
أي إلا بشرت الأقوام الكائنين في تلك الفترة بك أي بقرب بعثتك
وبأعم رسالتك وعظمتك الأنبياء أي الرسل الذين أتوا بعد تلك
الفترة وفي هذا استدلال واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم
وتعتقد على العصمة الرسل وأنه نبي الأنبياء المقدم عليهم التابعون
له هم وأممهم وشاهد ذلك قول الله تعالى عن عيسى صلى الله عليه
وسلم ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم أنا دعوة أبي إبراهيم أي في آية ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشارة عيسى وقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين أي
وأممهم وحذف استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الأتباع لما

ما مضت فترة من الرسل إلا

بشرت قومها بك الأنبياء

مفتوحة

مفتوحة توطئة للقسم الذي تضمنه أخذ الميثاق ولتؤمنن
سد مسد جوابه وجواب ما الشرطية مكسورة أي لأجل ما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم أي وهو محمد
صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية وقد اختلف المفسرون
فيها والذي قاله علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم وتبعهم
الحسن وطاووس وقتادة رحمهم الله تعالى أخذ على كل نبي بعثه انه
من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم من هذا أن الأنبياء
كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنهم إن أدركوا محمدا صلى الله
عليه وسلم آمنوا به ونصروه وقد ادعى أن هذا هو معنى الآية دون
الأول مردود ولا ينافي الأول العلم بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
لا يدركون حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم في آخر الآية بالفسق
على من تولى عن ذلك لأن التعليق في مثل ذلك لا يستلزم الوقوع
ألا ترى إلى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولو تقول علينا
بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين والمقصود أنه لو فرض أنه بعث
وهم أحياء لزمهم ذلك كما أن القصد منهما تبيين الأمر بين الفرض والتقدير
أيضا ومن ثم قال الإمام التقي السبكي دلت الآية على أنهم لو أدركوا
زمنه صلى الله عليه وسلم كان مرسلا إليهم فتكون نبوته ورسالته
عامة لجميع الخلق الأنبياء وأممهم من لدن آدم إلى قيام الساعة

وحينئذ فلا خلو في قوله وأرسلناك الى الناس كافة وحكمة اخذ هذا
الميثاق على الانبياء اعلامهم واممهم بانه المتقدم عليهم وانه نبيهم
ورسولهم وقد ظهر ذلك في الدنيا بكونه امهم ليلة الاسرى ويظهر
في الاخرة بانهم كلهم تحت لوائه بل وفي اخر الزمان يكون عيسى عليه
الصلاة والسلام ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون
شريعة نفسه **تنبيه** ما افاده كلامه من الحصر بالنفي والاستثناء
هو ما اطبقوا عليه لان هذا اقوى طرقه وافادة وجه الحصر ان الاستثناء
المفرغ لابد ان يتوجه النفي فيه الى مقدر كما قدرته في كلام الناظم
ذلك المقدر هو المستثنى منه لان الاستثناء اخراج فيحتاج الى مخرج
منه والمراد التقدير المعنوي لا الصناعي ولابد ان يكون عاما ومنا
سبا للمستثنى في جنسه ففي ما قام الا زيد يقدر احد وما اكلت الا
تمرا يقدر ماكولا وان يوافقه في صفته اي اعرابه وحينئذ يجب القصر
اذا اوجب منه شيء بالا ضرورة بقي ما عداه على صفة الانتفاء واصل
استعمال هذا ان يجهل المخاطب الحكم وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول
نحو وما محمد الا رسول فانه خطاب للصحابة العالمين برسالته لكنه
نزل استعظامهم له عن الموت منزلة الجهل برسالته لان كل رسول
لابد من موته فمن استبعد موته فكانه استبعد رسالته ثم مفاد
هذا الطريق في نحو ما قام الا زيد النص على نفي القيام عن غير زيد
واما اثبات القيام لزيد فقيل منطوق صريحا ايضا والاصح انه مفهوم

ولكنه

تتباهى بك العصور وتسمو

ولكنه اقوى المفاهيم لان الا موضوعة للاستثناء وهو الاخراج فدلا
لتها عليه منطوق فقط والتبس على من زعم انه مفهوم ثم بين
الناظم بعض فوائد تلك البشارات في تلك الفترات فقال تتباهى
اي تتفاخر بك اي بوجودك العصور اي الازمنة الطويلة من
لدن ادم الى يوم القيامة وما بعده فكل عصر يفتخر على العصر الذي قبله
لوجودك فيه بكمال اعلامها قبله ولو في ضمن ابائك لكن اعظمها
افتخارا عصر بروزك الى هذا العالم ثم عصر نشاتك ثم عصر رضاعك
ثم شق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوءتك ثم عصر رسالتك
ثم عصر دعائك الخلق الى الله تعالى ثم عصر اقبالهم عليك ثم عصر
معراجك ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك وبعوثك
وفتوحك ثم عصر دخول الناس في دين الله افواجا ثم عصر حجك ثم
عصر اتباعك على تفاوتهم الى قيام الساعة كما دل عليه الحديث
المشهور لا تزال طائفة من امتي فمزاياه تتزايد في كل عصر من اعصار
حياته صلى الله عليه وسلم على ما قبله وبحسب ذلك يكون افتخار
ذلك العصر على غيره وكذلك عصور اتباعه تتفاوت بتفاوت مزاياهم
المستمدة من مزاياه واعمالهم المتضاعفة لهم تضاعفا يعود الكل
لان كل عامل يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك
كل واسطة بينه وبينه لانه الدال الكل ومن دل على خير فله اجر مثل
اجر فاعله فكل حال متضاعف له بحسب تضاعف من بعده وتضاعف

للنبي صلى الله عليه وسلم بحسب تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر
عن ادراك كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى
في فصل القضاء ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته
وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد نهايته
فكل هاذه العصور تفتخر به بحسب ما يقع فيها من كماله لان الازمنة
والامكنة تشرف بشرف من كان فيها وما يكون فيها من المزايا والكمالات
ولذا قال بعضهم ان ليلة مولده صلى الله عليه وسلم افضل من ليلة القدر
فهو صحيح لولا ان النص على خلافه على ان ليلة القدر من خصوصياته
فتفضيلها انما هو لاجله ايضا وتسموا اي تعلوا وترتفع من سموت
او سميت كعلوت وعليت بك اي بتلبسها بك مرتبة علياء تانيث
الاعلى بعدها في الزمان والعلوم مرتبة اخرى علياء اي اعلى منها
اي لك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة اعلى مما قبلها واعلى
منها ما بعدها وهاكذا الى ما لا نهاية له ودليل تعاليه ومراتبه كما
ذكر في قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك ان علومه ومعارفه
متزايدة متفاوتة الى ما لا نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله قال العارف القطب ابو الحسن الشاذلي
هذا غين انوار لا غين اغيار اي لانه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي
وكان كلما توالت انوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى الى مرتبة اعلى
مما هو فيها وراى ان ما قبلها دونها فيستغفر تواضعا وطلبا

اي اعلى منها

لتزايد

لتزايد كماله وفي قول الناظم وتسموا الخ من المدح ما لا يخفى عظمه وقفه
لانه جعل تلك المراتب هي التي تسموا وترتفع به ولم يجر على ما هو المتبادر
انه الذي هو يسموا ويرتفع بها لما هو الحق انه تعالى خلقه في عالم الامر
على اكمل كمال يمكن ان يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق متدرجا في
تلك المراتب لتتشرف به لا ليتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها
فتامل ذلك فانه دقيق غفل عنه الشارح وبدا اي ظهر للوجود اي
لهذا العالم منك كريم اي سالم من كل صفة نقص جامع لكل صفة
كمال وهذا احد انواع التجريد الذي هو من احد انواع البديع وهو
اعني التجريد ان ينتزع عن امر ذي صفة امر اخر مماثل لذلك الامر في تلك
الصفة مبالغة لكمالها في ذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف بتلك
الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف اخر بتلك الصفة وهو
انواع فمنها ما يكون بمن التجريدية كما هنا نحو قولهم لي من فلان صديق
حميم اي قريب يهتم لامره اي بلغ فلان من الصداقة حدا يصح معه ان يستخلص
منه فلان اخر مثله في الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم لكماله في صفة
الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة في صفة كرمه وكماله فيه
ثم ذلك الكريم الذي ظهر فيه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجد من
اصلاب وارحام كريم اي سالم من نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده
غيره ثم كما علم مما مر ويأتي وهذا ظاهر في اسلام ابويه صلى الله
عليه وسلم ومن مات في ذلك اي اباؤه جميعهم كما افادته الاضافة من

وبدا للوجود منك كريم

من كريم اباؤه كرما

لدن آدم اليه واراد بالآباء ما يشمل الامهات لما قدمه النوعين مختار ان او الاختيار والكرم منا لهما واحد كرماء اي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم تنبيه قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز عدنان وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون للكن قال البيهقي الاصح ان هذا من قول ابن مسعود قال غيره كان ابن مسعود اذا قرا والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اي لانهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس بين اسماعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون ومن ثم انكر مالك رضي الله تعالى عنه على من يرفع نسبه الى آدم وقال من اخبره بهذا اي ان ذلك من كلام المورخين الذي لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير وقلة الفائدة هذا نسب عظيم بل لا اطهر ولا اجل منه في الانساب وهو اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها تحسب ايها المخاطب اي تظن العلا جمع عليا تانيث اعلا كما مر بحلاه بضم اوله وكسره وهو افصح جمع حلية بكسر اوله اي بسبب حلا ذلك النسب قلدتها اي العلا في محل مفعول تحسب الثاني والاول العلا نجومها اي نجوم الجوزاء اسم لبرج في السماء كما في القاموس وعليه فنجومه هي الانية

السهيلي

نسب تحسب العلا بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء

وتطلع

وتطلع على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المراة فلذا نسب التقليد اليها وحينئذ لا بدع ان ينسب الى الشيء من حيث هو مجموع انه قلد غيره كلا من تلك الافراد التي اشتمل عليها او يقال ان المراد بنجومها هنا ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزاء وقبة الجوزاء كما قال القائل لو لم تكن قبة الجوزاء خدمته لما رايت عليها عقد منتطق اي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تامل فيه حسب بسبب ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزاء بنجومها اي جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلامه يفيد ان كل واحد من اولئك الآباء الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كانه النجم في الشرف وعلو المرتبة والاضاءة والاهتداء به في ظلمات البر والبحر حتى يظن الظان انه نجم من نجوم الجوزاء وان ذلك النسب منتظم كانتظام العقد وكاستدارة نجوم الجوزاء وان مجموع هذا النسب كالعقد الثمين جدا التي تقلده علو تلك المراتب العلية فعلم من هذا مع ما قدمته في مبحث الاستعارة ما في هذا البيت من انواعها البالغة الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزاء المنتظمة بعضها كانتظام ذا النسب في الشرف وعلو المراتب ولما قرر ان مجموع ذلك النسب له كالعقد الثمين الذي تقلدته تلك المراتب العلية اخذ في مدح ذلك فقال حبذا اي كنعم عملا ومعنى مع زيادة نصها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب بالضم اي

صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم ادغم فصار حب والاصح ان ذا فاعله ويلزم
الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال
لا تغير ولا زفيه حذفا تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها وحبذا
زيد وحبذا امره وشانه فالمقدر المشار اليه مجرد مذكر وانما حذف
واقيم المضاف اليه مقامه اولانه على ارادة جنس شايع فوالاول والاكثر
على الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم
واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع ابتداء ثم هل هو مبتدأ مخبر
عنه بالمخصوص او عكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل فالمخصوص
مبتدأ والجملة في خبره والرابط ذا وقيل مبتدأ محذوف الخبر
وقيل عكسه وكأنه قيل من المحبوب بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا
يتقدم مخصوص حبذا عليها وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها
فرع عنها فلا تساويها في تصرفاتها وتحذف بقلة وتكون قبل
المخصوص او بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة
وحبذا رجلين الزيدان ثم ان اشتقوا عرب حالا والا فهو تمييز على
خلاف منتشر فيه والناظم حذف هذه الدلالة المقام عليه والتقدير
حبذا كمالا وتدخل عليها لا فتساوي بيس في الفعل والمعنى مع
زيادة ما تقدم وضده في حبذا وهي غير متصرفة فلا مصدر لها ومن
ثم عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في
الاخيرين كالظرف وتجرد من ذا فيضم اولها ويجوز بقلة فتحه وجر

فقال زيد اي هو
وقيل

فاعلها

انت فيه اليتيمة العصماء

٢٨

فاعلها بالباء كحب بها وانما اطلت في هذه لان كلام الشارح فيها غير
موف بالمراد مع انه لا يخلو اي النظم في حذفه مامر من ايهام فتامله
عقد بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر سوددا اي سيادة وفخارا اي
تمدح بالخصال الجليلة انت فيه اي ذلك العقد وفي نسخ فيها نظرا
الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة اليتيمة اي التي لا شبيه لها في
حسنها العصماء من العصمة اي الحفظ او المنع لان من شان هذه
الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها عن ان تنال اليها ايدي الاغيار وجملة
انت وما بعده صفة لعقد او حال منه لتخصيصه بالاضافة وهذا
في غاية المدح له صلى الله عليه وسلم ولنسبه اي حبذا نسبك الذي
اذا ذكرت وعدت معك . اباؤك كانوا قلادة منتظمة من جواهر
ثمينة لها السيادات والفخار على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها
وانفسها واعلاها بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير
والمخصوصة من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها
ببلوغها من صفات الجمال ونعوت الجلال ما يبهر العقل ويفوق الوصف
ويشاهد هذا ما مر من الاحاديث الصحيحة الصريحة في انه صلى الله
عليه وسلم افضل المخلوقين والخليقة الاكبر عند رب العالمين ولما تمم
مدح كماله ونسبه اخذ في مدح ذاته فقال وحبذا ايضا محيا اي وجه
كالشمس منك حال من محيا مضيء مبتدأ خبره كالشمس والجملة
صفة لمحيا او حال منه لتخصيصه بمنك ويشاهد هذا حديث البخاري

ومحيا كالشمس منك مضيء

عن الربيع بنت مسعود لو رأيته لقلت الشمس طالعة وحديث احمد
والترمذي والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت
شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في
وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة وقال له قائل كان
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس
والقمر وكان مستديرا وبين بذلك الرد على من شبهه بالسيف في
الطول وانه جمع صفة الشمس من الاشراق والاضاءة وصفة القمر من
الحسن والملاحة وفي حديث علي عند الترمذي والبيهقي كان في وجهه
تدوير اي قليل مع سهولة خديه وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم
مما تقرر انهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر لا مطلقا
فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابي نواس

تتيه الشمس والقمر المنير * اذا قلنا كأنهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي * وان البدر ينقصه المسير

نعم في قول ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ربما
يفهم التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يملأ نوره الارض احوج
ما كانت اليه ويؤنس كل من شاهده فهو مجمع النور من غير اذى ٢
ويتمكن الناس من مشاهدته بخلاف الشمس فانها تغشي البصر وتمنع
من تمكن الرؤية ايضا ولكن تقول لا يعرف لما علم مما قدمته ان
وجه الشبه مراعى وحينئذ فالتشبيه بالشمس مع رعاية

وجه

وجه الشبه فيها ابلغ منه بالقمر قال تعالى وهو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا او شيئا زمانيا يفهم) اسفرت صبحة او جاء ايضا اي
انحسرت وانكشفت عنه اي عن ذلك المحيا او اضاءت متجاوزة عنه
ليلة عظيمة غراء اي بيضاء بظهور نوره فيها وعقبها وهذا
اولى من جعل ذلك لظهور القمر فيها بناء على انها ليلة ثاني عشر
او لكونها من الغرر على انها ليلة ثاني الشهر وغرته ثلاث ليال
لان كلا من هذين لا مدح له فيه صلى الله عليه وسلم بخلاف الاول من
الغرة وهي بياض في وجه الفرس وهي غرة في وجه الدهر ثم ابدل
منها قوله ليلة المولد بكسر اللام زمن الولادة وبفتحها مكا
نها وكلاهما هنا بعيد فالاحسن انه مصدر ميمي اي ليلة الولادة
الذي كان اي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما للدين وهو
لغة الجزاء واصطلاحا الشرع المبعوث به النبي صلى الله عليه
وسلم وحد ايضا بانه وضع الاهي سائق لذوي العقول باختيارهم
المحمود الى ما هو خير لهم بالذات سرور اي فرح عظيم بيومه
واليوم في عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع الشمس وفي عرف الشرع
من طلوع الفجر وازدهى اي هذه الليلة الغراء وهي ليلة ولادته وانه
اشرف مولود فلا جاز ذلك سر الدين واهله اليوم الذي برز فيه الى
هذا الوجود على الوجه الاكمل وافتخر به على سائر الاديان والايام
تنبيه اضاف الناظم كلا من الليلة واليوم الى المولد فاحتمل ان

اسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذي كان للدين
سرور بيومه وازدهاه

يكون من القايلين بانه ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من
حديث عثمان بن العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية
لانها شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شي
انظر اليه من البيت الا نور واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول
ليقعن علي رواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلي النجوم
وبتصريح عايشة رضي الله عنها ايضا بذلك كما رواه الحاكم
وان يكون من القايلين بانه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الاثنين
يوم تالق بوضعه ابنة وهب وهذا هو الاصح كما صرح به حديث
مسلم وغيره لكن بعيد الفجر كما في حديث وان كان فيه ضعف
لان الضعيف في المناقب والفضايل حجة اتفاقا فمن اطلق انه
ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس او اراد مجاز المجاورة وليس
في رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الا تيقن ما يدل على ان ذلك كان
قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن تدليها حينيذ بل بعد طلوع بعد
الشمس خرقا للعادة للمبالغة في اكرامه صلى الله عليه وسلم وعلى
انه ولد ليلا فقيل ليلة مولده افضل من ليلة القدر واستدل قايله
بوجوه كثيرة كلها مدخولة كما يعلمه الواقف عليها ان حققوه
وعلى انه ولد نهارا فهو يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم
قيل انه في شهر غير معين والمشهور انه معين وهل صفر او ربيع
الاول او الاخر او رجب او رمضان او عاشوراء اقوال الاصح انه في
شهر

شهر ربيع الاول فقيل ان اليوم فيه غير معين والاصح انه معين فقيل
لليلتين منه وقيل لثمان واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع
عليه اهل التاريخ وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور
وعليه العمل وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن
في يوم الجمعة ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم انه
صلى الله عليه وسلم تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول لتظهر
مزيته به على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم في المدينة
دون مكة لانه لو دفن بها لكان يقصد تبعا لها فافرد بموضع
مفضول عند اكثر العلماء ليتشرف به بل ليفوق به الفاضل عند
كثير منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق الاستقلال لا التبعية
اظهارا لمزيد كرامته على ربه واختلفوا في عام ولادته صلى الله عليه
وسلم فالاكثرون انه عام الفيل بل حكي الاتفاق عليه والمشهور انه
ولد بعده بخمسين يوما ووراء ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون
شهرا اربعون عشر سنين خمسة عشر سنة وايد كونه بعده
بانه ارهاص لنبوته وهذا الذي ولد بمكة مقدمة لدخوله لظهوره
صلى الله عليه وسلم وفي مكانه والصواب انه بمكة وقيل بالشعب
وقيل بالردم والمشهور انه المسجد المشهور الان بالمولد وزعم
انه بعسفان شاذ لا يعول عليه وقد صرح بعض ايمتنا ان اول واجب
على الاولياء ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم

ولد بمكة ودفن بالمدينة بل فيه انكار ذلك كفر لاستلزام انكار وجود
النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم وتوالت اي
تتابعت بشرى اي بشارة الهواتف للناس جمع هاتف وهو ما
يسمع هتفه اي صوته وقيل صوته الخفي ولا يرى شخصه والمراد
هنا اعم من ذلك لان البشارة به جاءت في كتب الله تعالى والسنة
الاحبار والكهان والجان كما استوعبه اهل السير وجمع اكثره
ابن ظفر في كتابه البشر بخير البشر ان اي بان من تعلق بمبشر قد
ولد المصطفى اي المختار على الخلق كلهم وحق اي ثبت الهناء اي
الفرح والسرور لكل الخلائق به قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
والبشارات به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة لا يحملها
هذا المحل لكن منها ما جاء انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال
فاقسم ما انثى من الناس انجبت ... ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر ... مجنبة لوم القبائل ماجده
وهتف آخر على ابي قبيس باربعة ابيات فيها معنى ذلك وزيادة
ومنها ان سواد بن قارب الدوسي لما قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم وحسن اسلامه اخبره ان رئيه انشده ابياتا ثلاث ليال متوالية
وذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم فيها حث قارب على المجيء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه ومنها ما جاء
بسند ضعيف ان راهبا كان بمر الظهران يقول يوشك ان يولد فيكم

وتوالت بشرى الهواتف ان قد
ولد المصطفى وحق الهناء

يا اهل مكة مولود اسمه محمد تدين له العرب ويملك العجم هذا
زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سال عنه فجاءه عبد المطلب
صبيحة ولادته صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال كن اباه فقد ولد ذلك
المولود الذي كنت احدثكم عنه فما سميته قال محمدا وروى الحاكم
عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه كان بمكة يهودي فصاح ليلة
ولادته يا اهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه
قال ولد هذه الليلة نبي الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها
شعرات متواترات كانهن عرف فرس فادخلوه على امه واخرج له
فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما افاق
قالوا ما لك ويلك قال ذهبت والله النبوءة من بني اسرائيل وذكر
الحافظ ابو سعيد النيسابوري ان نور النبي صلى الله عليه وسلم
لما صار الى عبد الله بن عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح من
فمه رائحة المسك الاذفر وكانوا يستسقون به فيسقون نام
في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فتحير
فيمن فعل به ذلك فانطلق به ابوه الى كهنة قريش فقالوا ان الله
السموات قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج ونام مرة اخرى في الحجر
فرأى رؤيا فقصها على الكهان فقالوا ان صدقت رؤياك ليخرجن
من ظهرك من يؤمن به اهل السموات والارض وليكونن في الناس
علما مبينا وذكر الحافظ ان زمزم كانت اندرست فرأى عبد

المطلب ما دله عليها فحفرها فاذاه سفهاء قريش ولم يكن له الا ولده
الحارث فنذر ان رزق عشر بنين ليذبحن احدهم لله فلما تموا عشرة اتوا
من يامره بوفاء نذره فاتقاه وذبح كبشا فقيل انه لا يجزيه فذبح
ثورا فقيل انه لا يجزيه وهاكذا حتى امر بذبح احد بنيه كما نذر
فاقرع بينهم فخرجت على عبد الله فجاء به ليذبحه عند الكعبة
فمنعه سادة قريش وامروه بمشورة كاهنة فاشارت ان يقرع
بينه وبين عشرة من الابل وانه كلما خرجت القرعة عليه يزاد عشرا فلما
بلغت مائة خرجت القرعة عليها فذبحها ولهذا قال صلى الله
عليه وسلم انا ابن الذبيحين وصح انه صلى الله عليه وسلم اقر من قال
له ذلك والثاني اسماعيل وعلى انه اسحاق وعليه الاكثرون فقد
ان العرب تسمي العم ابا ومن عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه
وسلم تداعى اي تهادم اي اشرف على الهدم لانه انشق له شقا
بينا اي ابتدا من اوله الى اخره ايوان بكسر الهمزة ويقال فيه اوان ككتاب
وفسره الجوهري بانه الصفة العظيمة كالازج وغيره بانه
بيت موزج اي مبني طولا غير مسدود الوجه اي فهو صفة طويلة
واسعة باولها عقد واسع قال وهو جار سهو وقيل بانه هو البيت
العالي وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرافات وقيل بيت الملك
المعد لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه واحكامه وان
ذلك الايوان كان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما كسرى

وتداعى ايوانه بكسرى ولولا
اية منك ما تداعى البناء

ابو

انوشروان بفتح الكاف وكسرها معرب خسرو اي واسع الملك وهو خسرو
لقب لكل من ملك الفرس كقيصر لملك الروم وتبع لملك اليمن
والنعمان لملك العرب من قبل العجم والنجاشي لملك الحبشة
وفرعون لملك القبط والعزيز لملك مصر وجالوت لملك البربر
وخاقان لملك الترك ولولا حرف امتناع لوجود اي امتنع جوابها
لوجود تاليها اية صادرة منك الى الوجود اي علامة عظيمة
على نبوتك ورسالتك العامة وان كل من عاندك لا يرفع له راس
وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب والاصل منه اي المصطفى ما تداعى
البناء اي هذا المبنى المذكور مع ما هو عليه من العظم والاحكام
الذي كان يظن به انه لا تهدمه الا نفخة الصور وان قد تحرك
وسقط منه اربع عشرة شرافة حينئذ علم بالقطع البرهاني
ان ذلك ليس الا محض اية منه صلى الله عليه وسلم للوجود على نبوته
صلى الله عليه وسلم وانه لا ملك ولا عز يبقى لاحد مع ملكه وعزه وفي سقوط
تلك الاربع عشرة الاشارة الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة
عشر فملك عشرة في اربع سنين واربعة الى زمن عثمان وقد فتح
في زمن عمر رضي الله تعالى عنه اكثر اقاليم فارس وكسر كسرى
واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى مملكته ثم قتل في زمن عثمان
رضي الله تعالى عنه وزال ملكه بالكلية وصح انه اخبر صلى الله عليه
وسلم بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وان امواله وكنوزه

تنفق في سبيل الله فانقطع ملكه وزال من جميع الارض وتمزق ملكه
كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك لما جاءه كتابه فمزقه
وقد بشر صلى الله عليه وسلم امته في حفر الخندق بملك بلاده وقال لسراقة
وكان من فقراء اصحابه كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما
عمر رضي الله تعالى عنه البسهما اياه اي اظهارا للمعجزة وذلك عند فتح
وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة ولما راى كسرى
ما وقع بايوانه وراى تلك الليلة الموبذان اعلم علماء مملكته رءا
ابلا صعابا تقود خيلا عرابا فقطعت دجلة وانتشرت في بلادها
افزع كسرى ذلك فسال الرؤيا فقال حدث يكون من ناحية العرب فكتب
كسرى الى النعمان بن المنذر ملك العرب ان يرسل اليه اعلم من فى ارضه
من العرب فبعث اليه عبد المسيح بن عمرو الغساني وكان معمرا قد انتهى
على خاله سطيح وهو بالشام فامره كسرى بالذهاب اليه فجاءه
فوجده مشفيا على الموت فاخبره سطيح بما من جملته جاء عبد
المسيح. على جمل مشيح. الى سطيح. وقد اوفى على الضريح. بعثه
ملك ساسان. لارتجاس الايوان. اي تحركه وخمود النيران. ورؤيا
الموبذان. راى ابلا صعابا. تقود خيلا عرابا. قد قطعت دجلة وانتشرت
في بلادها يا عبد المسيح. اذا كثرت التلاوة. وظهر صاحب الهراوة.
وفاض وادي سماوة. اي قرية بين الكوفة والشام وليست من العواصم
وغاضت بحيرة ساوة. وخمدت نار فارس فليس الشام لسطيح شاما

ولا

ولا بابل للفرس مقاما. يملك منهم ملوك وملكات. على عدد الشرا
فات. وكل ما هو ات ات. ثم قضى سطيح مكانه فعاد عبد المسيح
واخبر كسرى بذلك فقال الى ان يملك منا اربعة عشر تكون امور
فملك منهم عشرة في اربع سنين واربعة الى خلافة عثمان كما مر
وسمي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك في يده
القضيب كثيرا وكان يمشي بين يديه بالعصى ليصلي اليها قال
القاضي واراها العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن اي لاجلهم ليتقدموا وسمي ايضا صاحب القضيب
اي السيف كما في الانجيل فهو صاحب العصا يرعى بها الاخيار
والقضيب يبيد به الاشرار ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته
ايضا لينتبهوا ويسالوا عن سبب ذلك انه غدا في تلك الليلة
كل بيت نار اي كل واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها
ويشتد ايقادهم لها حتى ان لها الف سنة لم تخمد ونار من ذوات
الواو وانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو المستلزم لقلبها ياء
وفي للحال وجيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك
ان المنصوب بعد غدا حال اذ لا يوجد الا نكرة وخالفهم الزمخشري وابو
البقاء والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبرا سواء كانت بمعنى صار او بمعنى دخل
وقع بفعله في وقت الغدو او الرواح وجعلوا من ذلك اغدو عالما
وحديث تغدوا خماصا وغدا زيد ضاحكا اي صار في حال ضحك

وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها ويقال

فيه كربة بضم اوله اي غم يأخذ الانفس وربما اهلكها من اجل
خمودها اي سكون لهيبها من غير ان يطفأ جمرها والافيل بهد نت
وبلاء عظيم صب الله عليهم صبا بازالة ما يعتقدونه الهاهم
ومتعبدهم لانهم مجوس فكان في اقليم الفرس من بيوت النيران
الموقدة الفا من السنين وما تحيل العادة انطفاءها فاذا انطفت
تلك النيران في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك لامر
عظيم حدث في العالم وكان كذلك وسببا لازالة ملكهم وتمزيقهم
كل ممزق وكما من ومن تلك العجائب ايضا غيوض فهو مبتدا سوغه
وصفه بقوله للفرس بالضم ويقال فارس ومنه حديث وخدمتهم
فارس والروم وهم امة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق
من الفراسة بالفتح اي الشجاعة وكسرى من اجل ملوكهم غارت في
الارض حتى لم يبق منها قطرة ومنها بحيرة طبرية التي كان فيها
من كثرة المياه وسعتها ما تحيل العادة غيضها وقد قيل طولها
ستة اميال وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة لبلد معروف بينها
وبين الري اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام فهل استفهام
للتعجب من حالهم اولتوبيخهم وتقريعهم كان لنيرانهم بها اي
بتلك المياه التي غارت اطفاء الا بل لم يطفها الا سر وجود نبينا
صلى الله عليه وسلم وظهوره المضمحل به كل النمو باطل ولذا قال مولد
عظيم بالجر بدلا من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف كان اي صار على

وعبو للفرس غارت بعد كان النيران نهم بها الطعا

الدوام منه اي من اجله او من لابتداء الغاية في طالع الكبراء في نحو
النوم او الالهام الذي يطلع به على عواقب الكبر وغايات اهله المترتبة
عليه كرؤيا الموبذان والهام سطيح الشام بغيبه انبغاؤ ويصح ان يراد
ان المولد بنفسه اطلع كل ذي بصيرة على ان الفرس والكفار يحل بهم
وبال اي وخم عظيم عليهم اي على اهله الذين هم الفرس بدليل
السياق او اعم بدليل الواقع ووبال ويجوز قصره وهو المرض الشديد
العام وهما وبيض الجناس اللاحق كما بينا زعمنا اعتراهم بوجوده
من اشراف ملكهم على الزوال ومما حل بهم من البوار والوبال والهوان
والنكال فبسبب ما حصل بوجوده صلى الله عليه وسلم في هذا
الكون لهذه الامة من المزايا وله من العطايا والايات والامهات
من الشرف الاكبر والتمييز الاظهر حواء يقال في شان امه هنيئا
به للامنة الفضل اي ثبت لك الفضل اي الكمال والشرف والعلو حال
كونه هنيئا اي لا اذى فيه ولا نكد فهو حال عند الاكثرين مؤكدة
لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك وقال المبرد انه
مصدر كالعافية واصل ذلك انهم انابوا عن المصدر صفات كعافاك
بك وهنيئا لك قال بعض المغاربة وهي موقوفة على السماع
وقال غيره انه مقيس عند سيبويه يقال الكامل لازم صفة وهنيئا
اسم فاعل من هنى او هنؤ كشريف من شرف وهو ما اتاك بلا مشقة
الذي شرفت به حواء فمن دونها من امهات الى امنة فان الولادة

وهنيئا به لامنة الفضل الذي شرفت به حواء

منسوبة الى كل منهن لكنها اليهن بواسطة وبامنة بدونها
فمن ثم خصها من بينهن بذلك وزاد في مدحها بانها شرفت بما
شرفت به ام البشر وزيادة عدم الواسطة فذكرها النفذا والجمع
بين طرفي الولادة الاول والاخر ولينبه على ان حوا امتازت بابرازه الى
وجود عالم الاصلاب وامنة امتازت بابرازه الى وجود عالم الا
ستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم قال مبينا تمييزها على
حوا بذلك من استفهام استبعادي بمعنى النفي لحوا اي ومن ذا
الذي يفرح لها بانها او يشفع لها في انها حملت احمدا بالتنوين
للضرورة اي حملت به وهو من غرر اسمائه صلى الله عليه وسلم وقد
سماه الله به على لسان موسى عليه الصلاة والسلام كما في الحديث
وعيسى عليه الصلاة والسلام كما في القران وهو منقول من الصفة
التي معناها التفضيل فمعناه احمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى
لانه يفتح عليه يوم القيامة عند سجوده تحت العرش ليسئل في
الشفاعة العظمى وهو مقامه المحمود بمحامد لم يفتح بها على
احد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد له لواء الحمد ويكون تحته
ادم فمن دونه او انها به نفساء اي اصابها نفاس وهو الدم الخارج
عقب الولادة سمي بذلك لانه اثر نفس اي ولد وبانها ولدته بلا واسطة
اي لو قدر لها ان تحمله وتلده من غير واسطة لكان لها به غاية
العجز لكن لم يقدر ذلك لها بل لامنة لما سبق في علم الله انها الفائزة

من خواصها انها حملت احمد
او انها به نفساء

بشرف

بشرف الانتهاء وهو افضل مما فازت به حوا من شرف الابتداء ولهذا
قال يوم بدل من مولد اسم زمان نالت اي اعطيت بوضعه اي بسببه
امنة ابنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة فهي تلتقي
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة ابائه في كلاب وكان وهب
سيد بني زهرة نسبا وشرفا وام امنة برة بنت عبد العزى بن
قصي بن عبد الدار بن قصي بن كلاب من بيانية فخار وهي التمدح بالخصال
العلية والشيم المرضية ما لم تنله النسا حتى حوا كما مر وهذا
لا يقتضي افضليتها على حوا مطلقا لانها انما فضلت من جهة واحدة
وهي ولادتها له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والتفضيل من جهة
من جهة واحدة او من ايا لا تقتضي الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت
ذلك لان الاجماع قام في حوا على ايمانها الكامل وامنة وقع الخلاف
في ايمانها بل وفي نجاتها ونقل عن الاكثر بين عدمها ولكن الاصح
بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما اخرجه ابو نعيم والخرائطي
وابن عساكر ان عبد المطلب لما خرج بعبد الله ليزوجه مر به على
النبي راها وقد مرت رانه كاهنة قرات الكتب فرات نور النبوة
في وجهه ومن ثم كان اجمل رجل في قريش فسالته ان يقع عليها
وتعطيه مائة من الابل فابى وقال اما الحرام فالممات دونه فمر
به ابوه حتى اتى به وهبا ابا امنة فزوجه بها وهي يومئذ افضل
امراة في قريش نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى

يوم نالت بوضعه ابنة وهب
من فخار ما لم تنله النسا

عند الجمرة ثم خرج ومر على تلك المرأة فلم تكلمه فسألها لم لم
تعرضي نفسك الآن علي قالت فارقك النور الذي سألتك لأجله وذكروا
أنه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها أصبحت أصنام الدنيا
منكوسة واخضرت الأرض وحملت الأشجار وكانت قريش في جدب
شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت أن النور
المكنون قد انتقل إلى بطن آمنة ذات العقل الباهر والفضل الظاهر
قد خصها الله تعالى بهذا الحبيب لأنها أفضل قومها حسبا وأزكاهم
أصلا وفرعا وفي حديث ابن إسحاق أنها حدثت أنها لما حملت به
صلى الله عليه وسلم قيل لها قد حملت بسيد هذه الأمة وقالت ما
شعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وحما إلا في ابتداء حمله ولرواية
أنها وجدته وحملتا على الابتداء جمعا بين الأحاديث وأتاني آت
وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت أنك حملت بسيد الأنام
ثم أمهلني حتى دنت ولادتي أتاني فقال قولي أعيذه بالواحد من شر كل
حاسد ثم سميه محمدا وبعد هذا البيت أبيات أخر مشهورة ولا أصل
لها كما قاله الزين العراقي وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما أنه قال كان في دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم
أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت قد حمل برسول
الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج العلما ولم
يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكسا ومرت وحوش المشرق إلى

ووحوش

وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار بشرت بعضها بعضا
وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء
أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ميمونا مباركا وروى أبو نعيم
أن آمنة أتاها آت بعد ستة أشهر من حملها وقال يا آمنة إنك
قد حملت بخير العالمين فإذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمي شأنك
ثم لما أخذها الطلق وكانت وحدها رأت كأن طائرا أبيض قد مسح
فؤادها فذهب رعبها ثم أوتيت بشربة بيضاء فتناولتها فأصابها
نور عال ثم رأت نسوة كالنخل طولا فأحدقن بها فقالت من أين علمتن
بي وفي رواية فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران
وهؤلاء الحور العين ثم رأت ديباجا أبيض مد بين السماء والأرض
ورجالا بأيديهم أباريق من فضة وقطعة من الطير أقبلت حتى
غطت حجرتها مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت ورأت
مشارق الأرض ومغاربها ثم رأت ثلاثة أعلام منصوبات علما
بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذها النعاس
فوضعته صلى الله عليه وسلم فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى
السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأت سحابة بيضاء غشيته فغيبته
عنها فسمعت مناديا يقول طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها
وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه الماحي
لأنه لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه صلى الله عليه وسلم

ثم انجلت عنه في اسرع وقت وروى الخطيب البغدادي بسنده انها
لما وضعته رأت سحابة عظيمة لها نور عظيم تسمع فيه صهيل الخيل
وخفقان الاجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عنها فسمعت
مناديا يقول طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن
والانس والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه في اخلاق النبيين
ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضاء مطوية طيا شديدا ينبع
منها ماء واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد صلى الله عليه وسلم على الدنيا
كلها لم يبق احد من اهلها الا دخل طائعا في قبضته ثم رأت ثلاثة
نفر بيد احدهم ابريق من فضة والثاني طست من زبرجد اخضر
والثالث حريرة بيضاء اخرج منها خاتما تحار ابصار الناظرين دونه فغسله
سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فادخله تحت اجنحته
ساعة ثم رده الى امه ويوم اتت. امنة فوقما اسم جنس للذكر
وقد تدخل فيه النساء تبعا كما هنا بـ مولود افضل بالاجماع مما
اوقع ما على العاقل وهو عيسى صلى الله عليه وسلم وان كان نادر الورود
في القرآن نحو لما خلقت بيدي والسماء وما بناها الايات ولا انتم
عابدون ما اعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان ما سخركن
لنا ولورود هذا وامثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وابو عبيدة
ومكي وابن خروف وقوعها على احاد من يعقل كثيرا مطلقا وقال
السهيلي لا تقع على اولي العلم الا بقرينة وتقع على صفات من يعقل

نحو

وانما ... بافضلها مريم العذرا

نحو وانكحوا ما طاب لكم من النساء اي الطيبة منهن وعليه فما هنا
نظير الاية لانه من صفات من يعقل الحمل المذكور في قوله حملت قبل
اي قبل امنة ومن ان بينهما نحو ستمائة سنة امه مريم بنت عمران
الصديقة بنص القرآن قيل هي من ذرية سليمان صلى الله عليه وسلم
وبينهما وبينه اربعة وعشرون ابا وفي الصحيح خير نسائها مريم
ولذا فضلت على جميع النساء للخلاف في نبوتها وان كان شاذا
ولما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء كان سنها
ثلاثا وخمسين سنة وبقيت بعد ذلك خمس سنين العذراء اي
٢٧ البكر لانها لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها العيسى عليه
الصلاة والسلام انما هو من نفخ جبريل عليه الصلاة والسلام في
جيب درعها فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة
لها ومعجزة له صلى الله عليه وسلم وخصه بهذا مع نص يجد قبل
بانه افضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء على
منارة جامع بني امية البيضاء شرقي دمشق كما رواه مسلم في اخر
هذه الامة ويقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما يتوهم
من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام وولادته من غير اب
وان كان لنبينا عليه الصلاة والسلام ما هو مثلها او ابهر منها
كما يأتي انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل ونزوله عليه
الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم ومنها

ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفاء ما لهم من نوع شبهة تمسك بكتاب
بتكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك يصلي وراء المهدي اولا ثم
يتقدم بعد اعلاما بانه لم ينزل مستقلا بل تابعا لمؤيدا احكام شرع
محمد صلى الله عليه وسلم وفي خبر البخاري انا اولى الناس بابن مريم في الاولى
والاخرة ليس بيني وبينه نبي وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن
سنان نبي اصحاب الرس وفي خبر الصحيحين من شهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق ادخله
الله الجنة على ما كان منه من عمل وفي خبر الصحيحين ان كل مولود ينخسه
الشيطان فيصيح الا عيسى عليه الصلاة والسلام قال ابو هريرة اقرؤا
ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولا ينافي هذا
افضلية نبينا عليه صلى الله عليهما وسلم لان لنبينا من المزايا ما يغمر
هذا في جنب ادونها وقد يكون في المفضول مزية او مزايا ليست
في الفاضل لكن فيه ما يخلف ذلك ويفوقه تتمة من التشميت
وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله بالمعجمة والمهملة اي دعا له بالثبات
من الشوامت او بقاء سمته كما هو لان العاطس ربما كان سببا لتفرج
نحو العنق الاملاك جمع ملك وهذا هو القياس في جمعه كجمل
واجمال ولفظ الملك مشتق من الالوكة وهي الرسالة ويقال لها
مالكة فالاصل فيه مالك ثم قلب فصار ملاك على وزن معفل

ثم

ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام فصار ملكا على وزن
فعل وحينئذ فقياس هذا جمعه على افعال كما جرى عليه الناظم
رحمه الله تعالى وانما جمعوه على ملائكة لانهم راعوا ملاك بعد
القلب وقبل ان يخفف وقولهم من الالوكة مصرح بان ميمه زائدة
وهو راي الجمهور وذهبت طائفة الى انها اصلية ثم اختلفوا اهل
هو من الملك بالفتح اي القوة لقوتهم او بالكسر بمعنى مملوك
قولان قيل واحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير ماخوذ
من شيء وهو التحقيق الذي دلت عليه الاثار وقوله تعالى كان من
الجن زعم ان نوعا من الملائكة يسمون بذلك ليس في محله لتوقفه
على صحة خبرية ان ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وانه لم
يكن من الملائكة طرفة عين وان الصحيح للاستثناء في الاية التغليب
لكونه كان فيهم او هو منقطع وفي خبر مسلم خلقت الملائكة
من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم وظاهر ان
عنصرهما متمحض من النور والنار وقيل بل هو من العناصر الاربعة
كالثالث وانما غلب عليهما ذلك وزعم تاويل الاولين بانه على التمثيل
ليس في محله لانه يلزم عليه ان الثالث كذلك ولان مدار المعتزلة على
هذه الطريقة فانهم اولوا احاديث السؤال في القبر وعذابه
والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض ونحوها ولم
يبالوا بمنابذتهم للسنة الغراء قبحهم الله اذ وضعه اي وقف

وضع امه له وتشبعتنا اي اجرحتنا واسرتنا ومن الشبعا الانها رفيقة
والرفيقة كثيرا ما يحصل بها الشبعا لان قولها الاتي يشع العليل ويبرد
الغليل فهو من جناس الاشتغاق او شبهه بقولها الشفا بالفا
المشددة وهي ام عبد الرحمان بن عوف احد العشرة رضي الله تعالى عنهم
بنت عم بن عوف وقولها هو ما اخرجه ابو نعيم عن ولدها عبد الرحمان
عنها قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي
فاستهل فسمعت قايلا يقول رحمك الله ورحم بك قالت الشفا
واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى بعض قصور الروم قالت
ثم البسته واضجعته فلم البث ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعر
يرة ثم غيب عني فسمعت قايلا يقول اين ذهبت به قال الى المشرق
قالت فلم يزل الحديث مني على بالي حتى ابتعثه الله تعالى فكنت في
اول الناس اسلاما وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه
وسلم عطس حتى عبر بشمتته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند
العطاس يحتاج فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند
الولادة وهذا هو الغالب من احوال المولود بن فجلا عد لا يصار اليه الا
بنص يج من يعتمد عليه به ولم اره وقولها فسمعت قايلا يقول على
الملك وهو الظاهر وجمعه مبالغة واشارة الى ان عصمة الملايكة
توجب ان الجعل المسند الى احدهم كانه مسند الى الجميع وعلى ما
قاله الناظم معها استفر من شرعه صلى الله عليه وسلم ان التشميت

انما

انما يسن لمن حمد الله عقب عطاسه فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم
حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في مهده وان كان صلى الله
عليه وسلم عدهم لم يذكر نفسه منهم رافعا حال من مجعول
وضعته راسه الى السماء كما رواه ابن سعيد من حديث جماعة منهم
عطاء وابن عباس ان امنة قالت لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه
وسلم خرج له نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا
على يديه ثم اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السماء
وفي ذلك الرفع الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا
العالم وهو خبر مقدم الى كل سودد اي رفعة وسيادة على الخلق
وهو متعلق بالمبتدا الذي هو ايماء اي اشارة الى ان شانه وقدره
يرتفع ويعلو في الدنيا والاخرة الى مراتب لا يبلغها غيره من ملك ولا جن
ولا انس رامقا حال مما منه الاولى وتعدد الاحوال جايز كتعدد الاخبار
او من ضمير رافعا فهي من الاحوال المتداخلة طرفه اي بصره السماء
اي ناظرا الى جهتها نظرا حقيقيا كما علم من حديث عطاء وابن
عباس المذكور وروى الطبراني انه لما وقع الى الارض وقع مقبوضة
اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وسبقت رواية انها
لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع اصبعيه الى السماء
كالمتضرع المبتهل وسر هذا الرمز الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى
هو في الاصل غرض الرامي الذي يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه

رافعا راسه وفي ذلك الرفع
الى كل سودد ايماء

رامقا طرفه السماء مرمى
عين من شانه العلو العلاء

البصر عينٌ من موضع شانه اي فصده العلو اي ارتفاع مكانه
والجملة الصلة وخبر من هي العلاء بالفتح والمداي الرفعة والشرف
ويجوز في البيت ضم عينه مع الفصراي كما ان رفع راسه ايماء الى
ما مرّ وكذلك رفعه ببصره الى جهة العلو ايماء الى انه لا يفصد الا
اعلا المراتب اذ من شانه العلو لا يفصد الا جهاته وما يوصل اليها
دون غيرها مما لا يناسب فصده فعلم ان المترتب على الرفع
والرمو متحد بالذات مختلف بالاعتبار وان التوجه الى جهات العلو
الذي هو مبادي صماله اعتبارات مختلفة وبين العلو والعلا جناس
الاشتقاق كما ان بضوئها الاتي ويوم تدلت اي قربت ودنت
فهو عطف على نالت زهر النجوم من اضافة الصفة الى الموصوف اي
الكواكب المضيئة اليه صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع
نظيره لغيره كما رواه البيهقي وابن السكن عن عثمان بن ابي العاص
عن امه فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت البيت حين وضع قد امتلا نورا ورايت النجوم
تدنو حتى ظننت انها ستقع علي فبسبب هذا التدلي اضاءت
بضوئها اي تلك الكواكب المضيئة الارجاء اي نواحي البيت او
نواحي السماء او نواحي الوجود باسره ويوم تراءت من رءا بمعنى
ابصر وليس المراد هنا حقيقة التفاعل بل اصل الفعل كتعاطوا عن الله
وعافيت اللص اي رؤية فصور قيصر ومن انه لقب لكل من ملك الروم

وتدلت زهر النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجاء

وتراءت قصور قيصر بالروم يراها من داره البطحاء

بالروم

بالروم اي في بلاد الروم وهو ابن عيصو ابن يعقوب فبصر وقصور التجنيس
المطلق وسماه قوم كالسكاكي وغيره تجنيس المشابهة وهو
تماثل الكلمتين بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى اصل
واحد كقوله تعالى انزقت الازفة يا اسفى على يوسف واسلمت مع
سليمان فاقم وجهك للدين القيم وزعم الحلي ان هذا ليس من اصناف
التجنيس وان عد اكثر المؤلفين له تجنيسا غلط وليس كما زعم
لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وانما قيدوه بتجنيس المشابهة
فيفيد انه شبه التجنيس وليس في الحقيقة تجنيسا وسمي ذلك
كثير منه معبرا عنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق وما ذكر
في الاخير هو ما ذكره الحلي ولا ينافيه عد غيره له من تجنيس الاشتقاق
لانه نظر الى ان المراد من فاقم وجهك للدين اقرع وسعك في صرف
جميع ازمنتك في نشره والعمل به وغيره نظر الى ان المراد استقم
لتبليغه والدعاية اليه حال تلك القصور يراها برؤية كاملة
من اي الذي داره البطحاء اي مكة والابطح والبطحاء المسيل الواسع
الذي فيه دقاق الحصى واصل ذلك الحديث الصحيح انه صلى الله عليه
وسلم قال اني عبد الله خاتم النبيئين وان ادم لمنجدل في طينته
وساخبركم عن ذلك انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي
التي رات وكذلك امهات الانبياء يرين وان ام رسول الله صلى الله عليه
وسلم رات حين وضعته نورا اضاءت له قصور الشام فولاته تضيقا

كون

وفي رواية اخرى عنها قالت رايت كانه خرج من فرجي شهاب اضاءت
له الارض حتى رايت قصور الشام وفي اخرى رايت ليلة وضعه نورا
اضاءت له قصور الشام حتى رايتها وفي اخرى لما ولدته خرج
من فرجي نور اضاءت له قصور الشام فولدته نظيفا ما به من قذر
وفي اخرى لما فصل مني خرج معه نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب
وفي رواية الشفا السابقة واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى
نظرت الى بعض قصور الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية انها
رات مثل ذلك عند ابتداء وضعه لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند
حمله وعند ولادته زيادة في البشارة بظهوره وظهور دينه وخصت
الشام بالذكر في اكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته اليها
ومن ثم نقل عن كعب عن الكتب السالفة انها دار ملكه اي باعتبار
سبقه اليها قبل نظرائها ولذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى بيت
المقدس منها كما هاجر اليها ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام
وبعث بها عيسى صلى الله عليه وسلم وهي ارض المحشر والمنشر وفي حكمة
صح عند الضياء انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مقطوع السرة
حتى لا يرى احد سوءته ثم زاد الحاكم ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا
التصحيح بانها كلها ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف
تتواتر قيل ان كثيرا من الناس ولدوا مختونا فلا خصوصية فيه قال
ابن الكلبي ان ادم واثني عشر نبيا بعده ولدوا مختونين وروى بعض

الحفاظ

الحفاظ بسنده الى ابن عباس ان عبد المطلب ختنه يوم سابع
ولادته وجعل له مادبة وسماه محمدا وفي طريق منكر انه ختن
عند حليمة حين شق قلبه ولما تمم الكلام على عجايب ولادته صلى
الله عليه وسلم ومعجزاته شرع في ذكر عجايب الرضاع ومعجزاته
فقال مستانفا او عاطفا على الجمل فقال وبدت اي ظهرت لمن في عصره
صلى الله عليه وسلم بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان
في فعل وزمن رضاعه وهو امتصاص اللبن من الثدي معجزات تسميتها
بذلك مجاز او جري على اصطلاح السلف كالامام احمد فانهم يطلقون
المعجزة على كل خارق وليس بسحر وجدت فيه الشرايط الاتية اولا لكن
الاشهر الذي عليه اكثر اهل الكلام وغيرهم ان المعجزة لا تطلق
حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم ان لها شروطا احدها
خرقها للعادة بان يجيء وقوعها كانشقاق القمر ثانيها اقترانها
بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة مع امن معارضتها من تحديه
فلا تاتي ان تقدم لا عليه وهو مجاز اذا طلبه احد ايتعارض فيه الكاذبان
فيتحدى كل على الاخر اي يطلب حداه فيخرج الخارق من غير تحد وهو
كرامة الولي والخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر
الواقعين لنبينا صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فهي كرامات لا معجزات
وتسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة ثالثها ان لا يبقى اخرج به ايضا الخارق

وبدت في رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء

المتأخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية لأنه يلزم عليه
إخراج أكثر آياته صلى الله عليه وسلم كنطق الحصا والجذع والدواب
ونبع الماء بل قيل العله لم يتحد بغير القرآن وتمني الموت وزعم أنه لا
معجزة إلا هذا أقرب إلى الكفر منه إلى البدعة فالحق أنه ليس المراد
بالتحدي معناه الاصطلاحي بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارن
لذلك والخارق الذي لا تؤمن معارضته كالسحر سواء قلنا أنه قلب الأعيان
وإحالة الطبايع أم لا وإن جوزنا ذلك فقد جرت العادة الإلهية بأنه
لا يقع من مدعي النبوءة كذبا وإنما يقع من مدع غيرها صدقا أم لم يقل
بذلك وهو ظاهر ولا ينافي في ذلك ما يظهر على يد الدجال من الخوارق
العظيمة لأنه ليس مدعيا للنبوءة بل للألوهية وقد دلت القواطع
على كذبه وإن برزت تلك على يديه لمحض الفتنة لا غير ثم الشاهد لا القطع
على صدق المتحدي بما خرج الخارق والمكذب له كان قال آيتي نطق
هذه الدابة فنطقت بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين
أنه تفل في بير ليكثر ماؤها فغار ثم لا يقال كان ينبغي للناظم
رحمه الله تعالى أن يقول آيات بينات أو برهان لأن هذه هي الواردة
في القرآن والسنة دون لفظ المعجزة لأنا نقول هي وإن لم ترد لكن
صارت في اصطلاح المتأخرين أبين وأظهر فلذا خصت بالذكر ليس
فيها منقول خفا على العيون خفاء لوضوحها وهي اسم مصدر
لا خفية لأنه بمعنى الذي كتمته لا مصدر كخفيته لأنه بمعنى



اظهرنه

اظهرنه وبين بدت ما وخفا الطبا وإذا أي وقت أو لأجل أنه أبته
ليتمه أي لأجل موت أبيه وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل
سبعة أشهر وقيل مات وهو في المهد وهذا قد بيناه في ما في
المتن إلا أن يقال يحمل عليه أنه مات عقب الوضع قبل أن يوضع لكنه
يرده أن موته إنما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة الشام
عند أخوال أبيه عبد المطلب بني النجار وقد تقرر أن المرضعات
عقب وضعه علمن يتمه قيل إنما سمي عبد المطلب لأنه لما ولد
بطيبة ذهب إليه عمه المطلب ليأتي به مكة فكان كل من يراه معه
يتوهم أنه عبده فيناديه بعبد المطلب ثم اشتهر به وقيل دفن
بالأبواء محل قريب من رابغ قاله جعفر الصادق وإنما يتم صلى الله
عليه وسلم لئلا يكون لمخلوق في عنقه حق مرضعات كن يأتين
إلى مكة يلتمسن الرضعاء لأن إرضاع المرأة ولدها عار عندهم فلذا
إنما تركناه لأنا إنما نبغي الرضعاء رجاء للمعروف من آبائهم وأما
الأم والجد فما عسى أن يصنعا وما في هذا اليتيم بينه وبين يتمه
جناس الاشتقاق عنا متعلق بقوله غناء بفتح المعجمة أي ليس
فيه ليتمه وفقره نفع يغني عنا شيئا وبينهما الجناس المصحف
المحرف الناقص على خلاف فيه فتنقش فبعد أن تركنه لذلك
أتته من آل سعد ابن بكر ونسبت إليه مع أنه الجد التاسع لأنه
أشهر وبه عرفت القبيلة وزوجها منهم أيضا فتاة أي شابة

نبه على السبب في تسمية عبد المطلب بهذا الاسم

كريمة كائنة من بعض هذه القبيلة وقول الشارح ان من بيانية بعيد
وفي كونها حليمة السعدية من الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول
غايات الحلم والسعد لهذا الرضيع ما لا يخفى عظيم وقعه وقد كان صلى
الله عليه وسلم يحب الفال الحسن اذ ابتها لفقرها الرضعاء جمع رضيع
اي اهلهم لان الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزمة عادة لقلة اللبن
المضرة بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه في حوائجها
الخارجة فلا يفيد عا في دفع الجوع الذي هو المقصود واصل ذلك ما
رواه ابن اسحاق واسحاق ابن راهويه وابو يعلى والطبراني والبيهقي
وابو نعيم عن حليمة رضي الله عنها انها قدمت مكة في نسوة من
قومها تلتمس الرضعاء في سنة مجدبة ومعها صبيها وشارف ما
تبض بقطرة لبن ولا لبن يغذيها فلا ينام صبيها من الجوع قالت وما
علمت امرأة منا الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتاباه اذا قيل يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة الا اخذت رضيعا
غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي والله اني لاكره ان ارجع من بين
صواحبي ليس معي رضيع لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت
فاذا به مدرج في ثوب صوف ابيض من اللبن يفوح منه المسك
وتحته حريرة خضراء راقد على قفاه يغط فاشفقت ان اوقظه من
نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره
فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي فخرج من عينيه نور حتى

دخل

دخل خلال السماء وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثديي الايمن
فاقبل عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى فكانت تلك حاله
بعد قال اهل العلم اعلمه الله تعالى ان له شريكا فالهمه العدل
ثم اخذته فما هو الا ان جئت به رحلي فقام صاحبي تعني زوجها
الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا
بخير ليلة من الخير والبركة حين اخذناه فعلم من الله تعالى يزيدنا خيرا
وفي رواية انها لما قدمت امه وذهبت به على اتانها سجدت نحو
الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السماء ثم مشت فسبقت
دواب من قصر فيتعجبن ويقلن لها اهذه اتانك التي كانت ترفعك
طورا وتخفضك اخرى فتقول نعم فيقلن ان لها لشانا عظيما فسمعت
الاتان تقول ان لي لشانا عظيما بعثني الله بعد موتي ويحكن هل
تدرين من على ظهري على ظهري خير الاولين والاخرين وابد من انته قوله على
ارضعته لبانها بكسر اوله مفعول به ويجوز على بعد كونه مطلقا
لان معنى لبانها رضاعها اذ يقال هو اخوه بلبان امه ولا يقال بلبنها
فاللبان مختص بلبان الرضاع فبسبب هذا الارضاع لهذا المولود
الافضل من ساير المخلوقات سقتها اي حليمة وبنيها وقد كانوا
اشرفوا على الهلاك من الجوع لما مر ان ارضهم كانت في غاية المحل
والجدب لبانهن وفيه استعمال اللبان في غير لبن الرضاع وكان الحامل
عليه مقابلته بلبانها الشاء فيكون من باب المشاكلة نحو ومكروا

ارضعته لبانها فسقتها
وبنيها البانهن الشاء

وشكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك الشا جمع شاة كرامة لذلك المولود عليه الصلاة والسلام وانما سغتهم مع ذلك العجل لانها ببركته صلى الله عليه وسلم فهو من اسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا انظر الصورة تعريفه وصفة نظر الكوز ان فيه جنسية نحو لقد امر على اللئيم يسبني اصبحت شولا بالتشديد جمع شائل وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن بها اطلاقا استعمالها في الشاة مجاز علاقته المشابهة عجافا اي هزيلات وامست لم يرد باصبح وامسى معناهما بل انها كانت في حال اعتراها نقيضه في اقرب زمن واسرعه ففيه من الطباق وان لم يرد بهما موضوعهما ما بها اي فيها شائل معتد او واقع على الطرف ولا عجفاء اي هزيلة وبين اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ولكان تقول ليس ما هنا على وزان الاية لان الذي فيها نفي العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما هنا فيه الاثبات في زمن والنفي في زمن اخر وهذا لا تضاد فيه حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد او ايهامه ولو ببادي الراي كما هو معلوم من استقراء امثلتهم وذكر الزمنين المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه اذ الفعل ات لغير التعقيب فالايهام موجود على انها معه قد لا تمنعه ايضا لان ضمير احييناه للميت

فكانه

اصبحت

اصبحت شولا عجافا وامست ما بها شائل ولا عجفاء

وشرط الطباق التضاد او ايهامه ولو ببادي الراي

فكانه قال احييناه الميت وهذا فيه ايهام اجتماع الحياة والموت فتامله اخصب من الخصب بكسر اوله وهو ضد الجدب العيش اي كثر قوت الادميين والدواب عندها اي حليمة او الشاة ويرجع منها الاتي بعد محل اي شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع اذ اي ذلك الاخصاب وقت او لاجل ان غدا اي صار للنبي الاعظم منها اي من الشياه غذاء بالمعجمة اي لبان تغذيه وبين غدا وغذا الجناس التام في عنا غنا بالها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهي ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوي ترجوه ونظير هذا التعجب قوله في البردة يا طيب مبتدا منه ومختتم فالندا فيه للتعجب اذ لا ينادى الا العاقل او المنزل منزلته والعرب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب وهذا فيه مجاز التشبيه لتشبيه ما تعجب منه لعظمته بمنادى يسمع و يعقل وزعم ان يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها فيل والتقدير يا متعجبا تامل طيب مبتداه ونظيره هنا يا متعجبا تامل ما استقر لها منة تمييز اي نعمة منها عليه لغد اللام للقسم او التاكيد ضوعف الاجر اي كرر الثواب اذ تضعيف الشيء ان يزاد عليه مثله او اكثر عليها اي توالي وتتابع حال كونه متواليا على حليمة فعلي على بابها من الاستعلا المجازي او على تلك المنة اي لاجلها على حد قوله ولتكبروا الله على ما

اخصب العيش عندها بعد محل اذ غدا للنبي منها غذاء

يا لها منة قد ضوعف الاجر عليها من جنسها والجزاء

هذاكم أي لأجل هدايته إياكم وحال كونها من جنسها كما علم
من قوله فسقتنها الخ والجزاء من عطف الرديف إذ هو الأجر وذلك
لأن الجزاء من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها
وبنيها شيئا مما مع أنها كانت وقت أخذه من أمه على غاية من الهزال
وعدم اللبن لأجل أن غذاءه كان من ألبانها أزال الله تعالى عنها الهزال والجدب
وأبدلها منهما الخصب والخير الكثير جزاء وفاقا واعلم أن ما حصل
لحليمة من هذه المزية الجليلة إنما نشأ عن تسخير الله تعالى لها
لهذا الفعل الجميل الصادر منها المفضي عن سبق سعادتها وقد
تقرر في المعقول والمنقول أنه إذا سخر أي ذلل ووفق الإله أناسا
لغة في الناس لسعيد أي لخدمته ومحبته وللقيام بشأنه فإنهم
بسبب ذلك سعداء جمع سعيد لأن بركة ذلك السعيد ويمنه
وبره تتابع عليهم حتى يكونوا من سعداء الدنيا والآخرة ولأن المرء
مع من أحب من الأكابر وإن لم يعمل بعملهم كما صح به الحديث
ولأن الأرواح كما في الحديث جنود مجندة فما تعارف منها في
عالم الأرواح ائتلف في عالم الأجساد ومن أعظم أجرها وسعادتها
توفيقها للإسلام هي وزوجها وبنيها ببركته صلى الله عليه وسلم
سبي هوازن اليمن بواسطة كونهم قومها وكانت تقدم عليه
صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها وكذلك زاد في إكرام بنتها الشيماء
لما أعتقها من جملة من أعتق من سبيهم كما يأتي وهذا من قبيل

البديع

وإذا سخر الإله أناسا لسعيد فإنهم سعداء

فع

البديع المسمى بالكلام الجامع وهو أن يأتي الشاعر ببيت يكون
جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها أو نحو ذلك من الحقائق الجارية
مجرى الأمثال كقول أبي الطيب المتنبي ∴ وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام ، وهو كثير في كلام الناظم وأصل
ما ذكره بقوله أرضعته إلى هنا ما رواه ابن إسحاق وغيره من
قولها بعدما قدمناه عنها ، انقا ثم قدمنا أرض بني سعد ولا
أعلم أرضا أجدب منها فكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب
ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع حتى
تؤمر الرعيان أن تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح أغنامهم
جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شباعا لبنا فلم نزل
نتعرف من بركته الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته
ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة إرضاعها له
صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس عملها بكثرة لبن شياهها
عقبه بما يتبين أن تلك المضاعفة في قوله ضوعف بلغت مرات
كثيرة فقال حبة أي هذه الفعلة الصادرة من حليمة كما دل
عليه السياق وبه يعلم أن هذا البيت من الاستعارة لأن شرطها
طي ذكر المستعار له بأن لا يكون في الكلام رمز إليه وإن تقدم بيانا
ومن ثم كان التحقيق في نحو صم بكم الآية أنه من التشبيه البليغ
لدلالة السياق على المشبه الذي هو هم وفي البيت السبكي

والعهد [illegible]
حيث لا يشبع [illegible]
لديه يستقر من الضعفاء

انه استعارة راي مخالف للجمهور ولا يعول عليه بحجة واشار الى
وجه الشبه الذي هو تضاعف الجزا ليبين انه ليس من التشبيه البليغ
لان شرطه ان لا يذكر وجه الشبه بقوله انبتت سنابل كثيرة
جمع سنبلة وهي مجتمع الحب في كل سنبلة مائة حبة والله
يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس وحذف لفظ سبع ليبين ان
العرب قد يذكرونها كالسبعين مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص
العدد المعروف والضعف اي والحال ان ورق النبات اليابس كالتبن
لديه اي عنده يستشرف اي يتطلع الضعفا اي حصلت تلك
المضاعفة الكثيرة في تلك السنة والحال ان الوقت وقت عدم
النبات بالكلية بحيث ان الفقرا يتطلعون الى ورق النبات فضلا عن
النبات فضلا عن الحب كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن
والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة حبة او قطرة لبن ولا يجدونه
وبعد ان انتهى امد رضاعه لبلوغه سنتين اتت به جده عبد
المطلب والذي في الرواية الاتية امه فلعل الناظم ذكر جده لانه
الاصل ولان امه ما كانت تفعل به شيئا الا بعد مشاورة جده نعم
في سيرة ابن هشام ان حليمة رضي الله تعالى عنها لما اتت به مكة
اضلته في الناس فاتت جده واخبرته بذلك فدعا الله تعالى حتى
وجده والحال انها قد فطنت اي فطمته والحال انه لحزنها
من اجل فصاله اي فطامه البرحا اي الالم الكثير لما شاهدت

من

والعصب

وانت جاده وقد فطنت
بعطا من فصاله البرحا

من توالي الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها
اذ اي اتت به وقت او لاجل انه احاطت اي احدقت به ملايكة
الله لاجل شق قلبه الاتي وهذا ظاهر الرواية الاتية انهم ثلاثة
وكذا على رواية انهما اثنان لان اقل الجمع عند جماعة فظنت
حليمة بانهم البا زايدة قرنا اي شيطانا يريدون ايذاءه
فخافت عليه واسرعت به الى جده لتسلم من تبعته ورات وجده
وامه حين ردته اليهما وجدها اي شدة محبتها له وتعلقها
به فرداه معها لذلك وليسلم من وبا مكة كما ياتي في
الرواية وهذا وان حذفه الناظم لكن سياقه يدل عليه وهي الحال
المبينة لعظمة ذلك الوجد الذي اداه بها من اجل الوجد
الذي بها اللهيب اي نار تصلى اي تحترق به الاحشا جمع حشا
وهو ما انضمت عليه الضلوع ويحتمل انها استيناقية فمن ابتدائية
وحينئذ فهذا من ارسال المثل وهو حكمة مفيدة ان شان الوجد
انه ينشا عنه ذلك اللهيب الذي يحرق الاحشا وان وجدها من
ذلك القبيل فمن ثم رثت لحالها واطفا نار ذلك الوجد برده اليها
فارقته بدل من اتت كرها اي حال كونها ذات كراهية لو افق لما
شاهدت في اقامته عندها من الخيرات الكثيرة عليها وعلى
زوجها وبنيها وسايرمتعلقاتها والحال انه كان لديها اي
عندها ثاويا اي مقيما لا يمل بالبنا للمجهول منه متعلق بقوله

اذا احاطت به ملايكة الله
وظنت بانهم قرنا

ورات وجدها به ومن الوجد
لهيب تصلى به الاحشا

فارقته كرها وكان لديها
ثاويا لا يمل منه الثوا

التواء الاقامة فهو مع ثاويا من جملة سر الاشتغال اي لا تم اقامته
بل تحبا ويرغب فيها لما يترتب عليها من الاحسان الواسع
المجبولة على حبه النفوس ولما فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة
شق صدره لانه السبب في احضاره لجده وامه المذكورة انفا
ولذا ابدل من قوله احاطت قوله شق عن قلبه بالكيفية الاتية
في القصة ويحتمل ان قوله شق عن قلبه استيناف لبيان مطلق
الشق الشامل للواقع في زمن الرضاع وما بعده مما يا تي
ويؤيده انه ذكر في قصته اشياء ككون الخاتم جبريل عليه
الصلاة والسلام لم يرد في قصة شقه عقب الرضاع بل في شقه
الذي بعد ذلك كما يعلم بتامل كلام الناظم مع القصة الاتي
بسطها وهو اعني القلب مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط
فهو اخص من الفؤاد قاله الواحدي والذي في الصحاح انهما
مترادفان قال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء
القلب والقلب حبته وسويداه ويؤيد العرف قوله صلى الله
عليه وسلم الين قلوبا وارق افئدة وفي الزمخشري بان الفؤاد
وسط القلب سمي به لتفؤده اي توقده والقلب مشتق من
التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه كما في الحديث ومثل
هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا
لظهر واخرج منه اي القلب مضغة اي قطعة لحم قدرما

شق عن قلبه واخرج منه
مضغة عند غسله سوداء

يمضغ

يمضغ عند غسله طرق لا اخرج سوداء صفة لمضغة وانما
خلقت هذه المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الاجزاء
الانسانية فعدمها نقص في البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها
على هذه الصورة البديعة ادل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء
والرعاية من خلقه بدونها وياتي في رواية صحيحة انه اخرج
منه علقتان سوداوان ولا ينافي ما ذكره الناظم انها واحدة لان
المراد به الجنس على ان الشق تكرر كما ياتي فلا بدع انه اخرج منه
واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة في تطهيره صلى الله عليه
وسلم وتكريمه وذلك يستدعي استقصاء تنظيف جوفه
خفقة اي ذلك الشق المفهوم من شق وهي استينافية او معطوفة
على شق بحذف حرف العطف اي ثم بعد شقه لاقته واعادته
الى ما كان عليه يمنى جبريل عليه الصلاة والسلام الامين على كتب
الله ووحيه والحال ان ذلك القلب الكريم قد اودع حالة الشق
من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار الالهية ما اي الذي او
شيئا لم يذع بضم الياء وكسر الذال المعجمة اي يفشي له اللام
زائدة اي ما لم يفشه ويحيط به انباء اي اخبار لانه لا يعلمه
الا مولاه والمتفضل به عليه قال بعض العلماء جعل الله القلب
في الانسان هو الذي يعقل عنه وهو اصل وجوده وبه صلاحه
وفساده وهو محل اسراره التي يودعها قلب من يشاء فاول

خفقة بين الامين ثم
اوذي ما لم يؤذ له انبا

قلب اودعها قلب محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول خلق وصورته
آخر صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو اولهم وآخرهم
فلذا حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى
صان اي حفظ اسرارا التي اودعت فيه وهو مفعول مقدم ذلك
الختام الواقع من جبريل عليه الصلاة والسلام وهو ما يختم به
الكتاب ونحوه من طين او نحوه وبينه وبين ختمته جناس الاشتقاق
فبسبب هذه الصيانة لا الفض اي الكسر بالتفرقة ملم اي واقع
به اي بذلك الختم ولا الافضاء اي الاشاعة واقعة لذلك السر
وبين الفض والافضاء التجنيس المطلق ومر فيه في فيض وفض
زيادة ويجري ذلك في قوله يمنى الاميين واصل قوله واتت جده
الخ قول حليمة رضي الله تعالى عنها بعد ما قدمته عنها كما في
التيسير عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت
سنتاه وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان فلم يبلغ
سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن احرص
شيء على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو تركتيه
عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى
ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به بشهرين او
ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء اخوه
يشتد فقال ذاك اخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بيض

صان اسرار الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

فاضجعاه

فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه نشتد نحوه فنجده
قائما منتقعا لونه فاعتنقه ابوه وقال اي بني ما شأنك قال
جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني فشقا بطني ثم
استخرجا منه شيئا فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به
صلى الله عليه وسلم معنا فقال ابوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون
ابني قد اصيب فانطلقي بنا نرده الى اهله قبل ان يظهر به
ما نتخوف به قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فقد
كنتما حريصين عليه فقلنا نخشى الاختلاف والاحداث فقالت
ما ذاك بكما فاصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى اخبرناها خبره
فقالت اخشيتما عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل
وانه لكائن لابني هذا شأن فدعاه عنكما وفي حديث عند ابي
يعلى وابي نعيم وابن عساكر كنت مسترضعا في بني ليث بن
بكر فبينما انا ذات يوم في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان فاذا انا
برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجا فاخذوني من
بين اصحابي وانطلق الصبيان هربا مسرعين الى الحي فعمد احدهم
فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري الى
منتهى عانتي وانا انظر اليه فلم اجد لذلك مسا ثم اخرج
احشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فانعم غسلها ثم اعادها
مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم ادخل يده في جوفي

واخرج قلبي وانا انظر اليه فصعده ثم اخرج منه مضغة سوداء
فرمى بها ثم قال اليه اشار بيده يمنة ويسرة كانه يتناول شيئا
فاذا خاتم من نور يحار الناظر دونه فختم به على قلبي فامتلأ نورا
وذلك نور النبوءة والحكمة ثم اعاده مكانه فوجدت برد ذلك
الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمرّ يده بين
مفرق صدري الى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى
ثم اخذ بيدي فانهضني من مكاني انهاضا لطيفا الحديث وفي
رواية عند البيهقي ان احد الثلاثة في يده ابريق من فضة وبيد
الثاني طست من زمردة خضراء وورد في خبر التابوت المذكور
في الاية انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وحكمة ختم قلبه المقدس الاشارة
الى ختم الرسالة به صلى الله عليه وسلم قيل وانما يسلم هذا ان
اختص الختم به واما اذا لم يختص به كما مر فالحكمة انه من جملة
علامات النبوءة ولعله اشاركه فيها غيره على ان هذه الكيفية
المذكورة في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه
صلى الله عليه وسلم سيما مع تكرر الشق لان الوارد فيهم مجرد عليهم الصلاة والسلام
غسل قلوبهم وهو لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة
من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل وروي الشق
ايضا وهو ابن عشر سنين ونحوها مع قصة له مع عبد المطلب

ابو

ابو نعيم في الدلائل ورواه عبد الله بن الامام احمد في زوائد
مسند ابيه بلفظ قال ابو هريرة يا رسول الله ما اول ما ابتديت
به من امر النبوءة قال اني لفي صحراء واسعة امشي ابن عشر حجج
اذا انا برجلين فوق راسي يقول احدهما لصاحبه اهو هو قال
نعم فاخذاني فاضجعاني لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما
يختلف بالماء في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال
احدهما لصاحبه افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد
له وجعا ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد ٢٩
منه فاخرج شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرحمة والرافة
قلبه فادخل شيئا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا كان معه فذر
عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به من رحمتي
للصغير ورافتي للكبير وروي خامسة ولا تثبت وحكمة شق
صدره الشريف في حال صباه واستخراج ما مر منه تطهيره عن
نقائص الصبا ليكون حينئذ على اكمل صفات الرجولية ولذلك
نشا صلى الله عليه وسلم على اكمل احوال العصمة قال بعض الائمة
ولعل هذا الشق كان سببا لاسلام قرينه المروي عند البزار او
اشارة الى حظ الشيطان المبادر له كالعفريت الذي اراد ان يقطع
عليه صلاته فامكنه الله منه واما قول الرازي وقوعه في
حال الطفولية مشكل لانه معجزة وهي لا يجوز تقدمها على

النبوة لأن الذي عليه أكثر أهل الأصول اشتراط اقتران المعجزة
بالتحدي فمردود بأن هذا من باب الإرهاص لا المعجزة ونظائر ذلك
كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك
تنبيه أول ثبت شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل
عليه الصلاة والسلام له بالوحي وهو صلى الله عليه وسلم بغار
حراء كما يأتي وممن روى ذلك الطيالسي والحارث في مسنديهما
وكذا أبو نعيم ولفظه أن جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله
عليه وسلم وغسلاه ثم قال له اقرأ باسم ربك الذي خلق الآيات
والحكمة فيه كمال التصفي والتقوي على ما يلقى إليه من القول تواردت
الثقيل بقلب قوي في أكمل أحوال التطهير وثبت مرة أخرى وتواترت
بها الروايات خلافا لمن أنكرها ليلة الإسراء ففي البخاري وغيره
أنه صلى الله عليه وسلم شق قلبه فيها وهو في المسجد قبل أن يخرج
به إلى ركوب البراق فشق من ثغرة نحره إلى نحو عانته فاستخرج
قلبه ثم غسل في طست من ذهب أي لأن تحريم الذهب إنما كان
بعد على أن الغالب في أحوال تلك الليلة أنه من أحوال الغيب فيلحق
بأحكام الآخرة مملوء حكمة وإيمانا ثم حشي أي وتجسيم المعاني
جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم أعيد وحكمة هذا
الشق التهيؤ إلى الرقي إلى الملأ الأعلى والتقوي على استجلاء ما
شاهد تلك الليلة ولهذا لم يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم

لم

٥

لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق وإخراج القلب وغيرهما
يجب الإيمان به وإن كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية
القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة المكفرين عند كثير
من العلماء في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن
الأعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله عقولا ومن تبعهم
وقد رمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فكانت عليه
بردا وسلاما وهذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لإسماعيل
عليه الصلاة والسلام فإنه مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو
رأي أهل السنة وبتقديره الذي ذهب إليه أكثر المعتزلة أنه
انجمع وأمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئا وبتقديره فذلك
مقتل واحد وهذه مقاتل عديدة شق الصدر ثم إخراج القلب ثم
شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الأول نوع مشقة
لرواية فأقبل وهو منتقع اللون أي صار كلون النقع أي الغبار وهو
شبيه بألوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه
أنه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة أنه بعيد ما
فطم مع انفراده عن أمه وبعده من أبيه واختطافه من بين الأطفال
ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت
رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي
رواية أنه غسل ليلة الإسرا بماء زمزم أي لأنه يقوي القلب ويسكن

الروع فأخذ البلقيني من إيثار الملك له على ماء الكوثر أنه أفضل منه
وهو ظاهر خلافا لمن نازعه فيه بما لا يجدي كما بينته في شرح
العباب وفي وضع الإيمان والحكمة بالقلب دليل لما عليه أكثر أهل
السنة أن العقل في القلب كما دلت عليه الآيات لا في الدماغ تنبيه
ثان قال عياض رحمه الله تعالى خاتم النبوة أثر شق الملكين لما بين كتفيه
وأبطله النووي رحمه الله تعالى بأن شقهما كان في بطنه وصدره
أي كما جاء في الروايات ومن ثم صح عن أنس رضي الله تعالى عنه كنت أرى
أثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم قال الصحيح أو الصواب أنه كان
عند نغض كتفه الأيسر وهو بنون مضمومة وتفتح فمعجمتين أعلاه
ورواية الأيمن ضعيفة قيل ولد به صلى الله عليه وسلم وروى أبو نعيم
أنه جعل عقب ولادته صلى الله عليه وسلم والذي في حديث البزار
وغيره عن أبي ذر يا رسول الله متى علمت أنك نبي وبما علمت حتى
استيقنت قال أتاني آتيان وفي رواية ملكان وأنا ببطحاء مكة
الحديث وفيه قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج
قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما
لصاحبه اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء أي الثوب
الذي يتغطى به ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل
الخاتم بين كتفي كما هو الآن وولّيا عني فكأني أرى الأمر معاينة وعند
أحمد وصححه الحاكم ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه

علقتين

علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء وثلج فغسلا
به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني
بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه
وختم عليه بخاتم النبوة تنبيه ثالث اختلفت الروايات
في كيفية تشبيه ذلك الخاتم على أنواع كثيرة بيضة الحمامة
شعر مجتمع بضعة ناشزة بندقة سلعة شيء يختم به تفاحة
شامة خضراء محتفرة في اللحم شامة سوداء تضرب إلى الصفرة
حولها شعرات زر الحجلة أي البشخانة وزعم أنها هنا الطائر
المعروف وزرها بيضها مردود قال المحققون ولا اختلاف في
الحقيقة بل كل شبهه بما سنح له وكلها ألفاظ مؤداها واحد
وهو قطعة لحم بارزة عليها شعرات إذا قلل قيل كبيضة الحمام
وإذا كثر قيل كجمع الكف أي على هيئته لكنه أصغر منه ويشكل
عليه رواية محتفرة في اللحم ويجاب بأنه يحتمل أنه حواليها
احتفار ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد وفي المستدرك عن وهب
أن شامات النبوة في أيمانهم فعليه وضعه عند الكتف الأيسر
من خصوصيات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فائدة أخرج
البيهقي والخطيب وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضي الله تعالى
عنه قلت يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك
رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت

فيه على
الحديث الضعيف
يعمل به في المناقب

اليه ما قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع
وجبته اي سقطته حين يسجد تحت العرش قال البيهقي تفرد به
مجهول وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد والمتن في المعجزات
حسن اي ويعرض صحة الاول هو من حيز الضعيف وهو يعمل به في
المناقب قال النجا في الفضايل انتهى وفرع على ذلك كل حديث ورد في
المناقب ولم يعارضه غيره مما هو مقدم عليه فاستحضر ذلك عند
رؤيتك لكل حديث ضعيف وجدته في المناقب فان هذه القاعدة
مما يعظم نفعها جدا ويجهلها اكثر المحصلين ولما فرغ من
ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره صلى الله عليه وسلم ذكر
حكم نشانه صلى الله عليه وسلم في حال طفوليته وما بعدها مبينا
ان الجمع الاتي نتيجة ما اودعه الله في قلبه بعد شقه من الاسرار
والكمالات فقال الى النسك والعبادة عطف تفسير اي اعتاد
هما واستمر عليهما والخلوة عن الناس في حال كونه طفلا فما
بعده كما فهم بالاولى واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله
والجمهور لا والا لنقل ولانه لو تعبد بشرع احد لظن انه من اتباعه
ولاحتج اهله به عليه ولم يوجد وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف
وقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ومعنى
ان اتبع ملة ابراهيم اي في التوحيد وخص لانه الاب الاقرب المبشر
به الداعي بنفسه محل مدحه بانه صاحب الكتاب والحكمة

الى النسك والعبادة والخلوة
طفلا وهكذا النجباء

البالغين

التوحيد

البالغين من كمال التزكية ما لا يبلغه كتاب غيره ولا حكمته على ان المراد
في كيفية الدعوة من الرفق والحلم الذي لم يوجد كماله الا لابراهيم
صلى الله عليه وسلم وعلى ساير الانبياء والمرسلين وغايته الا لنبينا
صلى الله عليه وسلم وقد امرنا باتباع الكل في قوله فبهداهم اقتده مع
اختلاف شرايعهم ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول
فتعين ان المراد اصول التوحيد والاخلاق فان قلت لا يحتاج للجواب
عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة والذي في الاية بعدها قلت
بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القايلين بانه كان متعبدا بشرع
غيره يستندون به ناظرين الى انه امر باتباعه فيما لم ينزل عليه
فيه شيء فامره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان يلتزمه ويعمل به
قبلها والا فكيف يومر باتباع ما لم يعرفه قال السراج البلقيني
ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة
والسلام لكن روى ابن اسحاق وغيره انه كان يخرج الى حراء شهرا في
كل عام من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش في الجاهلية
ان يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم
يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة انتهى والظاهر كما قاله غير
واحد ان عبادته صلى الله عليه وسلم كانت الذكر والفكر مع اعتباره
للخلوة والانعزال عن الناس بحراء وغيره وهكذا النجباء اي ومثل
هذا الشان العلي شان الكرام فما بالك باكملهم وسيدهم على

الاطلاق ويليه في ذلك ابوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه اعتزل
قومه وانقطع الى الله تعالى ينتظر الفرج من مولاه فان انتظاره
عبادة كما في الحديث وفي البيت من انواع البديع ثاني اقسام
التناسب وهو تشابه الاطراف بان تتناسب معانيها اذ النجابة
اخرها يناسب الى ما ذكر لانها السبب في ذلك وثالث اقسامه ايضا
وهو مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والشدة والصعوبة ومنه
حديث الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف اغبر ذي طمرين
لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل جعظري جواظ
مستكبر فاتى من اوصاف اهل الجنة بما يناسب حالهم في الرقة
والانكسار والسهولة ومن اوصاف اهل النار بما يناسب حالهم
من الشدة والغلظة والاباء والترفع عن قبول الحق والفاظ البيت
تناسب معناه في السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير
وقوله وهكذا النجباء تذييل وهو تعقيب الجملة باخرى تشتمل
عليها للتاكيد وهو ضربان احدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج المثل
نحو وهل يجازى الا الكفور كما مر وانما كان هذا شان النجباء من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم صالحي اممهم لما هو المستقر
المعلوم انه اذا حلت الهداية وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق
لا الدلالة عليه فقط ومن الاول انك لا تهدي من احببت اي لا توصله
ومن الثاني واما ثمود فهديناهم اي دللناهم ولم نوصلهم بدليل

قف على التذييل

واذا حلت الهداية قلبا نشطت للعبادة الاعضاء

فاستحبوا

فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا اذ له قلبا نشطت
للعبادة الاعضاء لان القلب هو رئيس البدن المعول عليه في صلاحه
وفساده ومن ثم صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب وهذا من الكلام الجامع الذي مرت نظائره واعلم ان في انتهاء
رضاعه صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه صلى الله
عليه وسلم وقائع وقعت له لا باس بالاشارة اليها باختصار وذلك
ان حليمة رضي الله تعالى عنها لما ردته الى امه وجده كان في كلاءة
الله وحفظه ينبته نباتا حسنا ويوفقه لافضل الاعمال والاحوال
كما اشار الى ذلك الناظم بقوله الى النسك الخ ولما بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم اربع سنين وقيل اثني عشرة وشيئا وبين ذلك اقوال
اخر ماتت امه وكانت قد قدمت به طيبة تزور اخوال ابيه فاقامت
به عندهم شهرا ومعها مملوكته ام ايمن واخرج ابن سعد انه
صلى الله عليه وسلم لما راى دار النابغة قال ها هنا نزلت بي امي واحسنت
العوم في بير بني النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي
قالت ام ايمن فسمعت احدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار
هجرته فوعيت ذلك كله من كلامهم ولما رجعت امه به ماتت بالابواء
وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي اخرى في بعض دور مكة كما في
القاموس وحضنته بعدها ام ايمن بركة ثم مات جده كافله امتد

وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل وقيل ست وقيل ثلاث فكفله
عمه ابو طالب شقيق والده واخرجه ابن عساكر عن عرفطة قال
قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي
واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه
شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذ ابو طالب
الغلام والصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السماء
قزعة فاقبل السحاب من هاهنا وهاهنا واغدق الوادي فاغدودق
وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه، ثمال اليتامى عصمة للارامل
وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله عليه
وسلم حتى اخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية ضعيفة نخ صحيحة
عن العباس انه اسر اليه الاسلام عند موته ويؤيد ذلك ايضا في
رواية البيهقي الآتية لله در ابي طالب الخ لكن صريح الاحاديث
المتفق على صحتها ترد ذلك وهي اكثر من ثمانين بيتا استوفاها
ابن اسحاق لكن ذكر ان انشاده لها كان بعد المبعث وقد يجمع بانه
ذكر هذا البيت اثر هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث ثم رايت
في شرح المنهاج للكمال الدميري في باب الاستسقاء عن الطبراني
وابن سعد ان عبد المطلب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا
ولذلك يقول فيه عبد المطلب ويمدحه صلى الله عليه وسلم وابيض

يستسقى

يستسقى الغمام بوجهه البيت انتهى وفيه مخالفة لما مر ان
المستسقى به ابو طالب وانه القائل للبيت فاما الاول فيمكن الجمع
بين الروايات المخالفة فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة ابي طالب
كان الاستسقاء به فيها عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان
اولها انهم امروا باستلام الركن ثم ترقوا ابا قبيس ليدعوا عبد المطلب
ومعه النبي صلى الله عليه وسلم ويؤمن القوم فقيل فسقوا لكن قال
الحافظ بدر الدين الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الزين الولي
العراقي عن رواية الطبراني في سندها رجال لا اعرفهم انتهى لكن لا
يؤثر ذلك فيها لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا
قال بعض الحفاظ وكذا المناقب كما مر اتفاقا على ان صاحب الروض
ذكرها بسند عن ابن الاعرابي وغيره يوافقها وحينئذ تعين الجمع
بما ذكرته واما الثاني فكون ابي طالب هو الذي انشأ ذلك البيت
هو ما درج عليه ائمة السير وغيرهم ومن ثم جعله الشهاب في
روضه امرا مقررا ثم بنى عليه اشكاله وجوابه الآتي ردهما واما
قول الدميري انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه وسبب
الوهم انه في آخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت ابي صيفي
ابن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم او اليقظة لما تتابعت
على قريش سنون اهلكتهم يصرخ يا معشر قريش ان هذا النبي
المبعوث قد اظلتكم ايامه وهذا ابان نجومه فحيهلا بالحيا،

والخصب ثم امرهم بان يستسقوا به وذكر كيفية قصة يطول ذكرها
حاصلها ما مر فلما ذكرت الرواية وهي الرابعة المذكورة في القصة
انشأت تمدح النبي صلى الله عليه وسلم بابيات آخرها
مبارك يستسقى الغمام به ... ما في الانام له عدل ولا خطر
فكان الدميري لما راى هذا البيت في رواية قصة عبد المطلب التي
رواها الطبراني وهي تشتبه ببيت ابي طالب اعني ذا استسقاء الغمام
به الذي هو المقصود توهم ان بيت ابي طالب لعبد المطلب فوهم
من وجهين نسبة هذا البيت لعبد المطلب وانما هو لرقيقة والحكم
عليه بانه عين البيت المنسوب لابي طالب وليس كذلك بل شتان ما
بينهما فتأمل هذا المحل فانه مهم وقد اغتر بكلام الدميري
هذا من لا خبرة له بالشيء المأخوذة من الكتب المعتمدة ثم رايت
ما يقطع بغلط الدميري وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب
وابيض البيت لابي طالب كما اخرجه البيهقي عن انس قال جاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اتيناك وما
لنا صبي يغط ولا بعير يئط اي ما لنا بعير اصلا لانه اذا وجد لا بد
ان يئط وانشد ابياتا فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد
المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه الى نحره حتى التقت
السماء بابراقها فجاءوا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت
نواجذه ثم قال لله در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا

قوله

قوله فقال علي رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كانك تريد قوله
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل
وذكر ابياتا اخر فقال صلى الله عليه وسلم اجل فهذا نص صريح من
الصادق بان منشئ البيت ابو طالب فنسبته لعبد المطلب غلط
صريح تنبيه برواية ابن عساكر هذه يسقط قول السهيلي
في روضه فان قيل كيف قال ابو طالب وابيض البيت ولم يره قط
استسقى انما كانت استسقاءاته صلى الله عليه وسلم بالمدينة
في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله تعالى له
فالجواب ان ابا طالب قد شاهد من ذلك ايضا في حياة عبد
المطلب ما دله على ما قاله انتهى ووجه سقوطه ما تقرر ان ابا طالب
استسقى به صلى الله عليه وسلم فسقي فانشأ ذلك البيت وانشده
حينئذ والعجب العجاب من شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر انه غفل
ايضا عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب عن اشكال السهيلي هذا
بقوله ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما راى من مخايل ذلك
فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى اذ لو استحضر رواية ابن عساكر
هذه لم يبد هذا الاحتمال والثمال بكسر المثلثة الملجأ والعصمة
الحافظ من الضياع والارامل المساكين من رجال ونساء لكنه في النساء
اكثر استعمالا ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة
خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب

فعرفه بصفته فقال هذا سيد العالمين إنكم حين أشرفتم به
من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي وإني
أعرفه بخاتم النبوءة عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه
أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن أبي شيبة وفيه أنه صلى
الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح فكسر مقصور
ذكره جمع في الصحابة بناء على أن الشرط رؤيته والإيمان به ولو قبل
المبعث وفي أن سبعة من الروم أقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه
وسلم فمنعهم بحيرا ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وقوله
وبعث معه الخ وهم من أحد رواته لأن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلا
لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث عند البيهقي وأبي نعيم أنهم
لما أقبلوا رأى بحيرا غمامة بيضاء تظله من بينهم ثم نزل تحت
شجرة فانحنت عليه أغصانها حتى أظلته وروى أبو نعيم وابن عساكر
أن أخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة وغمامة تظله
إذا وقف وقفت وإذا سار سارت ولما بلغ ثمان عشرة سنة
سافر إلى الشام مرة أخرى للتجارة على ما ورد لكن بسند ضعيف
وفيه أن أبا بكر كان معه وأن بحيرا قال هذا والله نبي وأن ذلك سبب
إيمان أبي بكر به لما بعث فراجعه ثم خرج وله خمس وعشرون
سنة مرة ثالثة في تجارة لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في
الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما

أقبلوا

أقبلوا وهي في علية لها وفي هذه السنة تزوجها وكانت
تسمى بالطاهرة وكان سنها أربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين
سنة خافت قريش أن تهدم السيول الكعبة فشعثتها فأمروا
باقوم النجار القبطي مولى أحدهم أن يبنيها وحضر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة ثم لما تقارب بعثه
صلى الله عليه وسلم تحدث بذلك أحبار اليهود ورهبان النصارى
لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لأن شياطين
الجن كانت لا تحجب عن خبر السماء فتسترق السمع وتخبر الكهنة
به فيعلمون بعض خبر السماء لكن كانت العرب لا تلتفت لذلك
بالا فلما دنا مبعثه صلى الله عليه وسلم حجبت الشياطين عن السمع
كما قال بعث أي أرسل الله علم على الذات الواجب الوجود المستحق
لجميع الحمد من الخلق لذاته عند بتثليث العين أي قرب مبعثه
أي زمن بعثه صلى الله عليه وسلم أي إرساله إلى الخلق كلهم كما
قال في خبر مسلم وأرسلت إلى الخلق كافة وبين بعث ومبعث
جناس الاشتقاق الشهب على الشياطين الذين يسترقون السمع
فيخطف أحدهم الكلمة ثم يضم إليها مائة كذبة كما في
الحديث ثم يلقيها للكاهن وهي جمع شهاب وهي شعلة نار
تحرق الشيطان المسترق للسمع أو تخبله حراسا إما جمع حارس
على غير قياس ككافر وكفار وقيام فهو حال أو مصدر أي لأجل الحراسة

بعث الله عند مبعثه الشهب
حراسا وضاق عنها الفضاء

لشر بعثه صلى الله عليه وسلم التي سميا تي بعضا من الشياطين ان
يخلطوا ابعاضا البسر منها وهو للمبالغة والتاكيد لانه معلوم من
قوله تطرد الخ ففيه التشبيه كعلى حبه من يطعمون الطعام على
حبه ولكثرة تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السماء
ضاق عنها الفضاء اي المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه
حتى يسترقون السمع منه وبين ضاق الفضاء الطباق وتطرد حال
من الشهب او صفة له كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني
لكن ظاهر المقام ترجيح الحالية اذ رعاية التنكير هنا بعيدة
الجن وهم اجسام نارية تقدر على التشكل في الصور المختلفة
عن مقاعد اي امكنة قريبة من السماء يقعدون فيها للسمع اي
ليسمعوا شيئا من الملائكة المتكلمين بما سيقع في الارض من لا
قضية والمغيبات اما الكون او بسمعهم يلقيه عليهم ليكتبوه
فيتلقونه منه او ان بعضهم يقسمه من كتب البعض الاخر زيادة
في الاعتناء والظهور للملائكة واصل هذا قوله تعالى قل اوحي الي
انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
فلما سمع الجن ذلك عرفوا الحق فامنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين
فابلين ما حكى الله عنهم اواخر سورة الاحقاف ويوافق هذا
ما رواه اهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر السماء قالوا ان
ذلك لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ما حال

لما نظر الجن عن مقاعد للسمع

بينكم

67

بينكم وبين خبر السماء فخرجت طائفة منهم من جن نصيبين باليمن
قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة قرية على
ليلة من مكة مع اصحابه يصلي الصبح وهو يقرا فاستمعوا له ثم
قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فاسلموا وولوا الى
قومهم منذرين وفي ذلك نزل قل اوحي الي الايات واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن الاية قال الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحاق انه صلى الله
عليه وسلم خرج الى اهل الطائف يدعوهم الى الاسلام وانه انصرف
عنهم فبات بنخلة يقرا تلك الليلة فاستمع جن نصيبين اي مدينة
بالشام انتهى وما ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة
ففيه نظر فان استماعهم انما كان في ابتداء الوحي كما يدل له
حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون
الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما زادوه
باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث صلى الله
عليه وسلم كان احدهم لا ياتي مقعده الا رمي بشهاب يحرق ما
اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا لامر اي عظيم
قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين
جبلي نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض ورواه
النسائي وصححه الترمذي قال اعني ابن كثير واما خروجه صلى الله
عليه وسلم الى الطائف فانما كان بعد موت عمه ابي طالب وروى

ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انهم هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم
وهو ببطن نخلة يقرا القرءان فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز
وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية ابن عباس
يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في هذه المرة
وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا
اليه ارسالا قوما بعد قوم انتهى وصح ان الذي اذنه صلى الله عليه
وسلم بهم لما وفدوا اليه شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم
ذكر اسم الله عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر
علف لدوابكم وفيه رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل
ان ذهابه الى الطائف انما كان بعد موت عمه ابي طالب سنة
عشر من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة ايام او خمسة
ثم تزوجه سودة بعد ايام فكان خروجه الى الطائف بعد موت
خديجة بثلاثة اشهر في شوال لما ناله من قريش وكان معه
مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف فلم
يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى
ابن عقبة ورموا عقبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدم زاد غيره
وكان اذا اذلقته الحجارة اي بالمعجمة ثم القاف اضعفته قعد
الى الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم
يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه

شجاجا

شجاجا وفي الصحيحين انه لقي منهم اشد مما لقيه يوم احد
وان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال
ليامره في قومه بما شاء فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج
الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وجاء عن
ابن عباس ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السماوات وكانوا يدخلونها
وياتون باخبارها فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى عليه
الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد صلى
الله عليه وسلم منعوا من السماوات كلها فما منهم من احد يريد
استراق السمع الا رمي بشهاب وهي الشعلة من النار فلا يخطئ
ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله
فيصير غولا يضل الناس في البراري قال الايمة وهذا لم يكن
ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره احد قبل زمنه
وانما ظهر في بدء امره صلى الله عليه وسلم تاسيسا للنبوءة نعم
جاء عن معمر انه قال للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال
نعم قلت افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع
الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث صلى الله عليه وسلم
وجرى على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه صلى الله
عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثله بعد مبعثه صلى
الله عليه وسلم ويؤيده رواية ابن عباس الاخيرة ان صحت وعلم

من قول ابن عباس شعلة نار ان الكوكب لا ينفصل عن محله وانما
الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينفض ثم يرجع الى مكانه وطرد
تلك الشهب لاولئك الشياطين طرد بالغ جدا كما هو صولة
او مصدرية بطرد الذباب جمع ذئيب بالهمز وقد تجعب وتشبيهه
شياطين الجن بالذباب صرح به الحديث الصحيح الرعاء بضم اوله
وكسره للغنم عنها اذا ارادت العدو عليها فبسبب ذلك
الطرد البالغ للجن عن خبر السماء محت ابانة الكهانة مفعول
مقدم وهي بالفتح مصدر كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي مخبرا
بالامور الخفية والمغيبات البعيدة اي علامتها وهي ما كانت
تاتي به الكهان وتذكره من المغيبات التي تلقيها اليهم الشياطين
بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة ثم الغانه اليهم
مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر ابانة من جملة الوحي
وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام الخفي ولذلك
كان الوحي الاتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام الرؤيا الصادقة
فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ما يلقيه الملك في روعه
وقلبه من غير ان يراه للحديث الصحيح ان روح القدس نفث في روعي
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
تمثل الملك له رجلا فيخاطبه وصح انه كان ياتيه في صورة دحية
اي لانه كان جميلا جدا اذا قدم للتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل

مبحث ابانة الكهانة
من الوحي ...
محل الكهانة

جبريل

جبريل عليه الصلاة والسلام مع عظم صورته وان لها ستمائة
جناح تسد الافق في صورة رجل غير بعيد لان الاجسام النورانية
تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة جدا كما ان القطن يقبل الانكباس
فتصير الصورة الكبيرة منه صغيرة وهذا اولى من قول بعضهم
ان صورته الاصلية باقية على حالها وصورة الرجل صورة اخرى
له وروحه متعلقة بهما اي كما في الابدال الذين تتعدد
صورهم في الوجود وروحهم واحدة والتكليف حينئذ مناط
بالتي صورة ارادها الانسان ياتيه مثل صلصلة الجرس وهو اشده
٥٩ عليه ولذا كانت ناقته صلى الله عليه وسلم تبرك به وكان راسه
على فخذ زيد بن ثابت فكادت ترض من شدة الثقل حتى انه يقول
لا امشي بعد اليوم على رجلي ابدا ياتيه على صورته الاصلية لم
ووقع له ذلك مرتين كما في سورة النجم كلام الله له بلا واسطة
كموسى واختص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا
صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى
وصح عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءا
له ثلاث سنين وياتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل
فجاءه بالقران ثم وصف ابانة الوحي بانهن ما لهن انمحاء من محى
يمحو او يمحى ويمحا كذا ذكره بعضهم وعبارة القاموس محاه
يمحوه ويمحاه اذا ذهب اثره وامحا دعاو المحو السواد في القمر

لكل جناح منها

انتهت ملخصة والمعنى بقاؤها من غير ذهاب ولا تغيير كيف وقد تكفل
الله لهذه الشريعة الغراء بأنها باقية على ممر الدهر إلى أن ينزل
عيسى صلى الله عليه وسلم فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة
بموت الطائفة الذين أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم بأنهم
لا يزالون قائمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله
أي ريح لينة تقبض أرواحهم فحينئذ لا يبقى على وجه الأرض من
يقول الله الله فتقوم الساعة وبين قمحت وانهما اجناس الاشتقاق
ثم ذكر قصة زواجه صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى
عنها ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع لأنها قبل قوله
بعث الله الخ لكان أولى فقال ووازنه أي علمته وأبصرته لما سبق
لها من الفضل الذي فاقت به سائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت
ذات شرف ظاهر ومال وافر وحسب فاخر وهي للجمال التقى هو هنا
البراءة من كل شيء سوى الله وهذا غايته ومبدؤه اتقاء الشرك
وواسطته اتقاء المحارم وكذا يقال في التقوى وصح خبر أن أتقاكم
وأعلمكم بالله أنا وخبر إني لأعلمكم بالله وأشدكم له
خشية والزهد هو أخذ قدر الكفاية مما يتيقن حله وترك الزائد
على ذلك لله وقد صح خبر ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام
تباعا حتى قبض وخبر كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي

و وازنة خديجة والتقى بحلية والجمال والزهد

المتتابعة

المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون عشاء وإنما كان خبزهم الشعير
وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل
اليوم يلتوي بما يجد من الدقل أي بالتمر يكون أردى التمر ما يملأ بطنه
وخبر أنه كان يمضي الشهران ولا يوقد في أبياته صلى الله عليه
وسلم نار وإنما طعامهم التمر والماء وخبر أنه صلى الله عليه
وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير
أخذها صلى الله عليه وسلم قوتا لأهله فيه كل منهما سجية بالسين
المهملة أي خلق غريزي طبيعي والاختلاف في كون حسن الخلق
غريزة أو مكتسبا يتعين أن يكون محله في غيره صلى الله عليه
وسلم وتمسك من قال إنه غريزة بالحديث الصحيح إن الله تعالى قسم
بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم والتحقيق أن أصول الأخلاق
غرائز وملكات في نوع الإنسان وإنما التفاوت في ثمراتها
وهذا هو الذي به التكليف لأن الغريزي لا تكليف به لأنه ليس
في الطاقة نعم من فيه غريزة منه أعانته على المكتسب حتى
يكاد يكون غريزيا فيوصل بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى وفي
غير المحمود حتى يصير محمودا وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم
قال للأشج إن فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والأناة قال يا رسول
الله قديما كان في أو حديثا قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني
على خصلتين يحبهما فترديد السؤال عليه وتقريره يشعر بأن في

اللهم

الخلق الجبلي والمكتسب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول كما
حسنت خلقي اي بفتح اوله فحسن خلقي وكان يقول في دعاء الافتتاح
واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت ولما اجتمع في
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال الجلال والجمال
ما لا يحيط به حد اثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز فقال مؤكدا
لذلك بذكر على الاستعلائية وانك لعلى خلق عظيم والخلق ملكة
نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصفه بالعظيم مع ان
الغالب وصفه بالكريم لان خلقه صلى الله عليه وسلم لم يقتصر على
الكرم المقتضي للسماحة والدماثة بل يعم صفتي الانعام
والانتقام اذ كان رحيما بالمؤمنين شديدا غليظا على غيرهم والحياء
فيه سجية ايضا على اكمل غاياته ففي البخاري من حديث ابي سعيد
كان صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها
وقيد به لان حياءها فيه اشد لانه مظنة ان يطمع منها طامع
يدخل عليها فيه بشيء بخلافها بحضرة الناس والحياء بالمد لغة
تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به من الحياة ولذا
سمي المطر حيا لكنه مقصور وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح
ويمنع التقصير في حق من له حق ومن ثم صح انه لا ياتي الا بخير وانه
من الايمان فجعل منه وان كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع
يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وانا ها الخبر بكرامتين عظيمتين

وفعتا

وانا مصاحبا الغمامة والسرح
اظلته منها صبيا

وفعتاله صلى الله عليه وسلم قبل النبوءة وهما ان الغمامة وهي
السحابة والسرح وهو كما في القاموس شجر عظيم او كل شجر
لا شوك فيه او كل شجر طال انتهى وقصة هذا والقصة الاتية
ان المراد الاول او الثالث واما الثاني فلم ار ما يدل عليه اظلته
منها حال من قوله اظلته جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل الراجع
فاء رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل
والفيء بان الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخها ومن ذكر
هاتين الاثنين قبيل قوله بعث الله عند مبعثه الشهب وحاصلهما
مع بعض زيادة انها ارسلته في تجارة لها ومعه عبدها
ميسرة الى بصرى فنزل تحت ظل شجرة فاظلته فقال راهب ما نزل
تحتها الا نبي وسال ميسرة افي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه
فقال الراهب هو اخر الانبياء ليتني ادركه اذ يؤمر بالخروج وقال
له من خالفه في بيع وهو بسوق بصرى احلف باللات والعزى فقال
ما حلفت بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبي والذي نفسي
بيده انه هو الذي تجد احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك
ميسرة وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه في الهاجرة وراته خديجة
ذلك لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فارته نساء
عندها فتعجبن من ذلك فلما جاء ميسرة اخبرته بما راته واخبرها
بجميع ما راه منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت

بهما فقط تنبيه ورد في تظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم
احاديث احتجها رواة الجماعة وهو على شرط الصحيح الا ان في راويه
غرابة ان ابا طالب خرج به الى الشام في اشياخ من قريش فمروا ببحيرا
فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخلل بهم حتى اخذ بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين زاد البيهقي
ورسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا له
وما علمك قال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا
خر ساجدا ولا يسجد ان الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة
اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما
اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم في رعية الابل فقال ارسلوا
اليه فاقبل وغمامة تظله فلما دنا الى القوم وجدهم قد
سبقوا الى الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فيء
الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال اليه الحديث رواه
ابو موسى الاشعري وهو اما ان يكون تلقاه عنه صلى الله عليه
وسلم فيكون ابلغ او من بعض كبار الصحابة او كان مشهورا اخذه
بطريق الاستفاضة وروى ابن اسحاق معضلا والبيهقي في
الدلائل موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع
لهم طعاما كثيرا لانه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اقبل
وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه

فنظر

فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصرت اغصانها اي مالت
وانعطفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها
القصة وورد ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وورد
ذلك ايضا عن اخيه من الرضاعة واشار غير واحد الى ان تظليل
الغمام له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا
للنبوة كما سياتي ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضي
الله عنه اظله صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة في الهجرة
لما اصابته الشمس فظلل عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم
ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة وظلل عليه مرة اخرى وهو
بالجعرانة وانهم كانوا في اسفارهم اذا اتوا على شجرة ظليلة
تركوها له صلى الله عليه وسلم وسياتي في شرح قوله واذا ما
مشى في نوره الظل الخ ما له تعلق بذلك واتاها ايضا احاديث
الاحبار والرهبان والكهان ان اي بان وعد رسول الله مصدر مضاف
للمفعول اي وعد الله له وهو عند الاطلاق لا يستعمل الا في الخير
بالبعث اي الارسال الى الخلق كافة حان اي قرب منه اي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بقوله الوفاء اي قرب وفاء
الله سبحانه بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسبب
ما رانه منه وما بلغها عنه مما يحملن له ذو من عقل على ان يغسل
قدميه ويشرب ماء غسلهما دعته اي خطبته الى الزواج اي النكاح

واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

دعته الى الزواج وما احسن ما بلغ المنى الا ذكياء

فع ان يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمي اني قد رغبت
في نكاحك لما رايته وعرفته منك ومن ان سنها حينئذ كان
اربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين
سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله رجلين وما احسن
هذه احدى صيغتي التعجب ما مصدرية فتؤول مع يبلغ بمصدر
منصوب المحل على التعجب المنى اي الاماني جمع امنية وهي ما
يتمناها الانسان الاذكياء جمع ذكي كغني والذكاء بالمد
استحضار القلب ومزيد يقظته اي شيء عظيم حسن بلوغه
الاذكياء كل ما يتمنونه ومنهم بل ومن اكملهم خديجة رضي
الله تعالى عنها فانها ادركت بقوة ذكائها وتفرسها فيه صلى
الله عليه وسلم منه وبه كلما تمنته واملته مما لم تبلغه
امراة من هذه الامة اذ هي على الاصح افضل امهات المومنين رضي
الله عنهن وهذا من انواع البديع المسمى بارسال المثل وهو
ان يذكر الشاعر في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة
او نحوها كقول ابي الطيب لان حلمك حلم لا تكلفه ليس
التكحل في العينين كالكحل وهو كثير في كلام الناظم ولما عرضت
نفسها عليه صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه صلى الله عليه
وسلم فخرج معه منهم حمزة حتى دخل على ابيها خويلد فخطبها
اليه صلى الله عليه وسلم فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم

واصدقها

واصدقها عشرين بكرة وحضر ابو بكر رضي الله تعالى عنه ورؤساء
مضر فخطب ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية
ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ بمعجمتين ومهملتين اصل
معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته اي الكافلين له وسواس
حرمه اي المتولين لامره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد
الله لا يوازن برجل الا رجح به وان كان في المال قل فان المال ظل زايل
وامر حايل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة
بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما اجله وعاجله عليه من
مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجها
ابوها منه وذكر الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم اصدقها
ثنتي عشرة اوقية ذهبا ونصف اوقية قالوا وكانت كل اوقية
اذ ذاك اربعين درهما ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها
انه اتاها بعد النبوءة والرسالة في بيتها جبريل عند ليبلغه
في جبريل ليبلغ اليه ما امر به من الوحي وكان عندها
من الايمان به علم اليقين فاحبت ان تنتقل عنه الى عين اليقين
كما وقع لابراهيم صلى الله على نبينا وعليه وعلى سائر الانبياء
والمرسلين في قوله تعالى بلى ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تزيد هذه
المرتبة العلية ولذي اي صاحب اللب اي العقل الكامل وخديجة

واتاها في بيتها جبريل [illegible]

رضي الله تعالى عنها من اكمل اولي الالباب واذكاهم في الامور اي الاحوال
التي قد تشتبه ارتياباً اي استبصاراً من ارتيابه اي نظرته بالعين
او القلب كما في القاموس وفراسة يقضي بها على تلك الامور
بتمييز حسنها من قبيحها فعلم ان هذه الجملة اعتراضية وان
فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها اذ الاعتراضية لا بد
لها من نكتة ففي هنا الاشارة الى كمال عقلها واستبصارها مع
افادة ان هذا امر كلي جار مجرى المثل والحكمة فهو من ارسال المثل
فبسبب تلك الحجة مع ما عندها من كمال العقل اماطت اي ازالت
عنها اي عن راسها الخمار وهو ما يخمر به اي يغطى به الراس لتدري اي
لكي تعلم علم اليقين اهو اي هذا الذي عرض له صلى الله عليه وسلم حتى
اخرجه عن حاله المالوفة منه الوحي اي حامله وامينه الذي كان ياتي
به الانبياء قبله ومرت اقسامه ام في معادلة الهمزة المطلوب بها
وبام التعيين ولها قسم ثان وهو ان تقع بعد همزة التسوية وسميت
فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في الاول
والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لان ما قبلها وما بعدها
لا يستغني باحدهما عن الاخر وتقابلها المنقطعة وفي ثلاثة اقسام
مبسوطة في محلها هو الاغماء الذي هو من بعض الامراض العادية
وقد ثم جاز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون الجنون في سبب
ان التها الخمار عن راسها احتفا عند كشفها الراس فعو الكشف

واماطت عنها الخمار لتدري
اهو الوحي ام هو الاغماء

المضاف

٦٤

فاحتفا عند كشفها الراس
جبريل فما عاد او اعيد الغطا

المضاف لفاعله جبريل فما عاد او اعيد الغطا اي الى ان اعادت غطا
راسها فاعيد ماض مبني للمفعول والغطا نايب الفاعل ووقع
للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد او التي يصلح
موضعها حتى والغطا فاعل اعيد افتتها وهو سهو عجيب لما تقرر
ان اعيد ماض الخ وكان هذا الوهم سرى اليه مما يصرح به كلام النحاة
ان او غير العاطفة التي بمعنى الى ان لا تدخل الا على المضارع كما في
حتى الغائية المرادفة لاو المذكورة كما مر جوابه وحينئذ فاضطره
ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد ماض لكن كان عليه ان يقول وقول
الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر ما اشرت اليه واما كونه يبقى اعيد
على حاله ويجعله منصوبا باو فهو جلي الفساد لا يقال هو ماض
لفظا مستقبل معنى فليجز دخول الناصبة عليه لما مر جوابه
في حتى المرادفة لها ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا
او ماضيا في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة فهذا
يؤول بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى فهو مستقبل
بالاضافة اليه لانا نقول معنى قولهم او ماضيا في حكم المستقبل
ان لفظه لفظ المضارع ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا تدخل
عليه حتى الغائية فاجابوا بان ما فيه من المضي يؤول بالاستقبال
نظرا الى انه غاية كما تقرر واما لفظه ماض فلا تدخل عليه حتى
الغائية اصلا فان قلت كيف هذا مع قوله تعالى حتى تاتيهم

نصرنا حتى عجزوا حتى جاءهم العلم وفي البخاري حتى جاءه الحق وهو
في غار حراء. قلت حتى هنا ابتدائية لا غائية وأو الناصبة إنما
تكون بمعنى حتى الغائية لا غير وقد صرح بذلك الأئمة ولخصه
الجلال السيوطي في شرح جمع الجوامع له حيث قال وملخصه أن
حتى الابتدائية تليها الجملتان الاسمية والمضارعية والماضوية
والمصدرة بشرط وأما زعم ابن مالك أنها جارة غائية قبل الفعل
الماضي بإضمار أن بعدها على تأويل المصدر فغلطه فيه أبو حيان
وتبعه ابن هشام فقال لا أعرف له في ذلك سلفا وفيه تكلف
إضمار من غير ضرورة وردوا زعمه هو والأخفش أنها جارة قبل
إذا وأن إذا في موضع جر بها بأنه خلاف ما عليه الجمهور أنها
ابتدائية وإذا في موضع نصب بشرطها أو جوابها ثم قال الجلال
قال بعض شيوخنا ضابط حتى أنها إذا وقع بعدها اسم مجرد
مجرور أو مضارع منصوب فحرف جر أو اسم مرفوع أو منصوب فحرف
عطف أو جملة أي ماضوية فحرف ابتداء ولا محل لهذه الجملة انتهى
وهذا كله صريح كما ترى في أن كل جملة ماضوية دخلت عليها
حتى في القرآن أو غيره تكون حتى حينئذ ابتدائية ولا تكون جارة
بمعنى إلى أن وأن مع المعنى لما مر أن ذلك يحتاج لتقدير ما لا حاجة إليه
وإذا تقرر أن حتى الغائية لا تدخل على الماضي فأو التي بمعناها أولى
فإن قلت لم قست أو على حتى الغائية في منع دخولها على الماضي

ولم

ولم تقسها على إلى أن أو إلا أن اللذين بمعناها قلت أما كونها
بمعنى إلا أن فهو ما ذكره ابن مالك وقد رده عليه حتى ولده ومن
ثم قال أبو حيان قد أغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل فإلا
أن لا تدخل على الماضي إلا عند قوم بشرط أن يتقدمه فعل أو قد كما
هو مقرر في محله وأما كونها بمعنى إلى أن فوجهه أن حتى إنما
امتنع دخولها على الماضي لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا
المعنى موجود في إلى أن بطريق الأصالة فليمتنع دخولها على الماضي
بنص كلامهم لا بطريق القياس فإن قلت تقرر أن أو بمعنى إلى
وهذه تدخل على الماضي كما في الحديث قام إلى أن تورمت قدماه
فليكن أو كذلك قلت هذا اشتباه لأن أن المتضمنة في أو هي
الناصبة وهي خاصة بالمضارع فلم يتصور دخول أو المتضمنة
لها على الماضي وأما أن الملفوظ بها بعد إلى فهي التي لا يتصور
لها عمل وهي تدخل على الماضي فلا جامع بين هذه وتلك فإن قلت
بعضهم يقدر أو بإلى أن وبعضهم يقدرها بإلى فقط وهذا يدل
على أن لا نظر إليها قلت لا بد لذلك بوجه وإنما سبب ذلك
أنهم اختلفوا في ناصب المضارع الداخل عليه أو فالأصح أنه أن
مقدرة بعدها وقال قوم هي الناصبة بنفسها فعلى الأول تقدر
بإلى أن وعلى الثاني بإلى فقط فإن قلت قد أدخل الناظم أو على
الماضي في موضع من البردة وسكت عليه شراحها قلت

لا اعتراض عليه في ذلك ايضا واما الشراح فيحتمل انهم انما سكتوا
على ذلك نظرا للمعنى او انهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم
الدال على ان أو الغائية لا تدخل على الماضي ثم رايت شارحها العلامة
ابن مرزوق تنبه لما ذكرته فقال في أو خلت البطاح بها ان أو هنا
عاطفة ثم جعلها بمعنى الواو او بل او انها على حالها للشك او
للتخيير وتكلف ذلك ولم يعرج على انها او الغائية بوجه وليس
سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضي والا كان معنى الغائية في
البيت اقرب مما تكلفه ولا يتاتى نظير ما تكلفه هنا بوجه
والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة لم يذكروا لاو الا
قسمين عاطفة وناصبة وهي الغائية فالعاطفة امرها واضح
ولا كلام فيها والناصبة تختص بالمضارع فمن اثبت لها قسما
ثالثا وهو دخولها على الماضي ولا تكون للعطف فعليه البيان ولا
تجد ذلك كما دل عليه كثرة البحث والتتبع فتامل ذلك كله فانه
نفيس مهم غفل عنه الناظم وغيره فاستبانت خديجة قيل
صرفها للضرورة ويرد بانها باقية على عدم صرفها وبان الوزن
صحيح مع عدم الصرف ليسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع
الكف والخبن لان مستفعلن يحذف سينه يسمى خبنا كما مر وهو
على انفراده غير قبيح ويدخله مع ذلك الكف وهو حذف السابع
وهو النون ليصير متفعل وهذا هو الشكل القبيح الذي هو

فاستبانت خديجة انه الكنز الذي حاولته والكيميا

اجتماع

اجتماع هذين وان كان الاول وحده حسنا والثاني وحده صالحا
وهو من العجايب اذ اجتماع الحسن والصالح يصير قبيحا عندهم
اي ظهر لها انه الظنون لا انها علمت من ابن عمها ورقة ابن
نوفل الاتي ذكره او من غيره ان جبريل عليه الصلاة والسلام لا
ياتي محلا فيه امراة مكشوفة الراس انه اي ما يعرض للنبي صلى
الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف على عين اليقين فيه الكنز
اي الشيء النفيس بل الذي لا انفس منه الذي حاولته اي الذي
ارادت غير حيازته والظفر به وانه الكيميا اي العلم البديع
الذي يقلب الاعيان الردية الى الاعيان النفيسة واستعار
الكنز وهو المال المدفون والكيميا وهو العلم المعروف
للوحي لانه بهما تحصل الذخاير النفيسة المنتفع بها حالا
ومالا كما ان الوحي كذلك وايضا هما لا يظفر بهما الا الفذ
النادر كما ان الوحي لا يظفر به الا اكمل البشر وهم في غاية
الندورة والقلة بالنسبة لبقية الناس واشار بذكر ما وقع
لخديجة الى سبب ذلك وهو قصة ابتداء بعثه صلى الله عليه
وسلم وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ اربعين سنة
وقيل وكسرا بعثه الله تعالى يوم الاثنين كما في خبر مسلم لسبع
عشرة من رمضان وقيل من ثمان من ربيع الاول وقيل كان في رجب
رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الخلق اجمعين كما قال صلى الله

عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة وروى البخاري وغيره اول ما
بدئ به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى
رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وابتدئ بها لان الملك لو فجاءه
بغتة لم تحتمله قوى البشرية وكان ياتي حراء فيتعبد فيه الليالي
الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاءه الحق اي
جاءه جبريل وهو بغار حرا فقال له اقرا فقال ما انا بقارئ اي لست
بقارئ قاله امتناعا لانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا
يكتب فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرا فقال
ما انا بقارئ قاله اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله كذلك فقال
له اقرا فقال ما انا بقارئ اي ما الذي اقراه فغطه وارسله كذلك
وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التفاعل الى لقاء الملك لما
بين البشرية والملكية من التباين ثم الى التلقي منه ثم قال له
اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف
فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه صلى
الله عليه وسلم حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة ما لي واخبر
الخبر ثم قال قد خشيت على نفسي اي قبل ان يحصل لي العلم الضروري
بان الجائي جبريل عليه الصلاة والسلام او خشيت ان لا اقدر على
حمل اعباء الرسالة او ان يقتلني قومي ولا بدع فانه صلى الله عليه وسلم
بشر فقالت له كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل

الرحم

ملتك

الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب
الحق ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا قد عمي
وهو ممن تنصر في الجاهلية وعرف الانجيل فقالت اسمع من ابن اخيك فاخبره
صلى الله عليه وسلم ما راى فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني
فيها اي مدة نبوتك جذعا اي شابا لابالغ في نصرتك اذ يخرجك
قومك قال او مخرجي هم قال نعم لم يات رجل قط بما جئت به
الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب
ورقة ان توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر
ذهابه صلى الله عليه وسلم الى رؤوس شواهق الجبال ليرمي نفسه
فيبرز له جبريل فيقول يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك
جاشه واخرج الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم
قال جاورت بحراء شهرا اي لا لطلب النبوة لعلمه انها موهبة
لا تنال بكسب الله اعلم حيث يجعل رسالاته فلما قضيت
جواري هبطت فنوديت فنظرت فلم ار شيئا فرفعت راسي
فرايت شيئا لم اثبت له فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني
وصبوا علي ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر الاية وهذا بعد
نزول اقرا باسم ربك بل وبعد فترة الوحي اذ اول ما نزل اقرا باسم
على الاصح بل الصواب وصح عن الشعبي انه قال انزلت عليه صلى
الله عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته

اعلم ان ورقة ثبت
ايمانه بالنبي صلى
وقد راه في منامه
عليه الصلاة والسلام
وعليه ثياب بيض
انتهى من ...

اسرافيل ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه
القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل فنزل
عليه القرآن على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة ذهاب
الروع الذي وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تشوفه الى الاشتياق
للعود وروى اصحاب السير انه صلى الله عليه وسلم لما اخبر خديجة
رضي الله تعالى عنها الخبر قالت له صلى الله عليه وسلم الا تستطيع
ان تخبرني بهذا الذي ياتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه
جبريل اخبرها به فقالت له اجلس على فخذي الايسر فجعل فقالت
اتراه قال نعم قالت فاجلس في حجري فجعل فقالت اتراه قال
نعم فالقت خمارها فقالت اتراه قال لا قالت اثبت وابشر
فوالله انه لملك ما هذا شيطان ثم بعد تلك الفترة نزول
قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر فبادر صلى الله عليه وسلم الى
امتثال ذلك مجيبه فقام النبي اي جد واجتهد في حال كونه
يدعو الى عبادة الله والايمان به وبرسوله صلى الله عليه
وسلم وترك ما هم عليه من عبادة الاصنام والاوثان وذلك
لان اول ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء الى التوحيد
ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في اول سورة المزمل ثم نسخه
بما في اخرها ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسرى
بمكة قاله النووي رحمه الله تعالى وقال في فتح الباري كان صلى

ثم قام النبي يدعو الى الله
[illegible]

الله

الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه ولكن
اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل الغروب وروي ان جبريل بدا له صلى الله عليه وسلم في
احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام
ويقول لك انت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا
الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل
ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي معه فعلمه
الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك
يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح
ثم امرها صلى الله عليه وسلم فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل
فكان ذلك اول فرضها ركعتين الحديث وهي للحال في اهل الكفر
نجدة اي قوة تامة وتحزب عليه واباء اي امتناع عن اتباع رسول
الله صلى الله عليه وسلم والايمان به امما مفعول يدعو اي جماعات
هم امة الدعوة اشربت بالبناء للمفعول قلوبهم الكفر اي
اختلطت به بتقدير تجسمه مفعولا ثانيا اي خالطها وتمكن
فيها حبه حتى صارت لا تقبل غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها
به امتزاج المشروب بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة

امما اشربت قلوبهم الكفر
[illegible]

الممازجة وحينئذ فداء الضلال الذي استغرقهم اي مرضه او
الاضافة بيانية اي بالداء الذي استغرقهم وهو الكفر داء لا يرجى
برؤه عياء بمهملة مفتوحة فتحتية اي داء عضال اي اعيا الاطبا
مداواته وحصول شفائه ولما قام صلى الله عليه وسلم يدعوا
الى الله تعالى دخل في الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون الاولون
واولهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال ابو بكر ومن الصبيان
علي وصح اسلامه مع صباه لان الاحكام اذ ذاك كانت منوطة
بالتمييز ومن الموالي زيد ومن الارقاء بلال وروي ان ورقة اسلم فان
صح كان اول من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول
من اسلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم
مخفيا امره الى ان امره الله باظهار امره بقوله تعالى فاصدع بما تومر
قالوا وكان ذلك بعد النبوءة بثلاث سنين ولم يبعد منه قومه
ولا ردوا عليه حتى عاب الهتهم سنة اربع من النبوءة فاجتمعوا
على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صده العصبية كابي طالب
فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم
وتوامرت قريش على من اسلم منهم يعذبونهم ومنع الله رسوله
صلى الله عليه وسلم منهم بعمه ابي طالب وبني هاشم غير ابي لهب
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم
يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يحذر منه

فيه علي اول
من اسلم

ورموه

ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثوا بالتراب
ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على عنقه وهو ساجد
عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه خنقا شديدا
وجذبوا راسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام ابو بكر ومنعه
منهم ثم اسلم عمه حمزة رضي الله تعالى عنه سنة ست من النبوءة
فعز به وكفت قريش عنه قليلا وسالوه ان يملكوه عليهم ويبذلوا
له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فابى وقال اصبر لامر الله حتى
يحكم الله بيني وبينكم وفي سنة خمس اذن الله لاصحابه في الهجرة
الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلم عمر بعد حمزة رضي الله تعالى عنهما بثلاثة
ايام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى
الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم والمطلب
فادخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ورءاينا معشر
امة الاجابة اي ابصر الصحابة وعلم من بعدهم بطريق التواتر والشهرة
وفي انها بمعنى علم في الكل وهو واضح وابصر في الكل وهو في من بعد
الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القرءان الدالة على ءايات لا تحصى
ءاياته اي معجزاته وخلقه من بديع صفاته فاهتدينا
اي وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع وانما بادرنا
الى ذلك لانا اصحاب عقول كاملة وقد رأينا الحق عيانا لا مرية فيه

ورءاينا ءاياته فاهتدينا
واذا الحق جاء زال المراء

ولا شبهة فعلمنا انه اذا الحق جاء زهق الباطل وبين مجاء ان الحق جاء مثله المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجمل الفعلية على الراجح وزال المراء اي الضلال والجدال فيه وفي هذا ابلغ التعريض لكفار قريش حيث لم يومنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خَلقا وخُلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا رب ان الهدى اي اتباع الحق لبشر الاهداك اي لبشر الا بتوفيقك وهدايتك كما قلت في كتابك المبين فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وان اياتك التي افهمتها ادلة على صدق انبيائك وفي رفعه فعلى الاول كل من الجملتين مؤكدة لما قبلها وعلى الثاني هي مؤكدة ايضا لكن فيها شبه اعتراض بناء على جواز وقوعه بعد تمام الكلام نور كما قلت فقد جاءكم من الله نور تهدي بها من تشاء هدايته وتضل عنها من تشاء غوايته وفي كلامه اقتباس من الايتين المذكورتين كما اشرت اليه وايضا الى ان الايات لا تنفع مع سبق الشقاوة ولما قرر ان الهدى هدى الله وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وان الايات وحدها لا تجدي شيئا ذكر ما يستغرب من ذلك ويقربه وهو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل فقال كم من اي مرار كثيرة فهي خبرية ويجوز حذف مميزها كما فعله الناظم فان ذكرها

ربِّ ان الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء



كم رأينا ما ليس يعقل قد الهم ما ليس يلهم العقلاء

باضافتها

باضافتها اليه عند البصريين وجوز بنو تميم نصبه تمييزا واجراء الكثير وافصح من جره فان فصل نصب حملا على كم الاستفهامية رأينا اي علمنا وابصرنا نظيرها من استعمال المشترك في معنييه واللفظ في حقيقته ومجازه جائز على منعه الذي ذهب اليه الاكثرون فهو من عموم المجاز ما اي شخصا ليس يعقل اصلا كالحيوان والجمادات قد الهم من المصالح وهذه في موضع ثاني مفعولي رأى ما اي كثيرا ليس يلهمه العقلاء اذ ظرف او علة لرأى ابى اي امتنع الفيل المذكور في الاية من ان يفعل ما اتاه اي عزم عليه صاحب الفيل وهو ابرهة ملك صنعاء وهو دخوله الحرم لهدم الكعبة وبين اتاه وابى الجناس المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولم ينفع الحجا اي العقل الوافر والذكاء اللذان اتصف بهما ولم يوفقا لما وفق له الفيل مع وضوح الفرق ما بينهما في الذكاء والعقل فعلم ان الهداية والضلال ليستا الا بتوفيق الله وهدايته او خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه القصة ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي قد بنيت لك كنيسة واريد ان اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بني كنانة فاحدث فيها فسمع بذلك فغضب وحلف ليسيرن الى كعبة العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل فيل واحد يسمى محمودا وقيل باكثر

اذ ابى الفيل ما اتى صاحب الفيل ولم ينفع الحجا والذكاء

فخرج عليه ملوك فهزمهم وأسرهم الى ان قرب من المغمس عند عرفات
فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت
ان له ربا يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاق ابل قريش وغيرهم
ولعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب في قريش حتى بلغ
جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة مثل السراج
فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا النور مني الا ان
يكون الظفر لنا فرجعوا ثم ارسل ابرهة رجلا للسيد منهم وهو
عبد المطلب ليخبره انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه تهديم
الكعبة فان مكنتموني نجوتم فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا
بحربه والبيت بيت الله تعالى فان منعه فهو بيته ثم حمله اليه
فاكرمه واجله ونزل عن سريره وجلس معه على بساطه ثم قال له
ما حاجتك قال ان ترد علي ابلي فقال له كنت اعجبتني ثم زهدت فيك
تكلمني في ابلك دون بيت هو دينك ودين ابائك فقال اما الابل
فانا ربها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله فرجع فتحرزوا
في شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش
بحلقة باب الكعبة ودعوا واستنصروا وفي رواية ان رسول ابرهة
لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا
عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما افاق خر ساجدا لعبد

المطلب

المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا وروي ان عبد المطلب
لما ذهب لابرهة احضر فيله الابيض العظيم فلما رأى عبد المطلب
خر ساجدا وقال السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب
تنبيه مر آنفا امران لا يخلوان عن اشكال وهما النور الذي في
جبهة عبد المطلب والذي في صلبه وان ذلك نور محمد صلى الله
عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته صلى الله عليه وسلم كانت
بعد الفيل بخمسين يوما فكان ذلك جرى وهو صلى الله عليه وسلم
حمل قريب وضعه وسبب اشكال هذين ما علم من ان نوره صلى
الله عليه وسلم كان ينتقل في اصلاب الاباء وارحام الامهات بحسب
ترتيبهم في الوجود فاذا وجد واحد انتقل اليه ما كان في الذي
قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر ان النور كله
انتقل الى امنة ولم يبق منه شيء في عبد الله فضلا عن عبد
المطلب ويؤيد ذلك ما مر في الكاهنة الذي شهدت ذلك النور
في عبد الله فبذلت له مالا عظيما ليتزوجها فينتقل النور
اليها فتراخى عن اجابتها ثم ذهب فواقع امنة فحملت
فانتقل النور اليها ثم جاء لتلك فابت فقال لم قالت لان النور
الذي كنت اشاهده منك انتقل لغيرك فعلم انتقاله لامنة
وقد يجاب عن ذلك بان النور وان انتقل كما ذكر لكن الله سبحانه
اكرم عبد المطلب فاحدث فيه كما يدل عليه سياق القصة

حتى احتاج الى كرامة تخلصه وماله من ذلك الملك وجنوده الذين
بلغوا في العتو والجراءة على الله وبيته الذي حج الانام من لدن ابراهيم
على صيانته وتعظيمه وانه لا يجارى ولا يغالب نورا يجاري ذلك النور
الذي استقر في اصلابه بل مع زيادة حتى صار في جبهته كالشمس ثم
اكرمه ثانيا بنور اخر اوجده في صلبه واطلع الفيل عليه فسجد
ليعلم الخلق بهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع في قصة الفيل
انما هو من كمال الارهاص لتحقيق نبوءة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم قبل وجوده مع الاشارة الى انه سيظهر دينه على الاديان
كلها وانه لا يوذيه احد الا اهلكه الله واستاصل اتباعه حتى
لا يبقى منهم احد الا الشاذ ليخبر عن الكيفية التي اخذهم الله
بها وان ربه سبحانه سيعطيه من خوارق المعجزات وباهر الايات
ما لم يعطه لنبي مرسل ولا ملك مقرب لان هذا الامر الباهر اذا وقع
لاجله وهو حمل لم يبرز في الوجود فما بالك بما سيقع له بعد
وجوده ثم في تنويع كرامة عبد المطلب لكون احد ذينك تنويع
الباهرين ظهر للناس وشاهده كل احد والثاني بطن فيه ولم يطلع
عليه الا الفيل فسجد له للاشارة الباهرة ايضا الى ان الله سبحانه
سيظهر ذلك الحمل وكراماته الى حد لا يمكن احدا ان يخفى عليه من
ذلك شيء والى انه سيطلع على حقائق علومه الباطنة ما ابا عنه
صلى الله عليه وسلم بعد بقوله في الحديث المشهور فعلمت علم الاولين

والاخرين

والاخرين والى ان تلك العلوم الباطنة يطلع الله على بعضها خلفاءه
ووارثيه ليتم لهم حقائق الخلافة وغايات الوراثة والحاصل انه
صلى الله عليه وسلم كان له مقامان باهران ظاهر في العالم كالشمس
وباطن يوجب خضوع سائر الارواح الكاملة من البشر وغيرهم
بين يديه واستمدادهم منه وانه الممد لسائر الكمل من لدن
وجودهم الى ما لا نهاية له ولا انقضاء ولما اصبح ابرهة بالمغمس
هيأ فيله وجنوده لدخوله مكة برك الفيل في محله بناء على
الارجح (الاصح) انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا
الى وادي محسر ولذا سمي بذلك لان فيلهم حسر اي اعيى فيه فضربوه
في راسه ومراق بدنه حتى بالحديد فابى فوجهوه نحو اليمن فقام
ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى
ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع
كل طائر منها ثلاثة احجار حجر في منقاره وحجران في رجليه كامثال
العدس لا يصيب احدا منهم الا قتلته فخرجوا هاربين يتساقطون
بكل طريق واصيب ابرهة في جسده بداء فتساقطت انامله
انملة انملة حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ الطائر وسال منه الصديد
والقيح والدم وما مات حتى تصدع قلبه وقد ذكر الله هذه القصة
في سورة الفيل وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه صلى الله عليه
وسلم بل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان المراد من الرؤية

العلم والتذكير وان الخبر بذلك متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا
للعلم الحاصل بالرؤية البصرية وقد دلت هذه القصة على غاية شرف
نبينا صلى الله عليه وسلم فانها كانت ارهاصا وتاسيسا للنبوة له صلى
الله عليه وسلم ويجوز تقديم المعجزة على زمن النبوة تاسيسا كما مر
في تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجر والحجارة قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشيء الا سلم عليه سلاما يسمعه باذنيه
وعلى شرف قومه وحماية الله لهم ولذا دانت العرب بالشرف لهم لعلمهم
بان ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذ تولى الله نصرتهم
عليه دل ذلك على عظيم اعتناء الله بهم وليعقد معنى الارهاص بعد
مجيء النبوة وثبوتها بالدلائل القطعية امل للحجاج فيجه الله
حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشيء ولما ذكر ما يتعلق بالنعام
الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالنعام الجماد فقال **والجمادات**
وهي ما لا روح فيه **افصحت** اي اظهرت ونطقت بكلام مميز فصيح
لا تعلثم فيه قيل يخلق الله فيها حينئذ من غير حياة وان من شيء
الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق الله فيها حياة ولسانا وادراكا فتنطق
مختارة عارفة بما تنطق به ويدل لهذا ما ياتي في حنين الجذع وانينه
فان ذلك يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق حتى حن
وان ولا يعارضه ان مذهب الاشعري ان خلق الصوت في محل لا يستلزم
خلو الحياة والعقل فيه لانا لم ناخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق

والجمادات افصحت بالذي اخرس عنه لاحمد الفصحاء

الصحابة

الصحابة عليه انه حق وان مذهب الاشعري ان الذكر المعنوي
والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لهما ولذا عامله
صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغايب اهله
بالشهادة بالانبياء والارسال **الذي اخرس عنه لاحمد** متعلق
بافصحت **الفصحاء** نايب فاعل اخرس وفيه الطباق ان العرب
قريشا وغيرهم مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة
امتنعت السنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به
والشهادة له بالرسالة اليهم وشهدت له بذلك الجمادات
الصم بافصح لسان وابلغ بيان فمن ذلك تسبيح الحصى في يده صلى
الله عليه وسلم ثم في يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله عنهما يسمع
تسبيحهن من في الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن في
سنده ضعف وصح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كنا ناكل
مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام
وفي سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم وصح ايضا اني لاعرف حجرا
بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث اني لاعرفه الان قيل هو الحجر
الاسود وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان يمر به صلى الله عليه
وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه اهل مكة سلفا وخلفا
وصح عن علي كرم الله وجهه كنت امشي مع النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحي مكة فما استقبله شجر

قف على الذكر المعنوي والكلام النفسي الخ

ولا حجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله وروى البزار وأبو نعيم
لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال
السلام عليك يا رسول الله والبيهقي وابن ماجه أنه صلى الله عليه
وسلم غطى العباس وبنيه بملاءته وقال يا رب هذا عمي وصنو أبي نخ [illegible]
وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه
فقالت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين آمين وصح أنه
صلى الله عليه وسلم كان هو وأبو بكر وعمر وعثمان على أحد وصح
أيضا على حراء فتحرك فقال اثبت وضربه برجله فما عليك إلا نبي
أو صديق أو شهيد وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم طلب من رجل
الإيمان فقال له هل من شاهد فقال هذه الشجرة فدعاها صلى الله
عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تخد الأرض خداء
تشقها شقا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت
ثم رجعت إلى منبتها وفي رواية قل لتلك الشجرة رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها وعن شمالها
ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد
الأرض خدا تجر عروقها حتى وقفت بين يديه فقالت السلام عليك نخ مغبرة
يا رسول الله فقال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت فقال الأعرابي ائذن
لي أن أسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لو كنت آمرا أحدا أن يسجد

لأحد

لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وصح أن أعرابيا قال له بم أعرف
أنك رسول الله قال إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة يشهد
أني رسول الله فدعاه فسقط إليه ثم قال ارجع فعاد فأسلم
الأعرابي **تنبيه** علم من كلام الناظم رحمه الله تعالى على مولده
صلى الله عليه وسلم وما بعده أن من دلائل نبوته صلى الله عليه
وسلم ما وجد في كتب الله من نعته وخروجه بأرض العرب وما
ظهر بين يدي مولده ومبعثه من العجائب المبطلة لسلطان
الكهنة المنوهة بشرف العرب كقصة الفيل وما حل بأصحابه وخمود
نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة بأوصافه
صلى الله عليه وسلم وانتكاس الأصنام المعبودة على وجوهها
من محالها فيه من غير دافع لها مع شدة ثباتها وإحكامها
وما سبق بعضه من العجائب التي ظهرت أيام رضاعه وبعده إلى
بعثته صلى الله عليه وسلم واتباع الخلق له مع أنه لم يكن له مال
يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه من محبة
الأصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات
لا يجمعهم عقد دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم النظر في
عاقبة ولا خوف لائمة فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع
كلمتهم حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة
على من سواهم وهجروا أوطانهم وآباءهم في محبته صلى الله

عليه وسلم وبذلوا مهجهم لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف
في اعزاز كلمته بلا دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا عز في الاجل
اطمعهم في نيله يتحرونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان
يجعل الغني وفقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل تلتئم مثل هذه
الامور من قبل اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق نبيا
انما ذلك امر الهي وتاييد سماوي تعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا
الذي ذكرته يتضح تعقيب الناظم لما مر بقوله ويح منصوب
بفعل محذوف او بحرف النداء اي يا ويح على حد يا حسرة على العباد
اي احضري هذا وقتك كذا قيل والذي صرح به الايمة انه حيث
كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله
نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح فقد قالوا ومما استعمل
مفردا ومضافا قولهم ويح فلان وويح اله قال ابن طاهر ومتى
اضفته ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدا لا خبر له
ومتى افردته جاز الامرين وكذا ويل والنصب فيه غير قوي
لانه مصدر لا فعل له بخلاف نحو حمدا وشكرا ومن ثم غلب على ويح
الرفع بل قال ابن ابي الربيع يجب رفعه دون ويل نعم ان عطف ويح
على تب تعين نصبه ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه
لتنافي معناهما ورد بان ويحا خرج مخرج الدعاء وليس

معنا

وفي قوم جحوا نبيا بارض
العقد ضبابها والظباء

معناه الدعاء وتبا يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح
وويلا ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا وانه
لا دخل للنداء هنا واعلم انهم اتفقوا على ان كلمة ويح ترحم تقال
لمن وقع في مهلكة لا يستحقها وويل كلمة عذاب وقيل هما
بمعنى وعلى الاول فقد يستشكل اتيان الناظم بها في هذا المحل
لان الجافين له صلى الله عليه وسلم يستحقون الهلاك الذي
وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد ذلك فالترحم عليهم
باعتبار ما ال اليه حالهم ويرد بانهم بهذا الاعتبار لا يقال
فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا فالاحسن الجواب
بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التي بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه وجلدته والترحم
لهم من هذه الحيثية لا محذور فيه قوم جحوا نبيا بلغ من
مراتب الجلال والتعظيم ما لم يبلغه نبي اي بغضوه واذوه
الايذاء البالغ بل قصدوا قتله كما مر انفا مبسوطا بارض
الفق ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور على الالسنة ورواه
البيهقي في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال
المزني لا يصح اسنادا ولا متنا وهو ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما
راى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه بين يديه وقال لا امن بك
حتى يومن هذا فقال له يا ضب فقال لبيك وسعديك فقال من تعبد

نحو
لهم

٧٥

قال الذي في السماء عرشه وكلمات أخر قال امرأة فقال رسول رب العلمين
فأسلم الأعرابي الحديث بطوله قيل وهو موضوع ورد بأن نهايته
الضعف لا الوضع وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو أبلغ من
هذا أو الظباء جمع ظبي وروى حديثه من طرق البيهقي وأبو نعيم
والطبراني وسواه والحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب
لكن ضعفه الأئمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بأنه ورد في الجملة في عدة
أحاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين فزعم
أنه حديث صحيح قال التاج السبكي ونحوه وإن لم يتواتر اليوم فلعله
استغنى عنه بغيره أو لعله تواتر إذ ذاك وهو بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صحراء إذ بهاتف يهتف يا رسول الله ثلاث
مرات فالتفت فإذا بظبية مشدودة في وثاق وأعرابي نائم عندها
فقال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي خشفان في ذلك
الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال صلى الله عليه
وسلم وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار إن لم
أعد فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم
فانتبه الأعرابي فقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب
برجليها الأرض وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

وسلم

ولم يرد المصنف الحصر في هذين فقد صح أن الذيب البعه وأخبر بنبوته
صلى الله عليه وسلم كما جاء من طرق منها طريقان صحيحان حاصلهما
أنه أخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال ألا تتقي الله تنزع مني
رزقا ساقه الله إلي فتعجب الراعي من كلامه له فقال ألا أخبرك
بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق وفي
رواية صحيحة بما مضى وبما هو كائن فأتى الراعي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأمر أن ينادى بالصلاة جامعة ثم
أمر الراعي فأخبرهم وفي رواية عند سعيد بن منصور في سننه
أن الذيب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن هذا وافد الذياب
جاء يسألكم أن تجعلوا له شيئا من أموالكم فقالوا والله لا نفعل
فأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فأدبر الذيب وله عواء فقال
صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب وكلمه صلى الله عليه وسلم
الحمار أيضا على ما ورد في حديث طويل أنكر قال ابن الجوزي إنه موضوع
وكلمه أيضا الجمل كما جاء في عدة طرق بعضها سنده جيد
وبعضها سنده صحيح وحاصلها أن جماعة من الأنصار شكوا
إليه صلى الله عليه وسلم جملهم وأنه امتنع من العمل حتى عطش
النخل والزرع فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم قوموا
فقاموا ودخل الحائط فمشى إليه فقالوا يا رسول الله إنه صار
كالكلب الكلب فقال ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل إليه أقبل

رجل

نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذ لما كان فقط حتى
ادخله في العمل الحديث وفي رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم
دخل حائطا فرءاه جمل فحن اليه وذرفت عيناه فمسح قريب راسه
من فعاله ثم قال لربه لا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك
الله اياها فانه شكا الي انك تجيعه وتذيبه اي تتعبه وجاء
بسند ضعيف ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم وسلوا اي
نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية
نزاهته ونهاية كماله والحال انه قد حن جذع اليه كما جاء
من طرق كثيرة صحيحة وغيرها يفيد مجموعها التواتر المعنوي
الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به وعلى التواتر المعنوي يحمل
قول التاج السبكي والصحيح عندي ان حنينه متواتر وسبقه
لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يعمل له
المنبر كان يخطب مستندا الى جذع نخل من الجذوع المسقوف
عليها المسجد فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضع موضعه
الان بمسجده صلى الله عليه وسلم ثم تخطى الجذع يوم الجمعة
ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد
وفي رواية انه خار كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي
اخرى خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى فجعل يئن انين الصبي
وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها فنزل اليه صلى

وسلوا وحن جذع اليه
وقلوه وود الغرباء

الله

الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن وفي رواية فمسحه
بيده فلعله صلى الله عليه وسلم وعد به الامرين وفي اخرى ان هذا
بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده لو لم
التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه
وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم بل اشار
الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع من احياء عيسى عليه
الصلاة والسلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم
بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم
خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه في الجنة
ياكل اولياء الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال اختار دار البقاء على
دار الفناء وامر به فدفن ومر في شرح قوله والجمادات افصحت
الخ ما له تعلق بذلك وقلوه اي ابغضوه والحال انه قد ود
اي احبه وبين السلو والجفو والقلا والود الطباق كما هو بين
الاخراج والايواء الاتيين وكان المراد في الاول ان السلو يدل
على سبق المحبة والالف والجفو يدل على سبق البغض والايذاء
الغرباء الذين هم ليسوا من عشيرته صلى الله عليه وسلم ولا من قومه
ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار الاوس
والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج في الموسم الذي

لقيهم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل
موسم فلقي بعض الخزرج عند العقبة فقال صلى الله عليه وسلم
من انتم قالوا من الخزرج قال افلا تجلسون اكلمكم فجلسوا فدعاهم
الى الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا
نعته لان يهود المدينة كانوا يقولون لهم ان نبيا يبعث الان
نتبعه ونقتلكم معه فاجابوه لئلا تسبقهم اليهود اليه
واسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون ظهري حتى نبلغ رسالة
ربي فقالوا ندعو قومنا الى ما دعوتنا اليه فان اجابوا فلا احد
اعز منك وموعدك الموسم العام القابل فلما وصلوا المدينة
لم تبق دار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه في
العام القابل اثنا عشر خمسة من الستة والبقية من الخزرج
ايضا الا رجلين فمن الاوس وهذه هي العقبة الثانية فاسلموا
وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا فاظهر الله الاسلام
فيهم فكان سعد بن زرارة يجتمع بالمدينة بمن اسلم ثم ارسلوا
يطلبون من يعلمهم القرآن فارسل اليهم مصعب بن عمير فاسلم
على يديه جمع كثير منهم سيد الاوس سعد بن معاذ واسيد
ابن حضير واسلم باسلامهم جميع بني عبد الاشهل رجالهم
ونساؤهم في يوم واحد ولم يكن فيهم اعني بني عبد الاشهل
منافق ولا منافقة ثم قدم في العام القابل في الموسم نحو

سبعين

فبايعهم

سبعين رجلا وهي العقبة الثالثة فبايعوه على انهم يمنعونه
مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود
وعن جابر مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتبع الناس في
منازلهم في المواسم بمنى وغيرها يقول من ينصرني حتى ابلغ
رسالة ربي وله الجنة حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث
وفيه وعلى ان تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما
تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم ولكم الجنة وحضر
العباس رضي الله عنه هذه المبايعة فاكد عليهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من
بقي معه بالهجرة الى المدينة فخرجوا ارسالا واقام ينتظر
الاذن له في الهجرة واستاذنه ابو بكر فقال لا تعجل لعل الله
ان يجعل لك صاحبا فطمع ابو بكر في ان يهاجر معه صلى الله
عليه وسلم ولما بلغهم انه بويع وامر من معه ان يلحقوا بالمدينة
وانه ظهر امره بها اشتوروا بدار الندوة ثم اجمعوا ان يحبسوه ٢ نخ يثبتوه
او يقتلوه او يخرجوه فاعترضهم ابليس في صورة رجل جميل
واظهر لهم انه يريد نصحهم وامرهم ان يعرضوا عليه اراءهم
ليختار انفعها لهم فقيل نحبسه فقال ان ينتزع منكم فقيل
نخرجه فقال ياتيكم بما لا طاقة لكم به فقال ابو جهل ارى ان
تاخذوا من كل قبيلة غلاما قويا ثم تعطوهم شفارا فيضربه

كل بضربة فيتبعون دمه في القبائل فلم يقدر اهله على حرب قومهم
فيأخذوا ديته فقال ابليس لله درك هذا هو الرأي فاجمعوا عليه
فأتاه جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في الليل على ببابه عليه الصلاة والسلام
بابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فامر عليا بان يقام مكانه ثم
خرج عليهم فلم يبق احد منهم الا اخذ الله على بصره فلم يره
ونثر على راس كل واحد منهم ترابا كان في يده صلى الله عليه وسلم
وهو صلى الله عليه وسلم يتلو يس الى لا يبصرون وصح انه ما اصاب
احدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخيبتهم فوضع كل
يده على راسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية ثم اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
في الهجرة كما قال اخرجوه بدل من جيوه منها اي كان السبب
في خروجه من تلك الارض التي هي مولده ومرباه وموطنه وموطن
اباءه واحب ارض الله الى الله والى رسوله كما صح عنه صلى الله
عليه وسلم ثم قال ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت ويقولي نحي منها
كان السبب الخ اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن فهو
السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه بما الغتم
في ايذايه وايذاء اصحابه لا سيما ضعفاؤهم هو الحامل على انتظار
الاذن له في الخروج مدة حتى وجد فتسببهم سبب الاستيذان
ووقوع الاذن فاستفادة الاخراج اليهم لذلك اظهر منه للاذن

اخرجوه منها واوا الغار
وجهته حمامة ورقاء

تعويلا

تعويلا على سبق السببين مع كون الاول سببا للثاني ايضا كما
تقرر وكان ذلك بعد العقبة الثالثة بنحو ثلاثة اشهر يوم
الاثنين هلال ربيع الاول او الخميس الذي يليه ووصل المدينة
يوم الاثنين ثماني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم
الخميس ومن الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليؤدي ما عنده من
الودايع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال انه
قد اذن لي في الخروج فقال الصحبة يا رسول الله قال نعم قال فخذ
احدى راحلتي قال بالثمن ليتمحض هجرته لله ولا يكون لاحد
فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال
واوا الغار ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها
وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور
اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور
وشق عليهم خروجه وجزعوا منه وجعلوا لمن رده ماية
ناقة ولما دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان
فحجبت عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين
فوقفتا على فم الغار كما قال وجهته منهم حمامة فيه جناس
سبق نظيره ورقاء وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد
قيل فحمام الحرم من نسلهما ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش
من كل بطن لما اقبلوا باسلاحهم جعل بعضهم ينظر في الغار

فلم يرَ الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له ما لك قال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية بن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وفي مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى ما اي الامر الذي كفته اياهم الحمامة الحصداء ، اخذ من قولهم شجرة حصداء اي كثيرة الورق فاستعار للحمامة لكثرة ريشها ووصف الحمامة بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف بمتضادين او متماثلين وروي ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخل لتكسر البيض وتفتح نسج العنكبوت قال الايمة وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا ينسج عليه وفيه احد لما جرت العادة انهما متوحشان منهما احسا بالانسان جرا منه وما علموا ان الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده وان وقاية الله عبده بما اراده تغنيه عن التحصن بالامكنة والاسلحة

وفي

وكفته بنسجها عنكبوت
ما كفته الحمامة الحصداء

وصح ان ابا بكر الصديق قال يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ولذا قال الناظم واختفاء منهم على قرب مرآه أي محل رؤيته وفي ذكر الناظم لهذا تعجيب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة وحكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى ما تحت قدميه كما تقرر ان من جملة شدة الظهور عليهم بالغلبة والمعونة الالهية له الخفاء عنهم الذي حصل له خرقا للعادة ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعمال الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته بالخفاء توهم انه اراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام وهو ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطي او الحقيقة والمجاز احدهما بعيد فيقصد ويوري عنه بالقريب ليتوهم السامع من اول وهلة وهو هنا ضد الخفا الموهم له قوله واختفاء قال الزمخشري لا نرى بابا ادق ولا الطف من التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام الله ورسوله نحو الرحمن على العرش استوى اريد من الاستواء معناه البعيد الذي هو الاستيلاء دون القريب الذي هو الاستقرار في المكان لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه لم يذكر فيها شيء من لوازم المورى به ولا المورى عنه والحق بها ما ذكر فيه لازم كل منهما

واختفاء منهم على قرب مرآه
ومن جملة الظهور الخفاء

لأنهما تكافيا حينئذ ومنه ما في البيت فإنه ذكر فيه لازم كل
منهما بذكر اختفى وبالخفاء المتبادر منه أنه ليس المراد بالظهور
ضد الخفاء إذ ذكر لازم أحدهما سميت مرشحة نحو والسماء بنيناها
بأيد فإنه يحتمل الجارحة وهو المورى به ورشح له بذكر البناء
ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود وزاد بعضهم في
حد التورية مع صحة كل من المعنيين ولا معنى لهذه الزيادة كما
علم مما تقرر في ابن الأستواء والبناء ولعله أراد في الجملة لا
بالنظر لما الكلام فيه وعليه فوجه صحة الظهور الذي هو
ضد الخفاء هنا أن من المعلوم أن شدة قرب المرئي من العين توجب
عدم إدراكه له فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه
ولا يمنع منه أن الأول عادي والثاني خارق للعادة وكالتورية في
كونه أشرف أنواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها
ولهم في حده عبارتان أشهرهما أن يؤتى بلفظ له معنيان
فأكثر يراد به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره ويراد به المعنى الآخر
وروي أن أبا بكر رضي الله عنه نظر إلى قدميه صلى الله عليه وسلم
في الغار فقطرتا دما لأنه صلى الله عليه وسلم لم يتعود الحفا فبكى
وأنه دخل قبله ليقيه بنفسه وأنه رأى جحرا فيه فألقمه عقبه
فجعلت الحيات والأفاعي تضربه وتلسعه فجعلت دموعه تنحدر
وفي رواية عند رزين فدخل صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه في

حجره

حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه
على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك قال لدغت فتفل
عليه فذهب ما يجده وروي أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه
وقال إن قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة فقال
صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا أي بالمعونة والنصر فأنزل الله
سكينته عليه أي أبي بكر لأنه الذي انزعج وهي أمنة تسكن عندها
القلوب وأيده أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها
أي ملائكة يصرفون أبصار الكفار عنه وبين قول نبينا صلى الله عليه
وسلم إن الله معنا وقول موسى عليه الصلاة والسلام كلا إن معي
ربي سيهدين ما بين مقاميهما إذ كمال الإمداد للأتباع ليس إلا للنبي
صلى الله عليه وسلم فأمد أبا بكر بشهود المعية أيضا وقصرها
موسى عليه الصلاة والسلام على نفسه وأيضا فشتان بين
معية الألوهية ومعية الربوبية والمشهور أنه صلى الله عليه
وسلم مكث في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله ابن أبي بكر مع صغر
سنه يأتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت
بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما
من لبن واستأجرا عبد الله بن الأريقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف
له إسلام فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث
ليال فأتاهما وسار معهم عامر بن فهيرة فأخذ بهما طريق البحر

ثم

ونحو اي فضل المصطفى على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم
المدينة المسماة بطيبة لان الله تعالى طيبها بهجرته اليها
ووقعت في طريق الهجرة غرائب منها انهم مروا بقديد على ام
معبد الخزاعية وكانت تسقي وتطعم من يمر بها وكانت في سنة
فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوه فنظر الى شاة
خلفها الجهد عن الغنم فسألها هل بها من لبن فقالت هي اجهد
من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم
فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى
القوم حتى رووا ثم شرب اخرهم ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد
نهل وتركوه وذهبوا فجاء زوجها فعجب منه فذكرت له القصة
واوصافه صلى الله عليه وسلم فقال هذا والله صاحب قريش ولو
رايته لاتبعته واخرج ابن سعد وابو نعيم ان تلك الشاة بقيت
عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن عمر رضي الله تعالى عنه ثم
تعرض لهما بقديد سراقة كما ياتي وروى البيهقي انهما اجتازا
بعبد يرعى غنما فاستسقياه لبنا فاتاهما بشاة لا لبن فيها
فحلبها صلى الله عليه وسلم بعد ان دعا وسقى ابا بكر ثم الراعي ثم
شرب وهذا محمول على علمه بسيد العبد مع رضاه والجواب
بان هذا مال حربي غير محترم لان هذا قبل مشروعية الجهاد ومع
عدم مشروعيته لا يحل مال اهل الحرب كما لا يحل قتالهم لان الواجب

وفي الاصطلاح المدينة واشتهر
من مكة [illegible]

حينئذ مسالمتهم ولا تتم الا بترك التعرض لاموالهم كنفوسهم
ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم صاروا
يخرجون كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما
وعادوا الى بيوتهم واذا بيهودي على موضع عال فرآه فصاح هذا
جدكم اي حظكم يا بني قيلة اي الاوس والخزرج فخرجوا اليه سراعا
بسلاحهم فنزل بقباء فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون ان ابا بكر رسول الله لانه
اسرع اليه الشيب مع انه اصغر سنا منه صلى الله عليه وسلم حتى
اذا اصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك يوم الاثنين
قيل اول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك وادركه علي بقباء ولم
يقم بعده بمكة الا ثلاثة ايام ثم امر صلى الله عليه وسلم بالتاريخ
فكتب من حين الهجرة واقام بقباء اربع عشرة ليلة كما في مسلم
واسس مسجدها وهو اول مسجد بني في الاسلام ولذا كان الاصح
انه الذي اسس على التقوى من اول يوم ثم ركب من قباء يوم الجمعة
وصلاها بمسجد الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما مر بدار
من دور الانصار سالوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اي
ناقته فانها مامورة وارخى زمامها فاستمرت الى ان بركت موضع
باب المسجد ثم ثارت منه وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى
بركت بباب ابي ايوب ر بسر بني النجار اخوال عبد المطلب ثم

ثارت منه وبركت في مبرك بعيرها الأول ثم صوتت فنزل صلى الله عليه
وسلم عنها وقال هذا المنزل إن شاء الله واشتقاق من الشوق
وهو تحرك النفس وهو هنا مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة إذ
لا بدع في ميل الجمادات له حقيقة بأن يخلق الله فيها إدراكا
حقيقيا ومنه وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولو أنزلنا هذا القرآن
على جبل الآية وتسبيح الحصا وتأمين أسكفة الباب وحنين الجذع ونحو
ذلك مما هو إذ الأصح في مثل ذلك مما لا يحيله العقل ولا الشرع حمله
على حقيقته كما في حديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على حوضي ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين أنه
صلى الله عليه وسلم أرسل حتى إلى الجمادات لتصريح خبر مسلم بذلك في
قوله صلى الله عليه وسلم وأرسلت إلى الخلق كافة إليه من مكة التي
هي مولده صلى الله عليه وسلم وأم القرى وأفضلهن عند أكثر العلماء
الأنحاء أي الجهات والنواحي لأنها كانت معمورة بأنفاسه صلى
الله عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحا والأنحاء جناس الاشتقاق
إن قلنا إن الأنحاء جمع ناحية بمعنى منحوة أي مقصودة ورد العجز على
الصدر وكذا بين تغنت والغناء وناداه والندا الأبيات وتغنت بمدحه
أي أظهرت أوصافه الجميلة في صورة الغناء الذي تتولع به النفس
ولا بعد فيها منشئ لغيره الجن المؤمنون ومرت قصة إيمانهم
وإرساله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الجن أمر معلوم من الدين بالضرورة

وتغنت بمدحه الجن حتى
أطرب الإنس منه ذاك الغناء

فيكفر

فيكفر منكره كما أجمع عليه الأمة حتى أطرب الإنس المؤمنين
بل وغيرهم منه أي الجن ذاك الغناء الذي سمعوه والطرب خفة
تعتري الإنسان عند شدة حزن أو سرور ذكر أهل السير عن
أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت لما خفي علينا أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل
فقال أين أبوك فقلت والله ما أدري فلطم خدي لطمة خرج منها
قرطي ولما لم يدر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل
من الجن يسمعون صوته ولا يرونه وأنشد هذه الأبيات

جزى الله رب الناس خير جزائه ، رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ، فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ، به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ، ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ، فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت ، له بصريح صرة الشاة مزبد

والصرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين أوله وآخره الخالص أي
باللبن خالص مزبد نازل من صرة الشاة

فغادرها رهنا لديها لحالب ، يردده في مصدر ثم مورد

أي خلف الشاة عندها مرتهنة بأن تدر قالت أسماء فلما سمعنا
قول الجني هذا علمنا أين توجه النبي صلى الله عليه وسلم ولما

وصل صلى الله عليه وسلم في سفر هجرته الى قديد محل قريب من رابغ
اقتفا اي اتبع اثره سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي قال جاءنا رسل
كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا او اسرا ديتين فركبت مستخفيا
فلما دنوت منهما عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا
سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر
يلتفت فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله اتينا قال كلا ودعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدعوات فاستهوته في الارض صافن اي طلبت
ان تهوي به فيها هذا مقتضى الصيغة وليس مرادا بل السين
لمجرد التاكيد لان الذي في القصة انه صلى الله عليه وسلم لما دعا
بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه في الارض حتى بلغت الركبتين
فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج يداها فلما استوت
قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء كالدخان
والصافن من الخيل الذي يقوم على ثلاثة قوائم ويقيم الرابعة على
طرف الحافر جرداء اي رقيقة الشعرة قصيرته وهذه صفة مدح
في الخيل واصله للشجرة التي لا ورق فيها فاستعير للفرس ثم ناداه
اي سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعدما وصل اليه وقال الامان
يا محمد بعدما مصدرية سيمت الفرس الخسف بفتح اوله وضمه
قال الشارح في موضع اي اوليته ذلا وقال في اخر اي بعدا سامته
الخسف للفرس اي بعد حصول الذل للفرس المذكورة وكان الحاصل

واقتفا اثره سراقة فاستهوته
في الارض صافن جرداء

ثم ناداه بعدما سيمت الخسف
وقد ينجد الغريق النداء

له على هذا ان ظاهر النظم انه لم يخسف بالفرس حقيقة وليس
كذلك لما علمت ان قوائمها غاصت في الارض فحصل لها الخسف
الحقيقي لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت الخسف بالنظر الى
كلها اي سيمت ان يخسف بها كلها وحينئذ لا يحتاج لما قاله
الشارح فتامله ثم رايت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته فقال
يقال سمته خسفا اوليته ذلا او كلفته مشقة ويحتمل ان يريد
بعد ما قاربت ان يخسف بها ومن الحكم المناسبة هنا لانها
كالتسبب لما قبلها فهو تذييل انه قد ينجد الغريق النداء اي
الدعاء لله بانكسار وتذلل كما وقع ليونس صلى الله على نبينا
وعليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين قال تعالى وذا النون اذ ذهب
مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي نضيق عليه بسبب مغاضبته
وفراقه لقومه لا باذنهم عليه فنادى في الظلمات الاية اذ النداء
رفع الصوت لطلب تخليصه لانه قد لا يعلم او لا يعبا به احد
فاذا نادى وصاح تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان
قال اعلم انكما قد دعوتما علي فادعوا لي ولكما ان ارد الناس
عنكما ولا اضركما قال فوقعا لي فركبت فرسي حتى جئتهما قال
ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبرتهما اخبار ما يريد بهم الناس وعرضت
عليهما الزاد والمتاع فلم يرزءاني اي لم ياخذا مني شيئا وقالا

اخف عنا فسالته كتابا امز به فامر عامر بن فهيرة فكتب لي في
رق من ادم اخرجه اليه يوم حنين فنفذها وامنه ومن يلوذ به

تنبيه ذكر الناظم الهجرة وبعض ما وقع فيها من المعجزات مع
انه سيذكر وقايع وقعت له بمكة قبل الهجرة كالاسرا وكان
مقتضى الواقع ان يذكر هذه كلها قبل ذكر الهجرة ليوافق الترتيب
في الذكر الترتيب في الواقع ولعله اهتم بشان الهجرة فقدمها
لتنقيه النفس الى حكمة ذلك وهي انه انقطع بها عنه صلى
الله عليه وسلم كل ايذاء كان يصل اليه من قريش وترتب عليه
الظفر بهم حتى استاصل شافتهم وقطع دابرهم **قطوى**
الارض في حال كونه سايرا عليها وهذا كما طويت له قبل ذلك
السماوات العلا لما كان **فوقنا له اسراء** ليلة الاسراء الى
ان جاوزها جميعها في اسرع وقت فقطع مسيرة نحو ثمانية
الاف سنة في اسرع وقت اذ بين الارض والسماء خمسماية سنة
وكذا سمك كل سماء وما بين كل سماء ثم هذا بالنسبة الى السماء
السابعة واما ما فوقها وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب
قوسين او ادنى فلا يعلمه الا الله تعالى فيا لهما من مسيرتين
مسير في الارض ومسير في السماء اظهر الله عليه فيهما عظيم
قدره في مسيره واسرايه وافضليته تقدمه على جميع خلقه
في ارضه وسمايه قال بعض الايمة والمعاريج ليلة الاسرى

عشرة

قطوى الارض سايرا والسما
وات العلا فوقنا له اسراء

عشرة سبع في السماوات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع
الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار
والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة
والكشف الحقيقي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم في سني
الهجرة العشر ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعارج
العشرة ولهذا ختمت بوفاته التي فيها العارية والعروج
بروحه الكريمة الى الوسيلة وهي المنزلة التي لا ارفع منها
كما ختمت معاريج الاسرا باللقا والحضور بحضرة القدس **فصل**
ابتدا الناظم في شمايله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته وما
اكرمه الله به تلك **الليلة** وهي ليلة الاثنين او الجمعة او السبت
من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووي في الروضة او الجمعة
او ثالث عشر ربيع الاخر وجرى عليه النووي في فتاويه او من ربيع
الاول وجرى عليه في شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه
النووي او بعشرة او باحدى عشرة او ثنتي عشرة اقوال رجح كالاقوال
التي وقع ذلك الاسرا فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه
الى السماء ثم الى حيث شاء الله ورأى من ايات ربه الكبرى اي
اذكر صفاتها الجليلة بما يمكنك والافهام لا تستوعبها او
ان تاتي بتفصيل ما يحيط بها كيف وقصة الاسرا والمعراج من
اشهر المعجزات واظهر البراهين والبينات واقوى الحجج واصدق

فصل في الليلة التي كان للمصطفى
فيها على البراق اسراء

الانبياء واعظم الآيات ومن ثم قال بعض المفسرين انها افضل من
ليلة القدر لكن بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما
لا يحيط به الحد ولذا كان الاسراء بالجسم في اليقظة من خصائص
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومخالف في كونه بالجسم وكونه في
اليقظة من لا يعتد بخلافه وزعم تعدد الاسراء لتباين الروايات
فيه تباينا مفتشرا او لا يمكن الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم
تارة وبالروح اخرى مردود والاصح انه اسراء واحد بالجسم والروح على الاصح الخ
في اليقظة وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تاويله تعين
والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسراء كان قبل البعثة
فان الاجماع على انه بعدها على انها اولت وكان للمختار صلى الله
عليه وسلم فيها عجائب منها انه جاءه جبريل عليه الصلاة
والسلام وفي رواية وميكائيل وفي اخرى ذكر ثالث ولا مانع ان
جبريل نزل اولا ثم ميكائيل ثم الثالث بالحطيم او شعب ابي طالب
او بيته او بيت ام هانئ بعد ان فرج سقفه روايات تجمع بينها
بانه بات في بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابي طالب واضيف
اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد فاضطجع
لاثر نعاس كان به صلى الله عليه وسلم ثم اخذه فاخرجه من المسجد
فاركبه البراق فاستمر يقظته فرواية انه كان بين النائم
واليقظان محمولة على ابتداء الامر ورواية فلما استيقظت اي

من

من شغل البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم ياته من
باب البيت انه انصب من السماء انصبابة واحدة بازاء محله الذي
هو فيه ولم يعرج على غيره مبالغة في المفاجاة وتنبيها على
ان الطلب وقع على غير ميعاد لاظهار انه مراد ووقع لموسى
بميعاد تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج
سقف البيت والتئامه عقبه تنبيه على شق صدره الشريف
تلك الليلة وانه لا باس عليه فيه ومرت قصة شقه هنا عند
ذكر الناظم لشقه عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك
لما اخرجه من المسجد اركبه على البراق وكان له عليه استواء
اي استقرار وتمكن مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس
ما يركبه الآدميون وهو كما صح به الخبر دابة اي تشبهها اذ
هو ليس بذكر ولا انثى دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه
عند اقصى طرفه وذكره باعتبار كونه مركوبا وسمي بذلك
من البرق لسرعة سيره او من البريق او من قولهم شاة برقاء
اذا كان في خلال بياضها سواد وقوله يضع خطوه الخ معناه
انه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره وقال ابن المنير اي
يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون
قطع من الارض الى السماء في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض
يقع على السماء فبلغ اعلى السماوات في سبع خطوات انتهى

وهذا انما يأتي على رواية فحملت عليه اي على البراق حتى انطلق بي
جبريل الى السماء الدنيا اذ ظاهرها انه استمر عليه حتى وصل الى
السماء والمشهور انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له
المعراج كما يأتي وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت
رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان
وفي اخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم
كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء وفي
رواية صحيحة انه اتي به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال
له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم على الله منه
قال بعض فارفض عرقا وظاهرها كصريح رواية النسائي وابن مردويه
وكانت تسخر للانبياء قبله ان الانبياء كانوا يركبونها ولم يطلع
عليها بعضهم فينفي ركوب غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه
ليس لعدم الفة الركوب بل لبعد عهده بها او ليظهر جبريل له
مرتبته صلى الله عليه وسلم وانما علت على سائر المراتب وانما
لم يكن البراق على شكل الفرس اشارة الى ان ركوبه في سلم وامن
لا حزن وخوف وان ظهور المعجزة بوقوع هذا الاسراع الباهر
من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على البراق رديفا له
ورواه احمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت
المقدس واول بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ ركوب جبريل

معه

معه لا ينافي كونه في خدمته وصح انهما مرا بيثرب فامره ان ينزل
ويصلي وبمدين فامره بذلك وببيت لحم الذي ولد فيه عيسى عليه
الصلاة والسلام فامره بذلك واراه عجائب اخرى الى ان وصلا الى
بيت المقدس فنزلا فربطه اي جبريل كما في رواية لكن في اخرى ان
النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة
التي كانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تربطه بها ثم دخل
وبعث له جماعة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم
وصح في رواية اتى بارواح الانبياء اي مع اجسادهم لرواية ثم
دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين راكع وقائم وساجد
ثم اذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا
فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي رواية لاحمد فاذا
النبيئون اجمعون يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة
منهم فيؤخذ بتلك الزيادة وفي حديث ما يدل على انه صلى بهم
في بيت المقدس بعد العروج ايضا وتلك الصلاة قبل الصبح اي
بناء على انه صلى فيه بعد العروج وقبل العشاء اي بناء على انه صلى
فيه قبله ولما فرغ من امامتهم نصب له المعراج كما في رواية
ابن هشام والبيهقي وغيرهما ووضعت له مرقاة من فضة ومرقاة
من ذهب وعن يمينه ملائكة وعن يساره الملائكة ثم صعد فيه
هو وجبريل حتى انتهيا الى باب السماء الدنيا فاستفتحاه ففتح

لهما وهكذا الى السماء السابعة ورأى في السماء الاولى آدم وعن
يمينه ارواح بنيه المؤمنين فاذا نظر اليهم ضحك وعن يساره
ارواح بنيه الكفار فاذا نظر اليهم بكى اي انه يكشف له عنهم
وهم في النار التي هي مستقر ارواحهم والنيل والفرات اي انتهاؤ
هما والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى وفي الثانية يحيى وعيسى
وفي الثالثة يوسف وفي حديث البيهقي وغيره فاذا انا برجل اي
يوسف احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة
البدر على سائر الكواكب والمراد غير نبينا صلى الله عليه وسلم لخبر
الترمذي ما بعث الله من نبي الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا على ان للاصوليين
قولا مشهورا اعتمده النووي وغيره في موضع واعتمده آخرون
ايضا ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين
المراد اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم
وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى
وفي السابعة ابراهيم وهذه مقدمة على رواية من لم يضبط
منازلهم وعلى رواية ادريس في الثانية وهارون في الرابعة
وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة لان نسيا فهما
يدل على انه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى
التي فيها انه ضبطها اولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة

بو

في ذلك بانه رآهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات
اخر فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته
بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وبكاؤه ليس
بحسد حاشاه الله من ذلك بل غبطة وحزنا على ما فاته من
مضاعفة اجور نبينا بكثرة اتباعه وصالحيهم الموصل الانهاية
له او رحمة لامته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه
الامة وذكره بغلام لانه اصغر منه سنا لان قوة الشباب معه الى
سن الشيخوخية وحكمة تخصيص هؤلاء باللقاء الاشارة بكل الى
ما سيقع له كالاخراج من الجنة ثم العود اليها والهجرة من مكة
ثم العود اليها وكمعاداة اليهود له اول الهجرة كما عادوا
عيسى وارادوا قتله ويحيى وقتلوه وكمعاداة اهله له وكرجوع كيوسف
قومه الى محبته كما رجع قوم هارون الى محبته وكمعالجته لقومه
كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة وتمتعه بها كما وقع
لابراهيم ومن ثم رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور الذي يحاذي
الكعبة ويدخله من حين خلق الله الخلق الى الابد كل يوم سبعون
الف ملك فلا يعودون اليه واخذ منه ان الملائكة اكثر المخلوقات
واختلفوا في رؤيته لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقيل
لارواحهم الا عيسى عليه الصلاة والسلام فانه رفع بجسده وكذا
ادريس على قول واختلف فابلوا هذا في الذين صلوا معه في بيت

٨٧

بل

المقدس وقيل الارواح ايضا وقيل الاجساد وقيل خرق الله الحجب له
حتى رآ كلا في قبره من المحل الذي اخبر به وقيل رفعوا من قبورهم
تلك الليلة لتلك المواضع اكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد ان جاوز
السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها وقد غشيها
من امر الله تعالى ما غشي حتى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها وراى النيل والفرات وسيحان وجيحان تخرج
من اصلها وفي رواية انها من الجنة لا يعارض ذلك لان ذلك الذي ينبع
منه تلك الانهار في الجنة فلا ينافي ما قيل ان اصلها في السماء
السادسة وعليه تحمل رواية انه صلى الله عليه وسلم رآها فيها
واعلاها في السابعة وعليه يحمل ما مر انها فيها وسميت بذلك
لانه ينتهي اليها علم الخلائق ولم يتجاوزها احد الا نبينا صلى
الله عليه وسلم قاله النووي رحمه الله تعالى ويتعين حمله على انه
لا يتجاوزها من الملائكة الذين ينزلون الى الارض ويصعدون بالاعمال
لما ياتي من انه صلى الله عليه وسلم جاوزها الى مستوى يسمع فيه
صريف اقلام الملائكة ثم ادخل الجنة واحاط بها ثم عرج به
صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري حتى ظهر بمستوى اي محل
عال يسمع فيه صريف الاقلام اي تصويت اقلام الملائكة بما يكتبونه
من اقضية الله تعالى وفي رواية لم تثبت كسائر روايات الحجب ثم
زج بي في النور زجا فخرقت سبعين الف حجاب كل حجاب مسيرة

خمسمائة

خمسمائة عام ثم دلي لي رفرف اخضر ثم احتملني حتى وصلت الى
العرش وهذه الحجب بعرض حقيقتها انما هي بالنسبة للمخلوقين
واما هو تعالى فلا يحجبه شيء وصح عن انس عنه صلى الله عليه وسلم
قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار اي قربه المعنوي
كما ارشد اليه قوله رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين
او ادنى كما قاله الناظم وترقى اي صعد البراق به الى قاب
قوسين وقاب القوس ما بين مقبضه وآخره ولكل قوس
قابان ومن ثم قيل في الاية قلب اي قابي قوس ويرد بانه لا يتعين
ذلك بل المراد تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه
بقرب قاب القوس اذا الصق بقاب قوس آخر ثم رايت بعضهم
قال قاب قوسين اي مقدار قوسين وقاب قوس اي قدر طولها
وقيل قدر الوتر منها قال الجوهري تقول بينهما قاب قوس اي
قدر قوس تنبيه ما ابهمه كلام الناظم ان البراق ترقى
به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت عليه رواية
البخاري ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى
السماء الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى السماء الثانية
وهكذا الخ لكن صرحت الاحاديث بانه استمر على البراق الى بيت المقدس
لا غير ولهذا في الشفا وذهب بعضهم الى ان الاسراء على البراق مرتين
مرة الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما مر

و ثم صرح الى قاب قوسين
وتلك السعادة ذات الفضل

وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس ومرة
من مكة الى السماء لكن رده هذا بأن الاصح انه لم يتعدد وانه لا تنافي
وانما الذي ذكر ذهابه عليه من مكة الى السماء اختصر ذكر بيت
المقدس وفيه نظر لان رواية البخاري السابقة صريحة في انه
لا معراج وانه استمر راكبا على البراق الى السماء الدنيا ثم التي
بعدها وهكذا وجرى عليه الناظم كما علمت فالاولى الجواب
جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس والمعراج معه زيادة
علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج الى سماء الدنيا ركب
البراق واخترق به السماوات وما فوقها وبهذا اعني رواية البخاري
الظاهرة فيما في النظم والجمع بينها وبين الرواية الاخرى
المشهورة التي عليها العمل يظهر عذر الناظم في ذكره انه
ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر والحاصل انه
بعد وصوله لسماء الدنيا يحتمل انه استمر راكبا على البراق على
ظاهر الرواية الاولى وانه جيء له به ثانيا على الرواية الثانية
ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شيء تعظيما للسماوات ومن فيهن
اذ هن افضل من الارض عند الاكثرين وعلى مقابله المشهور لان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الارض وفيها مدفنهم ومستقرهم
وهم افضل من الملائكة فتعظيما لمن فيهن ممن اجتمع به من الانبياء
والملائكة لا بفضل السماء لم يعظم الله فيها بخلاف الارض لانا نقول

هذه

هذه مزية وقد تكون في المفضول مزايا على ان ذلك منتقض بما
وقع لآدم وحواء وابليس وادعاء انهم لم يكونوا في السماء
يحتاج لدليل وعلى التنزل فقد تكون المعصية تقع في محل دون محل
تقتضي افضلية الثاني لذاته ثم انه غير مسلم فقد ادعي اثباته
بدليل يدل له وانما قلنا فالاولى الجواب الخ ولم نقل بالتعدد لان
مجرد اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا يقتضيه على ان ما
وقع في تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر في كل من رواية
الى السماء ورواية الى بيت المقدس وهذا صريح في اتحاد الاسرا
وعدم تعدده فتأمل ذلك كله فانه مهم واعلم ان هذا التدلي
والدنو المذكور في حديث انس وغيره من احاديث المعراج غير
الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان هذا في حق جبريل كما صح
عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره في صورته التي خلق
عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة اخرى عند اوائل
البعثة كما مر وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج هي السعادة القعساء اي الثابتة الدائمة التي
لا يطرقها نقص تغيير ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى ذلك
القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى امته في كل
يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى عليه الصلاة والسلام
فسأله عما فرض الله عليه وعلى امته فاخبره فامره ان يرجع الى

ربه ويسأله التخفيف لأمته فإنهم لا يطيقون ذلك فرجع وسال
فحط عنه خمسا ثم رجع فأمره بالرجوع أيضا فرجع فحط عنه
خمسا وهكذا إلى أن بقيت خمسا فأمره بالرجوع وقال له إن بني
إسرائيل فرض عليهم صلاتان فما قاموا بهما فقال استحييت من ربي
وفي رواية علمت أنها عزمة من ربي فلا أراجعه فقال تعالى هن
خمس أي في الفرضية وهن خمسون أي في الثواب لا يبدل
القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة أنه صلى الله عليه وسلم
لما شاهد تعبد الملائكة فيها وأن منهم مديم القيام ومديم
الركوع ومديم السجود أعطاه الله ذلك كله لأمته في ركعة يصليها
الواحد منهم بشروطها وآدابها واختص موسى عليه الصلاة
والسلام بأمره بتلك المراجعة لأنه اطلع من صفات هذه على ما حمله
من قوله اللهم اجعلهم أمتي فقال له الله تعالى تلك أمة أحمد فقال
اللهم اجعلني منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما
يعتني بالقوم من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت
بموسى ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية كان أشدهم علي حين
مررت به وخيرهم لي حين رجعت فائدة اختلف العلماء قديما
وحديثا في أن نبينا صلى الله عليه وسلم هل رآه ربه في هذا المقام
الذي وصل إليه دون غيره من الخلق بعيني رأسه أو بعين قلبه فقط
والذي صح عن ابن عباس في رواية أنه رآه ببصره وفي أخرى أنه

رآه بقلبه ولا تخالف لأنه صح عنه كما رواه الطبراني بإسناد رجاله
رجال الصحيح إلا واحدا فوثقه ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم
رآه مرتين واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى أنه تعالى خلق فيه
إدراكا كإدراك البصر وليس المراد مجرد العلم لأنه حاصل له أبدا وقبل
فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره بعينه لم تصح
وبتسليمها فالإثبات مقدم على النفي وجاء عن أنس بإسناد قوي
رأى محمد ربه وإطلاق الرؤية إنما ينصرف لرؤية العين وكان الحسن البصري
رحمه الله تعالى يحلف أنه رأى ربه وبذلك قال عروة وسائر أصحاب ابن
عباس وجزم به كعب الأحبار والزهري ومعمر وآخرون وهو قول ٦١
الأشعري وغالب أتباعه وأنكرت عائشة رضي الله عنها وابن
مسعود الرؤية قال النووي رحمه الله تعالى لكن خالفهما غيرهما
من الصحابة والصحابي إذا خولف لا يكون قوله حجة اتفاقا ولا حجة
لهما فيما في مسلم عنها أن مسروقا قال لها لما أنكرت الرؤية ألم
يقل الله ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله رأيت ربك فقال لا إنما هل
رأيت جبريل وذلك لأنها إنما سألت عما في الآية فأجابها بأنه
لم يره أي في قصة الآية وقد مر أنها غير قصة المعراج وأن التدلي
والدنو اللذين في قصة المعراج غيرهما في الآية ولا حجة لها في
لا تدركه الأبصار لأن المراد لا تحيط بحقيقة ذاته العلي بدليل الي

وبها نالخوة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا التساويها
بالنسبة للمرءي وسؤال موسى ايّاها في الدنيا اظهر دليل على
ذلك اذ لا يجوز على نبي ان يسئل محالا وانكار المعتزلة فبّحهم
الله لها حتى في الاخرة من بدعهم التي خالفوا فيها الكتاب
والسنّة وعلى جوازها في الدنيا لم تقع الا لنبينا صلى الله عليه
وسلم وصحّ في مسلم واعلموا انكم لن تروا ربّكم حتّى تموتوا وفي
خبر مسلم عن ابي ذر انّه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال نور انى اراه ان النور حال بينه وبين رؤيته ببصره فكيف
يراه مع ذلك وقد مرّ انّه راه مرّة ببصره ومرّة بقلبه بسبب هذه
حصول ذلك النور فلا ينافي وقوع الاولى وسئل احمد رضي الله عنه
عن قول عايشة من زعم ان محمّدا راى ربّه فقد اعظم على الله الفرية
بم يدفع قولها فقال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي فقول
النبي صلى الله عليه وسلم اكبر واذا تاملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرى من الكرامات التي تميز بها على ساير الخلق علمت انها
رتب جليلة تسقط الاماني جمع امنيّة حسرى جمع حسير من
حسر اعيى دونها ظرف لتسقط اي لجلالة هذه الرتب وعزتها على
الخلق سقطت امنياتهم وتخلفت طلباتهم واما الهمم عن نيل هذه
الرتب ولم يستطيعوا التوجه اليها لكونها عاجزة عن التاهل
لها ولم لا وفي ما وراء هن وراء اي ما قدّام هن قدّام بمعنى انه ليس

بعدهن

رتب تسقط الاماني حسرى
دونها ما وراءهن وراء

بعدهن مرتبة يناله مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم ثم لمّا رجع صلى الله
عليه وسلم من سفر الاسراء مرّ بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل عليه
غرارتان سوداء وبيضاء فلمّا حاذى العير نفرت منه واستدارت وتصرع
ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمّد صلى الله عليه
وسلم وردّ ابعيرا ضلّ وجمعه واحد منهم ثم وافى مكة قبل الصبح واصبح
يحدّث الناس بما راه من تلك العجايب والكرامات امتثالا لقوله تعالى واما
بنعمة ربك فحدّث شكرا اي من جهة الشكر لا لاجل قيامه بشكر ربه او
حال كونه شاكرا لا نعمه اذ لا بد لاجل او وقت اتته من ربه النعماء اي
تلك الليلة وحينيذ ارتدّ ناس كانوا اسلموا فذهب مشركون لابي بكر
وذكروا له انه يخبر انه ذهب الى بيت المقدس ورجع في ليلة فقال اصدقه
فانكروا عليه فقال اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السماء
افلا اصدقه في غدوة وروحة فلذلك سمّي الصديق رضي الله تعالى
عنه وكرم وجهه رواه الحاكم في مستدركه وابن اسحاق وزاد ان ابا
بكر جاءه فقال يقولون انك الليلة اتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه
لي فاني جئته فوصفه له كانما هو لانه رفع اليه فجعل ينظره ويصفه
وابو بكر يصدقه وقوله له صفه لي انما هو ليرد به على من تشكك
في ذلك ورفع له حتى نظره رواه البخاري وكذا مسلم وزاد انهم سالوه
عن اشياء فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه له
انما يحمل مثاله ووضعه قريبا منه وعليه تحمل رواية جيء بالمسجد

ثم وافى يحدث الناس شكرا
اذ اتته من ربه النعماء

اي بعثا له واما بحمل المسجد نفسه اليه وهذا اظهر لما مرّ في
واشتاقت اليه من مكة الانحا. ونظيره مجيء عرش بلقيس الى سليمان
صلى الله عليه وسلم في طرفة عين واما بازالة الحجب بينه وبينه وبهذا
ظهرت الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس ثم العروج منه الى السما
لما تقرر ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه لهم كما هو مع علمهم
بانه لم يذهب اليه قط اذ فيه اوضح اية على صدقه في جميع ما اخبر
به من امر السما. ومما اخبرهم به انه قال لهم ان من اية ما اقول لكم
اني مررت بعيركم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان
وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا ويأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل ادم
عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف الناس ينظرون
حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير كما وصف وفي رواية
اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء فلما كان يومه كادت شمسه ان
تغرب ولم يقدموا فدعا الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف
وعطف على اما قوله وتحدى صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم
بما وقع له ليلة الاسرى وما تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر
اي طلب منهم ان يعارضوا ما جا به شاهدا على نبوته بان يأتوا بنظيره
والا كانوا كاذبين مدحوضين فما ارتاب اي شك وخرس كل مريب
وانقطع عن المعارضة ولم يسعه الا التسليم فمنهم من اسلم
ومنهم من مات كافرا وجحد وابى واستيقنتها انفسهم ظلما

وتحدى فما ارتاب كل مريب
او يبقى مع السيول الغثا

وعلوا

وعلوا اي يلزم من انقطاعهم عن معارضته اتضاح امره صلى الله عليه
وسلم وانه لم يبق فيه شك ولا ريب ومن ثم قال منكرا على من يبقى
عنده من ذلك شك ايتضح ذلك الامر ويبقى معه ريب لا بل اتضح
وما بقي معه شك اصلا وكيف يبقى مع السيول حال من قوله الغثا.
وهو بضم المعجمة وبالمثلثة ما يحمله السيل مما يجف من
النبات فكما ان الغثا لا يبقى مع السيل بل يذهب به ويهلكه في
اسرع وقت فكذلك ما جا به صلى الله عليه وسلم من الايات البينات
والبراهين الواضحات لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب
ويضمحل في اسرع وقت فعلم انه استعار السيول لما اتى به صلى
الله عليه وسلم من الايات البينات والبراهين الواضحات لان بها الحياة
الحسية وجعلنا من الماء كل شيء حي كما ان بما جا به الحياة المعنوية
والغثا لما تخيلوه لانه امر حقير لا بقاء له كما ان الغثا كذلك وفي
ارتاب وريب جناس الاشتقاق وفي الختم بالجملة الاستفهامية
التذييل نحو وهل يجازى الا الكفور تنبيه ما قررته بعد همزة
الاستفهام هو راي الزمخشري ومن تبعه وهو التحقيق وان كان
خلاف ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر في نحو اولم يسيروا في
الارض امكثوا ولم يسيروا وفي افلا تعقلون اتجهلون فلا تعقلون
وفي اثم اذا ما وقع اتكفرون ثم اذا ما وقع امنتم به فالهمزة في
الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف

محافظة على اقرار حرف العطف على حاله من غير تقديم ولا تاخير ورد
ابو حيان ذلك بانه تقدير ما لا دليل عليه من غير حاجة اليه وابن هشام
بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل اليه حاجة وهي ان المعنى معه
اقوم واوضح مع رعاية قاعدة الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم
اطراده ممنوعة لان السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك
المحذوف واعلم ان الهمزة اصل ادوات الاستفهام ومن ثم اختصت
بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة اي اهذا ربي وفي
وتلك نعمة تمنها اي اوتلك وبانها ترد لطلب التصور تارة والتصديق اي
اخرى وهل تختص بالثاني والبقية بالاول وبانها تتقدم على العاطف
كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتاخر عنه وبانها تدخل
على الشرط نحو افإن مات او قتل وعلى الاثبات والنفي وهو يدعوا
حال من فاعل تحدى اي تحدى الناس والحال انه صلى الله عليه وسلم مع
انكارهم وارتيابهم لا يفتر عما امر به من التبليغ والدعاء الى الاله
اي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفي الى واله الجناس
الناقص ولم يقل الناظم الى كون الاله اسم جنس في الاصل لكل معبود
لان الايمة رضي الله تعالى عنهم اعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه في
المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه وسلم يجدد
دعاءه الى الله تعالى وان شق عليه كفر بدا اي الاله والشيء وازدرا
اي احتقار وانتقاص له فهو مديم لذلك الدعاء متحمل لمشقة انكارهم

وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفر بدا وازدرا

وقبح كفرهم وازدرائهم له ولما جاء اخرج اهل السير انه صلى الله
عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم يقول لهم يا ايها الناس
ان الله يامركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وابو لهب عمه وراءه
يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم ان تتركوا دين ابائكم ورماه الوليد
ابن المغيرة لعنه الله بالسحر وتبعه قومه على ذلك واذته قريش
ورموه بالشعر والكهانة والجنون ومنهم من كان يحثو التراب على
راسه ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على رقبته
الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقه
خنقا شديدا وجذبوا براسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره
فقام ابو بكر دونه فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وصح ان
عقبة بن ابي معيط لف بعنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا
وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا شديدا فجاء ابو بكر ودفعه
عنه وروى احمد في مسنده اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب وبلال
والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى اي
عن القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله تعالى بقومه
واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد
واصهروهم في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله عز
وجل وهان على قومه فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به

في شعاب مكة وهو يقول احد احد اي ليمزج مرارة العذاب بحلاوة
الايمان ومن اللعين ابو جهل بسمية ام عمار بن ياسر وهي تعذب
فطعنها بحربة في فرجها فقتلها واخرج البيهقي عن عروة ان ابا
بكر رضي الله عنه اعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم الزنيرة
اي بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة كذا فعميت فقالوا لما اعماها
الا اللات والعزى فقالت كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها
وهو مع ذلك ايضا بدل الورى اي الخلق وكان الناظم اخذ هذا من
الحديث الصحيح وارسلت الى الخلق كافة واما الانس والجن فبالاجماع
المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما الملائكة
فعلى الاصح عند جمع محققين كما صرح به هذا الحديث وقوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا بشهد لذلك اذ العالم ما سوى الله تعالى
واستعمال هذا في العقلاء انما هو لتغليبهم لفضلهم وقول
الرازي اجمعنا على ان المراد الانس والجن فقط وابن مردود واما بعثه الى
الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققي المتاخرين ومعنى ارساله
صلى الله عليه وسلم للملائكة وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه
والايمان به وانشاد ذكره صلى الله عليه وسلم وللجمادات انه يركب
فيها ادراكات لتومن به وتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده اي
حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه على الله اي على العلم
بذاته واسمائه وصفاته وافعاله وبما يجب له من اثبات كل صفة

وبذا لوم على الله بالتنو... عن الجماعة البيضاء

قف

كمال

كمال وسلب كل صفة نقص بان كلما لم يصل الى اعلى غايات الكمال
وبما يجوز له من ايجاد الخلق واعدامهم وبما يمتنع عليه من
المحالات التي لا تتعلق بها القدرة كما هو مقرر في محله وبالتوحيد
اي بطلبه منهم توحيده تعالى بان يقروا بانه تعالى واحد في ذاته
فلا تعدد له بوجه وصفاته فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين
ولا شريك له فيها بوجه وظاهر المقترن الباء في بالتوحيد باء
الالة ككتبت بالقلم ويوجه بان العلم بالتوحيد كما ذكر ينشا
عنه العلم بما يليق بذات الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله
كما تقرر وهي اي العلم بكل ذلك والدلالة عليه المحجة اي الطريقة
الواضحة التي امر بها وثبت عليها وحث عليها البيضاء
اي النيرة المضيئة الواضحة التي لا يضل سالكها ولا ينقطع
ولا يخشى فيها من افة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم
تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها
لا يزيغ عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم
مع ما حصل له منهم مما اشار الناظم اليه بقوله وان شق عليه
الخ اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من اكابر اتباعه كما قال فبما
بجزايدة رحمة واصلة اليه من الله وهي في الاصل ميل وعطف
نفساني غايته التفضل والانعام او ارادتهما والمراد هنا هذه
الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى وكذا كل صفة

فبما رحمة من الله لنت
لهم من بعض صفات

٦٥

وردت في القرآن او السنة لله تعالى واستحال عليه معناها يراد
بها غايتها اي فبسبب رحمة الله لهم وعطفه عليهم ببركة
محمد
لين رسوله صلى الله عليه وسلم وصبره عليهم كما يشير لذلك
قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الذي اقتبس الناظم منه
هذا البيت فلو بهم وازال ما فيها من كبر وغير مجيبين لانت صخرة
هي الحجر العظيم من بيانية وجعل الشارح ذلك صفة لصخرة مع
كون من بيانية بعيد اباءهم اي امتناعهم صماء اي صلبة لا يؤثر
فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر حسن التقابل بين لانت
وصماء وهو من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا وهو الطباق
ان يجمع بين معنيين متقابلين في الجملة بتضاد او نفي واثبات
او عدم وملكة او نحو ذلك اي زال امتناعهم من طاعته فيما يامرهم
به فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار الصخرة التي هي غاية
الصلابة لاباءهم صفة اولا اذ كانوا على غاية النفرة عنه والبغض عنه
والاذاية له صلى الله عليه وسلم وللين تنقلنا وزوال صلابتها الاتباعهم
له صلى الله عليه وسلم وانقيادهم لجميع اوامره ونواهيه اخرا
ويبين ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله تعالى وهدايته
لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء او بعد ان لانوا له صلى الله عليه وسلم
ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد حتى استجابت له اي اجابته

دعوته

واستغاثت له بنصره وفتحه
بعد اذ اذا الخضرا والغبرا

دعوته وامتثلت اشارته صلى الله عليه وسلم بنصر وفتح اي
مع او بسبب ما اعطاه الله من النصر على الاعداء بكثرة الاتباع
والقاء الرعب في القلوب والفتح لبلادهم باخماد شوكتهم
واستيصال شافتهم بعد أذى اي الضعف الذي كان به صلى الله
عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحزبهم قتال الاعداء وتصميمهم على
عداوته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعدتهم
الخضراء اي السماء سميت بذلك لانها ترى كذلك فقد قال القاسم
ابن ابي بزة ليست السماء مربعة ولكنها مقبوة يراها الناس خضرا
وتبيين الثوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة تحت الارض اي خضرا
96 كما في حديث البزار وغيره منها خضرة السماء اي ولست في
الحقيقة كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول الله ما هذه السماء
قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم سئل ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما السماء من اي شيء فقال انها من موج مكفوف ويوافقه قول
علي رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه في حلفه والذي خلق السماء
من ماء ودخان وقال كعب السماء اشد بياضا من اللبن وقال الربيع
ابن انس السماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة
من حديد والرابعة نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب
والسابعة ياقوتة حمراء وجاء عن سلمان الفارسي رحمه الله تعالى
ورضي عنه لكن بسند واه السماء الدنيا من زمردة خضراء والثانية

من فضة والثالثة من ياقوتة حمراء والرابعة من درة بيضاء والخامسة
من ذهبة حمراء والسادسة من ياقوتة خضراء والسابعة من نور
والغبراء أي الأرض سميت بذلك لأن جميع طبقاتها من طين كما جاء
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لما أراد الله تعالى أن يخلق الأشياء إذ
كان عرشه على الماء وإذ لا أرض ولا سماء خلق الريح فسلطها على الماء
حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه فأخرج من الماء دخانا وطينا
وزبدا فأمر الدخان فعلا وسما فخلق منه السماوات وخلق من الطين
الأرضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضراء والغبراء ما مرّ في لانت وجما
لكن هذا يسمى التدبيج لذكر الألوان فيه ومعنى استجابة السماء والأرض
له صلى الله عليه وسلم استجابة أهلها ويحتمل أنه استعار السماء
للرفيع من الناس والأرض للوضيع أي أجابه الرفيع والوضيع حتى لم
يتخلف من أهل مكة وغيرهم أحد عنه صلى الله عليه وسلم إذ لم يبق
إلا مسلم أو مسالم وعلى الأول فتقييد الناظم استجابة أهل الأرض
بالفتح والنصر بتلك المعدية ظاهر وأما تقييد استجابة أهل
السماء بها فهو بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم تنزل النصرة الملائكة
الأبعد رومها بعدها وذلك إنما هو بعد قوته وإلقاء رعبه صلى الله ع عليه
عليه وسلم في القلوب والأذلة في الجهاد والفتح ومن جملة استجابة
أهل الأرض له بعد ذلك أنه أطاعت لأمره وهو القول الدال على الطلب
بلفظ افعل ونحوه ولنهيه وحذو لنهيه ما ذكره القرب بض

وإطاعة لأمره والعرب العرباء
بيان الجاهلية الجهلاء

فسكون

فسكون أو بفتح فتبين كما هنا وهم ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام
العرباء ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب
المستعربة وفي القاموس العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم
أي بالضم والتحريك أيضا كما ذكره في مادته وهم سكان الأمصار أو
عام والأعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على أعاريب
وعرب عاربة وعربة وعرباء وعرباء صرحاء ومتعربة ومستعربة
دخلاء ثم قال ويعرب بن قحطان أبو العرب وقيل أول من تكلم بالعربية وفي
النهاية الأعراب من العرب ساكنو البادية الذين لا يقيمون في الأمصار
ولا يدخلونها إلا في حاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس أقام بالبا
دية أو المدن وفي الصحاح ليس الأعراب جمع عرب لأن الجمع لا يكون ٩٧
أخص من واحده وإنما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة أن الأعرابي
هو البدوي والعربي المنسوب إلى العرب وإن لم يكن بدويا والأعجمي
الذي لا يفصح وإن كان بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى وبين
المبرد في كتاب نسب عدنان وقحطان أن جميع العرب ترجع إليهما
وعدنان هو الجد الأعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وسائر العرب
العرباء وبينه وبين إسماعيل ثمانية آباء وقحطان قال الكلبي هو فع
المهيشع بن تيمن بن إسماعيل صلى الله عليه وسلم والجاهلية الجهلاء
هو كالعرباء فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التأكيد اللفظي كليل أليل
وخص هذين لأن تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم

وتوالت للمصطفى الآية الكبرى عليهم والغارة الشعواء

بيلغه تصميم غيرهما وتوالت اي تتابعت للمصطفى صلى الله
عليه وسلم متعلق بقوله الآية معرد محلى بال فيكون في معنى الآيات
وايضا فالتوالي انما يكون في متعدد اي العلامات الدالة على نبوته
صلى الله عليه وسلم والمدحضة لما تقولوه وافتروه عليه وعلقه
الشارح بتوالت وهو وان كان هو الظاهر صناعة الا ان الثاني فيه
افادة ان ما توالى له انما هو اياته الخاصة به لا اية من تقدمه
الكبرى عليهم كالقرآن وانشقاق القمر وتوالت له عليهم ايضا
الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم وذراريهم وهي اسم
مصدر لاغار الشعواء اي الفاشية المتفرقة المحيطة بهم من
سائر الجوانب التي لم تظفر لهم بنفس او مال الا اهلكته وبعد
ان استجاب له اهل السماء والارض ودخل الناس في دين الله افواجا
وكثرت اتباعه جدا حتى صار اذا ما زائدة تلا اي قرأ كتابا انزل
عليه من الله وهو القرآن تلته اي تبعته لاجل القراءة معه او
استماع قراءته الكتائب من ذي حمير عليه لا سيما كتيبة بالعو فيه
اي جيش خضراء اي يعلوها سواد السلاح والحديد ومن عكسه
سواد العراق لانه لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود وهي
كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل صلى الله عليه وسلم
مكة وهو فيها على ناقته القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير
ولما رآها ابو سفيان قال ما لاحد لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح

ملكا

واذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

ملك ابن اخيك ملكا عظيما فقال له العباس ويحك انه ليس بملك
ولكنها نبوءة وروى البخاري عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة
الفتح ويرجع وقال لولا اخشى ان تجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع
وبين تلا وتلته وكتاب وكتيبة تجنيس الاشتقاق او شبهه
وكفاه صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقياء الذين
زادوا في ايذائه والعتو عليه المستهزئين به كما قال تعالى انا
كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون منه
ويبالغون في ايذائه والسخرية به اي تولى اهلاكهم من كفيت
فلانا المؤونة اذا توليتها له فلم تحوج اليها ومع توليه تعالى
اهلاك المستهزئين به سلاه فاعلمه بان هذا ليس خاصا
به بل بالانبياء قبله كانوا كذلك تعالى عز قائلا فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا كقوله
تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية بقوله وكم مرات كثيرة
ساء اي احزن نبينا بفتحها الجناس المصحف من قومه متعلق بقوله
استهزاء اي سخرية وايذاء وفيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة
الى قصة او شعر او مثل سائر وذكرنا التلميح هنا مع كثرته
في كلامه لانه هنا اظهر باعتبار ظهور قصة المستهزئين
وشدة الاعتناء بها وفيه ايضا التذييل والمثل السائر في

الجملة الاستفهامية ورماهم اي اصابهم بدعوة منه عليهم
وصلت اليهم فأهلكتهم كما يصل السهم الغائب الوضر رمي به
فيهلكه من اي بدعوة كائنة في فناء البيت اي حوالي الكعبة وقيل
انه شكاهم لجبريل فقال امرت ان اكفيكهم ثم اشار الى كل بما
اصابه وذلك لا ينافي دعاءه عليهم لان دعاءه كان سببا لاشارة
جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك وتجويز تعلق من برمى وانها
لابتداء الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم
قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فاشارها مع كونها خلاف
المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله فيها اي تلك
الدعوة للظالمين يتعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان
سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم
وضع الشيء في غير محله فناء اي استيصال لهم حتى لم يبق منهم
احد وبين فنا وفناء جناس محرف لاختلاف حركة الفاء خمسة
بدل من المستهزئين او الظالمين وبحر رفعه اي هم وخصهم
مع ان من المستهزئين ابا لهب وزوجته وعقبة بن ابي معيط
والحكم بن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت عقوبتهم كلهم
اصيبوا بداء عظيم والردا اي الهلاك من جملة جنوده المعينة
عليه الادواء جمع داء وهو المرض وهذا اسنا فه مستانف والحكم
لمنا سبقه لها قبله فانه كالتعليل له اي وانما اصيبوا بذلك

الداء لانهم سعوا في تحصيل اسباب الردى لهم حتى وقعوا فيه
ولم يجدوا منه مخلصا وبين داء وادواء جناس ناقص كما مر ثم
فصل ذلك الداء الذي اهلكهم الله تعالى به فقال فدهى من الداهية
وهي الامر العظيم المهلك الاسود بن مطلب بن اسد بن عبد العزى
فبعوا اسد اي عمى اي عمى عظيم لانه كما طمس بصره طمس بصيرته
حتى لم يبق له تمييز بين الحسن والقبيح وليس العمى الاعمى البصيرة
ميت به اي بسبب ذلك العمى الاحياء في حكم الاموات الذين لا
ينظرون اليهم ولا يبقوا عليهم ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا
لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين وانه
قتل بما لا يقتل عادة لانه حقت عليه الكلمة فمات فورا من
غير سبب ظاهر لذلك وبما تقرر علم ان ميت مبتدأ وما بعده سد
مسد الخبر اي ان من شأن هذا العمى انه لو وقع للاحياء صاروا به في
حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة فالجملة مؤكدة لما افاده
تنوين عمى اي انه عمى بصر وبصيرة ومقيدة للاحتراس عن ابهام
انه عمى بصر فقط ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدأ
جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش مع
تقدمه وتخفيفه وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب وكأنه
يريد ان يجمع به بين رأي البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا
به فيكون رأيا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا

ورماهم بدعوة من فناء البيت فيهما للظالمين فناء

خمسة كلهم اصيبوا بداء والردا من جنود له الادواء

فدهى الاسود بن مطلب اي عمى ميت به الاحياء

الجا

٢٦

لقال مثبتون لوجوب المطابقة ولا حجة في قولهم خبيبين بقولهم
ان خبيبين خبر مقدم لان فعيل لا تلزم فيه المطابقة وبين ميتة والاحيا
الطباق ودهى ايضا الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن مناف بن زهرة
فهو زهري ويغوث في الاصل اسم صنم وصرفه الناظم للضرورة
ان سقاه كاس الردى الموت استسقاء حصل له في جوفه
واستمر به حتى اهلكه وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا
الزقي وهو امتلاء الامعاء بالماء الفاسد المبطل للحار الغريزي
المفضي الى الهلاك عن قرب وبين سقاه واستسقاء جناس الاشتقاق
وتشبيه الردى بالمشروب حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه
به من الكاس والسقي استعارة بالكناية تتبعها الاستعارة
التخييلية واصاب الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
فهو مخزومي خدشة سهم اي اثر جرحة باسفل رجله من شخص
في يده نبل وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من ان يهوي
لقلعها فضربها بالسوط فاصاب رجله فاكلت ومات منها
قيل وقعة بدر فكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واشنع
من سم الافاعي فلذلك قال قصرت عنها اي عن تلك الخدشة الحية
الرقطاء اي التي يخالط سوادها نقط بيض وهي اعظم الحيات
اذى ووجه قصورها عنها في الافضاء الى القتل ان الحية قد يقع
البرء ممن لسعته بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة له

حتما

حتما لا ينفعا اثر تلك الدعوة عليه المقبولة ثم رايت بعضهم قال
وانما كان ما اصاب الوليد اعظم لان الحية انما تهلك بواسطة
السم وهذا بلا واسطة انتهى وما ذكرته اوضح واحسن كما لا
يخفى وقضت شوكة دخلت في اخمص رجل العاص على مهجة
العاص بن وائل بن هشام بن سعد بن سهم فهو سهمي اي قتلته
قتلا عجيبا ومن ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال فلله هذه النقيعة
من قولهم الناس نقائع الموت اي انه يجزرهم كما يجزر الجزار
النقيعة الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اي خشنة اللمس
اي ما اعجب هذه القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك الشوكة
القليلة التاثير عادة فلله درها من شوكة نحرته في اسرع
وقت وقضت على الحارث مولى الطلاطلة بالموت القطيع
القيوح جمع قيح وهو المدة البيضاء التي لا يخالطها دم والحال
انه قد سال بها راسه وساء اي قبح ذلك الراس الذي هو
الوعاء لتلك القيوح القاتلة لصاحبه وبين سال وساء الجناس
الناقص وفي الختم بساء الوعاء التذييل وهاؤلاء الملاعين خمسة
وفيه نصبه وجره نظير ما مر في خمسة الاول طهرت بقطعهم
اي هلاكهم الارض اي مكة ونواحيها او مطلقا لان ضررهم
يسري الى جميع البلاد فكف الاذى الذي كان يصل للناس لا سيما
نبينا صلى الله عليه وسلم منهم بهم اي بسبب فقدهم او مع

وداء الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردى استسقاء
واصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العاص فلله النقيعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سال بها راسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء

فقد هم شلاء أي فاقدة الحركة فعلم أنه شبه الأذى بالإنسان
من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لإفادة أن الأذى لو تجسم لكان
إنسانا يقدر على إبطال ما يريده بأي وجه كان ثم أثبت له ما هو من
لوازم المشبه به وهو الكف الذي ينشأ بها سائر المضار التي
يريدها ووصفها بالشلل لبيان أن الأذى لفقدهم صار معطلا لا حركة
فيه ولا تأثير ففيه استعارة مكنية تتبعها استعارة تخييلية
وذكر الشلل الملائم للمشبه به ترشيح فديت بالبناء للمفعول
يقال فداه بفتح أوله فيقصر وبكسره فيقصر ويمد وهو دعاء
متضمن للتعظيم فهو من خبر لا إنشاء أي لو أمكن أن أحدا يكون فداء
أحد من الموت لسألت أن يكون نفسي فداء لهم أو المراد اللهم
اجعلهم فداء لهم من المؤذيات وقوله أن كان للكرام فداء الدال
على أنه لا فداء لهم يدل على المعنى الأول خمسة الصحيفة الآتي بيا
نهم بالخمسة الملاعين الشانئين ذكرهم أي جعلت هؤلاء جميعهم
فداء لكل واحد من أولئك من كل مكروه والمقابلة هنا ليست من
باب ركب القوم دوابهم أن جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه
كان للكرام فداء وأولئك الخمسة الذين سعوا في نقض الصحيفة
من جملة الكرام الذين يتعين فداؤهم عند الحاجات والشدائد لأن
نفع الفداء لأنهم بذلوا أنفسهم في أمر عظيم جدا كما يعلم
من ذكر قصتها وهي أن قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة أن كان للكرام فداء

بأموره

بأموره في سنة خمس من النبوة لبضعة عشر من أصحابه منهم عثمان
وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة
واستقرارهم فيها وبإسلام حمزة ثم عمر بعده بثلاثة أيام وفشو
الإسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم
فبلغ ذلك أبا طالب فأتوا إليه بعمارة بن الوليد أعز فتى فيهم
ليأخذه بدل ابن أخيه فأبى وجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ممن أرادوا قتله
وأجابوه لذلك حتى كفارهم حمية على عادة الجاهلية فلما رأت
قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه
على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا
يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ولا يقبلوا منهم صلحا
أبدا حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل وكتبوا
ذلك في صحيفة بخط بعضهم فشلت يده وعلقوا الصحيفة في
جوف الكعبة تأكيدا في حفظها وبقائها وكان ذلك هلال المحرم
سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي
طالب فدخلوا معه في شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش لعنه
الله فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم
شيء إلا سرا حتى أن حكيم بن حزام حمل غلامه قمحا يريد به عمته
خديجة رضي الله عنها فلقيه أبو جهل اللعين فتعلق به وأراد

ان يعضه فانتصر له ابو البختري ابن هشام بن الحارث بن اسد وقال خل
سبيله فابى فاخذ له لحيي جمل فضربه به فشجه ووطئه وطئا
شديدا فلما مضت تلك المدة قام اولئك الخمسة في نقض
تلك الصحيفة وكان اسعهم هشام بن الحارث لعزته بعمه لامه
الذي هو اخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا لبني هاشم فكان
ياتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب فيخلع خطامه
ويضربه حتى يدخل ولعزة هشام بعمه هذا مشى الى زهير بن
عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت ان تاكل الطعام وتلبس
الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث علمت وشدد عليه حتى
قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال انا معك فقال ابغنا ثالثا
فذهب الى المطعم فاستحياه حتى قال لو وجدت رجلا فقال انا فقال
ابغنا ثالثا قال قد وجدت زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب
الى ابي البختري واستحياه ايضا فقال وهل من معين فذكر له اولئك
قال ابغنا خامسا فذهب الى ابي زمعة واستحياه فقال هل من
احد فذكر له القوم فاجتمعوا بالحجون واجمعوا على نقضها فقال
لهم زهير وانا اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا
زهير فحله فطاف سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة انا
ناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم فيما ترون والله لا اقعد
حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو

جهل

جهل لعنه الله كذبت والله لا تشق فقال زمعة انت والله اكذب
ما رضينا كتابتها حيث كتبت وقال ابو البختري صدق زمعة ما
نرضى ما كتب فيها ولا نقر به وقال المطعم صدقتما وكذب من قال
غير ذلك نبرا الى الله منها ومما كتب فيها فقال ابو جهل هذا
امر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وابو طالب جالس فقام
المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا
باسمك اللهم ولا يعارض ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان ربي سلط الارضة على صحيفة
قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا ابقته ومحت منها الظلم
والقطيعة والبهتان فقال اربك اخبرك بهذا فقال نعم فاخبرهم
ابو طالب بذلك وقال ان تزلوها فان صدق فانتهوا عن قطيعتنا
والا دفعته اليكم فنظروها فاذا هي كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فازدادوا شرا وذلك بانه لا مانع انهم لما نظروا ذلك
وازدادوا شرا قام اولئك الخمسة في اذهابها من اصلها فسعوا
في نقضها وبذلوا جهدهم فيه قال الشارح ويحتمل ان ابا طالب
انما اخبر بعد سعيهم في نقضها انتهى ويبعده ان الاخبار
بذلك حينئذ ليس له كبير جدوى قال الولي بل المتعين ما قدمته اذا
تقرر ذلك علم انهم فتية ابو كرام جمع فتى وهو السخي الكريم
وفيه تصريح بها وهو انه من وصفهم بمكارم الاخلاق فيتوا

فيه تنبيه على فعل خير
حد الصبح امرؤ ذو المسا

أي دبّروا وتشاوروا بالحجون ليلًا على فعل خير هو نقضها والعجا
طرندونه بالفؤوس لشدّة قريش في ابقائها مع كثرتهم وعتوّهم
حمد الصبح أي الفجر أو الصباح وهو من الفجر إلى الزوال ويدل على هذا
مقابلته بالمساء الذي هو من الزوال إلى الغروب أمره أي شأنه
وغايته والمساء واسناد الحمد لهذين الزمانين مجاز دال على
شدة المبالغة في وقوع الحمد وطلبه على فعل ذلك الخير لأن
الزمان إذا حمد على ذلك فسائر العقلاء أحق وأولى بذلك وبين
الصبح والمساء الطباق كالشدّة والرخا والنقض والابرام فيما
يأتي وجعل الشارح غير الأخير من المقابلة وهما من الطباق
لا يتأتى على تفسيرهم الطباق بأنه الجمع بين معنيين متقابلين
في الجملة كما مرّ مبسوطا يا لأمر بفتح اللام هو نقضها
وناداه على طريق الاستغاثة تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة
في تعظيمه ولذا كان ذلك مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم يا
للدواهي إذا تعجبوا من كثرتها أتاه بعد هشام بن الحارث بن
حبيب بن خزيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي فهو عامري
وقدّمه لما مرّ أنه أول الخمسة والسبب في اجتماعهم زمعة
ابن الأسود بن المطلب بن أسد إنه بالكسر استئنافا فيه معنى
التعليل لكونه أول من كذب أبا جهل وورد عن هشام كما مرّ الفتى
أي الكريم في قومه الأتاء صيغة مبالغة من أتى فجيء مع

يا لأمر أتاه بعد هشام
زمعة إنه الفتى الأتاء

أتاه

أتاه جناس الاشتقاق كما في قد بيّن وقد أو زهير بن أبي أمية
ابن المغيرة وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمطعم بن عدي وأبو البختري وأتى هؤلاء
الخمسة النقض لا عن غير اتفاق ومواطاة بل إنما أتوه آتيا ما
كائنا من حيث ظرف مكان حقيقة أو مجازا وجوّز الأخفش كونها
ظرف زمان وقد يجوز فتحه وجره وحاث وحوث وإعرابها لغة قليلة
وتلزم الإضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا للكسائي وعدم إضا
فتها بالكلية أندر فتقع نصا وتصرفها نادر بل أنكره أبو حيان
والغالب كونها في محل نصب على الظرفية أو خفض بمن ولا تقع
اسما لأن ولا مفعولا به على خلاف فيهما وزعم الفارسي أنها في
الله أعلم حيث يجعل رسالاته مفعول لا فيه إذ المعنى أنه سبحانه
يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا في المكان
وناصبها يعلم المدلول عليه بأعلم لا هو لأن أفعل التفضيل لا
ينصب المفعول به إلا أن أوّل بعالم شاء ولي من المكان الذي قصدوه
لتدبير أمرهم وتشاورهم عليه قبل ذلك وقع فعلهم الموقع
الذي قصدوه وقد نتج الانتاج الذي دبروه نقضوا بدا من فعل خير
من نقض العهد أي أبطله مبرم أي محكم وأصله كالبريم الحبل
الذي جمع من مفتولين بعضهما أحسن وأحدا الصحيفة التي تواطأت
قريش على إبقائها على الدوام لأن يسلم بنو هاشم والمطلب

وزهير والمطعم بن عدي
وأبو البختري من حيث شاء

نقضوا مبرم الصحيفة إذ شدت
عليه من العدى الأنداء

رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم اذ اي وقتا ولا جاز شدت
اي صمتنا عليه اي على ذلك الامر المبرم وهو عدم نقض تلك
الصحيفة من العدا بيان لقوله الاندا جمع ناد وهو العشيرة ومنه
فليدع ناديه واصله المكان الذي يجلس فيه للتحدث والسمر سمي
من فيه باسمه اي نقضوا هذا الامر المبرم الذي فواه عشائرهم
وصمموا عليه اذكرتنا بعد نسيانا جملة استينافية لبيان ان
اكل الارضة للصحيفة نظير اسعوا كلها العصا سليمان صلى الله عليه
وسلم باكلها لتلك الصحيفة والضمير للارضة الاتية التي في العجز
عائد على متقدم رتبة وهو سابق اكل مفعول اذكر الثاني
منساة اي عصا سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم لما مات
وهو متكي عليها فصار كذلك سنة والجن يعتقدون حياته فيدابون
فيما سخرهم فيه من الاعمال الشاقة وما علموا موته الا باكل الارضة
لمنساته فخر ميتا فقطا وعلموا حينئذ انه منذ سنة فخر ميتا في
العمل وانهم كاذبون في ادعائهم علم الغيب ولذا قال تعالى فلما
قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين الارضة بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة تاكل
الخشب اكلا ذريعا الخرساء فيه تعجب من شانها اذ ليس
من شان الاخرس التكلم واثبات الخرس لها مجاز اذ حقيقته فقد

اذكرتنا باكلها اكل منساة
سليمان الارضة الخرساء

النطق

النطق عما من شانه النطق وبها اي وبا كلها للصحيفة اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم عمه ابا طالب وهو اخبر قريشا كما مر مبسوطا
وكم اي مرات كثيرة اخرج صلى الله عليه وسلم اي اظهر خبا اي شيئا
مخبا له الغيوب خباء اي ساترة وبين خبا وخباء الجناس المحرف
وفي كم الخ التذييل تفسيرها ان احدها يجب على كل احد ان يعتقد
ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب وان ما وقع لرسله واوليائه تحصل
منه فهو اما بوحي من الله او الهام والاستثنا في قوله تعالى فلا
يظهر على غيبه احدا الا الخ متصل كما هو الاصل وذكر الرسول لا
للاختصاص به بل لان كرامات الاولياء اتباع من جملة كراماته
ومعجزاته وفي الحديث اني لا اعلم الا ما علمني ربي ثانيهما
في بيان ما اشار اليه الناظم من كثرة ما اخبر به صلى الله عليه
وسلم من المغيبات وحاصل شيء من ذلك ان مما يدل على كثرة ما
اخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب مما في الغيب ان منها ما لا
يحيط به حد وخبر الطبراني ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر
اليها والى ما هو كاين فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفي
هذه وخبر ابي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقاما فما ترك شيئا الى قيام الساعة الا حدثنا به وفي الحديث
الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين وصح انه صلى الله عليه وسلم
اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه

وبها اخبر النبي وكم
اخرج خبا له الغيوب خباء

وانه وابا بكر وعمر وعثمان صعدوا أُحُدًا فتحرك فضربه برجله وقال
له اثبت فما عليك الا نبي وصديق وشهيدان فاستشهدا وان
ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق والشام فكان كذلك
في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى
فالبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه تحقيقا لذلك واخبر
عمه العباس بما تركه بمكة من المال عند زوجته ولم يطلع
عليه احد غيرهما واخبر بكتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع
ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها في الشجرة وبان قريشا
بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد امراء الجيش الذي ارسله
لمؤتة بلد بارض الشام يوم قتلهم زيد بن حارثة فجعفر بن ابي
طالب فعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهم وبان بنته
فاطمة رضي الله تعالى عنها اول اهله لحوقا به فعاشت بعده
ثمانية اشهر او ستة وبان اشقى الاولين والاخرين قاتل علي
كرم الله وجهه يضربه في يافوخه فتبتل من دمها لحيته
فضربه الشقي ابن ملجم ضربة كذلك فمات منها وبان معاوية
رضي الله تعالى عنه يلي امر امته وبانه لم يغلب رواها ابن عساكر
ومن ثم قال علي كرم الله وجهه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث
ما قاتلته وبان عثمان رضي الله تعالى عنه يقتل مظلوما وفي رواية
تقتل وانت تقرأ البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم

الله

١٠٥

الله موضوعة وبوقعة الحرة من عسكر يزيد عامله الله
بعدله بالمدينة فاستبيحت نفوس اهلها وابضاعهم واموا
لهم وقتل سبعمائة يحفظون القرآن منهم ثلاثمائة صحابي وافتض
فيها الف عذراء وبوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلي
رضي الله تعالى عنهم ولذلك قال علي للزبير لما برز له يومئذ انشدك
الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت
له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن نسيت وبقوله في الحسن
كرم الله وجهه ان ابني هذا السيد وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد ابيه فمكث
خليفة ستة اشهر ثم سار لمعاوية في اربعين الفا فلما تراءا
الجمعان علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب احدهما حتى يقتل الفريق
الاخر فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك
ابتغاء لوجه الله تعالى كما جاء عنه كرم الله وجهه ثم ارسل
لمعاوية يشترط عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل له
قرطاسا ابيض وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل له عن
الملك فصار معاوية من يومئذ خليفة حقيقة وبقتل الحسين
كرم الله وجهه بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه
وفي خبر استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم
فاذن له وكان في يوم ام سلمة فامرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ

الباب فجاء الحسين فاقتحمه فقبله صلى الله عليه وسلم فقال له
الملك اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان
الذي يقتل فيه فاراه فجاء بسهلة بالكسر رمل خشن او تراب احمر
فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول انها
كربلاء وفي رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد قتل واخبر
ابن عمه بانه سيعمى لما راى جبريل معه في صورة رجل واخبر ام عبد
الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما بانها ستلده وبانه ابو الخلفاء
وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك ستغلب على
العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم وبقوله يوشك
الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة
قال ابن عيينة وغيره هو مالك بن انس رضي الله تعالى عنه ومن
ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم عنه حتى يقتتلون
وممن روى عنه من الاكابر الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي
امام اهل الشام والليث امام اهل مصر وابو حنيفة وصاحباه ابو
يوسف ومحمد وذو النون المصري والفضيل وابن المبارك وابن
ادهم رحمهم الله تعالى وبعالم قريش وانه يملأ طباق الارض علما
قال احمد وغيره نراه الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض
لقرشي صحابي او غيره ما انتشر للشافعي اي والذي انتشر لعلي
وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا كما يعلم ذلك من سبر

اعرف مالكا ومن
روى عنه من الاكابر

كلامهم

كلامهم واطلع عليه وزعم الصغاني ان الحديث موضوع تهور
منه وانما فيه نوع ضعف ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ
العسقلاني طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا
على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجلا اسود احدى عضديه
مثل ثدي المراة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل حتى راه الناس
بالوصف الذي وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم
يرفضون الاسلام وبالقدرية والمرجية وبان امته ستفترق
على ثلاثة وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي
على ما كان عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم
بانهم لا يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة
اي قربه بقليل وباشارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير منها
ويتقطر وقوع الباقي ومما وقع منها النار التي قال عنها صلى
الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة حتى تخرج نار
من ارض الحجاز يضيء لها اعناق الابل ببصرى فخرجت نار عظيمة
على نحو مرحلة من المدينة المشرفة وتقدمها زلزلة عظيمة
بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الاخرة سنة اربع وخمسين وستمائة
ولم تزل تشتد وتغلي كغليان البحر الوازار تخفق منها الارض
ومن عليها حتى ايقن اهل المدينة بالهلاك وكثرت الزلازل حتى وقع
منها في يوم واحد ثمانية عشر زلزلة ثم ببركة النبي صلى الله

عليه وسلم كان يغشى المدينة الشريفة نسيم بارد وريحة من
مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة سابع عشر رجب وقد اوسع
المؤرخون في اخبارها بما يطول استقصاؤه واذا تاملت ما
اطلعه الله عليه من الغيوب لا سيما ما يتعلق بامر التجيعة
علمت ان ذلك من تمام عناية الله تعالى به وانه لا يضيعه ومن نك
ثم عقب الناظم ذلك بقوله لا تخل بفتح الفوقية والمعجمة
من خلت الشيء خيلا ومخيلة ظننته جانب هو في الاصل شق وتجليته
الانسان واريد به هنا كله تعبيرا بالبعض عن الكل بالاضافة
بيانية النبي مضاما اي مضيقا جبرو في نسخة حيف والاول
الظهر اذ هو ظرف لمضاما مسته صلى الله عليه وسلم منهم
متعلق بقوله الاسواء اي الاذايات الكثيرة حال كونها صادرة
منهم كضربه وخنقه واغراء سفهائهم به صلى الله عليه وسلم
فرموه حتى سال الدم على قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته
وغير ذلك مما لو حمله جبل لم يتحمله بل جانبه مع ذلك لم
يزل يترقى في مراتب النصر والفتح الى ان بلغ غاية العزة والجلالة
وجانبهم لم يزل يتقهقر ويضمحل حتى وصل الى حضيض الذل
والهوان قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الايات ليظهره
على الدين كله والله يعصمك من الناس ثم ما اصابه صلى الله
عليه وسلم من اذايتهم له فيه اسوة بالانبياء قبله اذ اصابهم

من

لا تخل جانب النبي مضاما
حين مسته منهم الاسواء

من اذايات اممهم مثل ذلك او اكثر منه لان كل امر من الامور
العظيمة ناب اي اصاب التنبيين بالشدة فيه التي تحصل لهم
منه محمودة لانه يرفع درجاتهم العلية والرخاء اي السعة
فيه محمودة ايضا لانه لتكثر اتباعهم وتنفي اعداؤهم ومقا
بيميز لك ذلك ويوضحه ان من المقرر في العقول انه لو يمس النضار
اي الذهب هون بالضم اي هوان من ادخاله الى النار لاختبار
خلوصه من الغش والنقص لما اختير للنضار الصلاء اي العرض
على النار لعزته على النفوس وشحها به من ان ينقص بصيبه
في الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالذهب والشدائد التي
تنوبهم تصيبهم كاصابة النار للذهب فكما ان النار لا تزيد الذهب
الا حسنا فكذلك الشدائد لا تزيد الانبياء عليهم الصلاة
والسلام الا رفعة وفي لا تخل الى هنا الكلام الجامع البالغ من الحكم
والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل
جانب النبي مضاما برهن عليه بقوله كم يد اي جارحة عن نبيه
كفها الله اي منعها وخذلها فلم تصل اليه بسوء قصد به
صلى الله عليه وسلم والحال انه قد وجد في الخلق اي الخلق فيهن الذين
هم اعداؤه المريدون اهلاكه كثرة واجتراء اي شجاعة وتهور
واقدام على فعل ما خطر بالنفس من غير نظر في عاقبته اذ طرق
لكفها اي وقت ان دعا اي طلب حال كونه وحده العباد كلهم الى

كل امر ناب النبيين فالشدة
فيه محمودة والرخاء

لو يمس النضار هون من النار
لما اختير للنضار الصلاء

١٠٧

كم يد عن نبيه كفها الله
وفي الخلق كثرة واجتراء

اذ دعا وحده العباد وامست
منه في كل مقلة اقذاء

عبادة الله تعالى وترك ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات
وان امسفف اي حصلت اذا مسي يستعمل كثيرا في ذلك منه في
كل الازمنة في كل مقلة منهم وهي شحمة العين التي تجمع السواد
والبياض اقذاء جمع قذا وهو ما يسقط في العين مما يولمها ويكدرها
وذلك لانه صلى الله عليه وسلم في ابتداء امره مع وحدته وقلة
عضده وناصره صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى الايمان بالله
وحده وينادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب
الهتهم ورميها بكل عيب وسوء فيما الغون حتى اقرب اقاربه
كعمه ابي لهب في اذايته والتجري عليه لكثرتهم ووحدته صلى
الله عليه وسلم وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء بكلاءته
محفوظ بحفظه متماد على ما هو فيه غير ملتفت لاذاهم بل صابرا
عليهم الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه
يكثرون ويتقوون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان مكنه الله من
نواصي اعدائه فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان واحل من خضع
منهم لعزته ما من البغا والامان ومما يتبين بعظيم اذايتهم له
ونصره عليهم ما ذكره اهل السير ان عمرو بن العاص قال للزبير ما اكثر
ما رايت قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم
اجتمعوا في الحجر فذكروا لما يفعله بهم من سب
الهتهم فطلع عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف

فلما

فلما مر بهم صلى الله عليه وسلم انتقصوه فيسا ذلك ثم مر
بهم فاساءوه ثم مر بهم فاساءوه فوقف صلى الله عليه وسلم ثم قال
الا تسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم
بالذبح فاخذتهم كلمته وارتعدت مفاصلهم فرايتهم فالانوا
له القول وقالوا انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا
فاجتمعوا له في الغد في الحجر وفعلوا معه مثل ما ذكر ثم وثبوا
له وثبة رجل واحد يونبونه بسبب الهتهم فاخذ بعضهم
١٠٨ بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام اليه ابو بكر رضي الله تعالى
عنه وحال بينهم وبينه تنبيه قرينة سياق النظم مصرحة كما هي
بان القذا في العين مستعار لما حصل لهم في عيون بصائرهم من
اذايته صلى الله عليه وسلم لهم بما من انبعا واما قول بعضهم
يحتمل ان يريد بالقذا ما على اعينهم من الغشاوة المانعة من النظر
في امره الحاجبة لهم عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم من الران والصدا
الحاجب عن الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة وبالقذا
عما يعلوها من الران والصدا انتهى فهو غفلة عن سياق المقترن
عدم تامله بالكلية لانه انما حكم بانه صلى الله عليه وسلم اسكن
القذا الكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح تفسير القذا بشيء مما
ذكره وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتامله والدليل على تلك الحراسة
الباهرة انه هم قوم يد خابيهم النساء تبعا بقتله بالسيف

هم قوم بقتله وابي السيف وباتوا الصفوان

فأبى الشيء أي امتنع من الوصول إليه والتأثير فيه وفاء أي لا جاء وفا
به بما أخذ عليه كيفية الخلوص من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وإجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك الامتناع وقع غير ما مرة فقد
جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة
تظله فبينما هو تحتها إذ جاء أعرابي فاخترط سيفه ثم قال له
من يمنعك مني قال الله عز وجل فرعدت يده وسقط السيف فضرب
برأسه الشجرة حتى سال دماغه كما روي وصح أن غورث بن الحارث
اخترط سيفه وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاستيقظ فوجده
في يده صلتا فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط من يده فأخذه
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفى عنه
فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وروي أنه صلى
الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة بدر مع منافق تبعه
لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع رجل سيد لقومه
شجاعة وغيرها أغروه على قتله فجاء له ثم رجع إليهم مسلما
فأنكروا عليه فقال نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت
لظهري وسقط السيف من يدي فعلمت أنه ملك فأسلمت
وفاءت أي رجعت على راميها حجارة وبينه وبين وفاء الجناس اللاحق
الصفوا أي رجعت الحجارة عن إصابته بأن جهدت في يد راميها
الذي هم أيضا بقتله وهو أبو جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي

وكان

وكان من أشد الأعداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أنه
اجتمع هو وقريش يوما بجاههم صلى الله عليه وسلم وبالغ في إنذارهم
وتسفيه أحلامهم وسب آلهتهم فأظهروا له شدة الإباء
والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم أبو جهل اللعين
يا معشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون وإني أعاهد الله تعالى
لأجلسن له غدا بحجر ما نطيق حمله فإذا سجد في صلاته رضخت به
١١٦ رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بنو عبد
مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشيء أبدا فلما أصبح
أخذ حجرا كما وصف فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته وقريش
ينظرون احتمل اللعين الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع
منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى
قذفه فقاموا إليه فقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت إليه
لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل
من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل صورته وأنيابه لفحل
قط فهم بي أن يأكلني فذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل
لو دنا مني لأخذه إذ ظرف لهم المقدر قبل أبو جهل لأنه معطوف
على قوم بقتله أي وهم أيضا أبو جهل بقتله بالحجر الذي حمله وقت
أن رأى عنق بسكون النون وضمها الفحل وقد برز إليه كأنه
العنقاء أي الداهية العظيمة أو الطائر العظيم المعروف

وبين عنق وعنقاء جنا سر الاشتقاق او شبهه وما ذكر من ان
ابا جهل معطوف على قوم وان اذ ظرف لهم هو ما جزم به
الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه ان وقت رؤيته الفحل هم بقتله
وذلك غير واقع بل حصل له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما
اذهله والحق انه معطوف على الضعفاء عن الوصول اليه صلى الله
عليه وسلم ورجع ابو جهل عن الرمي بها وقت رؤية الفحل فاذ
حينئذ ظرف لفاءت مع فاعلها وما عطف عليه **واقتضاه**
معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض اي اقتضى
منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا طلب اليه ان يقضيه
وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اي طلب **النبي** صلى الله
عليه وسلم من ابي جهل انه يؤدي **دين** كهلة بن عصام بن كهلة
ابن اراش بن الغوث من عمرو بن الغوث **الاراشي** بكسر الهمزة لكونه
لما قدم مكة بابل له ليبيعها اشتراها منه ابو جهل ثم مطله
باثمانها فوقف الاراشي على نادي من قريش فقال اهل من رجل يخلصني
من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا لا
يخلصك منه الا ذاك الرجل اي محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا له
ذلك استهزاء به فجاء اليه صلى الله عليه وسلم فقال له يا عبد
الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد سالت اولئك القوم
فاشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله فقام معه ليخلصه

واقتضاه النبي دين الاراشي
وقد ساء بيعه والشراء

منه

منه كيف **وقد ساء بيعه** ذكر مع ان الكلام لبيس الا في الشراء
لانه نظير له فهو من مراعات النظير **والشراء** اي وشراؤه مع
هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا واحدا منهم ان يتبعه
لينظر ماذا يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم بابه عليه فقال من ذا
قال محمد فاخرج الي فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال اعط هذا
الرجل حقه قال نعم لا تبرح حتى اعطيه فدخل فاخرجه اليه فجاء
الى اولئك واخبرهم بما وقع فجاء ابو جهل فقالوا له ويلك
والله ما راينا مثل هذا الذي صنعت قط قال ويحكم والله ما هو
الا انه ضرب على بابي فسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت
اليه وان فوق راسي لفحلا من الابل ما رايت مثله هامة ولا صورته
ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني **ومن ثم رأى** ابو جهل اللعين
المصطفى صلى الله عليه وسلم **وقد اتاه بما** اي بفحل ابل **لم ينج**
بفتح ثم ضم وبضم ثم كسر مع تخفيف الجيم ويجوز كما هنا
لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو وانجى ينجي فهو ناج ومنج **منه**
دون الوجاء لذلك الدين الذي للاراشي **النجاء** بوزن الضراب مبالغة
في ناج بالوقف مقصور ويجوز تخفيف الجيم مصدرا فبالوقف ممدود
وفي القاموس نجا ينجو نجاة ونجاية خلص كنجى واستنجى
وانجاه الله ونجاه وعلى هذا الوقف مقصور وعلى كل هو فاعل
ينج ونظيره في المصدر قول الحاجري املا الوجد فؤادي وبرح التفنن

ورأى المصطفى اتاه بما لم
ينج منه دون الوجاء النجاء

أي ذلك العجل لا ينجي أو لا ينجو منه النجاء بالمبالغة أي من تكرر منجاته
من الأمور الصعبة النازلة وفي ذلك الأمر أو لا ينجو منه النجاء بالتخفيف
أي النجاة لأبعد ذلك الوجاء هو أي العجل المر في هذه الواقعة
ما لي العجل الذي قدراه أي من قبل أي في الواقعة السابقة في
قوله وجاءت الضعوا الخ لكن لا استغراب في ذلك لأن هذا اللعين
ما على مثله في العتو والتهور السابقين لإدراكه والموجبين
لهلاكه. وهو أبلغ من عليه لأنه يحصر إثبات الحكم عليه بثبته
على حد مثلك لا يبخل بعد الخطاء لأن خطاءه لا ينحصر فلا بعد
وحد الخطاء لغة شهيرة. تنبيه قد يسأل عن الحكمة في كون
أبي جهل منع في هاتين الواقعتين من أن يناله رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسوء مطلقا أشد المنع ولم يمنع من إلقاء سلا
الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم وهو يصلي قلت كان سر
ذلك أنها الصحيحة تنفذ دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وفي أمثاله ممن كانوا أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم فيظهر
عز له صلى الله عليه وسلم ونصرة للناس عليهم بإهلاكهم بدعوة
وإلقائهم في القليب على أخسر حالة وأقبحها ولو منع اللعين
من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان تمكينه من ذلك الفعل
هو عين إهلاكه وإهلاك نظرائه ومختصر تلك القصة أنه صلى
الله عليه وسلم كما في البخاري كان يصلي عند الكعبة وجمع من

هو ما قدراه من قبل الخ
ما على مثله بعد الخطا

قريش

قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم ألا تنظرون إلى هذا المرائي
أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها
فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث
أشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله عليه
وسلم ساجدا أي لأنه لم يعلم بخصوص ما وضع وإنما لم ينقل
أنه أعاد لاحتمال أنه كان في نافلة بل هو الواقع لأن هذه الواقعة
قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ إلا ما في سورة المزمل
وهو صلاة الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم على بعض
فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية رضي الله تعالى عنها
فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته
عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم
الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن
هشام وهو أبو جهل وقدمه لأنه أشقاهم وأشدهم أذية
له صلى الله عليه وسلم وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة
ابن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر
ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر ثم قال صلى الله عليه وسلم وأتبع
أصحاب القليب لعنة وظاهر السياق أنه صلى الله عليه وسلم
قال ذلك عقب هذا الدعاء فيكون من تمامه وفيه علم من أعلام

نبوته صلى الله عليه وسلم وبحثا على بعد انه اشار الى ذلك عقد
الغايص في القليب وقول عبد الله بن مسعود رايتهم يوم بدر
صرعى بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة انما مات بارض الحبشة
لكن على اشر قتلة فانه تعرض لزوجة النجاشي فامر ساحرا فنفخ
في احليله من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهايم الى ان
مات في خلافة عمر رضي الله عنه وايضا عقبة بن ابي معيط انما
قتل صبرا بالصفراء بعد بدر رجوعا القفل ثم وامية بن خلف وان قتل
ببدر لم يطرح بالقليب واعدت عطف على هموا اي هيات ام
جميل بنت حرب بن امية حمالة الحطب لقبت به لانها كانت
تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارضاء لزوجها لعنهما الله تعالى الفهر اي الحجر الذي يملا الكف
لما انزل الله فيها وفي زوجها تبت يدا ابي لهب السورة والحال
انها قد جاءت اليه وهو في المسجد وابو بكر رضي الله تعالى عنه
عنده بذلك الحجر لترميه به وهي في غاية السرعة والعجلة كانها
الحمامة الورقاء اي الشديدة الاسراع اي حال كونها شبيهة
بها في ذلك فهي حال متداخلة يوم ظرف لاعدت جاءت في حال
كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها في تلك السورة وفي
نسخة غيظا فهو تمييز والغضب نار كامنة في طي الفؤاد
يوججها طروق السبب المحرك لها فان لم يقدر على انجاز شيء .

وأعدت حمالة الحطب الفهر
وجاءت كانها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول افي مثـ
لي من احمد يقال الهجاء

و

١١٢

في المغضوب عليه سمي غيظا كذا قيل وفي القاموس الغيظ
الغضب او اشده او سورته او اوله وحال كونها تقول افي مثلي
وانا بنت سيد بني مخزوم متعلق بيقال من احمد حال من الهجاء يقال
الهجاء اي السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة وهو الظاهر
لانهم لا يعتقدون الها غير الهتهم فمن ابتدائية نعم فيهم
فرقة يعتقدون الالاه وان اصنامهم تقرب بهم اليه فان كانت من
هولاء فمن تعليلية اي يقال الهجاء لاجله وتولت عطف
على اعدت والحال انها ما راته وكيف تراه وهو في ظهوره
للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي اعني
تلك المراة في غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة ومن
اين ترى الشمس مقلة اي عين عمياء ولما راها ابو بكر رضي
الله تعالى عنه قال يا رسول الله انها امراة بذية فلو قمت قال
صلى الله عليه وسلم انها لن تراني فجاءت فلم تره فقالت يا ابا
بكر ان صاحبك كيف يهجوني فوالله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه والله اني لشاعرة وما ذكرت هجوا فيه فقلت لها
لا وهو لا يقول الشعر فقالت انت عندي مصدوق وانصرفت فقلت
يا رسول الله لم لم تره فقال صلى الله عليه وسلم لم يزل ملك
يسترني منها بجناحه وفي رواية قد اخذ الله ببصرها
عني فكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون كما يصرف الله عني

وتولت وما راته ومن
اين ترى الشمس مقلة عمياء

فعو تأمل

من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد صلى الله عليه
وسلم تنبيه تتمة قرأ صلى الله عليه وسلم سورة النجم حتى بلغ
افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى فجرى الشيطان
في امنيته اي تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
وفي رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الخ فعند سجوده
اخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه مدح الهتهم
وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت
هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته الاية وفشى ذلك في الناس واظهره
الشيطان حتى بلغ المسلمين بالحبشة فقيل اسلموا ثم لما
تبين للمشركين خلاف ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه والغرانيق
جمع غرنوق او غرنيق وهو طير الماء شبهت الاصنام لاعتقادهم
انها تقربهم الى الله تعالى بطيور الماء لكونها تعلو في السماء
وترتفع تنبيه كثر كلام العلماء في هذه القصة فمن منكر
لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا يجوز لاحد القول بها كعياض
والفخر الرازي وسبقهم لنحو ذلك البيهقي وابو داود والبخاري وغيره
رووا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان من
جوزه على نبي تعظيم وتوقف كفر وبانها من وضع الزنادقة والحق

خلاف ذلك

كله

ذلك بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة جدا ابن ابي
حاتم والطبري وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحاق في
السيرة وموسى بن عقبة في المغازي وابو معشر كما نبه على ذلك
الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم
يرها مسندة من وجه صحيح انتهى ورد عليه وعلى عياض وغيره
الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر بان طرقها كثيرة جدا ثلاثة منها
رجالها رجال الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها
تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور وقد زعم ابن العربي
وعياض ان رواياتها كلها لا اصل لها وليس في محله اذ لا ينمشي
على القواعد بان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على
ان لها اصلا قال وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح
هي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لا
عتضاد بعضها ببعض وحينئذ يتعين تأويل ما وقع فيها مما
يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى الخ
فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله عليه وسلم يستحيل عليه ان
يزيد في القرآن عمدا او سهوا واختلفوا في تأويله فاخرج الطبراني
عن قتادة انه اصابته سنة فجرى على لسانه ولم يشعر به فلما علم
اظهر بطلانه واحكم ربه اياته واعترض بانه لا ولاية للشيطان
عليه في النوم واجاب بان هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما

غاية الامر ان الشيطان لما اصابته تلك السنة حاكى قراءته بصوت
يشبه صوته ثم بيّن الله للناس على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
بطلانه ووقع من الشيطان حتى لا يغتر به أحد ثم رايت من اجاب بما
يؤيد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد
الشيطان سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى
الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه منهم فظنها من قوله
واشاعها واستحسن هذا الجواب غير واحد من المحققين كعياض
وابن العربي وايده بما جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من
تفسير تمنى بقرأ فمعنى في امنيته اي في تلاوته وفي ذلك اخبار
منه تعالى بان رسله عليهم الصلاة والسلام اذا قالوا قولا زاد
الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم بيّن الله تعالى بطلانه
فعلم ان هذا نص في ان الشيطان زاد في قول نبينا صلى الله عليه وسلم
لا ان نبينا صلى الله عليه وسلم قاله وقد سبق الى هذا المعنى الامام
المجتهد ابن جرير الطبري مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة
ساعده في العلوم فصوّبه وارتضاه واما الجواب بان الشيطان الجاه
الى التلفظ بذلك من غير اختياره فمردود بان الشيطان لو قدر على ذلك
لم يكن احد امن طاعة الله وبانه على حفظه ما كان يسمعه منهم
من مدح الهتهم يجري على لسانه سهوا فهو افسد مما قبله او
بانه قاله توبيخا للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلاني

وقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام في الصلاة
اذ ذاك كان جائزا وبانه لما وصل الى قوله الثالثة الاخرى خشوا ان
يأتي بذم آلهتهم فبادروا بذلك الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله
عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا
فيه ونسب للشيطان لانه الحامل لهم عليه وفيه نوع بعد وان المراد
بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله
تعالى فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى
فلما سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم آلهتنا فنسخ
الله تلك الكلمة واحكم آياته فهو ابعد مما قبله ثم بعد ما
وقع له من هذه الكرامات وقع له كرامة اخرى في غزوة خيبر سنة
سبع من الهجرة وهي انه سمّت له زينب بنت الحارث امرأة سلام
ابن مشكم اليهودية الشاة اي جعلت فيها سما قاتلا لوقته
لانها شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه
فسمّت به الشاة جميعها لكنها اكثرت منه في الذراع والكتف
لما قيل لها انه صلى الله عليه وسلم يحب الذراع وكم مرات كثيرة
سام من السوم الذي هو مقدمة الشراء او الذي هو الرعي وبين سام
وسمّت تجنيس شبه الاشتقاق والشقوة اي ثابر عليها وتخلى
بها الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم
تلك المرأة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح ان سام

ثم سمّت له اليهودية الشاة
وكم سام الشقوة الاشقياء

وسممت من هذا نسا هل وفي البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما علم
ان فيها سما قال اجمعوا لي من هنا من اليهود فجمعوا له صلى الله عليه
وسلم فسألهم عن اشياء منها من ابوكم قالوا فلان قال كذبتم
ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سألهم من اهل النار قالوا نكون
فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال صلى الله عليه وسلم اخسئوا والله فيها
لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا
نعم قال ما حملكم عليه قالوا ان كنت كاذبا استرحنا منك او نبيا
لم يضرك وروى ابو داوود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها
للنبي صلى الله عليه وسلم فاكل منها واكل منها رهط من اصحابه فقال
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال صلى
الله عليه وسلم سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرتني
هذه الذراع ومن ثم قال فاذاع اي اظهر له صلى الله عليه وسلم
الذراع ما فيه من شر اي سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم
كما يصرح بذلك اعني انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم
اخبرتني هذه الذراع اخفاه عن الحاضرين ابداه له صلى الله عليه
وسلم اي هو ان خفي عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق
ولما قال لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره وان
لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم
يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة واحتجم صلى الله عليه

نطق الذراع ما فيه من سم
كما اخبر بذلك اخفاه عن الحاضرين

وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها وفي رواية غير ابي داوود
انها جعلت تسأل اي الشاة احب اليه صلى الله عليه وسلم فقيل لها
الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم
موح اي يقتل من وقته فسمتها به واكثرت منه في الذراع والكتف
ثم وضعتها بين يديه ومن حضر من اصحابه وفيهم بشر بن البراء
فتناول صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها وتناول بشر
عظما اخر فازدرد الغمة بكسر اللقمة واكل القوم فقال صلى الله عليه
وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع تخبرني بانها مسمومة
وفيه ان بشرا مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اولياءه
فقتلوها رواه الحافظ الدمياطي وفي رواية انه قتلها تعارضها
رواية البيهقي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وجابر انه صلى
الله عليه وسلم لم يعاقبها ومن ثم قال وبخلو من النبي كريم بل
لا اكرم منه قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم اي بسبب ما تحلى به
من كمال الحلم والعفو والصفح لم تقاصص بجرحها بواطنهم
بذلك السم اذ هو يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر العجماء
اي المرأة ويقال ايضا للبهيمة وقال الزهري اسلمت فتركها وفي
مغازي سليمان التيمي نحوه وانها قالت استبان لي الان انك
صادق واني اشهدك ومن حضر اني على دينك وان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وجمع البيهقي بانه يحتمل ان يكون تركها

116

وبخلو من النبي كريم بل
لم تقاصص بجرحها العجما

اوّلا قلمّا مات بشر قتلها به وبذلك اجاب السّهيلي وزاد انه
تركها لانّه كان لا ينتقم لنفسه ثمّ قتلها ببشر قصاصا ويحتمل
انّه تركها لاسلامها فلمّا مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص
عليها فقتلت وقوله انّه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر
احدا روى من الصّحابة انّه قتلها قصاصا وانّما الوارد انه قتلها
وهو محتمل لكونه قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه
ما جاء في رواية انّه صلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو
فرض انّه لم يصلبها لم يكن قتلها بالسّيف دليلا للقصاص لانّ
المماثلة فيه معتبرة فقياسه ان يقتلها بمسموم كما ان
اليهودي الذي رضّ راس الجارية بحجر امر به صلّى الله عليه وسلّم
فرضّ راسه بمثل ذلك الحجر ايثارا للمماثلة المقصودة من
مشروعية القصاص ولا يقال الصلب لا يدل على انتفاء القصاص لانّ للامام
ان يصلب من يريد قتله اذا راى ذلك زجرا وتنكيلا لانّا نقول
ليس للامام الصلب في قتل القصاص كما يصرح به كلام ائمّتنا
لما تقرر ان المدار فيه على المماثلة ما امكن فلا يجوز للامام
الزيادة فعليها ولا النّقص عنها ولم نر احدا من ائمّتنا ولا من غيرهم
جوّز الصلب في غير قاطع الطريق فمن ادّعاه فعليه البيان بغير محل
النزاع الذي نحن فيه فان قلت هو يرد على هذا الحصر لانّ هذه
غير قاطعة طريق وصلبت قلت الذمي اذا نقض العهد

ملحق

ملحق بقاطع الطريق في احكام لا يبعد انّ هذا منها على ان ذلك
صار بحربي واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام المعصومين
فان قلت قولكم لانّ المماثلة الخ انّما يتاتّى على القول بتعيين بتعيينها في
المماثلة في القود امّا التخيير بينها وبين السّيف فيما البس بحرم
او التخيير بينها وبين السّيف في القتل بمسموم فلا يتاتّى عليه
ذلك البحث قلت بل يتاتّى على التّخيير ايضا لانّ القتل بالسّيف
لا يعين القود لانّه يحتمله ويحتمل انه لنقض العهد والمدّعي انّما
هو ان قتلها بالسّيف لا يدل على خصوص كونه قودا وتاخير قتلها
لموته بشر لا يدل على القود ايضا لاحتمال انّه لتحقق عظم جنايتها
وبهذا كله يعلم انّ في هذه القصّة من قتلها بتقدير صحّتها يرد ما
على قول ائمّتنا من اضاف انسانا فقدّم له طعاما مسموما فاكل
منه فمات لا قود عليه لانّه تناوله باختياره والمضيف لم يلجئه
الى اكله وذلك لانه لم يثبت انه قتلها بقيد كونه قودا وبهذا
الذي قررته يعلم تحقيق النّاظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه
على الروايات المختلفة في ذلك فان قلت لا نسلم ان نفيه لذلك
بل لانّ ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصل عدمه قلت هذا
يحصل منه مدعانا ايضا لانّ ثبوته اذا لم يصح من اصله او بذلك
القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه وتحلو من النبي كريم من فهو
معطوف بحذف حرف العطف على لم تقاصص خلافا لما يوهمه كلام

ثمّ فضلا على عمرانه ان كان
له قيراط فيهم زيادة

الشارح انه استيناف اي انعم نعمة عظيمة فضلا مفعول مطلق
كعرفت جذلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان المراد بالمن هنا ما
ذكر الله تعالى بقوله عز قائلا فاما منا بعد واما فداء فالمن هو
تخلية سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون اي رفع الرق عنهم لاجل
فضله اي احسانه العام عليهم وعلى غيرهم بلا عوض وعلى هذا
فمعنى هذه العلة والعلة التي تليها المستفادة من اذ انه
معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص كونه
تربا فيهم وعليه فجرى العطف مقدر الثبوت ويصح ان تكون
الثانية علة للاولى وهو ايهامه قصر فضلا عليهم وغيره من ثم لانه
لم يرد مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن بمن
او بفضلا اكتفاء بقرينة الشيما او على هوازن قبيلة حليمة
السعدية رضي الله عنها وهم اهل حنين المذكور في القرآن
وهو واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور من اسواق الجاهلية
بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم صلى
الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اجتمعت اشراف هوازن وثقيف
على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال سنة ثمان
في اثنا عشر الفا عشرة جاء بهم والفان من طلقاء مكة ولما هزمهم
صلى الله عليه وسلم قصد الطائف وامر ان يجمع سبي هوازن وغنائمهم
بالجعرانة حتى يأتي اليهم وكان السبي وهو النساء والذراري

ستة

ستة الاف راس والابل اربعة وعشرون الفا والغنم فوق اربعين
الفا واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف
انتظر هوازن بضع عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم اخذ في
قسمة الغنائم فجاءوا مسلمين فقالوا يا رسول الله انا اهل وعشيرة
وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام
رجل من جذ حليمة فقال يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك
اي من الرضاع لانهن قرابات حليمة وحواضنك اللاتي كن يكفلنك
ولو انا ارضعنا الحارث بن ابي شمر او النعمان بن المنذر ثم نزل بنا مثل
١١٧ الذي نزلت فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث اصدقه ابناؤكم ونساؤكم احب
اليكم ام اموالكم فقالوا ابناؤنا ونساؤنا فقال صلى الله عليه وسلم
اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت الظهر
بالمسلمين فقوموا وقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
ابنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك واسأل لكم ففعلوا ذلك
فقال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم
فقال المهاجرون وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت الانصار مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن
مرداس من بني سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول سبي يصيبه

بما طابت به نفوسهم فردوا من بقي عندهم ومن صلى الله عليه وسلم
كذلك إذ أي لأجل أنه صلى الله عليه وسلم كان له قبل ذلك أي وهو طفل
فيهم ربا بفتح الراء والمد أي تربية من ربوت في بني فلان وربيت
فيهم إذا نشأت فيهم أو لطول باعتبار ما وصل إليه صلى الله عليه
وسلم من لبن حليمة وتربيتها تنبيه جعل الناظم إذ تعليلية خلاف
ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم الآية
لأن التقدير بعد إذ ظلمتم وعلى الأول فهي حينئذ حرف بمنزلة
لام العلة أو ظرف بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام
لا من اللفظ قولان المنسوب إلى سيبويه الأول وعلى الثاني في الآية
إشكالات ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضي وهو
الغالب ثم قال الجمهور لا تكون إلا ظرفا أو مضافا إليها الظرف
نحو يومئذ تحدث أخبارها وقال الأقلون تكون مفعولا بها نحو
واذكروا إذ كنتم قليلا وكذا المذكورة أوائل القصص كلها بتقدير
اذكروا أو بدلا منه بدل اشتمال أو كل من كل ورده الجمهور بأن المفعول
أو المضاف إليه محذوف وزعم الزمخشري أنها تكون في محل المبتدا
مما تفرد به وجوز كثيرون ورودها للمستقبل نحو فسوف يعلمون
إذ الأغلال في أعناقهم لاستقبال يعلمون لفظا ومعنى وأجيب
بأنه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع وأتى ذاك
السبي وأصله الأسر والمراد هنا المسبي أي المأسورون إلى الجعرانة

بامره

بأمره صلى الله عليه وسلم لكن منّ ليقسمه فيما على المسلمين وكان
ذلك السبي فيه أخت النبي صلى الله عليه وسلم من رضاع واسمها
الشيماء كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها قالت والله إني
أخت صاحبكم فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله إني أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة منك
في ظهري فعرفها الحكز وضع أي خفض الكفر الغاشم بها قدرها
وكذلك وضع قدرها السباء أي الأسر الغاشم بها أيضا وأضحى
في جنب ذلة هذين ما فيها من أخوته صلى الله عليه وسلم كما أضحى
في جنب الكفر ما في نحو أبي طالب من العمومة والتربية ومنع
الأعداء بكل طريق أمكنه ثم من الله عليها بالإسلام وفي معرفته
صلى الله عليه وسلم لها مجابها أي أعطاها ما لم يكن في حسابها
وجاد على قومها لأجلها بر أي لأجل بر لها إذ رحم الرضاع
كرحم النسب ويجوز أن يكون هو المفعول الثاني ويؤيده أنه
ابتدأ منه قوله فبسط الخ كما يأتي ولما أتته بسط لها رداءه
وأجلسها عليه ثم خيرها وقال إن أحببت فعندي محببة مكرمة
وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت فاختارت قومها
فمتعها وزاد في الإحسان إليها كما هو شأنه وردها إلى قومها
وأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته بها فلم يزل
فيهم من نسلهما بقية توهمت الناس الخير أو إذ ذلك البراء

وفع في وهمهم اي ذهنهم واستفاد ذلك البهم باعتبار ما من
شانه به اي بسبب ذلك البر الذي وصل اليها منه آنما بفتح الهمزة
اداة حصر كمكسورتها المسبا، اي المسبيات او النسا، لانهن
سمين سبيا ففي القاموس والسبي ما سبي جمعه سبا والسبا والنسا
لانهن يسبين العفول او يسبين فيملكن وحينئذ يصح فراءة الناظم
بسبين ثم با، وبنون ثم سين والمعنى صحيح على كل منهما كما يعلم
من تعريبي الاتي فتامله اللواتي معها وبينه وبين الناس الجناس
المفلوب هدا، بالكسر مصدر هدبت المراة الى زوجها اي
مهديات كرجال عدل والجملة في محل مفعول توهمت الثاني اي
توهموا ان النسوة اللواتي معها في السبي لم يسبين لعظيم ما
فابلهن به من الاكرام وانما جئن لاهدا، عروسهن وجلابها عليه
صلى الله عليه وسلم لا لكونهن مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل
مثله لنسا، يهدين عروسا لا لنسا، مسبيات تفييد استعمال
الناظم لانما هذه في الحصر تبع فيه الزمخشري والبيضاوي وغيرهما لانها فرع المكسورة وما ثبت للاصل ثبت للفرع الا لمانع
والاصل عدمه وجعل الاول لازمه قوله تعالى قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد فغالا انها لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء
على حكم نحو انما زيد قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا في هذه
الاية لان انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما

الهكم

الهكم بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعها الدلالة على ان
الوحي اليه صلى الله عليه وسلم مقصور على استيثار الله بالوحدانية
وقول ابي حيان يلزم الزمخشري انحصار الوحي في الوحدانية مردود
بانه حصر مجازي باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه بسط
فهو بدل من بر انكما مر ويصح كونه بدلا من حبا المصطفى صلى الله
عليه وسلم لها من الظاهر انها زايدة على مذهب الاخفش وجماعة
رداء كان عليه اي نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه ويصح
جعل من للتبعيض فيكون صلى الله عليه وسلم بسط لها بعضه
لتجلس عليه والاول اقرب وعلى كل فهنيئا لها ذلك الاكرام كيف
وهو رداء اي فضل اي شرف عظيم لا غاية له حواه اي جمعه ذا
الرداء بمماسته لجسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما ابهه
هذا التقرير من ان اي فضل الخ جملة نعت لرداء ومن زايدة او
تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اي مفعول بسط
وان فضل بمعنى فضيلة فمن تبعيضية وانه على حاله فمن تعليلية
داخلة على مضاف اي نشر لها من اجل شرف رداء لها فضلا عظيما
حواه ذا الرداء اي تمييزا ظاهرا على بقية نساء هوازن وفي
الرداء رد العجز على الصدر فغدت اي صارت مفدرجة فيه اي في
ذلك الفضل والحال انها في سيدة اولئك النسوة اللواتي معها
من سبي هوازن لما حصل لها من التمييز الظاهر على غيرها وان اولئك

١٤٦

بسط المصطفى لها من رداء
اي فضل حواه ذا الرداء

يكون

فغدت فيه وهي سيدة
النسوة اللسيات فيه اماء

النسوة اللواتي هن السيدات قبل اسرهن فيه اي ذلك البعض اماء
اي صارت كانها سيدة تنهزو كانهن مع كونهن سيدات اماء لها
وبين السيدات و الاماء طباق و هذه مؤكدة للجملة الاولى التي هي
حال من فاعل غدت كما علم مما قررته و لما ذكر ما اختص به صلى الله
عليه وسلم من الرفعة و الشرف الى ما لم يصل اليه مخلوق و ما يتعلق من
ذلك من صفات تتقطع اعناق الاطماع عن ان تمتد اليها و خصال
لم تعول امال الكمال عليها طلب من كل سامع و اته مشاهدة
رؤيته صلى الله عليه وسلم ان يتنزه سمعه بالاصغاء الى صفات ذاته
ومعانيه صلى الله عليه وسلم فقال فتنزه قال الشارح هو من قولهم
خرجنا نتنزه في الرياض انتهى و كانه جرى في ذلك على العرف اذ التنزه
كما في القاموس التباعد ثم قال و ارض نزهة بعيدة عن الريف
اي الخصب و الزرع و عن المياه و ذباب القرى و مد البحار و فساد
الهوى ثم قال و استعمال التنزه في الخروج الى البساتين و الخضر
و الرياض غلط قبيح في اوصاف ذاته من الكلام عليها في تلك ذات
العلوم ومعانيه اي صفاته الخارجة عن اوصاف ذاته صلى الله عليه
وسلم استماعا اي من جهة اصغائك الى استماع اوصاف ذاته و جميل
صفاته الاتية في هذا النظم الجامع البديع و بين ذاته و معانيه
جناس المقابلة كالاستماع و الاجتلاء الاتي ان عزا اي فقد منها متعلق
بقوله اجتلاء من جلوت العروس جلاء او جلوة و اجتليتها اذا نظرت

اليها

ونتنزه في ذاته ومعانيه
استماعا [illegible]

اليها مجلية اي مكشوفة مزينة اي ان فاتتك رؤية ذاته الكريمة
و مشاهدة صفاته العلية فلا يفتك تفريغ سمعك لكلام ما
يتلى عليك من اوصاف ذاته صلى الله عليه وسلم و على صفاته و به
يظهر ان من زائدة في الايجاب و هو ما اجازه جماعة و خرجوا
عليه قوله تعالى و لقد جاءك من نبإ المرسلين يحلون فيها من
اساور من ذهب من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم و فيه
نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتامله و لا تقتصر على
سماعك لقليل من ذلك بل املاء الشيء بان تكثر من سماع ذلك
حتى لو فرض ان ما تسمعه شيء محسوس لو ان سمعك اناء واسع
لملات ذلك من المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله عليه
وسلم لا يلحق احد اثارها و لا يشق كامل غبارها و هو جمع على
غير قياس كان مفرده حسن لا محسن الا تقدير اي يمليها من املية
الكتاب و يجوز املته عليك من هذه القصيدة و غيرها الانشاد
لها من شجي الصوت فاي الاعراب فقد قالوا ان من اقوى الاسباب
الباعثة على محبته صلى الله عليه وسلم سماع الاصوات المطربة
بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا
فانها تحدث للسامع سكرا و اريحية و طربا و ذلك يحدث عندها
بشيئين احدهما انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها
العقل الثاني انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك

واملاء الشيء من محاسن يمليها
عليك الانشاد او الانشاء

الحركة والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته من
القلب واستيلاؤها على الفكر ففي هذا من اللذة ما يغمر العقل لاجتماع
لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل للروح ما هو اعجب من سكر الشراب
واقوى في اللذة من عناق الشواب وقد ذكر الامام احمد رضي الله تعالى
عنه ان الله تعالى يقول لداوود في الجنة مجدني بذلك الصوت الذي
كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده جا لون
عليك فيقوم عند ساق العرش فيمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته
استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب
جل جلاله وخطابه لهم لا سيما ان انضم الى ذلك رؤية وجهه
الكريم فان لذة ذلك تغني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة
ولا تحيط به الاشارة والانشاء من ناظمها واسناد الاملاء اليها
مجاز وفيها الجناس اللاحق ومما يحملك على استفراغ وسعك في
ذلك التنزه واملاء السمع من تلك المحاسن انه يجب عليك ان تعتقد
ان محاسن ذاته وكمال صفاته لا يمكنك ان تحيط بها كيف وكل
وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتداءات انت اوانا به في
الذكر او ابتداءات بذكره لتحيط بغايته استوعب اخبار الفضل
مفعول مقدم اي جميع اخبار الفضائل والكمال منه متعلق بقوله
ابتداءا اي كلما ابتدات بوصف له صلى الله عليه وسلم وتاملت ما
اشتمل عليه صريحا وايضا جمع ذلك الوصف المبتدا به جميع

اي وجد له ابتداءات استوعب عنه اخبار الفضل ابتداء

انواع

انواع الفضل وغايات الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من
اوصافه صلى الله عليه وسلم ياخذ بحجز بقية تلك الاوصاف اذ لا يتحقق
كمال وصف من صفات الانسان كالحلم مثلا الا ان كمل في بقية اوصافه
كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن وغيرها وحينئذ فكل من
صفاته صلى الله عليه وسلم تدل على ما وضع له مطابقة وعلى ما عداه
منها التزاما واستلزاما كما لا يخفى على من سبر ذلك وتامله وبهذا
فق التحقيق الذي تفطن له الناظم يعلم انه سقى الله عهده تا في
النظم كامل المعرفة متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك
بكثير على من حل عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي
١٢١ ابي العباس المرسي وارث ابي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما
ونور ضريحهما وبما قررته في شرح هذا البيت يعلم انه من غرر
ابيات هذه القصيدة وانه لا تعقيد فيه خلافا للشارح وانه
يجب عليك ان تعتقد ايضا ان من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم
الايمان بان الله تعالى اوجد خلق بدنه الشريف على وجه لم يظهر
قبله ولا بعده في آدمي مثله صلى الله عليه وسلم وسر ذلك
ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها من بدائع الاخلاق وجلائل
الصفات ونبينا صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل
اليها غيره في كل من ذينك ومن ثم قال الناظم في بردة المديح
فهو الذي تم معناه وصورته البيتين فتنبه ان حقيقة

الحسن الكامل كملت فيه وحده ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه
الذي تم معناه دون غيره ولو شورك لم يتم معناه وما احسن قول
بعضهم لم يظهر لنا تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا
النظر اليه صلى الله عليه وسلم وبين ابتدات وابتدا جناس الاشتقاق
تنبيه شرح الناظم بيان تمام معناه بما مر ويأتي ولم
يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما اشار لذلك بقوله برؤية
وجهه وقوله سيد ضحكه التبسم الخ وقوله بتقبيل راحة
الخ فتعين علينا ان نشير الى شيء من ذلك بابسط مما اشار اليه
فنقول اما وجهه الشريف فصح عن البراء انه صلى الله عليه وسلم
كان احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي هريرة رضي
الله عنه ما رايت شيئا احسن منه صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجري في وجهه صلى الله عليه وسلم وعن البراء انه قيل له اكان وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم
يكن كالسيف في الطول ولا في اللمعان بل كالقمر في التدوير
وفوق لمعان السيف وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف
بل كالشمس والقمر وكان مستديرا فيفيد بهذا انه جمع بين
الحسن والاشراق والملاحة والاستدارة وجاء عن علي رضي الله
تعالى عنه لم يكن بالمكلثم اي شديد استدارة الوجه بل فيه
تدوير قليل وهو احلى عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان

اسيل



اسيل الخد اي فيه طول وسلامة من ارتفاع الوجنة وتشبيه
غير واحد لوجهه بشقة القمر اي عند التفاته وقيل احترازا عما
في القمر من السواد ويرده تشبيه ابي بكر رضي الله تعالى عنه وغيره
له بدارة القمر وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر
صار وجهه كالمراة فترى خيال الجدر فيه وفي رواية يتلالا
وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر وانما كان الاكثر تشبيهه
بالقمر دون الشمس لان من شاهده ينظره بكمال النظر ويتانس به
ولا يتاذى منه بخلاف الشمس في الكل ولذا كان من اسمائه صلى الله
عليه وسلم البدر ومن ثم قال الخارجون لملاقاته من مرجعه من تبوك
طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ثم هذه التشبيهات جرت
على عادة العرب والا فلا محدث يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم
الخلقية كالخلقية واما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه
ما زاغ البصر وما طغى وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان
يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وصح انه كان في
الصلاة يرى من خلفه كما يرى من امامه اي رؤية ادراك فهي بالبصر
اذ الرؤية الواقعة على وجه (جهة) الكرامة لا تتوقف عليه ولا على شعاع
ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له عينان بين كتفيه
كسم الخياط يرى بهما لا تحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل عليه
والاصل عدمه تخرص ان صورهم كانت تنطبع في قلبه او انها

قف على الرؤية الواقعة الخ

رؤية قلب أو أن المراد بها العلم بوحي أو إلهام وحديث إني لا أعلم
ما وراء جداري لم يعرف له سند وإنما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه
بلا إسناد وبفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لأن المنفي علم الغيب بما
وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي أو إلهام ومن ثم لما ضلت قال
ناقته قال بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب والله إني لا أعلم
إلا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي في موضع كذا احتبستها
شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها كما أخبر صلى الله عليه وسلم
وبفرض التعارض فما مر في حالة الصلاة وهذا خارجها وجاء
أنه كان إذا التفت التفت جميعا أي لا بسارق النظر ولا يلوي عنقه
يمنة ولا يسرة كالطايش الخفيف وأن جل نظره النظر بالملاحظة
صلى الله عليه وسلم وهو جانب العين الذي يلي الصدغ وأنه صلى الله
عليه وسلم عظيم العينين أهدب الأشفار مشرب العين بحمرة
وروى مسلم أشكل العينين والشكلة الحمرة في بياض العين
وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها وفي رواية أدعج
العينين أي شديد سوادهما أهدب الأشفار أي طويلها وأما
سمعه صلى الله عليه وسلم فيكفيك فيه خبر الترمذي إني أرى ما
لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس
فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله
تعالى وفي رواية لأبي نعيم أو قائم وأما شعره الشريف صلى الله

عليه

عليه وسلم فصح أنه كان بين شعرين لا رجل أي يعني فيكسر وهو ما
يتكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان بين أذنيه وعاتقه
وأنه رجل اليسير بالسبط ولا الجعد ولا تخالف لأن فيه رجولة قليلة
فالأولى لنفي كثيرها وأنه إلى شحمة أذنه وأنه إلى أسفلها
وأنه إلى الكتفين ولا تخالف أيضا لأنه ربما ترك تقصيره فيطول
وربما تداركه فيقصر وكان إن انفرق بنفسه فرق وإلا تركه
معقوصا ولعل هذا كان أولا والآخر الذي صح أنه صلى الله عليه وسلم
كان يسدل له أي يرسله ثم فرق ثم رأيت أن العلماء قالوا إن الفرق
سنة لأنه الذي رجع إليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته
١٠٣ صلى الله عليه وسلم وصدغيه شعرات بيض دون العشرين وإنما
لم يكثر فيه مع أنه نور لرواية ما شانه الله بالشيب أي لأن قف على السر في عدم كثرة شيبه الخ
النساء يكرهنه غالبا ومن كره منه صلى الله عليه وسلم شيئا كفر
واختلفت الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم لشيبه بنحو
الحناء ولا تخالف لأنه صلى الله عليه وسلم فعله كثيرا أو تركه أكثر
ومن ثم كان سنة عندنا وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان كثير
شعر اللحية وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن رأسه
وتسريح لحيته وكان صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين والمنكبين
وأعالي الصدر ولم يرد فيه أنه صلى الله عليه وسلم حلق رأسه في
غير حج أو عمرة وفي رواية أنه كان يأخذ من عرض لحيته وطولها غريبة

بخلاف رواية اعفوا اللحى فمن ثم اخذ بها ايمتنا رضي الله تعالى عنهم
وورد انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر في المرآة اذا سرح لحيته
وانه كانت له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم
واما جبينه صلى الله عليه وسلم وحاجباه وانفه وراسه فقد جاء
انه واضح الجبين ومقرون الحاجبين اي شعرهما متصل وانه غير متصلهما
ورجحه ابن الاثير وقد يجمع بانهما كانا كثيري الشعر كما في رواية
سابغين كما في اخرى دقيقين كما في اخرى فهما مع كثرة شعرهما
فيهما سبوغ الى اخر العين ودقة في طرفيهما فلكثرة شعرهما
يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك وصح
انه ضخم الراس ضخم الكراديس اي رؤوس العظام وجاء انه اقنى
الانف اي طويله مع دقة ارنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم
بانه سايل مرتفع وسطه وانه صلى الله عليه وسلم دقيق العرنين
اي اعلا الانف وان من لم يتامله يحسبه اشم اي طويل قصبة الانف
واما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم فقد صح انه واسعه يفتتح
الكلام ويختتمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم
ضده وانه صلى الله عليه وسلم اشنب اي لاسنانه غاية البريق
واللمعان وانه صلى الله عليه وسلم اذا تكلم رئي كالنور يخرج من
ثناياه وانه صلى الله عليه وسلم مفلج الاسنان اي متفرقها وفي
رواية مفلج الثنيتين اي اكثر من البقية واما ريقه الشريف صلى

الله

الله عليه وسلم فقد صح انه يوم خيبر تفل في عيني علي رضي الله عنه
وكرم وجهه وكان به رمد فبرئ منه لوقته واعطاه الراية
ففتح الله على يديه وجاء انه مج في بير ففاح منها رائحة المسك
وانه بزق في اخرى فلم يكن في المدينة اطيب منها ماء وانه صلى
الله عليه وسلم كان في يوم عاشوراء يبصق في فم رضعائه ورضعاء
فاطمة وينهى عن رضاعهم فيجزيهم بقية ريقه الى الليل
وانه صلى الله عليه وسلم مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس نسوة
فمضغنها كل فمنهن ولم يوجد لافواههن ريح خلوف واما فصاحة
لسانه الشريف صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه
وحكمه فامر اظهر من ان يذكر واشهر من ان ينشر فيحكى وقد
ارتقى في كل ذلك الغاية التي لم يدركها مخلوق حتى قال بعض
العلماء ان كلامه معجز كالقران واما صوته فروى ابن عساكر خبر
ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت
حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن
الصوت والبيهقي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع
العواتق في خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس
يوم الجمعة وهو على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة
وهو في بني غنم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب بمنى ففتح
الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم واما ضحكه الشريف

١٢٩

سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفاء

صلى الله عليه وسلم وبهو انه سيد للعلمين الاولين والاخرين كما من
مبسوطا او الكتاب ضحكه اي الذي يظهر سروره وهو التبسم
كما رواه البخاري عن عايشة رضي الله تعا عنها ما رايته مستجمعا
قط ضاحكا اي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا
ينافيه خبر البخاري ايضا في المواقع اهله في رمضان فضحك
حتى بدت نواجذه وهي بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهي لا
تكاد تظهر الا عند المبالغة في الضحك لان عايشة رضي الله تعا
عنها انما نفت رويتها وذلك لا ينافي وقوع غير التبسم منه
نعم الذي دل عليه مجموع الاحاديث انه كثر او فاته هو التبسم
وربما ضحك والمكروه انما هو الاكثار او الافراط من الضحك سوا
كان معه قهقهة ام لا ومن ثم روى البخاري في ادبه وابن ماجة
النهي عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم مبادي الضحك
من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الاسنان من
السرور مع صوت خفي فان كان فيه صوتا يسمع من بعيد فهو
القهقهة واما بكاوه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه
لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه حتى تنهملان
ويسمع لصدره ازيز اي غليان يبكي رحمة للميت وخوفا على امته
وشفقة من خشية الله وعند سماع القران واحيانا في صلاة
الليل وجاء انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاوب وجاء ان نبي

كذلك

كذلك واما يده الشريعة فقد وصفه غير واحد كما في عدة
طرق بانه شثن الكفين اي غليظ اصابعهما وبانه عبل الذراعين
رحب الكفين ووصف ايضا بان يده الين من الحرير والديباج وابرد من   صلى الله عليه وسلم
الثلج واطيب ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر اي لانه
جمع مع لين الجلد غلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعي الشثن
بغلظ في خشونة مردود بان نقل ابن خالويه عنه انه قيل له ورد
في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين فاقسم ان لا يفسر
شيئا في الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه وسلم كان ربما حصلت
له خشونة في كفيه من جهاد او عمل في مهنة اهله وتفسير
ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع قصرها يرده ما جاء انه كان
سايل الاطراف فالتحقيق ان الشثن الغلظ من غير خشونة ولا
قصر وروى الحاكم وغيره انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الشريعة
الدم عن وجه وصدر من جرح في وجهه فكان اثر يده غرة سايلة   الشريفة
كغرة الفرس وصح انه صلى الله عليه وسلم مسح راس لحية ابي زيد
الانصاري ثم قال اللهم جمله فبلغ بضعا ومائة وما في لحيته   سنة
بياض ولا في وجهه انقباض وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه
وسلم مسح راس حنظلة بيده وقال بورك فيك فكان يمسح بمحل
يده صلى الله عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه الشريفين
فكانا ابيضين كما جاء عن عدة من الصحابة رضوان الله تعا عليهم

اجمعين لكن تعارضه الرواية الصحيحة كتفا انظر الى عفرة ابطيه
والعفرة بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض في الاول على
البياض غير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه
لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت له
مسربة وهي خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بل في رواية له
شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا بطنه
غيره واما بطنه وظهره فجاء انه صلى الله عليه وسلم مفاض البطن
اي واسعه وقيل مستوي الظهر مع الصدر وان بطنه صلى الله عليه
وسلم كالقراطيس المثنى بعضها على بعض وانه بعيد ما بين
المنكبين اي عريض الصدر واما قلبه صلى الله عليه وسلم فهو اول
قلب اودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه اول الخلق صلى الله عليه وسلم
كما مر وصورته اخر صور الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو
اولهم واخرهم في حيازة اعلى الكمالات الخلقية والخلقية
ومما ينبيك بان قلبه اودع ما لم يودعه غيره تكرر شقه وملأه
ايمانا وحكمة واخراج حظ الشيطان منه كما مر ذلك مبسوطا
في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم ومحاسنه الظاهرة التي هي
اعلام على الاخلاق الباطنة فكما ان تلك لم يساوه فيها مخلوق
فكذلك هذه واما جماعه صلى الله عليه وسلم فقد صح عن انس كنا
نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا في الجماع وروى الاسماعيلي قوة

اربعين

اربعين زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل في
الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي وقال غريب واربعون في
مائة باربعة الاف ومع ذلك كان على غاية من تقليل الغذاء لغير
الله تعالى له العادة في الامرين ولم يحتلم قط وكذا الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لانه من الشيطان لكن ظاهر قول عائشة رضي الله
تعالى عنها يصبح صائما جنبا من جماع غير احتلام انه يحتلم وبتسليمه
فالاولى حمله على ما اذا كان عن رؤية وجماع لان هذا هو الذي من
الشيطان بخلاف مجرد نزول المني في النوم واما قدمه الشريف
صلى الله عليه وسلم فجاء عن غير واحد انه شثن القدمين اي غليظ
اصابعهما وكانت سبابته قدميه اطول من بقية اصابعهما ومن
روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد وكانت خنصرها
متظاهرة وكانا لا اخمص لهما اي ليس في باطنهما كبير انخفاض
بحيث يطا به كله فهو معتدل الخمص ومعنى رواية مسيح القدمين
ان فيهما مع ذلك لينا وملاسة دون تكسر وتشقق واما طوله
الشريف فكان ربعة لكنه الى الطول اقرب كما جاءت به الاحاديث
الكثيرة وفي حديث ما يفيد انه لا ان مشى وحده او مع قصير والا
طال على من ماشاه وهو ينسب الى الطول ان لم يكتنفه طويلان
طالهما فاذا فارقاه نسب الى الربعة واما مشيه الشريف فقد
صح عن علي كرم الله وجهه انه كان اذا مشى تكفأ تكفيا كانما ينحط

من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع والانحدار من
الصبب قريب او اراد انه كان يستعمل التثبت ولا يتبين منه في هذه
الحالة استعجال ومبادرة بالمشي وهذا هو مراد الناظم بقوله
والمشي الكاين منه الهوينا تصغير الهون وهو السكينة
والوقار للتعظيم نحو وكل اناس سوف تدخل بينهم :. دويهية
تصفر منها الانامل وقد مدح تعالى من يمشون كذلك فقال عز
قايلا وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك
رواية الترمذي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رايت احدا اسرع
من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الارض تطوى له انا
لنجهد انفسنا وهو غير مكترث لان عجزهم عن لحوقه ليس لانه
كان يجهد نفسه في المشي كما يدل عليه قوله غير مكترث بل
لانه كان يبارك له في مشيه كما يدل عليه قوله كان الارض تطوى
له فهو مع هون مشيته لا يلحق ومعنى رواية ذريع المشي اي
واسع الخطوة وقال ابن القيم في رواية انه كان اذا مشى تقلع
التقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط من الصبب وهي
مشية اولي العزم والهمة وهي اعدل المشيات واروحها للاعضاء
وكثير من الناس من يمشي قطعة واحدة كانه خشبة محمولة
وهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل الاهوج وهذه نداء على
قلة عقل صاحبها لاسيما ان اكثر فيها الالتفات وكان صلى الله

عليه

عليه وسلم اذا مشى معه اصحابه قدمهم امامه وقال خلوا ظهري
للملايكة وكان اذا مشى في قمر او شمس لا يظهر له ظل ورده قوله
صلى الله عليه وسلم في دعايه واجعلني نورا واما لونه الشريف
فقد وصفه جمهور اصحابه بالبياض كما صح عنهم من طرق متعددة
ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة لانه مع ذلك يسمى ابيض نعم قد
ينافيها رواية ابيض شديد البياض الا ان يحمل المشرب بالحمرة على
الوجه فقط وما عداه شديد البياض كما يدل عليه رواية فنظرت
الى ظهره كانه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية امهق اي
احمر ليس بابيض وقول عياض رحمه الله انها وهم غير صحيح وكذا
رواية ليس بالابيض ولا بالادم اي وقول عياض ان هذه ليست بصواب
مردود بان المراد ليس شديد البياض ولا شديد الادمة وانما يخالط
بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك انه اسمر الوارد في رواية
وتوافقها رواية ابيض بياضه الى السمرة ورواية احمر الى البياض
والمراد انه كان تحصل له السمرة اذا سافر لتاثره من الشمس وتظليل
الغمام وغيره له انما كان ارهاصا كما مر وقد انقضى وقته وقد
ذهب بعض المالكية الى ان من زعم انه كان اسود يقتل لان السواد
يشعر بالنقص واما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان في ذلك
الغاية العليا وان لم يمس طيبا كما صح عن انس وغيره وروى ابو
يعلى والطبراني ان رجلا استعان به في تجهيز ابنته فاستدعى

بفارورة وبسلت فيها من عرفه وقال مرها فلتتطيب به فكانت
اذا تطيبت به شم اهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت
المتطيبين ومن انه كان اذا مر بطريق فمر الناس منه وجدوا
ريحه وعرفوا بذلك انه مر منه وحديث خلق الورد من عرفه او في
من عرق جبريل او من عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب ان ما
كان يخرج منه صلى الله عليه وسلم تبتلعه الارض وايده الحافظ
عبد الغني بان احدا من الصحابة لم يذكر انه رءاه بخلاف البول فانهم
كانوا يستشفون به كدمه ومن ثم اختار جماعة من ائمتنا
طهارة جميع فضلاته صلى الله عليه وسلم واما نومه فهو الاغفاء
اي اخف النوم بحيث لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد عن نوم
القلب وغفلته المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه
وسلم كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان تنام عينه ولا
ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم ينتقض وضوءه
بالنوم وسر ذلك كمال حياة قلبه ويقظته ودوام شهوده
لربه ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ لانه لا يدري ما
هو فيه ولا ينافيه نومه صلى الله عليه وسلم بالوادي عن صلاة الصبح
حتى حميت الشمس لان رؤيتها من وظيفة العين والقلب انما يدرك
نحو الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهي نائمة والقلب
يقظان وكانه انما لم يدرك مرور الوقت الطويل لانه نام قبل

العجر

الفجر الى ان حميت الشمس لانه كان مستغرقا في شهود ربه وما يفيضه
عليه من معارفه وانما لم ينبهه على ذلك ليقع التشريع بتلك الاحكام
الكثيرة جدا التي استفيدت من تلك الواقعة كسهوه في الصلاة وقيل
كان له نوم ينام فيه قلبه ايضا وهو الذي كان حينئذ ورد بانه
لم يثبت فهو مردود على قائله كتاويل بعضهم قوله صلى الله عليه
وسلم لا ينام قلبي بما يخرجه عن ظاهره من غير دليل واذ قد انتهى
الكلام على شيء من محاسن ذاته صلى الله عليه وسلم التي لم يخلق الله
نعله ذاتا اشرف منها فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه
وصفاته التي لم يخلق الله اشرف منها ايضا فنقول اما سوى اي ليس
غير خلقه النسيم اي الريح التي في غاية اللطافة واللين والطيب
يعني لا يشبهها خلق احد الا خلقه الكريم وهذا مقتبس من قول
ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود
الناس بالخير ثم قال فلرسول الله صلى الله عليه وسلم اجود بالخير
من الريح المرسلة فان قلت صريح هذا ان خلقه صلى الله عليه وسلم
افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف هذا التشبيه المؤذن
بتشبيهها عليه قلت هذا لا يضر لانه انما هو باعتبار الغالب ولا
فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في صليت على ابراهيم الخ
فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما هو باعتبار ما فيها مما يفيد
الروح ويحيي القلب ويجلو صدا النفس وغير ذلك مما لا يقام حقيقة

ما سوى خلقه النسيم
غير كيفا او الروض الغض

الجواز الا به وانما قلت يعني لا يشبهها الخ لا يمكن ان هذا المراد
من العبارة لا ينفي به وذلك لان نفي مشابهة غير خلقه لها لا يفيد
انه لا يشبهها الا خلقه لان هذا الحصر لا دليل عليه في الكلام بل
صريح كلام الراغب انه لا مفهوم للنفي بغير وعبارته غير تقال
على وجهين الاول ان تكون للنفي المجرد من غير اثبات معنى به نحو مررت
برجل غير قائم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله
وقال وهو في الخصام غير مبين انتهى المقصود منه وسيأتي في
شرح قوله وما سواي هو العاصي ما له بما هنا تعلق فاستحضره
والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب وهو والمفتوح في الاصل قف
بمعنى واحد ولكن خص المفتوح بالهيئات والصور المبصرة
والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة ثم قيل المضموم
غريزة لخبر البخاري ان الله تعالى قسم بينكم اخلاقكم كما قسم
ارزاقكم والجواز اصله غريزي وتمامه مكتسب لما صح انه صلى
الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم
والاناة قال يا رسول الله قديما كانا فيّ او حديثا قال قديما قال
الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله فترديده
السؤال وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان
بعضه غريزي وبعضه مكتسب ويدل له ايضا الحديث الصحيح
اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلقي وما صح انه صلى الله عليه

وسلم

وسلم كان يقول في دعاء الافتتاح واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي
لاحسنها الا انت فهو جبلة في نوع الانسان وهم متفاوتون
فيه فمن عدم حسنه او كماله امر بالمجاهدة والرياضة حتى
يقوى ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يقتدر
على ربها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله عليه
وسلم من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا
يحيط به عد اثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز فقال عز قائلا
وانك لعلى خلق عظيم فوصفه بالعظم وزاد في المدحة باتيانه بعلى
المشعرة بانه صلى الله عليه وسلم استعلى على معالي الاخلاق واستولى
عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون الكرم الغالب
وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة وخلقه صلى الله
عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده غاية الرحمة
للمومنين عنده غاية الغلظة والشدة على غيرهم فاعتدل فيه
الانعام والانتقام ولم تكن له همة سوى الله تعالى فعاشر الخلق
بخلقه وباينهم بقلبه ومن ثم ورد بسند فيه ضعف ان الله بعثني
بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفي رواية الموطا انما بلاغا خ
بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه صلى
الله عليه وسلم ومن ثم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان خلقه
القرآن قال السهروردي رحمه الله تعالى ونفعنا به في عوارفه في

قولها ذلك رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية في احتشمت
من الحضرة الإلهية أن تقول كان متخلقا بأخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى
بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف
المقال وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها انتهى وقال بعض العارفين
لما كان خلقه أعظم خلق بعثه الله تعالى إلى جميع العالمين وعلم من كلام
عائشة رضي الله تعالى عنها أن كمالات خلقه لا تتناهى كما أن معاني
القرآن لا تتناهى وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم
ما انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كريم الأخلاق لم يكن باكتساب
ورياضة وإنما كان في أصل خلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحماني
الذي لم تزل تشرق أنواره في قلبه إلى أن وصل لأعظم غاية وأتم نهاية
واعلم أن كمال الخلق إنما ينشأ عن كمال العقل لأنه الذي به تقتبس
الفضائل وتجتنب الرذائل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة
فهو جوهر الإنسان ولكن جوهره البصيرة وفي القاموس بعد الإ
شارة إلى الخلاف في تعاريفه والحق أنه روحاني به تدرك النفوس
العلوم الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد
ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل عند البلوغ انتهى والحديث المشهور أول
ما خلق الله العقل فقال له أقبل الخ موضوع وعقل نبينا صلى الله عليه
وسلم وصل في الكمال إلى غاية لم يصل إليها ذو عقل ومن ثم روى أبو
نعيم وابن عساكر عن وهب أنه وجد في أحد وسبعين كتابا أن الله

قوله أول ما خلق الله الخ

تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في
جنب عقله صلى الله عليه وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا
ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم للعرب الذين
هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم المتنافرة المتباعدة
حتى قاتلوا دونه أهاليهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم
مع أنه لم يطلع على سير الماضين ولا تعلم من العقلاء المحدثين
وفي هذا ما في الذي قبله مقام من أنعا ولا غبر محياه أي وجهه
صلى الله عليه وسلم الروضة الغناء أي الكثيرة النبات والأزهار
والثمار أي لم تشبه الروضة الغناء إلا وجهه لأنه أحسن الخلق وجها
كما من مبسوطا هو رحمة وهي عطف وميل نفساني غايته
التفضل والإنعام أي عينها مبالغة أو ذو رحمة وهو خبر مقدم
والخبر بعده وبما بعدها بلفظ المصدر إشارة إلى أنها قد
امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كأنها هو وكأنه
هي إذ ركب منها وطبع عليها وخلق منها كله كما قال تعالى وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين ويجوز نصب رحمة على الحال على أنها
اسم فاعل ومفعول لأجله وعلى حذف مضاف أي ذا رحمة والعالمون
هنا قيل الجن والإنس وعليه الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير
واحد من المحققين ورد عليه أيضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل
الرازي وغيره الإجماع على أنه لم يرسل للملائكة مردود بل أخذ

رحمة كله وحزم وعزم ووفاء وعصمة وحياء

بعض متأخري أئمتنا المحققين بظاهر خبر مسلم وأرسلت إلى
الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو رحمة للمؤمنين بالهداية وللمنا
فقين بالأمان من القتل وللكافرين بتأخير العذاب ولسائر الحيوانات
لأن بوجهه يستسقى الغمام وبدعائه ينزل قطر السماء فينبت
النبات ويكون لها سقيا ورعيا وللمنافقين وقال ابن عباس هي
رحمة للبر والفاجر لأن كل نبي إذا كذب أهلك الله من كذبه ونبينا
محمد صلى الله عليه وسلم أخر من كذبه إلى الموت أو إلى القيامة وأما
من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة فعلم أن ذاته الشريفة
رحمة للمؤمن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم وروى الدارمي والبيهقي حديث إنما أنا رحمة مهداة
وقال بعضهم زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع
شمائله كله رحمة على الخلق وقال آخر الأنبياء خلقوا كلهم
من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف
هو عين الرحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال لأنا
نقول إنما ذلك لمن أدبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا
إرشاد ومن أوصافه تعالى الرحمان الرحيم والجبار والمنتقم
وفي الشفا حكي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من
هذه الرحمة شيء فقال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت
ولما شج وجهه وكسرت رباعيته يوم أحد قالوا له لو دعوت

محلها قد تقدم ولا معنى لها هنا

عليهم

عليهم فقال إني لم أبعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم
اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون أي اغفر لهم هذا الشيء المخصوص لا
مطلقا وإلا لأسلموا كلهم ذكره ابن حبان وإنما دعا عليهم يوم
الخندق فقال الله تعالى يملأ بطونهم نارا لأنهم شغلوه عن الصلاة
الوسطى فكان الدعاء لله تعالى لا لحظ نفسه وحزم كله أي كل
جميع أحواله التي تصدر منه إنما تصدر على غاية من الضبط
والقوة والشدة الباطنة والظاهرة لأن منشأ ذلك العقل الكامل
وقد مر أنه لا أكمل من عقله بل لا مساوي له من نبي ولا ملك
وعزم كله من عزم على الشيء قطع به أي جميع ما يفعله بوحي
١٢١ أو اجتهاد إنما يفعله مع إمضائه والقطع به من غير إعراض
عنه ومن ثم كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه إذا فعل
خيرا لزمه إدامته كما وقع له أن ناسا شغلوه عن سنة الظهر
البعدية حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصلي
ركعتين بعد العصر إلى وفاته صلى الله عليه وسلم وبين حزم وعزم
الجناس المضارع لتقارب مخرج الحرفين ووقار كله لأن الله تعالى
ألقى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة بن زيد
كما رواه أبو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقر
الناس في مجلسه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه كان
إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم

لعله أبو

في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا
تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم
وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تنتهك فيه الحرم
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير جاء إليه
رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له
هون عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش
تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه
وسلم فقال يا أيها الناس إنما أوحي إلي أن تواضعوا ألا فتواضعوا
حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله
إخوانا ورأته قيلة بنت مخرمة في المسجد قاعدا القرفصاء فارعدت
من الفرق رواه أبو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى
عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت قط عيني
منه حياء منه وتعظيما له صلى الله عليه وسلم ولو قيل لي صفه لما
قدرت وإذا كان هذا وهو من أجلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك
فما بالك بغيره فعلم أنه صلى الله عليه وسلم لولا أنه كان يباسطهم
ويمزح معهم ومع ذلك لا يقول إلا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم
لما قدر أحد منهم أن يجالسه ولا يحادثه لما ألقى الله تعالى عليه
من المهابة والجلالة وقد خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا
ملكا أو نبيا عبدا فنظر إلى جبريل عليه الصلاة والسلام كالمستشير

فأشار

فأشار إليه أن تواضع فاختار العبودية وعصمته كلها أي حفظه
مما يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها
عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها في سائر حركاته وسكناته
في باطنه وظاهره سره وعلانيته جده ومزحه رضاه وغضبه
والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه بحيث وقد أجمع الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين على اتباعه والتأسي به في كل ما يفعله من
قليل وكثير وصغير وكبير لم يكن عندهم في ذلك توقف حتى أعماله
صلى الله عليه وسلم في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها
علم بهم صلى الله عليه وسلم أو لم يعلم ومن تأمل أحوالهم معه
استحيى من الله تعالى كما قاله الإمام المجتهد التقي السبكي أن يخطر
بباله تشكك في أنه معصوم في كل ما ذكرناه وكذلك الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون كما ذكر وحكي في
عصمتهم قبل النبوة خلاف ومحله في غير الجهل بالله وصفاته
أما هذا فهم معصومون منه إجماعا بل لم ينشؤوا إلا على
أكمل الأحوال من الإيمان بالله ومعرفته كما ينبغي وحكي في
عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف أيضا وهو في غاية
الضعف بل ألزم قائله خرق الإجماع وما لا يقول به مسلم ومحله
في غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفي غير ما يتعلق بطريق
التبليغ أما هذا فهم معصومون منها إجماعا وأما قوله تعالى

ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيها اقوال كثيرة احسنها ما جاء
عن ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما وآخرين من صحابة وتابعين ان
معناه ووجدك ضالا عن ما تراه من معالم النبوءة فهداك اليها
ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب اي القرآن
ولا الايمان اي الدعاء اليه ولا الفرائض ولا الاحكام اذ الايمان يطلق
عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى
بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما جاء مرجوعا اي وجدك
ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع يقتلك فردك اليه
او هو من ضل الماء في اللبن اذا انغمر فيه اي وجدك مغمورا بين
كفار مكة فنصرك عليهم واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على اقوال كثيرة بعضها
يبطل الاحتجاج به للقول الساقط السابق اتفاقا ومن احسنها
ان المعنى خففنا عنك اعباء النبوءة التي اثقلت حقوقها والقيام
بموجباتها ظهرك حتى كاد ان يكون له نقيض اي صوت والمراد
عصمناك من الوزر الذي لو تحملته صوت ظهرك من ثقله فسمى
العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنك اوزار امتك الذي اثقل ظهرك
خوف عاقبتها حتى امنك الله ذلك في العاجل بقوله عز قائلا وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم واعطاك الشفاعة فيهم في
الآجل واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

فاختلفوا

فاختلفوا فيه كذلك واحسن ما قيل فيه ايضا قول ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان والمراد
بالذنب ذنوب امتك على وزان ما مر او ترك الاولى والاخرى كما قيل حسنات
الابرار سيئات المقربين وعليه قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم اي محا عنك ما ان تكيفه من خلاف الاولى ووقع لبعض مشاهير
المفسرين في بعض هذه الآيات ما لا ينبغي من الشناعة وسوء
الادب فاحذره وحفظه صلى الله عليه وسلم من اعدائه ايضا
الحريصين على قتله فكان اصحابه يحرسونه حتى نزل قوله تعالى والله
يعصمك من الناس فاخرج صلى الله عليه وسلم راسه من القبة وقال
يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي وتواعد جماعة على قتله
فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشي عليهم ثم تواعدوا
مرة اخرى فلما راوه جاءت الصفا والمروة فحالت بينه وبينهم
وواعد ابو جهل قريشا ان رءاه ليطأن على عنقه فاعلموه به
فذهب اليه فولوه هاربا فسئل فقال لقد دنوت منه فاشرفت على
خندق مملوء نارا فكدت ان اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ووفد عليه عامر بن الطفيل واربد بن قيس ليقتلاه
فشغله عامر فاراد اربد قتله فلم ير الا عامرا او حيا كله كما
يصرح به خبر البخاري عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه كان رسول

الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها قيل
ذكره من باب التتميم لان العذراء في خدرها يشتد حياؤها اكثر مما
تكون خارجة عنه لان الخلوة مظنة وقوع الفعل بها وقيل الظاهر
ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها
فيه والحياء بالمد لغة تغير يعتري الانسان من خوف ما يعاب به
وشرعا خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق
ذي الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه
بقوة حياة القلب وضعفه وهو اقسام ثمانية يطول استقصاؤها
منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم ممن دعاهم الى
وليمة زينب فطولوا عنده المقام فاستحيى ان يقول لهم انصرفوا
ومن ثم كان لا يواجه احدا بما يكره بل اذا بلغه عن احد شيء قال ما
بال اقوام ولم يقل ما بال فلان قالت عائشة ما رايت منه ولا راى
مني ومنها حياء المحبة وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه
فيهيجه اليه ومنها حياء العبودية وهو ممتزج بين محبة
وخوف ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحيي
منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه ان رضيت بالنقص او
قنعت بالدون حتى كان له نفسين يستحيي باحداهما من الاخرى وهذا
اكمل ما يكون من الحياء وهو حياء القلوب سر الشريعة الرفيعة وهو
الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحياء لا ياتي الا بخير والحياء من

الايمان

الايمان رواهما البخاري وجعل من الايمان مع انه غريزة لان استعماله
على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحياء المكتسب
هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون الغريزي
غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى
يكاد يكون غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين
فكان في الغريزي اشد حياء من العذراء في خدرها تتميمه
في تاكيد الناظم لهذه المذكورات بلفظ اجمع الاول وتقديرا فيما
بعده كما قررته بكل المضافة للضمير الدال على انه لاستغراق
افراد اجزاء المفرد المعرف نظر لانه لا يفي ارادة الاجزاء فيه اذ
لا معنى لقوله جميع اجزاء ذاته وفاق وحياء ويجاب بان
القصد لهذه المبالغة افادة انه لو فرض ان لتلك الذات اجزاء
متفاضلة لكانت كلها كذا نعم العصمة والرحمة في التاكيد
فيهما من غير ادعاء مبالغة اذ جميع اجزاء البدن فيه وصفاتها
فتامله ومما نقل عنه صلى الله عليه وسلم اوسع العفو ولذلك
اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يجد من ذلك اتساع
خلقه العظيم والحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره لا
سيما في الشدائد حتى انه لا تغل الباساء اي الشدة وان افرطت
لا سيما في الحروب وقد اسعرت نيرانها واضطرمت عن شجاعة
منه متعلق بما بعده من المضاف او المضاف اليه او بتغل عن

لا تغل الباساء منه عن الصبر
ولا تستخفه السراء

الصبر وهو حبس النفس على ما تكره أي أسبابه من الحلم والعفو
والصفح والشجاعة المشبهة في اشتمالها على من قامت به حتى
منعته من وقوع نادرة منه عند ثوران نار الغضب بحبال ربطت على
شيء وأحكمت في عرى فاستمسكتا عليه ولم يمكن حلها ولا انفصا[لها]
فذكر العرى استعارة تخييلية وتشبيه الصبر بالثوب السابغ
في الإزار والعرى المحكمة استعارة بالكناية وذكر الإزار ترشيح
وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم على من حاربوه يوم أحد في أشد
ما نالوه به من كسر رباعيته وشج وجهه فسال الدم على وجهه
الشريف وشق ذلك على أصحابه فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم
فقال اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فإنهم لا يعلمون أي لا تعاجلهم
بالعقوبة من أجلي فإنهم لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم في
ذلك من العذاب وأصناف العقاب وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه
قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند
آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت
أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وإنما
قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حين شغلوه عن صلاة العصر
اللهم املأ قلوبهم نارا لأن الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم
لم يكن يغضب لنفسه وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله

امتثالا

١٢٥

امتثالا لقول الله سبحانه وتعالى له جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم ومن ثم غضب صلى الله عليه وسلم في أماكن
متعددة لأسباب مختلفة لكن مرجعها إلى أنه لم يغضب لنفسه
بل لربه وقد صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون مفتوحتين وهو
من أجل أحبار اليهود الذين أسلموا أنه قال لم يبق من علامات
النبوءة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم
حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما عنه (منه) يسبق حلمه
جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فكنت أتلطف له
لأن أخالطه فأعرف حلمه فابتعت منه تمرا إلى أجل فأعطيته
الثمن فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت
بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت
ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل
فقال عمر أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع
فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم صلى
الله عليه وسلم ثم قال أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر
تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه
حقه وزده عشرين صاعا مكان ما رعته فقبض فقلت يا عمر كل
علامات النبوءة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه

وسلم الا تستثبت وذكر له ما مر وقد عرفتها فاشهد انى قد
اسلمت، وروى ابو داوود ان اعرابيا جاء اليه صلى الله عليه وسلم
فجذبه بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف وقال له
احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا من مال ابيك
فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها ثلاثا حتى تقيدني
من جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي يقول له لا اقيدك ابدا
ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا، وروى البخاري ان اعرابيا
جذبه حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عنقه الشريف من شدة
جذبته وقال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فضحك ثم امر
له بعطاء، وروى الترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها لم يكن
النبيء صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح اي لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا
وروى البخاري ان رجلا استاذن عليه فلما راه قال بيس اخو العشيرة
وبيس ابن العشيرة فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه
فلما مضى سالته عائشة عما قال وعما فعل فقال صلى الله عليه
وسلم متى عهدتني فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه
تالف اليه لانه رئيس قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة
انتهى
دفعا للشر وهي بذل الدنيا لصلاح الدين او الدنيا او هما بخلاف
المداهنة فانها بذل الدين لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم

انما

انما بذل له من دنياه حسن عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه
حقا وفعله معه حسن عشرة وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة
ابن حصين الفزاري وقد كانت منه امور في حياة النبيء صلى الله
عليه وسلم وبعد موته تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق
وحارب ثم اسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه ففيما قاله صلى الله عليه
وسلم فيه من علامات النبوءة ولا ينافيه ما مر انه لم ينتقم لنفسه
امره بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن
كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون
حرمات الله تعالى وايس من ايمانهم ومن ثم لما طمع في ايمان
المنافقين احتمل فعلهم مع شدة ايذائهم له بما لا يصبر عليه
بشر وصبر على من علم بعدم ايمانه للمصلحة العامة كما
اشار لذلك النبيء صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وصح عن انس كان صلى الله
عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس وان اهل المدينة
راجعا
فزعوا ليلة فخرجوا فراوه جائيا من جهة الصوت متقلدا سيفه
على فرس لابي طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا ما راينا من
باس وصارع صلى الله عليه وسلم ابطالا معروفين بانهم لا يصرعون
فصرعهم صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن البراء انه قيل له افررتم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال لكن رسول الله صلى

الله عليه وسلم لم يفر كان هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم
انكشفوا فاكببنا على المغانم فاستقبلونا بالسهام ولقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان ابا سفيان
ابن الحارث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول انا النبيء لا
كذب انا ابن عبد المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف
وقد فر جيشه عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف
صلى الله عليه وسلم في نحو العدو مولعة على بغلة لا تصلح لكر ولا
فر وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه
باسمه ليعرفه من جهله ومن ثم قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم
كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه
بيننا وبين العدو وفهمنا خلفه محتمين به ولما قال اللعين ابي
ابن خلف يوم احد ابن محمد لا نجوت ان نجا تناول صلى الله عليه وسلم
الحربة من الحارث بن الصمة وقال لاصحابه بعد ان ارادوا التعرض
له خلوا سبيله فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف
نفسه الخبيثة اللعينة ولا تستخفه اي لا تخرجه عن ثباته
وتواضعه ووقاره السراء اي الرخاء والسعة في الجيوش والفتوح
التي منحها في اواخر حياته صلى الله عليه وسلم بل هو معها كهو
قبلها لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم لما
دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة

التي

١٢٧

التي لما راها ابو سفيان قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك
ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوءة قال
نعم وهو على ناقته القصوى في كتيبته الخضراء بين ابي بكر
واسيد بن حضير جاء انه وضع راسه تواضعا لله تعالى لما راى ما
اكرمه الله به من الفتح حتى ان راسه ليكاد يمس رحله شكرا
وخضوعا لعظمته ان احل له بلده ولم يحله لاحد قبله وبين
البأساء والضراء الطباق وانما اتصف صلى الله عليه وسلم
بهذه الكمالات التي لم توجد في غيره لانه صلى الله عليه وسلم
كرمت نفسه لانه تعالى لما اراد ايجاد خلقه ابرز الحقيقة
المحمدية من انواره الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ
منها العوالم كلها علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه
وسبق في ارادته وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوءته وبشره
بعموم دعوته ورسالته وبانه نبيء الانبياء وواسطة جميع
الاصفياء وابوه ادم بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد
ثم انبجست منه عيون الارواح فظهر محمد الصافي على الملا
المتقدم على عالم الاشباح فكان هو الجنس العالي على جميع
الاجناس والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو وان
تاخر وجود جسمه متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه
اذ هو خزانة السر الصمداني ومحل تنفيذ الامداد الرحماني

فبسبب كرامة نفسه وتشريفها عن كل رذيلة ونقيصة ما
يخطر السوء اي خلاف الاكمل الاولى به صلى الله عليه وسلم على قلبه
ولا الفحشاء لجميع وقلبه قد طهره الله تعالى بشق الملائكة له
المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة كما مر بيانه
واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي ذلك
ثم طهره وغسله وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط به الا المنزل
به عليه صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشاء مع العلم بانتفائها
بالاولى من انتفاء السوء لانها السوء الذي جاوز حده لان المقام
مقام اطناب واذا تاملت ما اتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم مما مر من تلك الكمالات التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد
عظمت نعمة الاله عليه عظمة قطعت سائر الخلق عن ان
يصل احد منهم الى مبادي غاياتها ومقاصدها بانتهائها فبسبب
هذه العظمة المذكورة استقلت بالبناء للمفعول الذكرى اي
عند اي وقت ذكر ما انعم الله به عليه ونظيره اقم الصلاة لذكرى
العظماء اي جميع ما انعم الله به عليهم لانه صلى الله عليه وسلم
اوتي غايات الكمالات الباهرة التي لا يدرك شاوها مخلوق ولو
عرض معها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضائل التي اوتيها
غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون كمالاته وقطعوا
بان ما عنده اعظم واجل وافخم واعد ثم ضمير ذكره وجملة العظماء

على ما ذكرته لان المقترح صريح في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على
عظم النعمة وحذر امر انه لو لم افعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال
الاقتصار على عظم النعمة على ما هو المتبادر منه عرفا الاحتقار
للمعظم الشامل لبقية الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
لا سيما وقد استعمله الناظم فيه بعد بيتين حيث قال مستقل
دنياك ولا نظر مع ذلك الى قبول ذلك الايهام المنع بان يقال
استقلال الشيء عده قليلا حقيرا في العرف ولا شك ان ما عداه صلى
الله عليه وسلم بالنسبة اليه كنسبة القليل الى الكثير فان قلت
يلزم على تسليم ذلك الايهام ان الاحتقار متبادر حتى على ما ذكرته
لان اضافة الاستقلال الى المنعم توهم احتقارها وهو محذور
ايضا قلت ممنوع لان النعم الواصلة للعظيم وغيره توصف
بالقلة تارة والكثرة اخرى فلم يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا
اصلا بخلاف الذوات فان وصفها بانها استقلت يوهم احتقارها
اذ لا يستعمل الاستقلال فيها الا بهذا المعنى غالبا نعم قرينة
المقام لا سيما مع مراعاة وصفهم بالعظمة تدفع ذلك الايهام
كما هو جلي وبين عظمت والعظماء تجنيس الاشتقاق وكان صلى
الله عليه وسلم من الحلم على من اذاه وزيادة الاحتمال لاعدائه وفرط
الحلم عليهم والاغضاء عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره
ومن ثم جهلت قومه اي قريش وغيرهم عليه اي اذوه اذى

لا يطاق فضربوه وخنقوه واغروا عليه سفهاءهم وصغارهم
فضربوه ورجموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فسال منها الدم على
نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة
والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا لاجله بني هاشم وبني
المطلب في شعبهم سنتين حتى كادوا ان يهلكوا من الجوع كما مر
جميع ذلك وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى
عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد
من يوم احد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف فاغروا
به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه **فاغضى** عنهم حلما
وتكرما لا سيما وقد جاءه لما ان اشتد ايذاؤهم له ملك الجبال كما
رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة السابق انفا فانه قال بعد
ان ذكر ما اذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد موت ابي طالب يدعوهم
الى الله ويستنصر بهم على قريش فانطلقت وانا مهموم على وجهي
فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب اي ميقات اهل الحجاز فرفعت
راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني
فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك
ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال
يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني

ربك اليك لتامرني بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال
صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله
وحده ولا يشرك به شيئا فكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم
واخو الحلم اي التاني في الامور وعدم الانتقام ممن اتى بمكروه وان
عظم اي الذي طبع عليه حتى صار غريزة له مختلطا بلحمه ودمه
دابه اي شانه وعادته المستمر هو عليها **الاغضاء** اي التغافل
عن ان يلتفت الى انه اوذي فضلا عن ان ينتقم ممن اذاه وفي كلامه
المقابلة لما قررته ان المراد بالجهل لازمه من ايذائه بما لا
يطاق ومن ثم لما اذوه يوم احد بشج وجهه وكسر رباعيته
قيل له ادع عليهم فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي
علما ينتفعون به اما لجهلهم اي اعتقادهم الشيء على خلاف
ما هو عليه وكثير منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون ان ايذاءه
صلى الله عليه وسلم ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم
اليه ادنى التفاتة من معجزاته لعلموا الحق واتبعوه من فورهم
واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا اي فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو اض
منه كما لا يخفى وبهذا يعلم ان في تعبير الناظم بالجهل تضمينا
لجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام
وفيه المقابلة ايضا وكذا بين الامساك والاعطاء والخفق

والظن الا بان وفيه ايضا جناس الاشتقاق وبين اغضا والاغضاء
والتذييل بالمثل السائر وهو اصل الاغضاء اطباق العين عن رؤية
المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما واذا
كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو الذي
وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق لان الله تعالى هو الذي
تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقائق حلمه وقدسه
حيث قال له خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وفسرها
جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين ساله فقال
يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وكل من اثر له حلم واحتمال عرفت له زلة او هفوة ثناع
الحلم الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد على كثرة الاذى الا
صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية الا حلما ولقد قالت
عائشة رضي الله تعالى عنها ما رايته منتصرا من مظلمة ظلمها
قط الا ان تكون حرمة من محارم الله اي المتعلقة به تعالى كما مر
ذلك مستوفى في شرح قوله لا تخل الباس منه عن الصبر
ومنه قصة الاعرابي الذي جذبه بردائه حتى اثر في عنقه
الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من مالك ولا من مال ابيك
فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله وانا عبده ثم طلب منه
القود فقال الاعرابي لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة

فضحك

فضحك وامر له بحمل بعيرته وهي في قصة اليهودي الذي اسلم
ان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ان حلمه يسبق غضبه
وانه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ولما دخل في غزوة
فتح مكة على قريش وقد اجلسوا في المسجد الحرام واصحابه
ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم ما تظنون اني فاعل
بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال صلى الله عليه وسلم
اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم
الطلقاء وسع بالكسر العالمين جمع عالم وللمحققين فيه
في الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره هنا وهو مع
اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما يختم
به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى
فصار اسما للكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل ما
تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم ادل
على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يحتمل غير الشمول لان الغرض
هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة والافلاك
والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها بطريق المطابقة المقابلة
ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض افراد تلك الاجناس فقط
ولا كما في حواشي الكشاف هنا كلام مبنا بنص الحسنة وغلب

في جمعه بالواو والياء والنون العقلاء لشرفهم وجمع جمع قلة
مع ان الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها على ان العوالم
وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله تعالى وكبريائه وقيل العالم
اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملائكة والجن وتناوله لغيرهم
على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل عني به الناس
فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم
الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع ولذلك سوى
بين النظر فيهما فقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقد
بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار لما في الاحياء من الاسرار
وجه اشتمال الانسان على نظير ما في العالم بما فيه طول فراجعه
فانه بديع ومنه ان العالم انقسم الى عوالم عالم الملك
وهو الظاهر للحواس وعالم الملكوت وهو المدرك بالعقل
وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخذ بطرف كل عالم منهما
والانسان كذلك فالمشابه للاول اجزاء بدنه وللثاني نحو روحه
وعقله وارادته وللثالث الادراكات الموجودة بالحواس والقوى
الموجودة باجزاء البدن **علما** تمييز اي وسع علمه علم علوم
العالمين الانس والملائكة والجن لان الله تعالى اطلعه على العالم
فعلم علوم الاولين والاخرين ما كان وما يكون كما مر وحسبك
في ذلك القران الذي اوتيه ومثله معه كما صح عنه صلى الله

فع

عليه

عليه وسلم وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وتبيانا لكل شيء
ويلزم من احاطته صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرانية ومثلها
الذي اوتيه ايضا انه احاط بعلوم الاولين والاخرين وان علومهم
مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم وبينه وبين ما
قبله الجناس المضارع **وحلما** تمييز اي وسع حلمه حلم العالمين
باسرهم كما عرف كان من صبر نفس او تقصير في حقه صلى الله
عليه وسلم فلم يغضب ولا انتصر لنفسه قط كما عرف مما
سبق وانه ما من حليم قط الا وقد عرفت له زلة او هفوة تخدش
في كمال حلمه الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة
الايذاء له والجهل عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلمه وما
قبله الجناس المضارع **فهو** بسبب جمعه لتلك المعالي التي
لم تجمع لغيره **بحر** اي واسع العلم والحلم وغيرهما من اخلاق
نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو تشبيه بليغ او استعارة
على قول مرجوح وذلك كالبحر الذي هو خلاف البر والنهر سمي بحرا
لاتساع عمقه وعرضه **لم تعيه** من اعيا فلان في مشيه اي تعب
او وقف **الاعباء** جمع عبء بكسر اوله وبالموحدة والهمز وهو
الحمل والثقل من اي شيء كان اي لم يكدر بحر علمه شك ولا شبهة
و بحر حلمه ايذاء ولا جهالة فاستعار الاعباء لكدورة البحر
والاعباء للمشبه والجامع الاثقال واذا تاملت ما تقدم من اوصاف

كماله الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي
اندرجت البحار كلها في يمه والكريم الحليم الذي دخل كل كريم
وحليم تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم
لعصمته عن التعلق لما سوى الله تعالى مستغن اي محتقر دنياك
اي الاموال التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السما
والارض ان ينسب الامساك منها اليه وان ينسب اليه ايضا
الاعطاء منها لانها العنا بها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي
حقيقة بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها
واخراجها ولو لم يستحقها احتقارا لشانها وتعليما للامة
عدم الاعتداد بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها اشد
الاعراض خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي
ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك
وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى والا فهو
عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد حسن
انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا فقال يا جبريل
والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد سفة من دقيق ولا كف من
سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته
فقال صلى الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر

اسرافيل

اسرافيل ان ينزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال
ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض
وامرني ان اعرض عليك ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا
او ذهبا وفضة تقبله فعلت وان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا
عبدا فاومى اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبدا فانظر الى همته
العلية كيف عرضت عليه خزائن الارض فاعرض عنها واباها
مع انه لو اخذها لم ينفقها الا في طاعة ربه تعالى لكنه اختار
العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما اسناها
ونفس زاكية كريمة ما ابهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا
بقوله في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب الابيات
الثلاثة ومعنى البيت الثالث وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة سيد
المعصوم من الى زخرف الدنيا وزينتها ونعيمها وما فيها انما خلقت
لاجله كما صرح به الخبر المشهور تنبيه قوله هنا مستغن الخ
احسن من قوله ثم واكدت زهده فيها ضرورته لان بعض العلماء
انكر وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع
وقد قيل له فلان زاهد فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا
انكر وصفه فيها بالزهد فالضرورة من باب اولى وفي السبعة
المسلوك التي المسمى عن الشفا وافراد ان فقهاء الاندلس افتوا
بارافة دم من وصفه صلى الله عليه وسلم في اثناء مناظرته باليتيم

ثم زعم ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها وذكر
البدر الزركشي عن بعض الفقهاء المتاخرين انه كان يقول لم يكن النبي
صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى
الناس بالله قد كفي امر دنياه في نفسه وعياله وكان يقول في
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا ان المراد به استكانة
القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع موقعا من كفايته وكان
يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك انتهى ولو قال المسكنة
المرادفة للفقر المقابلة له لكان انسب بغرضه واما خبر قف
الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد صح انه صلى الله عليه وسلم
استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ من فتنة الغنى فائدة
اكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى
الاخرة بل هذا هو المقصود بالذات من سائر الشرائع جميعا وهي
عدوة الله لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها
منذ خلقها وعدوة لاوليائه لانها تزينت لهم بزينتها حتى
تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وعدوة لاعدائه لانها استد
رجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها فخذلتهم
احوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن ابي حاطب قف
الذي انزل الله تعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن الآيات انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعوا

له بان الله يرزقه مالا فقال له صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي
شكره خير من كثير لا تطيقه فاعاد السؤال فقال صلى الله عليه
وسلم اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله اما والذي نفسي
بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث
بطوله وصح انه صلى الله عليه وسلم راى شاة ميتة فقال والذي
نفسي بيده للدنيا اهون على الله تعالى من هذه الشاة على اهلها
ولو كانت الدنيا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى
قف الكافر منها شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وصح ان ابا بكر
رضي الله تعالى عنه دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى ابكى
اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسالوه فقال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع عن نفسه شيئا ولم ار
معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال
هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت
قف انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث
المشهور فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان
تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها
كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم تنبيه علم من الاول
ان المراد بالدنيا المذمومة في الاحاديث وغيرها ما في قوله

تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية ويجمع ذلك
على كل ما لك فيه عاجل حظ او شهوة من غير ان يعين على عمل اخروي
ولا يقصد به ثانيهما تعارضت الاحاديث في ذم المال
ومدحه لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا سمى المال خيرا وفي
الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل ما جاء في ثواب
الصدقة والضيافة والاحسان والزكوة والحج ونحوها فهو ثناء
على المال لانه يتوصل به اليه وفي حديث البيهقي وغيره كاد
الفقر ان يكون كفرا وهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك
قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح خبر
اللهم من امن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك
فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن
بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله
وولده واطل عمره وطرقه كثيرة مختلفة منها وهي صحيحة على
شرط الشيخين ان اباذر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني
احبكم اهل البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم آلله قال
آلله قال فاعد للفقر تجفافا فان الفقر اسرع الى من يحبنا من السيل
من اعلى الاكمة الى اسفلها مع دعائه صلى الله عليه وسلم لخادمه
انس بان الله يكثر ماله وولده رواه الشيخان ووجه الجمع ان الاول
به في الاول من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتها لان الغالب

فيها

فيه) العتق كما هو واضح من الآيات والاحاديث وفي التنبيه من كلام (حتى
المراد به كثرة فوائدها وثمراتها الاخروية فالمال ليس خيرا
محضا من كل وجه وليس شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف
في يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كحية في
يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى للنفوس
واذهب واذا تاملت ايضا ما تقرر من كمالاته العلية علمت انه
صلى الله عليه وسلم شمس سماء العلوم والكمالات باسرها فيعم
وكل فضل تحلى به كامل فانما هو بواسطة استمداده من فضله
واذا كان الامر كذلك تحقق من حق بمعنى تيقن الظن بمعنى الاعتقاد
الجازم المطابق للواقع فيه اي في ذاته وصفاته انه بالنسبة
الى بقية الكمل في اشرافه ورفعته عليهم الشمس المشرقة
على هذا العالم البائنة عنه رفعة فلا يصل اليها احد منهم
وانه الضياء المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات
وبين الشمس والضياء تجنيس ومراعاة النظير وفيه) التشبيه
البليغ والاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي من رده
ومر اول الكتاب ما للبلغاء في التشبيه بالشمس فراجعه
لكن ليس كون المشبه به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد ينعكس
الحال كما في صلاة التشهد كما صليت على ابراهيم على احد الاجوبة
فيه وما هنا من ذلك كما نبه الناظم رحمه الله لذلك حيث

بين انه صلى الله عليه وسلم اعلا شانا في الضياء من الشمس وفاق
على طباقها. التشبيهية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبيه
لها فبسبب ان المشبه قد يكون اعلا من المشبه به كان شانه
صلى الله عليه وسلم انه اذا ما لم يتكلم الجمال ابن هشام على
هذه في المغني مع انها في القرآن في غير موضع وتكلم على اذ
ما مع كونها ليست فيه وتكلم على ذلك البهاء السبكي في
عروس الافراح في ادوات الشرط لكن لم يتعرض الواو زيادة ما
حولتها الى الحرفية اولا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري
فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها
باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها
ابعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر
لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها
على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري
فيها احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل
متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة
كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء عكس
الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا او جملة اسمية مقرونة
بالفاء او باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون او فعلية طلبية
كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق او المقام عليه ثم الحذف

على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما في جوابها من فعل
او شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش
في حتى اذا جاءوها انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا وقعت الواقعة
بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدا والثانية خبر
والمنصوبان حالان وكذا ليس ومعمولاها نعم قد تخرج عن
الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضي نحو واذا
راوا تجارة الاية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن
الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون فهي ظرف لخبر المبتدا
وزعم انه جوابها بتقدير بعضهم غفلة عن ان حذف الفا ضرورة
وان هم تاكيد لواو يغفرون الذي هو جوابها تعسف وان جوابها
محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل للاستمرار في الازمنة نحو
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار
هنا وفي نظائره التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق
دون موضوع اذا وتفارق ان في احكام كثيرة منها ان اذا
للمتيقن او المظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ما وان
للمشكوك او الموهوم والنادر ولا يرد نحو ولئن متم لان الموت
لكثرة الغفلة عنه والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا
نحو واذا مس الانسان الضر لانه للتوبيخ واخبارهم بانه لا
بد ان يمسهم شيء من العذاب يحيى يمشي عقب طلوع

بتقديرين

١٥

بين أنه صلى الله عليه وسلم أعلا شأنا في الضياء من الشمس فقال
على طبقها. التشبيهية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا انه تنبيه
لها وفيه ان المشبه قد يكون اعلا من المشبه به كان شأنه
صلى الله عليه وسلم انه اذا ما لم يتكلم الجمال ابن هشام على
هذه في المغني مع انها في القرآن في غير موضع وتكلم على اذ
ما مع كونها ليست فيه وتكلم على ذلك البهاء السبكي في
عروس الافراح في ادوات الشرط لكن لم يتعرض الى زيادة ما
حولتها الى الحرفية او لا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري
فيها قولا اذ ما قول سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها
باقية على الظرفية ويحتمل ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها
ابعد عن التركيب بخلاف اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر
لانه قابل للمنع فالذي يتجه جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها
على الظرفية لان ما تزاد في نحو ذلك كثيرا وحينئذ فيجري
فيها احكام اذا غير الفجائية من ان الغالب انها ظرف للمستقبل
متضمنة معنى الشرط وتختص بالجمل الفعلية ولو مقدرة
كاذا السماء انشقت وتحتاج لجواب وتقع في الابتداء عكس
الفجائية وجوابها اما فعل كما هنا او جملة اسمية مقرونة
بالفاء او باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون او فعلية طلبية
كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق او المقام عليه ثم المحقق

على ان ناصبها شرطها والاكثرون على انه ما في جوابها من فعل
او شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور وزعم الاخفش
في حتى اذا جاءوها انها مجرورة بحتى وابن جني في اذا وقعت الواقعة
بناء على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى مبتدأ والثانية خبر
والمنصوبان حالان وكذا البسو ومعمولاها نعم قد تخرج عن
الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى وللماضي نحو واذا
رأوا تجارة الآية فانها نزلت بعد الرؤية والانفضاض وعن
الشرطية نحو واذا ما غضبوا هم يغفرون فهي ظرف لهم المبتدأ
وزعم انه جوابها بتقدير بعضهم غفلة عن ان حذف الفاء ضرورة
وان هم تأكيد للواو ويغفرون الخبر هو جوابها تعسف وان جوابها
محذوف تكلف بلا ضرورة وقد تستعمل للاستمرار في الازمنة نحو
واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقد ينظر فيه بان الاستمرار
هنا وفي نظائره التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق
دون موضوع اذا وتفارق ان في احكام كثيرة منها ان اذا
للمتيقن او المظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ما وان
للمشكوك او الموهوم والنادر ولا يرد نحو لئن متم لان الموت
لكثرة الغفلة عنه والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا
نحو واذا مس الانسان الضر لانه لتخويفهم واخبارهم بانه لا
بد ان يمسهم شيء من العذاب فحي اي فمشى عقب طلوع

بتقدير

١٤٥

الشمس وهذا اليسير لتغييه الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون في
هذا الوقت وغيره لكنه في هذا الوقت اظهر لقوة ضياء الشمس
ومحو نورها حينيذ محى نوره وبين هذا وضحى التجنيس اللاحق
وهذا وانضحى تجنيس الاشتقاق الظل مفعول اي ظل ذاته
الكريمة او مطلق الظل مبالغة بل حقيقة لان نوره صلى الله
عليه وسلم اصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة ومنها الظل
او المراد بالظل كل ظلالة ونقص وبنوره ما جاء به صلى الله
عليه وسلم من الكتاب والسنة والعلوم والاداب لكن المراد بمحى
على هذا مطلق ظهوره في هذا الكون بل وصافه الكاملة
والحال انه قد اثبت الظلال جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس او
ينسخها هو واخص منه الفي لانه اسم لما بعد الزوال من
الظل فهو ما نسخ الشمس وقيل كل ما نسخته فهو في وظل
وكل ما لم تنسخه فهو ظل لا في الضحا بالضم اي ارتفاع
الشمس فنبينا صلى الله عليه وسلم اكمل من الشمس رفعة
وضوءا لان نورها يثبت الظل ونور نبينا صلى الله عليه وسلم
يمحوه ويدل على المعنى الاول ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم
انه اذا مشى في الشمس لا يظهر له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص
ولان الله تعالى استجاب له دعاءه المشهور انه يجعله كله نورا
فكان بدنه في غاية الاضاءة التي لا تحجب ما يقابلها فيلزمه

الضحا

الضحا لضرورة النظم انتهى وفيه نظر بل التوبيع القاموس من
الممدود ما قرب من انتصاب النهار كما ذكر ثم ذكر ان المقصور
الشمس وحينيذ ان اريد بالضحى الشمس كان مده ضرورة او قرب
انتصاب النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه لكن لا يصح ارادة
هذا هنا كما هو ظاهر من جعل النظم جملة وقد الخ حالا من
فاعل محا تنبيه لك ان تستشكل تركيب قوله شمس فضل
الخ بان حكمه عليه بانه شمس الفضل يغني عن قوله تحقق الظن
١٢٦ الخ لانه اذا ثبت اولا انه شمس الفضل الذي هو اسم لكل كمال
علم انه الشمس في الرفعة وانه الضياء فقوله تحقق الخ لا حاجة اليه
وجوابه ما اشرت اليه في حله من ان جملة تحقق الظن فيه
الخ حال موكدة لما قبلها وصاحب الحال الضمير العايد عليه
صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل معطوف على بحر
بحذف حرف العطف او مقدر لكل مبتدا استيناف للتعدد شمايله لتعداد
صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان كلا مستقل كامل في ذاته لا تتميمه
للبعضية كما مر في شرح قوله كل وصف له ابتداء الخ ولما ورد
على ظاهر ما قرره نظرا للاحتمال الثاني من ان نوره صلى الله عليه
وسلم يمحو الظلام سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت
تظله بان يقال كيف يمحو نوره الظل والغمامة الظلة ولم لم
يمح نوره ظل الغمامة ولم احتاج اليه مع انه الضياء الاعظم

من ضياء الشمس فلا تنافي فيه اشارة الى جواب ذلك لكن بما قد
نقص عنه عبارته ببادي الراي فقال فبسبب محو نوره الظل
الحسي على ما مر صار صلى الله عليه وسلم هو الظل المعنوي على جميع
اتباعه حتى كان الغمامة لما ظللته قبل النبوءة ارهاصا وتاسيسا
لما سيصير اليه امره اعلمته بانها استودعته الامة
باسرها لكن اصحابه بلا واسطة وهم الدفعاء ومن بعدهم
بواسطة استمداد الاولين من ظله صلى الله عليه وسلم وامداد
هم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطة هم من اي الذين
ظللت هم من بعض ظله الاعظم الدفعاء جمع دافع كعلماء
جمع عالم وهم جيوشه سمي الجيش بذلك لانهم يدفعون
نحو العدو اي يسيرون اليه لدفعه واستيصاله وحاصل الجواب
ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوءة كان لحكمتين احداهما
الارهاص كما تقدم وثانيتهما اعلامه صلى الله عليه وسلم
بما سيؤول اليه امره من ان الله تعالى سيجعل له امة اكثر الامم
وانهم قرون متتابعة وان كل قرن مستمد من القرن الذي قبله
وان الكل مستمد منه وممدود من ظله وحينئذ فلا تنافي بين
محو نوره الظل وبقاء الظل مع نوره عند تظليل الغمامة له
لان المحو هو الاصل المستمر والبقاء انما كان على خلاف الاصل
للحكمتين المذكورتين احداهما الارهاص والثانية الاعلام له

بعموم

بعموم ظله المعنوي على الامة من اولهم الى اخرهم فتأمل
ذلك فانه مهم ثم ان انغلق معنى هذا البيت على الشارح فقال
انه وجد هذا البيت في بعض نسخه وانه غير معهود المعنى
وسبب انغلاقه عليه جعله الضمير المفعول في استودعته
للظل لا يقال ثم ما قالوه من رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن
ان جعلنا الدفعاء للطيور ويكون في البيت حينئذ التلميح الى
قصة ان الطيور كانت تظل الانبياء قبله كداوود وسليمان
ثم بني اسرائيل وظللنا عليهم الغمام وحينئذ فكانه يقول
١٤٧ الغمامة لما ظللته استودعت الظل الانبياء الذين ظللتهم
الطيور من ظله لانا نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه
مع ما فيه من البعد والتكلف فان دفعاء فعلاء وهو انما
يكون جمعا لفعيل اذا كان وصف ذكر عاقل بشروط اخر ولفاعل
دال على سجية مدح او ذم بشروط اخرى كشجاع وشجعاء
وصالح وصلحاء وشاعر وشعراء وجاهل وجهلاء فعلم انه لا يصح
حمله على الطيور اصلا لانه انما يكون جمعا لصفة عاقل مذكر
او سجية مدح او ذم بشرطها على ان الذي سمع في الطيور دفوف
في العقاب وفعلا لا تجمع عليه اصلا ودافي فيما يطير بجناحيه
ولا يصف وهو وصف لغير عاقل ودفيف وهو لسير وصف للطائر
بالحركة وبتسليم انه وصف له هو غير عاقل فان قلت

المعنى الصحيح ان الغمامة لما اظلته استودعت الظل الطيور
التي اظلت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ظله فبهذا لا يجهل
الناظم عليه قلت يعارضه ما تقرر في قاعدة جمع فعلاء
وبتسليمه تجوزا في الجمع فالناظم ينبئ عن هذا المعنى بكل
وجه كما هو واضح فان قلت ظاهر كلام الناظم في البردة
انه احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافي ما مر ان
تظليلها لحكمة تمييز الشا بغتة قلت ما افهمه كلامه لم
يعارضه ان تظليلها لم يكن الا قبل النبوة ارهاصا كما مر
ولو كان لما ذكره لكان بعد النبوة ايضا فان قلت قد ظلل
عليه صلى الله عليه وسلم عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر
بالاحتياج قلت هذا من ضرورة الجبلة البشرية وما نحن
فيه من حيث الحقيقة والامور الاصلية فتامله وايضا فهو
صلى الله عليه وسلم برز للشمس في عرفة ولم يظلل اشارة الى
ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند الرمي اشارة الى
انه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا اشكال
اصلا ومرت قصة تظليل الغمام وروايتها في شرح قوله
واتاها ان الغمامة والسرح اظلته منهم احيا واذا تقرر ان
كل فضل مستمد من فضله صلى الله عليه وسلم وان نوره يمحو الظل
علم ما سبق في معناه علم انه قد خفيت عنده اي في جنبها

اوتيه

أوتيه الفضائل التي اوتيها غيره من الانس والملائكة
والجن وانه قد انجابت اي انكشفت به اي بسببه ما بثه فينا
من علومه وادابه واخلاقه عن عقولنا مشعرا به الاجابة
والعقل لغة المنع واصطلاحا غريزة يتبعها العلم بالضروريات
عند سلامة الالات وفيه خلاف طويل اشار اليه في القاموس
وعبارته العقل العلم بصفات الانسان حسنها وقبيحها
وكمالها ونقصانها او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او
مطلق الامور او لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن
او لمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تستتب بها
الاغراض والمصالح او لهيئة محمودة للانسان في حركاته
وكلامه والحق انه نور روحاني به تدرك النفوس العلوم
الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم
لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ انتهى الاهواء اي الضلالات
والنقائص فلم يقع في ورطة شيء منها كما وقع فيها
من اعرض عن الهدى وسلك سبيل الردى ثم استدل على ذلك الخفاء
وكشف الهوى بما افاده الاستفهام الانكاري فقال على
طريق اللف والنشر المرتب اي يوجد مع الصبح للنجوم تجل
ام يوجد مع الشمس للظلام بقاء اي انما خفيت الفضائل
عنده لانه البحر الصادق وغيره من سائر الكمل كالنجوم فكما

ان النجوم لا يبقى لها نور مع الفجر وكذلك سائر الكمل وانما
كشفوا عن عقولنا الاهواء لانه الشمس كما مر والاهوية والنفا
بص كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الاهوية
والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حائل بينها وبين
ما اشرقت عليه وبين الصبح والنجوم والشمس والظلام تجنيس
التقابل وفي البيت الكلام الجامع ولما فرغ مما يتعلق بقوله
شمس فضل بما بعده الى هنا لانه مناسب له عطف بجزئي حربه
او استئناف نظير ما مر فقال معجز القول اي ان الله تعالى امتن
عليه بجوامع الكلم التي اوتيها دون غيره ومن ثم قال بعض
العلماء ان كلامه معجز كالقرآن وكان الناظم رحمه الله تعالى
اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما يوافق
مذهب الاكثر بان كلامه صلى الله عليه وسلم غير معجز ومعجز
الفعال اي لا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا لسائر المصالح
الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي اوجد فيه ذلك
الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة خاص الحضرة
الالهية الذي لا يدخل احد البيت الا باذنه كريم الخلق كما
يعلم مما قدمته مبسوطا في شرح قوله فمنزه في ذاته الخ
وكريم الخلق بضم اوله كما مر مبسوطا في شرح قوله ما سوى
خلقه النسيم وبين القول والفعال والخلق والخلق التقابل مع

التجريد

التجريد في الثاني مقسط اي عادل في احكامه واقواله وافعاله
صلى الله عليه وسلم ولا يصدر منه شيء قط الا على غاية العدل
ظاهرا وباطنا باتفاق كل من رآه وعلم احواله المحق اعدائه
ومقاويه الا ترى ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبي صلى الله عليه
وسلم معهم قبل النبوءة فوصلوا الى موضع الحجر الاسود اختلفوا
فيمن يضعه في محله ثم اجمعوا على انهم يحكمون اول داخل
المسجد فكان النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا الامين
فحكموه فامر صلى الله عليه وسلم بوضعه بثوب وامر كل رئيس
قبيلة ان يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه فجعلوا الى ان
بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم فوضعه في محله
وصح ان رجلا قال وهو صلى الله عليه وسلم يقسم اعدل فقال
صلى الله عليه وسلم ويلك خبت وخسرت ان لم اعدل وكان صلى
الله عليه وسلم يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه
من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع
الاكبر وكان صلى الله عليه وسلم لا يواخذ احدا بقول احد لا يصدق
احدا في احد معط اي كثير العطاء الذي تعجز عن ادناه الملوك
فقد صح عن انس كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس واشجع الناس
واجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم
التي منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها امهات الاخلاق

اذ في كل انسان ثلاث قوى الغضبية وكمالها الشجاعة
والشهوانية وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب
الفضائل واجتناب الرذائل وصح عنه ايضا ما سئل صلى الله عليه وسلم
شيئا الا اعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى
قومه فقال يا قوم اسلموا فان محمدا صلى الله عليه وسلم
يعطي عطاء من لا يخاف الفقر واعطى صفوان بن امية يوم حنين
حين اسلم اعطاه مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وصح عن جابر
ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا اي لا ينطق بالرد
بل ان كان عنده المسؤول وساغ الاعطاء بان لم يرصد ما عنده لما
هو اهم اعطاه والا سكت كما في حديث مرسل فحينئذ لا ينافي
الحديث الاية قلت لا اجد ما احملكم عليه فهو صلى الله عليه
وسلم لا يقولها منعا للعطاء بل اعتذارا حيث لا ينفع السكوت
لنحو جفاء السائل وفي حديث الترمذي انه حمل اليه تسعون
الف درهم فقام اليها فما رد سائلا حتى فرغ منها وقال السائل
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له
عمر رضي الله تعالى عنه ما كلفك الله ما لا تقدر فكره منه ذلك
فقال انصاري انفق يا رسول الله ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه صلى الله عليه وسلم
وقال بهذا امرنا وقوم ما اعطاه يوم حنين فكان خمسمائة

نخ حتى

الف

الف الف فقيل هذا نهاية الجود الذي ما سمع لاحد مثله وصح
انه صلى الله عليه وسلم اتي بمال من البحرين فامر صلى الله عليه وسلم
بصبه في المسجد وكان اكثر مال اوتي به صلى الله عليه وسلم وفي رواية
مرسلة كان مائة الف فخرج للصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها
جلس اليه ففرقه صلى الله عليه وسلم ومع هذا الجود الواسع الزائد
كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقراء ويأتي عليه الشهران
لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من شدة
الجوع وجاءه سبي فسألته فاطمة رضي الله تعالى عنها في
خادم يكفيها مؤونة بيتها فامرها صلى الله عليه وسلم ان
تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وادع
اهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع واذا علمت اتصافه صلى
الله عليه وسلم بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا
ما يقاربها في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل امرئ ذلك
ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته لا تقس من قست الشيء بغيره
وقدرته على مثاله اي لا تشبه بالفتى الموصوف بما ذكر وهو
نبينا صلى الله عليه وسلم في الفضل الجامع لتلك الصفات بل ولا
في كل وصف منها على حدته لان كل وصف من اوصافه وصل فيه الى
غاية لم يلحقه مخلوق فيها خلقا نبيا او ملكا او غيرهما اي لا
تعتقد ان مخلوقا يساويه او يقاربه في وصف من اوصافه كماله

لما مر اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك الخ فهو
لا غيرك البحر الجامع لكل وصف من اوصاف الكمال البالغ النهاية
فيه والانام هو كما في القاموس كسحاب والانام بالمد والانيم
كامير الخلق او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض انتهى والمراد
هنا الاول بدليل قوله الاتي في العالمين اضاء بالكسر والمد
جمع اضاة كحصاة وهي الغدير ويجمع ايضا على اضا كفتا وشتان
ما بين البحر والغدير ففيه مراعاة النظير وفي كل فضل
وجد في العالمين الانس والملائكة والجن فهو كاين من فضل
ذلك النبي الاكرم على جميع من سواه من الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين وبين فضل والفضلا تجنيس الاشتقاق واستعار لحال من
ضمير الظرف المستقر الفضلاء لانه الممد لهم اذ هو الوارث
للحضرة الالهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه
لا يستمد منها الا بواسطة فلا يصل منها للكامل شيء الا وهو
من بعض مدده وعلى يديه فايات كل نبي انما هي مقتبسة من
نوره صلى الله عليه وسلم لانه كالشمس وهم عليهم الصلاة والسلام
كالكواكب فهي غير مضيئة بذاتها وانما هي مستمدة من نور
الشمس فاذا غابت ظهرت انوارها فهم قبل وجوده صلى الله
عليه وسلم كانوا يظهرون فضله وانوارهم مستمدة من نوره
الفايض ومدده الواسع الا ترى ان ظهور خلافة ادم واحاطته

بالاسماء

بالاسماء كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص به
نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلايق الى زمن بروز جسمه
الشريف فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى
تحت منشوره اياته كل اية لغيره من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي
مثلها او اعظم منها كما في سيرة الائمة ونحوها ومنه ان
ادم لما اعطي خلق الله تعالى بيده اعطي نبينا صلى الله عليه
وسلم انه شق صدره وملاه ذلك الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق
الجسمي ومن نبينا صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي ولذا كان
هو المقصود من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملائكة الا
٥١ لنور محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبهة ادم عليه السلام
كما قاله الفخر الرازي وادريس لما اعطي المكان العالي اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم المعراج الاعظم ونوح لما
ان نجا هو وقومه اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم
يهلك امته بعذاب عام ووقع في تفسير الرازي انه اعطي مكان
السفينة انه صلى الله عليه وسلم دعا حجرا وهو على شط ماء
فانقلع وسبح الى ان جاء اليه وشهد له بالرسالة وابراهيم
عليه الصلاة والسلام لما نجا من النار نجا نبينا صلى الله عليه
وسلم من نار الحرب فقال تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله

وروى النسائي انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه
وسلم فطار صحيحا ولما اعطي ابراهيم مقام الخلة اعطي نبينا
صلى الله عليه وسلم ذلك وزاد بمقام المحبة الارفع من مقام ومن
ثم يقول ابراهيم في الموقف لما يسأل في الشفاعة العظمى اني
كنت خليلا من وراء وراء ولما اعطي بناء الكعبة المشرفة اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم وضع الحجر الذي هو روحها في محله لما
بقته قريش ولما اعطي موسى عليه الصلاة والسلام قلب العصا
حية اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع الذي هو اغرب
وابهر وذكر الرازي وغيره ان ابا جهل اراد ان يرميه بحجر فرأى على
كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا واليد البيضاء التي بياضها
يغشي البصر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان عنده عباد
ابن بشر واسيد بن حضير ليلا فخرجا وبيد كل عصا فاضاءت لهما
عصا احدهما فمشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت عصا الاخر
صححه الحاكم واخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم
عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
فتفرقنا في ليلة ظلماء فاضاءت اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم
وما هلك منهم وان اصابعي لتنير وانفلاق البحر اعطي نبينا صلى
الله عليه وسلم انشقاق القمر الذي هو ابهر لانه تصرف في العالم
العلوي على انه نقل ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف

بحر

بحر الارض بالنسبة اليه كقطرة من البحر المحيط فعليه يكون
انفلاق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى وتفجير الماء من الحجر
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم تفجيره من بين اصابعه وهو ابلغ
لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء والكلأ اعطي نبينا
صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرى وزيادة الدنو والرؤية بعين
البصر وشتان ما بين جبل الطور الذي نوجي موسى عليه وما فوق
العرش الذي نوجي نبينا صلى الله عليه وسلم عليه وهارون الفصاحة
اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ابلغ منها وابهر على انها في العبرانية
والعربية افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته معجزة بخلاف
فصاحة نبينا صلى الله عليه وسلم فانه معجزة عند بعضهم
وكذا عند الكل لكن بالنسبة لما اشتملت عليه من الاخبار بالمغيبات
ولم يتحد نبي بها الا نبينا صلى الله عليه وسلم ولقد قال له بعض
اصحابه ما رأينا الذي هو افصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما
يمنعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين ويوسف
شطر الحسن وتاويل الرؤيا اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن
كله كما في الحديث وعبر من الرؤيا في وقعة كما عبر ما لا يدخله
الحصر وتعبير يوسف انما كان في ثلاث مرات كما في سورته وداود
تليين الحديد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر
بين يديه وان شاة ام معبد درت ببركة يده ولم تلد قط كما مر

وسليمان كلام الطير اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم انه كلمه
الحجر وسبح في كفه الحصات وكلمه ذراع الشاة المسمومة
والضبي وشكا اليه البعير والريح التي غدوها شهر ورواحها
شهر اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم البراق وهو اسرع من الريح بل
من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في لحظة واحدة واقل فع
مسافة ذلك سبعة الاف سنة وما فوق العرش الى المستوى
والرفرف لا يعلمه الا الله تعالى وايضا الريح سخرت لسليمان لتحمله
الى نواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض اي
جمعت حتى راى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض
وبين من تسعى له الارض وتسخير الجن اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم
ان الله مكنه من شيطان تعلق عليه في صلاته فاراد ان يربطه
بسارية وسخر له الجن حتى اسلموا ولم يسخروا لسليمان الا في العمل
وعد الطير من جملة جنوده اعجب منه حمامة الغار وعنكبوتة
بل هذا اعجب لان فيه الحماية من العدد الكثير بالشيء القليل وعيسى
عليه الصلاة والسلام ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم رد العين الى محلها بعدما سقطت
فعادت احسن ما كانت وذكر الرازي انه صلى الله عليه وسلم صح
برصا بشفتيه والبيهقي ان رجلا قال لا اومن بك حتى تحيي لي ابنتي
فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصا وحنين الجذع

ابلغ

ابلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس من يتكلم وبالجملة
فقد اوتي صلى الله عليه وسلم مثلهم وزاد بخصايص لا تحصى
اعلاما بانه الممد لهم دايما وفيه تجنيس الاشتقاق في
وعد اعن الاستعارة ليصفهم بالفضل اليهم مع كونهم
فضلا كاملين على بقية العالم انما يستمدون من محمد صلى
الله عليه وسلم لا على وجه الاصالة والاستقلال بل على وجه
الاستعارة المستحقة الرد اذا اراده المعير ولم لا يكون كذلك
وقد شق عن صدره وفي نسخة عن قلبه وكلا منهما صحيح
لانه صلى الله عليه وسلم شق صدره او لا ثم قلبه المرة بعد
المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات او خمسا مبالغة في
التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير
ذلك ولا ما يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث
رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس وشق له
اي لاجله صلى الله عليه وسلم البدر اي القمر بمكة قبل الهجرة
بنحو خمس سنين لما كذبه كفار قريش بمكة وبالغوا في
عناده فطلبوا منه اية يريهم اياها تدل على صدقه صلى الله
عليه وسلم وهي ان يشق لهم القمر نصفين فسال ربه فانشق
له كذلك كما نص عليه القران وتواترت الاحاديث به كما
حققه التاج السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون واهل

شق عن صدره وشق له البدر
ومن شق كل شهر جبر

المسنّة اعلاما بصدقه في دعواه الرسالة والوحدانية لله
تعالى وان ما يعبد من دونه باطل لا يضر ولا ينفع ولم يقع انشقاقه
لغيره صلى الله عليه وسلم وهي من امّهات معجزاته لا يكاد يعدل
بها شيء من آيات الانبياء عليهم الصلاة والسلام لظهوره
في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في العالم المركب
من الطبايع فلم يطمع احد في الوصول اليه بحيلة وفي روايات
ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر كلام بعضهم حكاية
الاجماع عليه لكن رده بان احدا من ايمة الحديث لم يجزم بذلك
وبان من قال مرتين اراد فرقتين كما في روايات او فلقتين كما في
اخرى له وفي روايات ان فرقة كانت فوق جبل حراء واخرى كانت
اسفله وفي رواية انه كان بمكة المراد منها ان ذلك كان وهم بمكة
قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله عليه وسلم كان بمكة
ليلتيذ وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة
على هذا الجبل وفي روايات انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اشهد
فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على ان يسئلوا السفّار فجاءوا من
كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع محمد
ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن وافقهم
من المبتدعة ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام العلوية
والتئامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى

عقولهم

عقولهم معاندين للشرايع فيما وردت به وأما قول بعض الملاحدة
لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل الارض كلهم في معرفته
ولم يختص بها اهل مكة لتوفر الدواعي على نقل العجايب فهو
من تهوره لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا او اول الليل
والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الى الغد قد
ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السماء فلا يلزم ما ذكره بوجه
على ان الاجماع الموافق للقرءان والسنة لا يحتاج فيه مثل هذه
التخيلات الفاسدة وكان هذا الملحد لم يسمع بما هو الواقع
البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون اهل قطر اخر وما
قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه باطل
لا اصل له تنبيه البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر
تعبير الناظم به دون القمر ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم
ار له في ذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر سمي بذلك
لانه يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب قبل تمامه
ويناسب هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد
ما غابت حقيقة لما نام صلى الله عليه وسلم وراسه في حجر علي
بالصهباء قرب خيبر حتى غابت ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه
يوحى اليه فلما استيقظ ساله اصلى العصر قال لا فدعا الله
ان يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت ليصلي

العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طعن فيه
جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه اخرون وهو الحق
وفى اسماء في الرواية الصحيحة فرايت الشمس طلعت بعدما غربت
حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي رضي الله عنه فتوضا
وصلى العصر ثم غابت وذلك زعم انها انما وقفت ولم ترد وزعم
ان حركتها انما ابطات فقط وفي رواية سندها حسن ان صلى
الله عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة من نهار وصح ان نهارا رد
عليه بعد الاسرا لما اخبرهم بعيرهم ولا يعارض ذلك كله
الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون
حين قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما ان ادبرت الشمس خاف ان تغيب
قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا
الله تعالى فرد عليه الشمس حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد
على احد غيري على ان كثيرين او الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم
لا يدخل في عموم كلامه وروي حبسها يوم الخندق حين شغل
عن صلاة العصر وذكر البغوي في تفسيره ردها علي انها حبست
لسليمان صلى الله عليه وسلم ورد بان المراد الطافنات لانها
المذكورة دون الشمس وبين شوق وشوق الجناس التام وهو ان
يتفق اللفظان نوعا وعددا وهيئة ومنه قوله تعالى ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة واعترض

بان

بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه اختلاف المعنى
وان لا يكون احدهما حقيقة والاخر مجازا بل حقيقيين وزمان الساعة
وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة الواحدة فاطلاق
الساعة على القيامة مجاز وعلى الاخر حقيقة وبذلك يخرج
الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا
تعني بليدا انتهى فان قلت هذا يا تي هنا لان الشوق في
الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما
حقيقة وفي الاخر مجاز قلت يمكن ان يقال انه فيهما مختلف
وحقيقي اذ شوق الاجرام الجمادية غير شوق الاجرام الحيوانية
من حيث الصورة والالة وايضا فشوق القمر شوق جمع كله
١٥٥ وشوق الصدر ان الذ غنيا ءه لا غير وكفى بهذا اختلافا ثم
المتبادر من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى فقيل ليس في القران
من الجناس التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ الاسلام
ابن حجر باية يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله
الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فانه استعمل الابصار
اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان
استعمال الابصار في البصائر مجازي وقد تقرر انه لا يكفي وقد
يجاب بادعاء انه حقيقة عرفية وعلى كل فالقول في القران اية
اخرى اظهر من تيقنك وهي قوله تعالى وان منهم لفريقا يلوون

المستفهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب فالاول
ما كتبوه بايديهم المذكور في فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
وبالثاني التورية والانجيل وبالثالث الجنس الشامل لكتب الله
تعالى كلها اي ما هو شيء من كتب الله تعالى فان قلت هذا اعم
من الثاني فليس مغايرا له من كل وجه قلت بل يسمى مغايرا
له حقيقة كما صرحوا به وعلى التنزل وان هذا التغاير لا يكفي
هنا فيكفي التغاير بين اللفظين الاولين لتحقق الجناس التام
فيها فان قلت لم لا يعدوا منه ان النفس بالنفس الخ قلت
كانه يكون هنا مميز اي مانع تمام التجنيس وهو الباء الدالة
على المقابلة فتامله فان قلت لم اكتفوا في التورية
بكون احدهما مجازا لا بهما قلت لوضوح الغرض اذ معنى التورية
على قصد المعنى البعيد والمجاز قد يكون كذلك ولا كذلك
الجناس التام فلم يكتف فيه بكون احدهما مجازا ومن ثم اقر بعض
المحققين بشرط كونهما حقيقيين وعليه يحتمل ان يقال لا بد
ان تكون كل حقيقة في الشرع او في العرف او في اللغة فلا يكفي
كون احدهما حقيقة شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا لان
هذين كالحقيقة والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان
يقال يكفي ذلك ويؤيده اطباقهم على ان الاية فيها الجناس
التام مع ان حقيقة الساعة لغة او عرفا او شرعا شيء واحد

وانما

وانما الاختلاف من حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية
وفي القيامة حقيقة شرعية وهذا الثاني اقرب ومما يؤيد
اشتراط كونهما حقيقيين انه ما من لفظ غالبا او دائما الا
وله حقيقة ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم
وجود التجنيس في غالب الالفاظ او كلها وهو بعيد جدا
ولكان تاخذ من قولهم ليس في القرءان جناس تام الا ما مر مع
ما فيه من نحو النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس
الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون في اللفظ
قرينة ظاهرة تدل على مغايرة معنى اللفظ المتحد وهو متجه
لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا ومبنى الجناس التام
انما هو التعمية على السامع ما امكن نظير التورية ولم ار
لاحد من اهل البديع في هذا المبحث ما يشفي فتامله فان
قلت ما ذكر في شق من الاختلاف انما هو بالنظر لمتعلق الشقين
دون موضوعهما وذلك لا يكفي قلت هذا وان كان ظاهرا من
كلامهم الا انه لا يمنع من ان يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق
اذا تنافت به صورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن
صدره حتى اخرج قلبه ثم شق وطهر فجوزي على ذلك اذ من شرط
كل شرط وقع في البدن لغرض مقصود ان يكون له جزاء من
بر من مرض او غيره وكذا هنا المار وع صلى الله عليه وسلم بشق

قلبه المرة بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم جوزي على
ذلك بجزاء عظيم مشابه له في الصورة وهو شق القمر الذي هو
أظهر معجزاته وأبهرها بعد القرآن وفي كلامه الجناس التام
بين شرط وشرط إذ هما مختلفان معنى وحقيقيان ولا يقدح فيه
كون الأول حقيقة نحوية والثاني حقيقة عرفية على أن الأول
يحتمل أن يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون الثاني بمعنى الجرح
كل منهما حقيقة لغوية فجاء التجنيس التام اتفاقا وبعرض
أن أحدهما مجاز تكون فيه التورية أو حقيقة أيضا ولكنه
أبعد فيهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام والتورية ومن
الكلام فيهما مستوفى إذ الشرط المراد به في الأول ما علق
بحصوله حصول شيء آخر يسمى جزاء وفي الثاني شق الجلد
واللحم والجزاء فيه تورية أيضا إذ هو يطلق على الجزاء النحوي
والجزاء العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته
أو جازيته بما صنع جزاء ومجازاة ومن معجزاته صلى الله عليه
وسلم أيضا أنه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى أعداءه بالحصا
فأقصد أي أصاب فأهلك وفي القاموس أقصد السهم أصاب فقتل
مكانه جيشا عظيما كانوا تألبوا عليه حتى ظن أنهم
لا يبقون أحدا من المسلمين وبيان ذلك أنه لما التقى الجمعان
يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصا فرمى به في

ورمى بالحصا فأقصد جيشا
ما العصا عنده وما الإلقاء

وجوههم

157

وجوههم وقال شاهت الوجوه أي قبحت وانهزمت فلم
يبق مشرك مع كثرتهم وقلة ذلك الحصا إلا دخل في عينيه
ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد
قريش وأسر من أسر من أشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم في قوله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى قال
هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى
بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة
بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكذلك روى
غير واحد أنها نزلت في رميته يوم بدر وإن كان رمى في غيره
ولأهل الجبر في هذه الآية غلط لا بأس بذكره ثم رده فقالوا
فيها سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وإضافته
إلى ربه وهو عين الجبر وإبطال نسبة أفعال العباد إليهم
وليس كما زعموا وإلا لزمهم أن لا تكليف ولا عقاب وسر ما
في الآية أن تلك الرمية من البشر لما بلغ هذا المبلغ كان منه
صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب تعالى نهايته
وهو الإيصال فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤها ونفى
عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته ونظير هذا في الآية
نفسها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فأخبر تعالى أنه
المنفرد بالتأثير وأن غيره ليس منه إلا الأسباب تظهر للناس

قيل ورماهم بالحصا يوم الاحزاب وفيه نظر وانما الذي نقل
انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم
فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم
اهزمهم وزلزلهم فارسل الله عليهم الريح فرمتهم بالحصبا
وسفت عليهم التراب وقلعت اوتاد خيامهم فسقطت عليهم
وكفات قدورهم وسمعوا في ارجاء معسكرهم التكبير وقعقعة
السلاح فارتحلوا خائبين ايسين ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم
عنهم انهم لا يغزونهم بعد اليوم فكان كذلك ولما التقى
الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن مالم يروا مثله
قط في السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون
ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ناس قليلون من اهل
بيته العباس وابي سفيان بن الحارث وعلي والفضل واصحابه ابي
بكر وعمر واخرين رضي الله عنهم اجمعين فامر صلى الله عليه وسلم
ان ينادي في الناس ليرجعوا فلما سمعوا نداءه اقبلوا كانهم
الابل اذا حنت على اولادها يقولون يا لبيك (يا لبيك) فاقتتلوا مع الكفار
واشتد القتال حتى قال صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو
التنور يخبز فيه اي اشتد الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ
تناول صلى الله عليه وسلم حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه
ورمى بها في وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملا

عينيه

عينيه من تلك القبضة وفي رواية لمسلم قبضة من تراب
والجمع انه يحتمل انه رمى بكل مرة او انها قبضة واحدة لكنها
مختلطة وفي رواية عند احمد و(مسلم) وغيره ان المسلمين لما ولوا قال
صلى الله عليه وسلم انا عبد الله انا عبد الله ورسوله ثم اقتحم
عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق منهم احد الا امتلات عيناه وفمه ترابا ولاحمد
والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقلت ارتفع رفعك
الله فقال صلى الله عليه وسلم ناولني كفا من تراب فضرب بها وجوههم
فامتلات اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم
بايمانهم كانهم الشهب فولى المشركون الادبار واذا قد
علمت ما ترتب على رميه صلى الله عليه وسلم بالحصا من تشتيت
١٥٨
جمعهم وافتراق شملهم وهزيمتهم اذ لك ان تقول من قال
لكان القاء موسى لعصاه والسحرة لحبالهم وعصيهم يعادل
الرمي بالحصا لا تقل ذلك ما استفهام انكاري العصا التي
القاها موسى عليه السلام على حبال سحرة فرعون وعصيهم
حتى ابتلعت ذلك عنده اي الحصا المرمي وما الالقاء لتلك العصا
على تلك الحبال والعصي الذي فعله سحرة فرعون اي لا تقاس
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم في القاء ذلك الحصا بمعجزة موسى
صلى الله عليه وسلم في القاء عصاه على ما ذكر لان معجزة نبينا

صلى الله عليه وسلم اظهر وابهر اذ الفا موسى لعصاه حاي
بالفا الشجرة كحبا النعم وعصيهم ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لم تخاك فط وو صول تلك الحصيات الغليلة الى
جميع ذلك الجيش الذي هو الوف مؤلفة حتى هزمهم عن اخرهم
وشتت شملهم ابهر من فلب العصا ثعبانا وابتلاعها لتلك
الحبال من حيث انها مع ذلك لم تفهر العدو ولم تشتت شمله
بل زاد بعدها طغيانه وعتوه على موسى عليه الصلاة والسلام
وفومه وجانس بين الحصا والعصا وبين رمى والالفا تنبيه
اكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية لبلادتهم وعماء
بصايرهم واكثر معجزات هذه الامة عفلية لفرط ذكائهم
وكمال افهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت بافية على
صفحات الدهر الى يوم الفيامة خصت بالمعجزة العفلية البا
فية ليراها ذو البصاير كما فال صلى الله عليه وسلم فيما حدث
البخاري ما من الانبيا نبي الا اعطي ما بمثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي وانا ارجوا ان اكون
اكثرهم تابعا وفي معناه فولان غير منفا فيين اذ يرجع حاصلهما
الى ان المراد ان معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام انفرضت
بانفراض اعصارهم معكونها حسية تشاهد بالابصار
كعصى موسى وناقة صالح عليهما الصلاة والسلام وقلم يشاهدها

الا من حضرها ومعجزة الفران تشاهد بالبصيرة وتستمر الى يوم
الفيامة لا يمر عصر الا ويظهر فيه شيء اخبر بانه سيكون وكان
من نفعه لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعفل يشاهده كل من جاء
بعد الاول ومن معجزاته ايضا انه صلى الله عليه وسلم دعا للانام
من تعسيره الكرام ادبه هنا غيره ثم اذ هم هنا اهل المدينة
ومن ظاهرهم اذ اي وفت او لاجل ان دهتهم اي غشيتهم
سنة من اجل محولها متعلق بها بعده اي شدة جدبها
وفحطها شهباء اي لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن
الجدب والمحل مطلق الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تاكيد
وعلى الثاني تاسيس وتسبب دعائه صلى الله عليه وسلم ما في
الصحيحين ان الناس اصابتهم سنة على عهده صلى الله عليه وسلم
ففام اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ففال
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع
صلى الله عليه وسلم يديه وليس في السماء فطعة سحاب فما
وضعهما حتى صار السحاب امثال الجبال فلم ينزل صلى الله عليه
وسلم حتى اصابه المطر واستمر الى الجمعة الاخرى ففام ذلك الاعرابي
او غيره ففال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا
فرفع يديه صلى الله عليه وسلم ففال اللهم حوالينا ولا علينا
فافلعت السحاب وخرجوا يمشون في الشمس وسال وادي فناة

وَدَعا اللاذ اذ دهتهم سنة من كِيلها شهبا

٤٢٦

واستهلت بالغيث سبعا اذا ما
عليهم سحابة وطفاء

تتحرى مواضع الرعي والسقي
وحيث العطاش توهى السقاء

شعرا ولا يجي احد من ناحية الا حدث بالجود وهو بفتح الجيم
المطر الواسع الغزير فبسبب دعايه صلى الله عليه وسلم
استهلت بالغيث اي صبت المطر بشدة سبعة ايام كوامل
علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة الجمعة الاخرى والغي
الكسر عليهم سحابة فاعل استهلت وطفاء اي مسترخية الجوانب
لكثرة مايها حال كونها تتحرى اي تقصد تلك السحابة بمايها
واسناد ذلك اليها مجاز نظير ما ياتي في جدار يريد ان ينقض
الا ان يراد الملايكة الموكلون بها مواضع الرعي اي الكلا الذي
يرعى ومواضع السقي التي يجتمع فيها الما لتشرب منها
البهايم وفي الرعي والسقي مراعاة النظير وفي السقي والسقا
تجنيس شبه الاشتقاق وتتحرى ايضا حيث العطاش اي مواضعهم
التي توهي بالبنا للمفعول اي تخرق السقا منهم فيها اي ان تلك
السحابة عمت جميع الاماكن بمايها حتى انها تتحرى الامكنة
المعطشة التي تخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون
فيها الى الغدران للشرب منها وهذا اظهر واولى مما سلكه
الشارح كما يعرف بتامله الا ان مواضع السقي تشمل موا
ضع الشرب فلا يحتاج الى قوله وحيث الخ لانا نقول قرينة قرن
السقي بالرعي تصرفه الى سقي البهايم فاحتاج في افادة
عمومها الى التصريح بمواضع شرب العطاش ايضا قال الشارح

ايضا

١٦٠

واتى الناس يشتكون اذاها
ورخاء يؤذي الانام غلاء

فدعا فانجلى الغمام فقل في
وصف غيث اقلاعه استسقاء

ايضا وفي قوله وحيث العطاش الخ اقتباس المثل وهو قولهم
خل سبيل من وهى سقاؤه ومن هريق بالفلاة ماؤه يضرب
لمن لا يستقيم امره فضرب به المثل هنا في المحل والجدب انتهى
ملخصا وفيه نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف
لما تقرر ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من ذلك النص
على عموم ذلك الغيث لجميع الاماكن ولما استمرت عليهم
سبعة ايام وكادت ان تهلكهم اتى الناس اليه صلى الله
عليه وسلم وهو على المنبر كحاله يوم سالوه ان يدعو بها يشتكون
اذاها اي تلك السحابة اي الما النازل منها لقطعه السبل
وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان
الشاكي واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكين بلسان الحال
فلذا اسنده الى كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم
الناس ان الناس قد جمعوا لكم اذ المراد بالناس الاول واحد كما
هنا ورخاء اي سعة من المطر يؤذي الانام غلاء اي شدة عظيمة
واصله ارتفاع السعر المؤدي الى الشدة وبين اذاها ويؤذي
جناس الاشتقاق وبين الرخا والغلا جناس التضاد فبسبب ان
هذا الرخا الذي المقصود منه حياة النفوس انتقل الى ضده
وهو الهلاك فدعا صلى الله عليه وسلم ربه ان يكشفه عنهم
فانجلى الغمام اي السحاب عقب دعايه وخرجوا يمشون في

الشمس كما مروا ذا تغربعد ابفل ابها العالم بهاذه الوافعة
ما شفت من الكلام الدال على التعجب او فتعجب في وصف غيث افلاعه
اي انكشا فه استسفا اي ذوا ستسفا على خلاف المتعارف
اذ الاستسفا غالبا انما يكون لطلب وجوده لا الطلب رفعه
وبهذا يندفع فول الشارح الاحسن ان الاستسفا بمعنى
السفي لانه يلزمه فوات هذه النكتة التي هي سبب التعجب
ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعايه صلى الله
عليه وسلم اثرى الثرى اي كثر المطر الوافع عليه حتى كثرت
فوايد التراب لكثرة انباته الزرع والثمار المؤدية الى كثرة
الاموال من اثرى الرجل كثر ماله فبسبب هذه الكثرة قرت
اي فرحت واطمانت من قر الله عينه اي اعطاه حتى لا تطمح
عينه الى من هو فوفه عيون لاهل المدينة بسبب ما زال
عنهم من الكرب وحصل لهم من الخصب بسبب عمارة قراها
اي العيون او المدينة او بلادها بتلك الفوايد الكثيرة بعد
خرابها واحييت بعدما حصل لها من الجدب والشدة ما صيرها
كالموات من احياه الله يحيى بالفك ويحي بالادغام وهو الاكثر
احيا جمع حي اي قبايل العرب بواسطة احياء نفوسها ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق في اثرى الثرى وقرت قراها
واحييت احياء فترى انت لو شاهدت تلك الوافعة الارض

عقبه

اي عقب ذلك الغيث المتولد عنه ما يدهش الابصار من
النبات والزهور كسما حال ان جعلت ترى بصرية وهو الظاهر
او مفعول ثان ان جعلت علمية اشرقت اي زالت عنها من اجل
نجومها الظلما ففيه تجوز اذ الاشراق انما يستعمل للنور
ووجه الشبه ما حصل للارض باصابة الغيث وللسما من
النجوم من زوال الظلمتها الحقيقية في السما والمجازية في
الارض وبين الارض والسما والاشراق والظلمة الطباق فترا ها
ايضا تحجل اي تخبر وتدهش الدر اي اللؤلؤ والياقوتة
فارسي معرب واسناد التحجل اليهما مجازا وهو على حذف
اي اهلهما بمعنى ان من يا بديهم تلك الجواهر يشاهدونها
ليلا ونهارا لا يملكون نفوسهم عن رؤية تلك الازهار
الغريبة والاعشاب العجيبة من نور بفتح النون اي زهر وهو
بيان لما على تحجل الاتي رباها بضم الرا اي المحال المرتفعة
منها وخصت لان ما بها انظر وابهى من بقيتها البيض راجع
للدر والحمرا راجع للياقوتة اي تحجل نور ها الابيض الدر ونورها
الاحمر الياقوتة وفيه اللف والنشر المرتب ومراعاة النظير
بذكر المعدنيين والتقابل بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان
وما تقرر ان الناظم انما اراد القضية المذكورة التي كانت بالمدينة
وحفت بها الاحاديث هو الظاهر ويجوز انه يريد ايضا ما وقع

ثم اثرى الثرى وقرت عيون
بقراها واحييت احياء

تهلل الدر والياقوت من زهر
رباها البيض والاحمر

فترى الارض غبنت كسما
اشرقت من نجومها الظلماء

بمكة على ما ورد ان قريشا لما ابطؤوا عن الاسلام ودعا عليهم
صلى الله عليه وسلم بالقحط فاخذتهم سنة حتى هلكوا فيها
واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت
تامر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا
الغيث فاطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر
فسال الله رفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم
الباهرة ما يشوق كل سامع لشيء منها الى رؤية وجهه
الكريم تمنى ذلك فقال ليته في لتمنيه ما لا طمع في حصوله
او ما فيه عسر خصني برؤية وجه اي ليتني ادركت زمنه صلى الله
عليه وسلم لاكون من اصحابه اذ هم افضل من جميع من جاء
بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر الى انه يمكن ان يكون
فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم للخبر الحسن بل قيل انه
يرتقي الى درجة الصحة مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير
او اخره وللخبر الحسن ايضا ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم
او خير ثلاثا وفي حديث ابي داوود والترمذي فان في ايام للعامل
فيهن اجر خمسين قيل منهم او منا قال منكم واجاب عن الاول
باحتمال انه قبل ان يعلم افضلية اصحابه قبلنا على ما صرح
بها بقوله صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم ملء الارض ذهبا
لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وبقوله صلى الله عليه وسلم

ليته خصني برؤية وجه
نال عن كل من راه الشفا

خير

خير القرون فيه وعن الثاني بان او فيه يحتمل ذلك ايضا وعن الثالث
بانهم صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضي الافضلية على ان
فضيلة الصحبة لا يعادلها عمل ومن ثم لما سئل ابن المبارك
عن عمر بن عبد العزيز ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ايهما افضل
قال الغبار الذي دخل في انف فرس معاوية مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز واشار بعضهم
الى ان محل الخلاف في صحابي لم يحصل له الا مجرد الرؤية واما من
زاد على ذلك بنحو رواية او غزو فلا نزاع فيه او ليتني اراه في
الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا نافعا او ليتني اراه
في النوم لاخباره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
بان من راه فيه راه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته صلى
الله عليه وسلم ولا يتشبه بها وبان من راه فيه فقد راه
في اليقظة اي كانه راه في اليقظة لما تقرر ان الشيطان
لا يتمثل به صلى الله عليه وسلم فهو وان امكن من التصور
باي صورة اراد لم يمكن من التصور بصورة نبينا صلى الله
عليه وسلم مطلقا وقال جمع ان راه بصورته التي كان عليها
وقال بعضهم ان راه بصفته التي قبض عليها حتى عدد
شيبه وصح هذا عن ابن سيرين وعن ابن عباس رضي الله عنهم
ما يفهمه وفي حديث ضعيف اني ارى في كل صورة وصح

٦٢

رؤية تدل على
اعتنائه بي ع

النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير صفته قال ابن
العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال فرؤيته مقبلا
او بصورة حسنة كاملة تدل على خير وعكسه بعكسه
وقال عياض في رواية مسلم من رآني فسيراني في اليقظة
يحتمل ان المراد ان رؤيته على صفته موجبة لرؤيته في الآخرة
على نوع مخصوص من قربه منه او شفاعته له وفي هذا اقوال
اخر كثيرة وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد رؤية
ذاته حقيقة بل مثال يحكيها على التحقيق كما في رؤية الله
تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور او غيره او ليمتنع
اراه في يقظتي بناء على امكان ذلك ويقويه ما حكاه ابن ابي جمرة
والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من التابعين ومن
بعدهم انهم راوه في المنام فراوه بعد ذلك في اليقظة
وسالوه عن اشياء غيبية فاخبرهم بها فكانت كما اخبر
قال ابن ابي جمرة وهذا من جملة كرامات الاولياء فيلزم منكرها
الوقوع في ورطة انكار كراماتهم وفي منقذ الغزالي ان ارباب فع
القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وارواح الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون
منهم فوائد وقال البدر حسين الاهدل وقوعها للاولياء
تواترت باجناس الاخبار وصار العلم بذلك قويا انتهى عنه

الشك

الشك وما تواترت عليه اخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم
اخذ يبطل ذلك ويفسده ويعظم النكير على مجوزه بما لا حجة
فع فيه ومما يبطل جميع ما دندن به وجال وزعمه الحدان من المعلوم
انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وانه لا يراه في اليقظة
١٦٣ الرؤية النافعة الا ولي وانه لا يبعد ان من اكرم برؤيته صلى الله
عليه وسلم ان يكرم بازالة الحجب بينه وبينه فهو صلى الله
عليه وسلم مع كونه في قبره يراه الاولياء في اليقظة في
قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت مراتبهم
في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة
الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته
صلى الله عليه وسلم واذا كان من راه بعد موته وقبل دفنه
غير صحابي فقها او لا، كذلك بالاولى قال في فتح الباري
هذا مشكل جدا ولو حمل على ظاهره لكانوا صحابة انتهى
ومما يؤيد ان الناظم يحتمل انه اراد ذلك انه تلميذ القطب
ابي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل
الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب المذكور وارث
القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي رحمه الله وكلاهما
فع حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة بل قال
ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين

ما عددت نفسي مسلمًا والقطب علي بن القطب محمد بن ابي
الوفا وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثمّ
قال الطريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن جعلت
عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مرارًا الاسيما عند
قبر والده بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فيكون الناظم
رحمه الله تعالى منسوبًا لهؤلاء الواقعة لهم الرؤية يقظة
فيقرب انه سال في وقوع ذلك له كما وقع لهم ولقد كان
شيخي وشيخ والدي الشيخ محمد بن ابي الحمايل رضي الله تعالى
عنه وهو كوارثه الشمس الشاذلي رضي الله تعالى عنه نعماه
اللذان عادت علي بركتهما وتربيت في حجرهما ولا زلت راتعا
في سوابغ مددهما ذاهلا في رغد نعيمهما يرى النبي صلى الله
عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع له انه يسال عن الشيء فيقول
حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل راسه في جيب
قميصه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا فيكون
كما اخبر لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر من انكار ذلك فانه السم
الموحي تنبيه ما ذكرته من مناسبة الاول والثاني بعيد
اذ لا يناسبه لعطف خصني بل ولا معناه لان الذي يسال رؤيته
في حياته فيكون من اصحابه وفي الموقع واقعة وكل مسلم
يتمنى ذلك فالتمني امر عام ولا خصوصية فيه ومن الثالث

قريب

قريب يناسبه لعطف خصني ومعناه اي ليته خصني فيما
مضى برؤيتي له في النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح
وكذا الخصوصية لان مرائي الناس له في النوم متعددة الا
نواع والدلالات فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية تخصه دون
غيره باعتبار ما يدل عليه من اللحظ والامداد وغيرهما ولا
نظر الى كونه معضولا الى اكثر الاولياء والعلماء لان رؤية
تخصه دون ذلك لا يمنع ان يحصل له من ذلك الجناب من نوع
امداد ولحظ ما لم يحصل لغيره ومن المعنى الرابع قريب ايضا
لكن على القول بوقوعه وحينئذ فينتج ان احسن هذه الاحتمالات
الذي لا نزاع فيه هو الاحتمال الثالث تنبيه اخر من المقرر
عند الجمهور ان الباء للاختصاص وما اشتق منه يجوز
دخولها على المقصور والمقصور عليه فهي هنا داخلة
على الاول على كل من الثالث والرابع واما على الاولين فتخص فيهما
بمعنى اعطاني والماضي قد يستعمل مرادا به الاستقبال
ايضا تنبيه اخر من ان خص وما اخذ منه الحصر في نحو خصه
بكذا قصره عليه قصر قلب تارة وافراد اخرى هو المشهور
ايضا خلافا لمن فرق بين الاختصاص والخصة وفي القاموس خصه
بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية وقد يفتح وخصيصى ويمد
وخصه وتخصه فضله رؤية مخصوصة دون غيره وخصه

بالود كذلك ثم قال والتخصيص ضد التعميم ولا يتوهم منه
ان الاختصاص غير الحصر لانه لا يسمى فضله به الا ان حصره
ويؤيده قوله التخصيص ضد التعميم الصريح في ان التخصيص
قصر العام على بعض افراده فتأمل ذلك كله فانه نفيس مهم
زال اي تحول عن ان هنا تامة لا ناقصة عن كل من راه مومنا في
حياته او بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك لا يقع الا لاكابر
الاولياء او في النوم على صفته التي كان عليها صلى الله عليه وسلم
لما مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة في الاخرة
الشقا اي جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين كلهم عدول كما يشهد له الكتاب والسنة نحو
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وما وقع لبعضهم
مما يخالف ذلك تداركه الله فيه برحمته فوفقه للتنصل
من وصمته وحباه بجعله من احبته ببركة حلول نظر نبيه
صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم وزوال الشقا
عن كل من راه اتبعه بذكر صفات وخصوصيات له صلى الله
عليه وسلم ذاكرا مع كل ما يناسبه كما هو شان البلغاء
فقال مسفر ذلك الوجه حسنا فهو صفة ثانية لوجه اي
مشرق نوره الذي يكاد يخطف الابصار يلتقي ذلك الوجه ايضا
الكتيبة اي الجيش بالمثلثة او بالمثناة من تكتبت بنو

مسفر يلتقي الكتيبة بساما
اذا اسام الوجوه اللقاء

فلان

١٦٥

فلان اذا اجتمعوا حال كونه بساما اي متبسما يفتر عن مثل
سنا البرق او عن مثل حب الغمام اذا اسام اي غير من سام بفتح
عينه او ضمها وجهه اذا احمر وتغير وبين بساما واسام
الطباق الوجوه اللقاء للعدو فهو صلى الله عليه وسلم في الحالات
التي فيها يفزع غيره ويضطرب ويتغير وجهه على غاية
من الطمانينة والثبات والتبسم لعظيم ما اتاه الله
سبحانه وتعالى من الشجاعة التي لم يصل غيره الى ادناها وقد
صح كما مر عن انس انه كان اشجع الناس وان صياحا وقع
بالمدينة ليلا فخرج صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا فلما
رجع راه الناس خارجين فقال صلى الله عليه وسلم لن تراعوا اي
روعا عن حقيقة ما راينا من شيء وصح انه صلى الله عليه وسلم
صرع ركانة مرات ولم يصرع قط فقال له متعجبا منه ان
شانك لعجيب وصرع اخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد
البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى
الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه صلى الله عليه وسلم في غزوة
حنين لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا نحو عشر ثبت
على بغلته مع انها لا تصلح لكر ولا فر وهو مع ذلك صلى الله
عليه وسلم يركضها الى وجه العدو وينوه باسمه ليعرفه
من لا يعرفه قائلا انا النبي لا كذب :. انا ابن عبد المطلب :. و

الواو بعد ع

فع

شجاعة وراء ذلك ومن ثم قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم
أجمعين كنا إذا احمر الوطيس اتقينا برسول الله صلى الله
عليه وسلم أي جعلناه أمامنا واستقبلنا العدو به
وقمنا خلفه وقد ذهب بعض المالكية إلى أن من قال إن النبي
صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقيص
إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه لعلمه بأن الله
ناصره وحافظه واعترضه بعض المالكية بما حاصله
أنه حيث كان ذلك تنقيصا لم يستتب ولم تقبل له توبة
انتهى وفيما سر مذهبنا خلاف فإن من أخطأ فيه أنه إن نوى بذلك
تنقيصه كفر وإلا فلا وإذا قلنا بكفره فقد ذهب بعض أئمتنا
إلى أنه لا تقبل توبته وحكي فيه الإجماع والمعتمد قبولها
منه جعلت مسجدا له أي لذلك الوجه المكرم ولأمته بطريق
التبع له الأرض كلها كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في
الأحاديث الصحيحة حيث قال أعطيت خمسا لم يعطهن
أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض
مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل
الحديث والمراد بقوله مسجدا أي موضع سجود أي أن السجود
لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن أن يكون مجازا
عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لأنه لما

جعلت مسجد الله الأرض وما عطف
به للصلاة فيها حراء

جازت

166

جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد
جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا
لأن عيسى صلى الله على نبينا وعليه كان يسيح فيها ويصلي حيثما
أدركته الصلاة وقيل المراد أن الصلاة لم تبح للأمم إلا في محل يتيقنون
طهارته بخلاف هذه الأمة أبيحت لها في كل الأرض إلا ما
يتيقنون نجاسته والأمم الأول وهو أنها لم تبح لمن قبلنا إلا
في أماكن مخصوصة كالبيع والكنائس والصوامع للخبر المصرح
بذلك وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم وفي رواية
ولم يكن من الأنبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه وبهذا يبين يرد
الاحتجاج بقضية عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيه الدلالة
هذين على خلافه وبفرض تحققه فهو لا ينافي الخصوصية لأنها
ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وأمته بخلاف عيسى صلى الله
عليه وسلم فـ بسبب هذا الجعل اهتزاء تحرك طربا وفرحا
به صلى الله عليه وسلم للصلاة أي لأجلها فيها أي الأرض حراء
بالكسر والمد ويجوز قصره وصرفه وعدمه باعتبار المكان
والبقعة كما في أسماء الأمكنة وهو الجبل الذي كان صلى الله
عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوءة وهو مشهور ودليل ذلك
أنه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم

اسكن حراء فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية
وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجهما مسلم واخرجه
الترمذي وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال صلى
الله عليه وسلم اثبت حراء وفي رواية اهدأ حراء ورواه البخاري
في احد بلفظ انه كان معه ابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم
فضربه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اثبت احد فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان وروى النسائي والترمذي في ثبير
وهو جبل مقابل لحراء انه صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه
ابو بكر وعمر وعثمان فتحرك حتى تساقطت حجارته بالحضيض
اي القي في قراره واسفله فركضه صلى الله عليه وسلم
برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
وما اشار اليه الناظم بتعبيره باهتز من ان ذلك التحرك
انما كان للطرب والفرح لا للغضب نقله شارح البخاري
ابن التين في احد فقال قيل الحكمة في ذلك انه لما رجف اراد
صلى الله عليه وسلم ان يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس
رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم وان تلك رجفة الغضب
وهذه هزة الطرب ولهذا انص صلى الله عليه وسلم على مقام
النبوءة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما
اتصلت به لا رجفانه فاقر الجبل بذلك واستقر انتهى واستشكل

ما ذكر بان الهز طربا فرع العلم بمن فوقه وقوله اثبت الخ
يقتضي عدم علمه وبان قوله فانما عليك الخ يقتضي ان تحركه
لغير السرور ويجاب بانه علم من الاحاديث الصحيحة التي
منها احد يحبنا ونحبه ان احدا اودع علما به صلى الله عليه وسلم ١٦٧
ومحبة له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك دل على نوع طيش
وخفة فناسب ان يركضه صلى الله عليه وسلم برجله الكريمة
وان يذكره بان مقام النبوءة والصديقية والشهادة كل
منها يقتضي الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل ذلك سكن
وخضع فكان ما منه اولا هزة الطرب وآخرا سكون الحياء
والامتثال والادب ويحتمل انه ارتعد هيبة لجلاله صلى الله
عليه وسلم فامره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك وذكره بان ما
عليه من المقامات الثلاث السابقة يقتضي هزة الجمال
واللقاء المنبئين على غاية الفرح والسرور قال الطيبي وغيره
واختلاف الروايات يحمل على انها قضية تكررت وهو واضح
لان كلا منها صحيح فلا وجه الا التعدد وابداه شيخ الاسلام
الحافظ العسقلاني بعد ما توقف فيه بان الذي معه بحراء
ازيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه التعليل في قول
الناظم للصلاة فيها قلت كانه يشير الى ان الله تعالى لما
اقطع نبيه صلى الله عليه وسلم الارض وجعلها كلها مسجدا

له وشرفها بصلاته فيها دخل في ذلك جبالها فاذا صعد
بعضها انذكر الجبل ذلك الجعل وتلك الصلاة التي حصل بها
للجبل كيفية الارض غاية الشرف فحينئذ تحرك اعلاما
للامة بما حصل له مما يوجب السرور والطرب ثم رأيت
بعضهم جعل ضمير فيها للجبل وجعل المراد بالصلاة
صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلي فيه قبل البعثة
وهذا الكلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم فع
صلى قبل النبوءة (البعثة) ولان الاهتزاز بعد النبوءة بكثير لرواية
ان العشرة الا واحدا كانوا معه لان الروايات كلها فيها
ذكر الصديق والشهيد وهذا صريح في ان ذلك بعد
النبوءة ما مطهر ذلك الوجه الكريم شجة الجبين اي جرح
جبينه وهو المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير
به مسامحة تجوزا لما يأتي ان النبي شج جبهته وفي رواية
وجنته والجبين غيرهما فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة
على البرء اي فيه او معه من بري من المرض بالكسر برءا بالضم
وبرا برءا بالفتح فيهما وهذه الشجة كانت يوم احد
اخرج ابن هشام عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان
عتبة بن ابي وقاص اخا سعد بن ابي وقاص او امر رمى بسهم
في سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يقاوله المسعاه

مطهر شجة الجبين على البرء
كما الطهر الهلال التمام

يوم

٢٦٨

يوم احد ويقول له ارم فداك ابي وامي قال ولم يجمع ابويه
لغيري وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالي اي لانه زهري
فليريني امرؤ خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فكسر رباعيته اليمنى السفلى
وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه
في جبهته (وجنته) وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان
من المغفر فيها ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة وفي رواية
وهشموا البيضة على راسه ورموه بالحجارة حتى رموه صلى
الله عليه وسلم لشقه في حفرة الحديث وروى الطبراني وغيره
ان عبد الله ابن ابي قمئة رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وانا ابن
قمئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه
الشريف اقماك الله فسلط الله تعالى عليه تيس جبل فلم
يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة واحمد والترمذي
والنسائي عن انس كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم يوم
احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه صلى الله عليه
وسلم وجعل يمسحه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وفي

مرسل فوق ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ بالسيف
سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها كما مصدرية اظهر
الهلال البرا بفتح الموحدة وهو اول ليلة من الشهر اي ان وجهه
الكريم اظهر اثار تلك الشجة مع برئها ظهورا او انحا ليس
فيه ادنى شين بل فيه غاية الجمال كظهور الهلال ليلة
استهلاله لحكمتين ليقتدي الرائي وزاد ذلك والراؤون عنهم
ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها
حتى يقتدى به في ذلك وليعلموا ان تلك الشجة لم تشنه
حاشاه من ذلك بل زادته جمالا على جماله لانها صارت
بعد البرء كالهلال في وجهه بل احسن من الهلال كما قال سقى
ذلك الوجه الحسن الاصلي منه بالحسن العارض من الشجة فاعجب
بجمال اصلي له الجمال العارض وفي هذا كالذي قبله الجناس
التام المتماثل بنا على ما مر مع الكلام عليه في شرح قوله
شوغر قلبه وشوله البدر واما جزم الشارح بانه من ذلك
مع اختلاف موضوعه باعتبار الاصلي والعارض كما تقرر لا
من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس من اللفظين
مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعدو امثله الذين قال النعم
الناس ان الناس ان المعبر بالتعبير الخ نعم يمكن ان يقال
قد يقال [illegible] الوضع حيث لا قرينة

الحسن

سنى الحسن صفة بالحسن لاكب
بجمال الاصلي وفا

تمييزه كما هنا بخلاف ما في الايات فان قرينة التغاير
فيها ظاهرة مع التجنيس فلو عبر الشارح بيجتمعان او نحوه
لسلم من الجزم بما لا يفهم كالتصريح في رده وفي البرء
والبرا الجناس المحرف وقاه وسبب ذلك ان الله تعالى
اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال التي لم يعطها
لمخلوق كما مر بدليله في باطنه وظاهره ويكفيك
شاهدا على ذلك ما مر ان الله جعله كله نورا ولم يظهر
له ظل فكان جلده ساترا لجماله الباطن فاذا ازالته الشجة
ظهر من انواره الباطنة ما صيرها كالهلال في وجهه
وصار حينئذ حسن ظاهره مستورا بما ظهر من حسن
باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما
وهذا امر يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشبيه
توضح ذلك وتكشفه فقال فهو اي ما ظهر بالشجة من
باطن بدنه كالزهر اي نور النبات اذ لاح اي ظهر من سجف بفتح
اوله وكسره اي ستر الاكمام وهو كالاكمة جمع كم بالكسر
وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد وهو ايضا
مثل العود الذي يتطيب به اذا شق عنه اللحاء وهو قشر الشجر
من نحو ثمر الحول فشق نه باللحا فظاهر الجلد كاللحا وباطنه
كالعود وفي هذا من التشبيه [illegible] ما يظهر [illegible] جمال باطنه

فهو كالزهر لاح من سجف الاكمام
والعود شق عنه اللحاء

ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال كاد ما ظهر بالشجة ان
يغشي وما بعد ها سدت مسد مرفوع كاد وخبرها يغشي بالغين
المعجمة اظهر من المهملة العيون اي يغطي عليها سنا بالقصر
اي ضوء عظيم خارج منه لسر عظيم وفي نسخة يسر فيه اي في
ذلك الباطن الذي ظهر هو مصيره كله ضياء اعظم من ضياء
الشمس ومن ثم كان اصل ذلك السر لا كماله حكته اي شابهته
ذكاء بضم المعجمة وعدم الصرف وامتناع دخول ال عليها اي
الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير وبها تقرر علم
ان من اسباب عدم شغفه بتلك الشجة ما اوتيه من الحسن الذي
لم يوته غيره ومن ثم صانه ذلك الحسن لو انفرد وكيف وقد
انضم اليه السكينة اي وقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم
تحركه مما يتحرك به من العوذ ياما التي لا يسكن عند ها غيره
ان تظهر فيه اثارها هو ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الباسل
اي الشديد فلذلك لم يظهر عليه من تلك الشجة الا غاية
الطمانينة ونهاية الجمال الكامن فعلم انه لما اودعه الله
فيه من كمال الجمال ونمام البهاء في حالة السراء كهو في حالة
الباساء ولا تؤثر فيه الباساء باليقة وتخال اي تظن انت الوجوه
ان قابلته اي عاينته وجفنه ونحوها ان محذوف لا لالة ما قبله
عليه شفقة من فرط جماله وتلونت بالالوان المختلفة كما

يشاهد

يشاهد من فوق نجله حتى كان تلك الوجوه عند ذلك التلون
البسقها الوانها ضمير الفاعل المتقدم رتبة وهو الحرباء المشهور
ومن شانها انها تستقبل الشمس وتدور معها حيث دارت
وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة في بسبب هذا الجمال الباهر
المستلزم لباهر الافضال والاحسان اذا شهمت بالمعجمة من شهمت
البرق نظرت الى سحابه بشره اي طلاقة وجهه ونداه اي جوده
اي اذا تطلعت على مخايله ببصرك منتظر اليه اذهلتك اي
انستك ما انت بصدده الانوار الباهرة التي تحصل لك من بشره
عند رؤية وجهه والانواء جمع نوء وهو ما تضيف العرب
المطر اليه من النجم او وقته نحو مطرنا بنوء الثريا وهي
هنا كناية عن الخيرات الواصلة منه صلى الله عليه وسلم
لمن قصد نداه وامله ففيه لف ونشر مرتب لرجوع الانوار
للبشر والانواء للندا وفيها الجناس اللاحق ونوع من
مراعاة النظير يسمى تشابه الاطراف وهو ان يختم الكلام
بما يناسب ابتداءه في المعنى نحو لا تدركه الابصار الاية
فاللطيف يناسب لا تدركه الابصار والخبير يناسب وهو
يدرك الابصار ولما تمنى رؤية وجهه الكريم واستنشقه
باوصافه العلية اخذ في تتميم تفخيم احتفاء الكريمة
ووصفها باوصافها العلية الباهرة فقال او ليته حقيق بتفخيم

راحة اي بطن كف في اليقظة او النوم نظير ما من كفه التي
كان لله اي لاجله ابتغاء لوجهه تعالى دون غرض اخروي او دنيوي
بسبب شهود اعانته وقدرته اخذها والعطاء اسم
مصدر بمعناه اي واعطاؤه البراء تعالى من كل غرض بنا في الكمال
الاعظم فلم يقع تصرف منهما في شيء منذ اوجدهما الله
عليه الا عن خوارق وجوده اللامع شهود سلب كل حول وقوة عما
سواه تعالى ولهذا الشهود الاعظم في تصرفهما كانت
تتقى بفتح القاف اي تخاف وتحذر باسها اي شدتها في الحرب
الملوك كقيصر وكسرى والمقوقس الذين ظفر بها الله بجميعهم
وكانت تحظى اي تفوز بالغنى الحسي والمعنوي من بعض
نوالها اي عطايها الفقراء لانه كان اجود الناس يعطي
عطاء يعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء
لا ايثارا على نفسه وعياله وكان جوده كله لله وفي ابتغاء
مرضاته يبذل المال تارة للفقير والمحتاج وتارة ينفقه في
سبيل الله وتارة يتألف به من يرجو اسلامه او من يسلم
باسلامه نظراؤه وبين الاخذ والعطاء والملوك والفقراء
وتتقى وتحظى تجنيس التقابل لا تسل اصله بالهمز ثم خفف
تخفيفه نحو ما قرئ به في سال سائل سيل هو الماء الكثير
[illegible] بين التحريف والتصحيف جودها بفتح

تتقي باسها الملوك وتحظى
بالغنى من نوالها الفقراء

لا تسل سيل جودها انما يكـ
فيك من وكف سحبها الانداء

الجيم

الجيم وهو المطر الغزير اي لا تسأل هذا الامر المكفي به عن
سعة عطايه وجوده فان هذا شيء لا يقدر احد من البشر
قدره بل انما الذي ينبغي لك ان تسأل ما يكفيك وهو ان يصل اليك
من وكف اي قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندى وهو
البلل على ان بلل هذا القطر فيه الغنى الكلي فمن وصلنا اليه
بلة من قطره منه كان سببا للغناء في الدنيا والاخرة وهنا
من الاشارات ما في بيانه طول ومن اوصاف تلك الراحة العلية
ايضا انها درت الشاة اي ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها
فبسبب ذلك صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم
يكن طرقها فحل قط ثروة اي كثرة اللبن بها اي بسبب تلك
الراحة الكريمة وبين بها ولها وذرتها ومرت الجناس اللاحق
ونماء اي زيادة مع تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى
الله عليه وسلم لما خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة الشريفة
ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق
الساحل فمروا بقديد قريب رابغ على ام معبد عاتكة بنت
خالد الخزاعية وكانت برزة تسقي وتطعم وكانوا في
غاية القحط والجهد فطلبوا منها لبنا ولحما يشترونه
فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في
كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع

درت الشاة حين مرت عليها
فلها ثروة بها ونماء

هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك والله ما ضربها من فحل
قط فقال صلى الله عليه وسلم أتأذنين لي أن أحلبها فقالت نعم إن
رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح
ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا بإناء يشبع الجماعة
فملأه من حلبها فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم
ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهب
ذكر ذلك أصحاب السير وغيرهم ومن أوصاف تلك الراحة الجليلة
أيضا أنه نبع الماء بها أي بسببها وعدل الفقهاء عن معناها المتبادر
ليفيد أنه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها أما الأول
فقد قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت
منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن في مشاهد عظيمة
ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد
من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا
صلى الله عليه وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه
ودمه وذكر المزني صاحب الشافعي رضي الله عنهما أن هذا
أبلغ من نبع الماء من الحجر بضرب موسى صلى الله عليه وسلم وعلى
نبينا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين لأن الحجر يولف منه
خروج الماء ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما في الصحيحين
عن أنس أن الناس احتاجوا الصلاة العصر ولم يجدوا الماء فأتي



صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة
في ذلك الإناء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤوا كلهم زاد
البخاري كانوا ثمانين وأن الماء ينبع من بين أصابعه ومن أطراف
أصابعه وفي رواية لابن شاهين أنه وقع نظير ذلك في غزوة
تبوك لما شكوا إليه فطلب فضلة ماء فأتي به فصبها صلى
الله عليه وسلم في جفنة ثم وضع راحتيه فيها فتحللت عيون
بين أصابعه فرووا هم وإبلهم وتزودوا منه وفيها عن
جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ من ركوة فجاءوا يشكون
العطش فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصا
بعه كأمثال العيون فتوضؤوا كلهم وكانوا ألفا وخمسمائة
بل قال جابر لو كنا مائة ألف لكفانا وفي رواية لأحمد عنه
فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون تخرج من بين
أصابعه وظاهر الروايات أن الماء نبع من نفس اللحم الكائن في
الأصابع وهو ما صححه النووي وجزم به غيره وإنما استدعى
قليل ماء تأدبا مع ربه فإنه المنفرد بإيجاد المعدوم وما ق
من غير أصل نعم في رواية عند جماعة أنه فعل ذلك مرة
من غير ماء لكن استدعى بشيء يابس فوضع صلى الله عليه وسلم
يده فيه فنبعت عيون الماء وأما الثاني ففي مسلم أنكم
ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى

يحيى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي
فسبق رجلان ومسّاه قبل ان ياتي صلى الله عليه وسلم فسبّهما
ثم اغترفوا له قليلا فغسل به وجهه ويديه ثم صب الغسالة
في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا معاذ يوشك ان طال
بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ بساتين وعمرانا وفي رواية
الموطأ وغيره فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ونحو على
مقال في بعض رواته ان العطش اشتد بهم في غزوة تبوك حتى
كادت رقابهم تنقطع وكان الرجل ينحر بعيره فيعصر فرثه
فيشربه ويجعل الباقي على كبده فسأله ابو بكر رضي الله عنه
ان يدعو لهم فقال صلى الله عليه وسلم اتحبون ذلك قال نعم
فرفع صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعهما حتى سالت السماء
فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرونها
فلم يجدوها جاوزت العسكر وفي البخاري في غزوة الحديبية
نحو ذلك من تكرر مرة امرهم بوضع سهم من كنانته في
محل الماء ففاض ومرة وضع يده الشريفة في الركوة فجعل
الماء يفور من بين اصابعه ومن اوصافها ايضا انه اثمر النخل في
عام اي في سنة غرسه بها اي بسبب مس تلك الراحة
الكريمة لذلك النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله تعالى
عنه التي ذكرها اصحاب السير ابن هشام وابن سيد الناس

وغيرهما

وغيرهما وحاصله انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
اتاه سلمان فآمن به وكان مسترقا فامره صلى الله عليه
وسلم ان يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلاثمائة ودية
وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا ثم اخبره صلى
الله عليه وسلم بذلك فامر اصحابه ان يعينوه بالودي فاعانوه
به ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده فما ماتت منها
واحدة بل اثمرت كلها في عامها وفي رواية فوقفت منها
واحدة فقلعها صلى الله عليه وسلم واعادها فساوت البقية
فاداها وبقي عليه الذهب فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم
مثل بيضة دجاج من ذهب من بعض المعادن فاعطاها صلى الله
عليه وسلم له فقال له واين تقع هذه مما علي قال خذها
فان الله سيؤدي بها عنك فوزن لهم منها اربعين اوقية
ومن اوصافها ايضا انه سبحت بها اي في راحته صلى الله عليه
وسلم الحصباء اي الحصا كما رواه البزار والطبراني في الاوسط
وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابو بكر وعمر وعثمان
فقبض صلى الله عليه وسلم حصيات فسبحن في كفه حتى سمع
لهن حس كحس النحل فناولهن ابا بكر فسبحن في كفه كذلك
ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك ثم اخذها الحاضرون فلم تسبح مع
احد منهم قال الحافظ شيخ الاسلام والحافظ العسقلاني

لعله فجيء

ليس كحديث تسبيح الحصا الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه
مشهور عند الناس انتهى نعم اخرج البخاري من حديث ابن
مسعود كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع
تسبيح الطعام وفي فتح الباري عن الشفا انه صلى الله عليه وسلم
مرض فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح
تنبيه تسبيح الجماد كالطعام والحصا معناه ان الله تعالى
خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه حقيقة خرقا للعادة ومع
ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز لان اللفظ انما يضاف حقيقة
لمن قام به في العادة ومن اوصافها الجليلة ايضا انها احيت
المرملين اي الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت
فتسميتهم موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحياء
الى الراحة مجاز ايضا فهو استعارة تبعية من موت جهد اي قحط
شديد والاضافة بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان
سببا قريبا للموت اطلق عليه اسمه اعوز القوم عدل اليه عن اعوزهم
الذي هو القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم
وان كان التغليب في مثله شائعا ذائعا فان قلت شمول القوم
للاناث انما هو بطريق التبع فساوى المرملين قلت العرف
فيه واضح لان شمول القوم للاناث لفظي وان قلنا بالتبعية
ومن ثم لم يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده

المرملين

المرملين فيه اي في ذلك الجهد زادا وماء من اعوزه الشيء اذا
احتاج اليه وعبر بزاد مع انه انما يقال في طعام المسافر
اشعارا بانهم لما حصلت لهم تلك الشدة التي ادت بهم
الى الاشراف على الموت صاروا كالمسافرين المشرفين على الهلاك
وبين الموت والاحياء والزاد والماء الطباق (التقابل) وكالري والشبع
المفهومين مما ياتي وبسبب احيائه لهم كثر الله تعالى كرامة
ومعجزة له صلى الله عليه وسلم الطعام والماء القليل جدا حتى
تغدى بالدال المهملة اي اكل وقت الغداء وهو ما قبل الزوال
بالصاع الواحد وهو قدح بالكيل المصري تقريبا الف جياع
وتروى بالصاع الف ظماء جمع ظامي او عاطش اما تروي الالف
الظماء بالماء القليل النابع من بين اصابعه تارة وببركة
دعائه اخرى فقد مر الكلام عليه مستوفى والتعبير بالصاع
فيه المراد به الماء القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره
على جهة مجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة
مثلها ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك وبالالف المراد به العدد الكثير ففي بعض المواطن
كالحديبية كانوا الفا واربعمائة او خمسمائة وفي بعض
المواضع كانوا ثلاثمائة وفي بعضها كانوا الفا وفي غزوة
تبوك كانوا الوفا مؤلفة واما تغدي الالف الجياع بالصاع

فمنها ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه انه راى بالنبي صلى
الله عليه وسلم في غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامراته
واخبرها فاخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا اي سمينة فذ
بحتها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب
للنبي صلى الله عليه وسلم واخبره وطلب ان ياتي بنفر معه فصاح
النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا
فحي هلا بكم ثم امره ان لا تنزل البرمة ولا تخبز العجين حتى
يجي فلما جاء صلى الله عليه وسلم بصق في العجين وبارك ثم
في البرمة وبارك ثم امرها ان تدعو خابزة تخبز معها وان
تغرف من برمتها ولا تنزلها فاكلوا وهم الف حتى تركوه
وان عجينهم وبرمتهم كما هما وفيها ايضا الا بعض زيادات
ففي مسلم عن انس رضي الله عنه في غزوة الخندق ايضا ان
عمه زوج امه ابا طلحة عرف جوع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صوته فذكر ذلك لام سليم زوجته فاخرجت اقراصا
من شعير ولفتها بخمار واعطتها لانس ولفت طرف الخمار
على راسه من فوق العمامة وارسلته الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوجده بالمسجد اي الموضع الذي اعده لحصار
الاحزاب ومعه الناس فقال له ارسلك ابو طلحة قلت نعم
قال الطعام قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم

انس

انس فاخبر عمه فقال يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالناس وليس عندنا طعام نطعمهم فقالت
الله ورسوله اعلم فتلقى ابو طلحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت
بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت
عكة فادمته ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله ان
يقول ثم قال ائذن لعشرة فاكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال
ائذن لعشرة وهكذا فاكلوا وشبعوا وهم ثمانون ثم
اكل صلى الله عليه وسلم واهل البيت وتركوا بقية وفي طرق هذه
القضية ما يقتضي تعددها وادخالهم عشرة عشرة لاتحاد
القصعة وصغرها وقول انس نعم اما الاستحياء من كثرة الناس
فقال ذلك ليتبعه النبي صلى الله عليه وسلم وحده واما لان من
ارسله ذكر له انه اذا راى كثرة الناس دعاه وحده وفي رواية
ان ابا طلحة قال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن
عندنا ما يشبع من ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ
ويتسع في الجفنة وفي اخرى ان ابا طلحة راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرئ اصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على
بطنه حجرا وروى مسلم انهم في غزوة تبوك جاعوا فسال

عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو ببعض ازوادهم ثم
يدعو الله لهم عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير
فدعا صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم
فما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤوه فاكلوا حتى شبعوا وفضلت
فضلة فقال صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني
رسول الله الحديث وفيها عن انس ايضا ان امه ارسلت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيسة في تور وهو عروس بزينب
فامره ان يدعو من لقي فدعا من لقي فكانوا نحوا ثلاثمائة فوضع
صلى الله عليه وسلم يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله
ثم دعا عشرة عشرة فاكلوا حتى شبعوا فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت وصح عن سمرة بن جندب انهم تداولوا
قصعة من غدوة الى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة فقيل له
فما كانت تمد قال ما كانت تمد الا من ههنا واشار الى السماء
ومنها انه وفا قدر بيضة اي بيضة دجاج من نضار اي ذهب دين
سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه الذي كان من جملة ما كاتب
عليه سيده وهو اربعون اوقية من الذهب كما مر وانما مع
صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكن ببركة مسه صلى
الله عليه وسلم لتلك البيضة براحته الكريمة حين جاز اي قرب
الوفاء اي حلول الاجل وبين وفا والوفاء الجناس الناقص ورد العجز

على الصدر وبين دين وحين وجاز الجناس اللاحق وسبب هذا
الدين الذي على سلمان انه كان يدعى قنا اي رقا بالباطل وملخص
قصته كما حكاه هو عن نفسه انه من اصبهان واجتهد في
المجوسية حتى صار يخدمها فمر بكنيسة النصارى فاعجبوه
فذكر ذلك لابيه فقيده وقال له دينك ودين ابائك خير من دينهم
وكان سالهم عن اصل دينهم فقالوا بالشام فارسل اليهم
اذا جاءكم احد من الشام فاخبروني فجعلوا فحل القيد وتوجه
الى الشام فسال عن اعلمهم فدل عليه فخدمه الى ان مات ثم خدم
من اقيم مقامه فلما احتضر قال له بمن توصيني قال بفلان
بالموصل فجاءه فاخبره وخدمه فلما احتضر قال له بمن
توصيني قال بفلان بنصيبين فجاءه فاخبره وخدمه فلما
احتضر ذكر ذلك له قال بفلان بعمورية من ارض الروم فلما
احتضر قال له ذلك قال يا بني ما اعلم احدا على ما كنا عليه امرك
ان تاتيه وانه اظل زمان نبي هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج
من ارض العرب يهاجر الى ارض بين حرتين به علامات لا تخفى ياكل
الهدية ولا ياكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت
ان تلحق بارضه فافعل ثم مات فمر بي نفر من كلب فقلت لهم
احملوني الى ارض العرب واعطيكم ما عندي فحملوني فلما
بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي فباعه من ابن

عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني اليها فعرفتها
فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم اسمع له ذكرا ثم هاجر الى
المدينة فبينما انا اجني لسيدي ثمرا جاء ابن عمه فقال له قاتل الله
بني قيلة يريد الاوس والخزرج انهم الان لمجتمعون بقبا على رجل
قدم اليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبي فاخذتني رعدة وشدة حتى
ظننت اني ساقط فنزلت فقلت لسيدي ما ذا قال هذا فغضب
ولطمني لطمة شديدة وقال ما لك ولهذا اقبل على عملك فلما امسا
اخذ شيئا جمعه وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بقبا فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم ياكل فجمع شيئا
اخر واتى به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية فاكل هو واصحابه
ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر الى ظهره فعرف
انه يتامله لشيء وصف له فالقى رداءه عن ظهره فراى خاتم
النبوءة فقبل عليه حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم
ان يكاتب فكاتب نظرا الى الحالة التي هو فيها والا فهو من جملة الاحرار
الذين هم اتباع حواري عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس
ثلاثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر وان يعطي اوقية من ذهب
فغرس له النخل فاثمرت من عامها واعطاه مثل بيضة من ذهب
فوفت الاربعين فاعتق باداء النجوم لما انبعثا اي نبتت من نخيله
حال من قوله الافنا جمع فنو وهو العذق اي العرجون ولاجل ما

ذكر

ذكر عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبي صلى الله عليه
وسلم اخذته الرعدة والشدة وهو على راس نخلة يجنيها
لسيده وشاهده سيده منه ومع ذلك الدال على نبوءة محمد
صلى الله عليه وسلم وانه بلغ امره ونعته الاباعد والاقارب
لما فهموا ان له تلفتا الى سماع خبر النبي صلى الله عليه وسلم لطمه
لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين كانوا يفتخرون
على الانصار بانه قرب زمن نبي عربي كريم فيكونوا اول من يتبعه
ويقتلونهم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة كفر به
اكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به عرض
الناظم رحمه الله لموالي سلمان منكرا عليهم اذ لم يومنوا بنبينا
صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بان زادوا في
الطغيان بضربه فقال اتلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع
بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يومن به فلا تعذرون سلمان
اي ترون له عذرا يمنعكم من ايذايه ومنعه وقد وضح الدليل
عندكم على نبوءته لما اي حين ازعج نباي عشيقه من اجل
ذكره اي ذكر اليهودي لقريبه النبي صلى الله عليه وسلم
واجتماع الناس به في قبا العرواء اي قوة الحمى ومسها في
اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة وما ذكرته في تقرير
هذا البيت المطابق لما في قصة سلمان والذي فيه غاية

المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود ورميهم بالعناد
والبهتان اولى مما وقع للشارح في تقريره على ما فيه من النظر
كما يعلم بتامله وبين عرقه والعرواء تجنيس شبه الاشتقاق
ومن اوصاف تلك الراحة ايضا انها ازالت بلمسها لمن به امراض
اعيت الاطباء كل داء به اكبرته اي استعظمته وعجزت
عن برئه الطبة جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذي هو
حفظ صحة الانسان بمنع الواصل وحفظ الحاصل واساء بكسر
الهمزة اي مرضى جمع اسي كراع ورعاء روى الدارمي ان امرأة جاءت
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون
وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح صلى الله عليه
وسلم صدره فقاء من جوفه مثل الجرو الاسود فشفي فائدة
روى البخاري ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة في ساقه
فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى
قط ومن اوصافها ايضا انه برئ بها عيون ناضرة مرت بها
اي بتلك الراحة وهي رمد اي معطلة الابصار فارتها اي تلك
الراحة تلك العيون ما اي الشيء البعيد الذي لم تره فيه
مع ارتها جناس الاشتقاق الزرقاء المشهورة بزرقاء
اليمامة التي كانت ترى من مسيرة ثلاثة ايام روى البخاري
في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال اين علي اي ليعطيه

الراية

الراية فيكون الفتح على يديه كما في رواية اخرى قالوا يشتكي
عينيه قال ارسلوا اليه فاتي به فبصق صلى الله عليه وسلم
في عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع وعند
الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي النبي صلى الله
عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه فوضع صلى الله
عليه وسلم راسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني
وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لي
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر فما
اشتكيتهما حتى يومي هذا فائدة روى ابن ابي شيبة
١٧٨ والبغوي والبيهقي والطبراني وابو نعيم انه صلى الله
عليه وسلم نفث في عيني فديك وكانتا مبيضتين لا يبصر
بهما شيئا وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في
الابرة وانه لابن ثمانين سنة وان عينيه لمبيضتان ومنها
ايضا انها اعادت على قتادة بن النعمان عينا له ذهبت فهي
حتى اي الى مماته النجلاء اي الواسعة والمراد واسعة الشق
وقصته ان عينه اصيبت يوم احد فوقعت على وجنته فاتي
بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امرأة
احبها واخشى ان رأتني تقذرني فاخذها صلى الله عليه وسلم
بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت

احسن عينيه واحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت
الاخرى وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه رجل
من ذريته فقال له عمر من انت قال

انا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى احسن الرد
فعادت كما كانت لاول امرها * فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فوصله عمر رضي الله تعالى عنه واحسن جائزته قال السهيلي
وفي رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي
فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما
وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال الدار قطني هذا حديث
غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبراني
وابو نعيم عنه كنت يوم احد اتقي السهام بوجهي دون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اخرها سهما
ندرت منه حدقتي فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راها في كفي دمعت عيناه وقال
اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها
احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع بين رواية الواحدة
ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بان احد الرواة ظن ان الشان
فيه واحدة وبعضهم علم انه ثنتان فاخبر كل بحسب علمه
ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة وبها يترجح رواية

الثنتين

الثنتين او لينه خضعن في اليقظة او النوم تطييبا ما من يلثم
اي بتقبيل التراب المنفصل من قدمه صلى الله عليه وسلم موصوفة
باوصاف جليلة كما تخص بعينها منها انها كانت اذا مشى على
حجر لانت فيا اي لاجل ومن جهة استحيائها منه واجلالها
لها من اجل مشيها اي تلك القدم الكريمة لها الصخور اي
الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير مشيها وما بعده
عليها لتقدمها رتبة وتنبه بذلك على انه ينبغي لك ايها
العاقل ان تستحي من مخالفتك ما جاء عن نبيك صلى الله عليه
٢٩ وسلم لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحيى منه ان يبقى على
صلابته مع مشيه عليه فتنشق عليه صلابته فلان له حتى
يسهل عليه مشيه عليه فانت اولى بالاستحياء منه ان
تبقى على مخالفته مع علمك بجليل اوصافه وعلي اخلاقه صلى
الله عليه وسلم ثم هذا الذي ذكره الناظم ذكره غيره ممن
تكلم على الخصائص لكن بلا سند وعبارة الجلال السيوطي
في خصائصه ومما اورده رزين ابن صاحب الصحاح في خصائصه
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ على الصخر اثر فيه وذكر
الحافظ التبريزي الحنبلي تلميذ ابن القيم في خصائصه فقال
واما الانة الحديد لداود عليه الصلاة والسلام فقد لان
الحديد معروفة بالنار وقد الان الله تعالى الحجارة لمحمد

صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا بغيرها وهذا
ابلغ ثم قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لانف تحت
اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة الجارية
انتهى وقال في اول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل نبي من المعجزات
وما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص وما له من الفضائل
والفواضل موطئ بدا من التراب الاخمص بضم الميم المراد به
الجنس اي الاخمصين وهو من التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص
من القدم الموضع الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطء
والخمصان المبالغ فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن
ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وابن عساكر عن ابي امامة كان صلى الله عليه وسلم
لا اخمص له يطا على قدمه كلها لان المراد ان اخمصه معتدل
الخمص ومن ثم قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم
يرتفع جدا او لم يستو اسفل القدم جدا فهو احسن ما
يكون وان استوى او ارتفع جدا فهو ذم الذي نعت للمضاف
ولا يصح كونه نعتا للمضاف اليه الا بتكلف منه صفة للمبتدا
الذي هو وطا تقدمت عليه فصارت حالا للقلب خبر المبتدا
وهو الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومراد المراد بالقلب والخلاف
في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة

النظير

النظير اذا مضجع اي جنب الذي اضطجع عليه اقض بالقاف
والمعجمة اي اصابه القضض وهو التراب الذي يعلو على الفراش
كما في القاموس وطا اي فراشه وصف ذلك التراب الذي هو
موطئ القدم من الشرف بانه لو فرض ان مضجعه اصاب ترابه
فراشه الذي هو من جملة ذلك التراب يسري سر ذلك التراب
الاكبر الى قلبه فانار وازاحه من الاغيار وصيره على اكمل
الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والاحوال كما ان الفراش
يصون من فرشه له عن ذلك وهذا اولى واظهر مما حل به
الشارح هذا البيت فتامله ومن اوصافها ايضا انها
حطي المسجد الحرام يعني جميع حرم مكة اذ المسجد الحرام يراد
به ذلك كثيرا كما في القرءان في مواضع كثيرة بل كلما ورد
فيه من ذلك المراد به مكة الا في نحو فول وجهك شطر
المسجد الحرام بممشاها اي بممشا تلك القدم فيه اي
فضل حرم مكة يفيد انه سائر البقاع ما عدا موضع قبره
المكرم كما عليه اكثر العلماء بواسطة ولادة النبي صلى
الله عليه وسلم وتربيته ونشاته فيه ومن ثم صح من غير نزاع
فيه لاحد انه صلى الله عليه وسلم قال لمكة والله انك لاحب
ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت والحديث
المعارض لذلك الذي يروى به فضل المدينة المنورة موضوع

كما اعترف به امام المالكية ابو عمر بن عبد البر وصرح
بان افضلية مكة يعني الحق عنده من العلم وشدة وبرئ من
التعصب حفظه منه ايلياء اي بيت المقدس بل شرفه
بمشيه صلى الله عليه وسلم فيه ايضا وصلاته فيه
بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة الاسرا كما جاء
ذلك في الاحاديث الصحيحة ولم يذكر المدينة لانه الذي
انشا شرفها كما في الحديث الصحيح اللهم ان ابراهيم
حرم مكة واني حرمت المدينة الحديث وقوله صلى الله
عليه وسلم حرمت المدينة اي تحريمها على لساني ولم
يسبق من غيري بخلاف مكة فان تحريمها من يوم خلق الله
السموات والارض كما في حديث البخاري وغيره وحديث
البخاري وغيره ايضا ان ابراهيم حرم مكة معناه اظهر
حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين وانه متعين ما امكن
وليس الكلام فيما انشا حرمته وانما هو فيما عرفت حرمته
من قبله على لسان غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لكن
ازدادت حرمته ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره
حينئذ ففضل مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتها قبله
صلى الله عليه وسلم بل لاجل حلوله ومشيه فيها وبين حظي وحظه
كرمته ورمى تخليص شبهه لا شفقا ومن اوصافها ايضا

انها

ورمت اقدمي بها ظلم الليل
الى الله خوفه والرجاء

١٨

انها ورمت كما في حديث الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قام
من الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وفي رواية لهما عن عائشة رضي الله عنها قام نبي الله صلى
الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه
فقلت له لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال افلا اكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه
صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع والفا السببية
والتقدير اترك تهجدي فلا اكون عبدا شكورا والمعنى ان
المغفرة سبب لكون التهجد لمحض الشكر فكيف اتركه
قال ابن بطال شارح البخاري في هذا الحديث اخذ الانسان على
نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى
الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف
بمن لم يعلم بذلك فضلا عمن لم يامن انه استحق النار انتهى
قال بعض المفسرين قام صلى الله عليه وسلم طول الليل على قدميه
الا قليلا فلما تورمت قدماه كان يقف على اطراف اصابعه
فانزل الله عليه طه اي طا الارض بكل قدميك واسترح مما
انت فيه من التعب فما انزلنا عليك القران لتشقى اذ في
وقت او لاجل انه رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية

شبه القدم الشريفة بشمع صائب من حيث أن قيام القدم
في طاعة الله أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما أن رمي
الشمع في طاعة الله يزيل سورة عدوه ووطأته فتشبيه
القدم بالشمع في ذلك استعارة بالكناية لبنائها على هذا
التشبيه المكني بها في النفس وإثبات الرمي لها استعارة
تخييلية وبهذا التقدير البديع المبني للبناء على حالها يندفع (ومع)
زعم الشارح أنها بمعنى من أو عن وأنه لا يصح بقاؤها على حالها
ولما كان قيام الليل كذلك ينشأ إما عن مزيد خوف أو سعة رجاء
بين الناظم رحمه الله أن قيامه صلى الله عليه وسلم لم يكن لأجل ذلك
وإنما كان لمحض الشكر كما أفاده قوله أفلا أكون عبدا شكورا
مع التلذذ بمناجاة الله والقيام بين يديه وأن خوفه ورجاءه
صلى الله عليه وسلم اللذين وصل فيهما إلى غاية لم يصل إليها غيره
إنما كانا لمحض التقرب بهما إلى الله تعالى فقال إلى الله خبر مقدم
خوفه منه قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأخوفكم
منه والرجاء أي وسعة أمله فيما عنده لا لغرض آخر لأن الله
تعالى عصمه عن أن يخطر أو يميل إلى غيره طرفة عين بل هو
دائم المثول في حضرات الشهود الأقدس والتملي بمعالي القرب
الأنفس ووقع للشارح رحمه الله حل هذا البيت على خلاف
ما ذكرته وما ذكرته أولى وأنسب بمقامه صلى الله عليه

وسلم

وسلم كما لا يخفى على متأمل ثم رأيت القرطبي أشار لما ذكرته
حيث قال الظن من سأله في حديث الصحيحين المذكور عن سبب
تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك
فأفادهم أن هنا طريقا آخر للعبادة وهو الشكر إذ هو
الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه سمي
شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور
وفي الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد
في العبادة والخشية من ربه قال العلماء رضي الله عنهم
إنما ألزم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنفسهم بشدة
الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وأنه تعالى ابتدأهم
بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا
بعض شكره مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد
انتهى وقيام الليل كان في أول الإسلام واجبا عليه صلى الله عليه
وسلم وعلى أمته كما ذكره الله في أول سورة المزمل ثم
نسخ عن الأمة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الأصح كما نص
عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه ولكن أكثر أصحابه على أنه
صلى الله عليه وسلم لم ينسخ عنه لقوله تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك أي عبادة زائدة في فرائضك لأن الأمر للوجوب

فع

وقيل معناه زيادة خالصة لك لان تطوع غيرك يكفر ذنبه
وتطوعك خالص له لكونه لا ذنب عليه فسائر تطوعاته
صلى الله عليه وسلم لمحض زيادة الدرجات والقرب واما حديث
اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ
بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل فهو تعليم لامته
وبين الخوف والرجا المقابلة ومن اوصافها ايضا انها دميت
اي خرج دمها في الوغا قال الشارح هو الصوت والجلبة
ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة اختلاط الا
صوات وهو المراد هنا انتهى لتكسبه في طيبا ما اي الذي
اراقته من الدم بيان لما الشهدا جمع شهيد فعيل بمعنى
فاعل لانه يشهد الجنة وما اعد الله له فيها عند طلوع
روحه او مفعول لان ملايكة الرحمة تشهده عند ذلك وهو
جار على اراقت اي من حكم خروج الدم من رجله المشرفة ان يعود
طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم الشهداء حتى تكون رايحة
دمهم كريح المسك كما اخبر صلى الله عليه وسلم عن دمهم
بانه كذلك وكان ينبغي للناظم ان يذكر هنا من اوصاف يده
الكريمة ان الذي في البخاري انه صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه
فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه صلى الله عليه وسلم خرج

دمهه في الوغا لتكسبه طيبا
ما اراقته من الدم للشهداء

الى

١٨٢

الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا به سفهاءهم
فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس من شدة الالم وزيد
مولاه يحميه منهم فان قلت ليس هنا حرب والناظم
قيد ذلك بالوغا قلت قد علمت ان اصل الوغا الصوت والجلبة
وهذا موجود هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب
وسند المنع انه اقام عندهم شهرا يدعوهم وهم لا
يجيبونه بل يغرون به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال
موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت
نعلاه بالدم زاد غيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى
الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه
وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج
في راسه شجاجا وهذا حرب اي حرب لان من اقام بين ظهراني
العدو فواجههم بما يكرهون من غير ان ينزجر بزجرهم
ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم اي محارب ويدل لذلك
ان المتقاعد من المختار بين الصفين اذا التقيا بالجيش يحمل سلاح
كل الى الاخر وان لم يقع قتال ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا
لما بالقوة منزلة ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد
من جانبهم ضرب وجرح وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم
وسب لهم وما التعلق بما قررته يعلم عذر الشارح في صرفه

الوغا عن معناه الحقيقي الى معناه المجازي وقال انه المراد
هنا اي كما يقضي به سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما
يشهد لذلك المراد من كتب السير او غيرها واذا تقرر انه
صلى الله عليه وسلم قام على قدمه حتى تورمتا وانه ادمي
في الحرب ليكسب طيب دمه اهل الشهداء طيبا فهو حينئذ
قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى اليه الثبات في الصلاة
والحرب الى حالة لم توجد في غيره الا انه صلى الله عليه وسلم
لا اتقى ولا اخشع لله منه ولا اشجع منه كما مر فهو قطب
العبادات والجهاد في سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل من مكا
نها فلذا دارت عليها قبائل العرب الذين اكرمهم الله بطاعته
للاقتداء به والمجاهدة معها كما قال وكم اي مرات كثيرة
دارت عليها في طاعة لله تعالى حال من قوله ارحاء اي قبائل وهذا
تذييل وقطب الرحا ما يدور عليه ويسمى امير الجيش قطب
رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستعيد من ذلك انه مركز
دايرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق لاجله ابتداء والمقصود
فيه انتهاء وبين المحراب والحرب تجنيس الاشتقاق وقوله اي اعلم
انه صلى الله عليه وسلم لو يجمع شرطها وجوابها سد مسد
المفعول الثاني وبعض ان ما جنت هو المفعول وجواب لو محذوف
دل عليه ما جنت واعلم ان الكلام على لو كثير اختلاف العلماء

فيه

فيه وقد اوردت هنا ايرادا خالصا لانه مما يضطر الى
معرفته فاقول هي شرط للماضي غالبا واختلفت عبارات النحاة
في معناها حتى قيل انهم لم يفهموه قال سيبويه هي حرف
لما كان سيقع لوقوع غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع
واختلف في مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع
الشرط لامتناع الجواب لا عكسه لان انتفاء السبب لا يدل
على انتفاء مسببه لجواز ان يكون للشيء اسباب واستدل
لذلك بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا لانها
مسوقة لنفي تعدد الالهة بامتناع الفساد لا عكسه
اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه اذ المراد فساد نظام العالم
عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه انتهى
وردوا عليه واطالوا وصوبوا ان المراد امتناع جوابها لامتناع
شرطها كما هو المتبادر للافهام واعترض ذلك بان الجواب
قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام الاية وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به وجد الشرط ام لا
وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا فلذلك حرر جمع محققون
العبارة عن معناها فقالوا انها حرف يقتضي امتناع ما يليه
واستلزامه لتاليه من غير تعرض لنفي التالي فقيام زيد من لو

ويكون

قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه وبكونه مستلزما ثبوته
لثبوت قيام عمرو وهل العمرو قيام آخر غير اللازم عن قيام زيد
أو ليس له تعرض لذلك ثم إن ما سببه بأن لزم الثاني الأول عقلا أو
شرعا أو عادة ولم يختلف المقدم في ترتيب الثاني عليه غيره
لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
ففسادهما لازم لتعدد الآلهة عقلا وفق العادة عند تعدد
الحاكم من التمانع في الشيء ولم يخلف التعدد في ترتيب
الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفاء التعدد المعتاد بلوان
خلفه لم يلزم كلو كان إنسانا لكان حيوانا فالإنسان لازم
للحيوان عقلا لأنه جزؤه ويخلف الإنسان في ترتيب الحيوان
غيره كالحمار فيثبت الثاني مع انتفاء الأول إن لم ينافي
انتفاؤه ونا سببه إما بالأولى كاثر عمرو المرتب فيه عدم العصيان
على عدم الخوف وهو بالخوف المعتاد بلوا نسبه للترتيب عليه
أيضا في قصده والمعنى أنه لا يعصي الله مطلقا لا مع الخوف
وهو ظاهر ولا مع انتفائه إجلالا لأنه تعالى عن أن يعصيه أو المساوي
كقوله صلى الله عليه وسلم في بنت أم سلمة لو لم تكن ربيبتي
في حجري ما حلت لي إنها لابنة أخي من الرضاعة رواه الشيخان
أي لا تحل لي أصلا لأن لها وصفين مقتضيا وبين المصاهرة والرضاع
لو انفرد كل منهما حرم أو الأدون كلو انتفت أخوة الرضاع ما حلت

للسبب

للسبب الأدون وهو صفة للرضاع لم يسكن هو بها أي بقدمه
الشريف قبل بالبناء على الضم حراء مفعول يسكن بالصرف
هنا لا غير ليلا ينخرم الوزن وفي غير هذا يجوز كل منهما
بالاعتبار بين المعنى وبين كما مر ماجت أي تحركت واضطربت به
أي القدم أو النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بدلها الذاما
اعلم أن الشارح رحمه الله تكلم على هذا البيت بما فيه
خفاء ونظر لأنه جعل مفعول أراد الثاني ماجت ولو لم يكن
شرطا جوابه محذوف لدلالة الكلام عليه وقال في الذاما
هي بالمعجمة كأنه أراد بها سرعة الحركة وقال في حله
ومن أوصافه صلى الله عليه وسلم أنه لو لم يسكن بالقدم
المذكورة حراء لما أراد التخفيف فيه ماجت به سرعة الحركة
واستمر اضطرابه به صلى الله عليه وسلم كما أنه لما صعد
أحدا تحرك به فقال اثبت أحد فذاك تسكين بالقول وهذا
بالفعل انتهى ولم يظهر من هذا الحل مع ما قبله من الإعراب
معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة فاعلا ماجت في
غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على أنه في القاموس
لم يذكر الذاما بالمعجمة أصلا ولا الذامة بالمعجمة معنى
مناسبا لسرعة الحركة ولا مقاربا لها أصلا وإنما ذكر الأدامة
ما قد يناسب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته في ذامة

بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده وخزاه والاذام الرعب
وما سمعت له ذامة كلمة انتهت وانما ذكر الداما في المهملة
فقال دايم الحايط كمنع دعمه وتدام الماء الشيء غمره والعجل
النافة تخللها وتداومه الامر كتعاظمه تراكم عليه وتزاحم
والداما البحر ثم قال وشيخ مدام كمنبر يركب كل شيء انتهى
والذي يتجه في حله ان ماجت جواب لو وان الداما بالمهملة وانه
البحر وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر
لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم اشبه تحركه حينئذ تحرك
البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها تناسب
المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج الا في الماء كما يصرح
به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى واعلم انه لو لم يسكن
بقدمه حراء قبل اي عند ابتداء تحركه به بقوله له اثبت
حراء الى اخر ما مر في شرح قوله فانهتز به للصلاة فيها حراء
لماج اي استمر اضطرابه وتحركه الى اخر الدهر لما مر انها
هزة الطرب والسرور بر فيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان
القياس لو لم يسكن بقدمه الشريف قبل حراء ماج لكن لما احتاج
الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت الداماء
لافادة ما في تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الا
ستعارتين المذكورتين فان قلت الذي مر في حراء انه انما قال له

اثبت

اثبت او نحوه ولم يضربه بقدمه وانما الذي ضربه بقدمه
احد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم يسكن بها قبل حراء
قلت كانه نظر الى ما في بعض الطرق في مسند الحارث بن
ابي اسامة اذ فيها احدا وحراء بالشك وصح في رواية حراء وفي
رواية احد فيقتضي ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة في حراء
كما انه في احد ولك ان تحمل النظم على ان المراد لو لم يسكن
حراء اي قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اي مشيه عليه
واقامته فيه للتعبد قبل النبوءة لاستمر تموجه واضطرابه
حين طلع عليه ثانيا هو واصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم
شيء الا ان يقال المسكن له كل من قدمه وقوله له اثبت او
اهدى حراء فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر وقد يجاب بانه
لا مانع ان المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم لا ينافي
انه لا مسكن غيرها ولك ايضا ان تجعل الداماء الارض تسمية
للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لو لم يسكن بقدمه الكريم
حراء اي بتعبده فيه قبل النبوءة لماجت به الارض بعد
النبوءة فرحا وطربا الى اخر الدهر وخص حراء لانه صلى الله
عليه وسلم خصه بتعبده فيه دون غيره تنبيه اشار صلى
الله عليه وسلم في احد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال
احد جبل يحبنا ونحبه رواه الشيخان قال الخطابي المراد بجبه

اخذ حب اهل المدينة نحو سل الغربة ورده البغوي وتبعوه
بانه لا مانع من حمله على ظاهره ولا ينكر وصف الجمادات بحب
الانبياء والاولياء واهل الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لما
فارقه صلى الله عليه وسلم وفي حديث ان حجرا كان يسلم علي قبل
النبوءة وروى البزار وابو نعيم حديث لما اوحي الي جعلت لا امر
بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة
كثيرة من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها امن
بها من فوره بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا
ضلالا حقيقون بان يقال في حقهم عجبا بدا من اللفظ
بفعله وهو الامر المستغرب الخارج عن قياس العقول للكفار
اي منهم حال كونهم زادوا ضلالا بالمعجز القرءان وغيره الذي
فيه اي في كل فرد من افراده للعقول السليمة الخلية عن العناد
والخذلان والحسد والغل ومر الكلام على العقل وما فيه من
الخلاف اهتداء الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
والى صحة ما تحدى به ويصح ان يراد العقول الا بالقيد المذكورين
حملا للاهتداء على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة فيها
الاهتداء بالقوة وان قارنها عنادا او خذلان وبين الضلال
والاهتداء الجزء الانسان تمييز الطباق ووجه التعجب منهم
واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من الايات والمعجزات التي

ترشد

٨٧

ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما عندهم من الحسد والتلبيس
على الضعفاء منهم الا اباء وكفرا وتمردا كما قال تعالى عنهم
وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وعجبا ايضا من الذي
يسئلونه منه على جهة التعنت والعناد وهو كثير منه
كتابا منزلا معه عليهم من السماء فاتاهم به وهم يشاهدونه
وارتقاءه منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله
وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة
من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون
لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نومن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقروه وقالوا له ايضا لقد علمت انه ليس احد
من الناس اضيق بلدا ولا اقل ماء ولا اشد عيشا منا فسل ربك
فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا
في بلادنا وليفجر فيها انهارا كانهار الشام وليبعث لنا
من مضى من ابائنا وليكن فيهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ
صدق فان صدقوك صدقناك وما قرره في هذا البيت اولى مما
قرره الشارح فيه من ان الذي مبتدا خبره كتابا وارتقاء معطوف
عليه لانه حينئذ لا تعلق له بما قبله ولا بعده مع ما فيه
من غموض المعنى بخلاف ما ذكرته فان معنا سبقته لما قبله

والحجة وكذا لما بعده كما يدل عليه الاستفهام التعجبي
الانكاري عليهم في قوله ا يقولون ذلك كله ويتعنتون به
ولم يكفهم عن ذلك كله من الله حال من فاعل يكفي وهو ذكر واصل
اليهم وتسميته ذكرا جاء في اية مرادا به الشرف كما في اية
وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى مرادا به انه مذكر بكل ما ينفع
ويحذر عن كل ما يضر فيه للناس والجن بل والملائكة رحمة باهتداء
المومنين به وتاخير عذاب الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه
بين ظهرانيهم وشفاء من كل داء ظاهر او باطن حسي او
معنوي كما قال تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء وتخصيص
المومنين لانهم المقصودون بذلك بالذات وغيرهم بطريق قف
التبع وانما قلت والملائكة لقول بعض اكابر ايمتنا ان الملا
ئكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون على
استماعه من غيرهم قال العلماء لم ينزل الله من السماء شفاء
قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجع في ازالة الداء من
القران فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء كما قال تعالى
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين قال الفخر الرازي
وغيره ومن ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا
الجنس الذي هو القران شفاء من الامراض الروحانية كالاعتقا
دات الفاسدة في الالهية والنبوءة والمعاد وفي القران

من

من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفي ويشفي وكالاخلاق
المذمومة وفيه اوضح بيان لانواعها والحض على اجتنابها ومن
الامراض الجسمانية بالتبري بقراءته عليها بشرط الخلوص وفراغ
القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم اكل
قف الحرام وعدم رين القلوب وعدم استيلاء الغفلة على القلب وفي
حديث ان الله لا يقبل الدعاء من قلب غافل لاه وقراءته ممن هذه
حالته على اي مرض كان مبرئة له وان اعيى الاطباء ومن ثم قال بعض
الايمة متى تخلف الشفاء فهو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم
قبول المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء
كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية وقد روي حديث
من لم يستشف بالقران لا شفاه الله تعالى وروى ابن ماجة انه
صلى الله عليه وسلم قال خير الدواء القران وعن العارف الامام الكبير
ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده اشتد به مرض فانزعج
عليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ما بولده فقال له
اين انت من ايات الشفاء اي وهي ست ايات مشهورة فكتبها
ومحاها بماء وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم استطرد
بذكر شيء مما اشتمل عليه القران العزيز من المعجزات الباهرة
حض والايات الظاهرة في ذلك بل ابصره في قمع المعارض وادحاض
الجاحد انه اعجز قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن

شاهد النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهره
ان الشاهد يحصل له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه
الاعجاز ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطاء عند
المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري بانه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله وانه معجز للخلق عن محاكاته
لان هذا امر يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه ان يعبر
عنه بل لو ادعى مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم
يبعد لا سيما وكل يدرك فرقا بحسبما بين القرآن وغيره عند
سماعهما الانس اي فضمير بهما تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه
الجمهور ان اقل ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث
آيات او مثلها طلب منهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله
فعجزوا فطلب ان ياتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فطلب
منهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكان اقل ما طلب منهم
قدر اقصر سورة من سوره وذلك لان في دليل الجمهور شيئا اذ
لا يلزم من كونه لم يطلب منهم دون السورة انهم قادرون على
اقل منها لان المشاهدة قاضية بانهم عجزوا حتى عن بعض
الآية كما يفيده قول الناظم الآتي او بعضها لان في ارتباطها
بما قبلها وبعدها انواعا من بديع الحكم لا يحيط بها غيره
صلى الله عليه وسلم فالحق انهم عاجزون عن محاكاة آية من آياته

حتى ثم نظرا او بعضها المفيد لحكم مع النظر لما سبقها ولما
قبلها وما بعدها واما التصريح بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث
آيات فتفرده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط انه
حاكى شيئا منه واعجز الجن اي منه ايضا وذكرهم كالانس
لان التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم
اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما للاعجاز لانهم ليسوا
من اهل اللسان العربي يرد بان الآية تقتضي انهم يحسنون اللسان
العربي فادعاء خلافه يحتاج لدليل قيل ولم يذكر الملائكة لانه
صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم ويرد بان الاصح خلافه ومن
ثم قال بعضهم انهم مستوون في الآية ايضا وانهم لا يقدرون
على معارضته اي وكان حكمة عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة
فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم يستطع احد من الفرق بل
الثلاثة في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده ان ياتي بمثل آية او
سورة منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع وعذوبة منطقه
وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات ودلائل البعث والنبوة
والاخلاق الكريمة وضدها وهذا مقتبس من قوله تعالى قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا او حينئذ فهلا هي في اصلها
للتحضيض والمراد بها هنا التهكم ونظيره من حيث ان لو لا

بمعنى هلا فيشبه لهذه ما تلك فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله الاية فهي هنا للتوبيخ والتنديم وكذلك هلا هنا
للتوبيخ من يزعم امكان المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد تاتي
ببعض اي الاية والمراد بعضها المفيد وفي نسخة شرح عليها
الشارح به والاحسن عود ضميره على ما ذكر من الاية واعاده
على القرآن وما قلناه ابلغ البلغا جمع بليغ والفرق بين الفصاحة
والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف والغرابة
ومخالفة الحروف القياس اللغوي ويوصف بها الكلام والمتكلم
والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يجري على
ما يقتضيه حال المتكلم او المخاطب او المحكي من تنكير او اطلاق
او تقديم او اضمار او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف بها ما
عدا الكلمة وبلاغة المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد
الكلام البليغ غير محتاج الى تعقب او استدراك وافاد الناظم
رحمه الله تعالى بهذا ان البلغاء فضلا عن غيرهم مع انهم
العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء والشعراء الفصحاء في قريش
وغيرهم والمتقدمون في اللسن والتبيان والرؤساء في قوانين
المعاني والبديع والبيان والفرسان في ميادين الفصاحة
والشجعان في مهامه البلاغة اظهروا عوار عجزهم عن المعارضة
وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان عجزهم عن ذلك

اعجب

١٩٠

اعجب باعي الاية واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص لان قوم عيسى عليه السلام لم يكونوا يطمعون في ذلك
ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلا اربهم ومنتهى طلبتهم
التفنن في اصنعة الفصاحة والتنزه في رياض البلاغة والتقدم
في اعاجيب الخطابة .. واساليب البراعة فدل عجزهم عنه مع
ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوءته وبراهين رسالته
وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة اذ محال ان يلبثوا ثلاثا
وعشرين سنة على السكوت عن معارضة اية منه المستلزم
لنقض امره وتفريق اتباعه وزوال شوكته وحيازة من تبعه
مع قدرتهم عليها وطلبها منهم وقتل اكابرهم وسبي
ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم حتى يكشف
من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم اني افتريته
لعلمي باخبار الامم فاتوا بعشر مثله فلم يرم ذلك خطيب
ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه مصقع ولا الظهور وجد من
يستجيده او يحامي عليه ومن يزعم بمجرد الدعوى انه عارض وناقض
فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه وعارض شعراء
اصحابه وخطباء امته قطع بعجزهم وتحيرهم وانقطاعهم
ومن ثم قال الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم اعقل خلق الله
تعالى وقد قطع القول بان ما اتى به من عند ربه وانهم لا ياتون

بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من ربه والا
لم يقطع بشيء، من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز
عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته فلم
يستطع احد منهم ان يناويه ولم يرفع راسه الى ان يباديه بل
رضيت نفوسهم السرية :. وانفسهم الابية :. اذ كانوا انف شيء
واشده حمية :. بسفك الدماء وهتك الحرم ولذلك قال العلماء
رضي الله تعالى عنهم من اعلى وجوه اعجاز القرآن فصاحته وبلا
غته خرقت عادة العرب :. مع انهم اتوا منها ما لم يوته غيرهم
لانهم كانوا ياتون منها على البديهة بالامر الاعجب :. ويدلون
به الى كل سبب :. فيخطبون بديها عند شدة الخطب :. ويرتجزون
به بين الطعن والضرب :. ويترسلون في اوديتها فياتون منها
بالسحر الحلال :. وينظمون من دررها اجمل من سمط الجمال :. فلا
يشك عاقل انها طوع مرادهم :. وسلك قيادهم :. فقارعهم
الرسول الكريم :. بكتاب عزيز قديم :. لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد :. فبهرت بلاغته العقول :. وظهرت
فصاحته على كل مقول :. وهم افصح ما كانوا في هذا الباب
مقالا :. واشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا :. صارخا
فيهم في كل حين :. مقرعا لهم على رؤوس الملا اجمعين :. فاتوا بسورة
من مثله والا فانتم المردودون الى اسفل سافلين :. ثم لم يزل يقرعهم

ويوبخهم

محاربون

١٤٦١

ويوبخهم :. ويسفه احلامهم :. ويسب آلهتهم :. ويستقبح
نفوسهم واموالهم :. وهم لا يزدادون الا تقهقرا عن المعارضة
لم ياتوا بمقال :. صابرون على الجلاء والقتل والصغار والاذلال :. ناكصين
عن معارضته :. عاجزون عن مماثلته :. مخادعون انفسهم بالتشغيب
والتكذيب والاغتراء بالافتراء في قولهم ان هذا الا سحر يؤثر
وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين :. والمباهتة والرضى
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب :. والادعاء مع ظهور غاية العجز
عليهم بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم تعالى ان تفعلوا
فما فعلوا وما قدروا اذ لو اطاقوا ادنى معارضته لبادروا اليها
واجمعوا الخصم الذين كانوا حافظين على اطفاء نوره :. واخفاء
اموره :. مع طول الامد :. وكثرة العدد :. وتظاهر الوالد وما ولد :.
بل ابلسوا فما ينبسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله والآتي اليهم
به مكث بين ظهرانيهم اربعين سنة اميا لا يحسن نظم كتاب :.
ولا عقد حساب :. ولا تعلم سحرا :. ولا انشد شعرا :. ولا يحفظ خبرا
ولا روى اثرا :. حتى اكرمه الله تعالى بالوحي المنزل :. والكتاب المفصل
قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لا
رتاب المبطلون روى البيهقي وغيره ان عتبة بن ربيعة قام من
جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد

وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عن ما هو فيه فقال له صلى
الله عليه وسلم اسمع مني وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
من الرحمن الرحيم الى ان بلغ السجدة فسمع ما بهره فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انت وذاك فقام الى اصحابه فقال بعضهم لبعض
لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به فقالوا ما وراءك قال سمعت
قولا ما سمعت مثله قط فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة
اطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو فيه فليكونن له
نبأ ولما بلغ فقد انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود
امسكت فيه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم انه اذا قال شيئا
لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب وروى ابن اسحاق والبيهقي
ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة طلب منه ان
يقرأ عليه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فاستعاد
اياها فأعادها فقال والله ان له لحلاوة ∴ وان عليه لطلاوة ∴ وان
اعلاه لمثمر ∴ وان اسفله لمغدق ∴ وانه ليعلو وما يعلى عليه وما
يقول هذا بشر وما فيكم اعلم مني بالشعر ∴ واجمعوا فيه رأيا
قبل حضور وفود العرب في الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا
فقالوا نقول كاهن قال ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال
ما هو بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه ∴ ما هو

بشاعر

بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم
قائلون من هذا شيئا الا وانا اعلم انه باطل وروى الحاكم ان
هذا الشقي لما رق لقراءة القرآن عليه جاءه ابو جهل فقال
يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا لانك اتيت محمدا
للمال فقال قد علموا اني من اكثرهم مالا فقال قل فيه ما
يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر من مدح
القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعني حتى
افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره فتأمل
فضائح هؤلاء الاشقياء على انفسهم بالعناد المحض والسباب
القبيح والتقول الباطل ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا
وطغيانا وفسادا وما احسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة
لشهدت العقول السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء
على يدي اصدق الخلق وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر
سورة منه فعجزوا وانقطعوا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه
اجمالا واما تفصيلها فقد بينتها الائمة بما حاصله انه
ينحصر مقصود اعجازه في امور اربعة وعدها بعضهم اكثر
من ذلك وهي ترجع اليها فلنذكرها احدها ما فيه من الايجاز
والبلاغة والتراكيب بحيث وصل كل منها ومن مراتب البلاغة
فيها الى المرتبة العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن احاط

١٩٢

علمه بجميع مراتب الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة
عقب لفظة الا اذا لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب منها
وغيره ليس كذلك ومن ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تومر
سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية
قال جمعت هذه الاية ما انزل على عيسى من امر الدنيا وامر الاخرة
ولقد رام بعض سخفاء العقول محاكاته بعض فقار المفصل
فاتى من الهذيان بالعجب العجاب . كقول مسيلمة الكذاب
اللعين يا ضفدع كم تنقنقين . اعلاك في الماء واسفلك في
الطين . لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين . وقوله محاكاة
للنازعات والذاريات ذروا والزارعات زرعا والحاصدات حصدا
والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات
ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم
اهل المدر وقال الم تر كيف فعل ربك بالحبلى . اخرج من
بطنها نسمة تسعى . من بين شراسيف وحشا وقال الفيل
وما الفيل وما ادريك ما الفيل له ذنب وثيل وشعر طويل
فان ذلك من خلق ربنا القليل ثم انبه انه مع كونه انه من جنس
كلام العرب خارج عن ما يعرفونه من النظم والسجع والخطب
والشعر ونحوها فتحير عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شيء

منه

منه اذ لا مثال له يعول عليه . ولا امام يرجع عند الاشتباه
اليه ولقد رام قوم من المتاخرين ان تنعقت اليهم فصاحة
وفقهم شيء من محاكاته فاعترتهم هيبة فطمتنع عن ذلك
ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر
فتاب ومحا ما عمل ثم ان لها تاثيرا في النفوس والقلوب
بحيث يجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا يجد عند سماع
غيره ومن ثم كان قاريه وسامعه لا يمله كلما زاد تكريره
زادت حلاوته . وانتحه طلاوته رابعها ما فيه من الاحاطة
بعلوم الاولين والاخرين ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن
الاخبار بالمغيبات مما كان وما يكون نحو لن تفعلوا ولا
يتمنونه ابدا فما فعل مثله مخلوق ولا تمنى الموت يهودي
وهذه ايضا من ابهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه من
وجهين اما الذاتي من حيث لفظه ومعناه المخصوص اذ تاليفه
ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال فيه رسالة
ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن
ذلك واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر
ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة
الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جبلي للتوجه

ولذا تجد هذا يوثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها
وينشرح لاخرى وهكذا فلما دعا الله اهل البطالة الذين يهيمون
في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرءان
فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على
اولي الالباب ان صارفا الاهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز ابلغ من
ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع
انه للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم
ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة
اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان
الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرءان والقول بالصرفة
يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القرءان وحينئذ يلزمه زوال الا
عجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول
العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القرءان ويلزم الصرف
ايضا انه لا فضيلة للقرءان على غيره فان قلت القول بعجزهم مع
بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال قلت معنى
قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها
فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة اصلا لقطع
من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت

توجه

توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة
قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن
الغايات ولا شك ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة
عن المحاكاة ابتداء بل بعد الاختبار فتامله لتعلم سقوط ما
قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير
ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل
وابي لهب نظرا لقدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا
عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول فريق
ضلال ان الكل قادرون عن الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم
العلم بوجه ترتيب لو يعلموه لوصلوا اليه به وءاخرون ان
العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان
بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة
في الفصاحة تعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعري والمتنبي
ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع
ونادى عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثلة وسخرية وضحكة
الى ان تاب اكثرهم واظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القرءان على ما
لا يحصى من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوية والاخروية
وغير ذلك من العجايب كان كل يوم اي وقت تجدد فاعله القرءان
اي نوط واجاد التعبير به تشبيه المعجزات بالتحف المهداة

كل يوم تعدى الرسل بمعجزة معجزات من لفظ القرآن

فهو استعارة بالكناية تتبعها استعارة تخييلية السامعية
معجزات من بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان
المراد بها هنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة
السابق مبتدا من لفظه كعذوبته وانسجامه وجزالة معناه
وغاية ايجازه مع غاية بلاغته . وبيانه مع فصاحته وخروجه
عن جنس كلام العرب حتى صار جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد
الحروف والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة تارة عن الامم الما
ضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا يمكن حصرها
ونقل الامام ابن سراقة من اصحابنا ان كل واحد من هذه راى قوم
انه سبب اعجاز القرآن ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا
في وجوه اعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره وتبعه البدر
الزركشي فقال اهل التحقيق على ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق
لا شتماله على الكل فنسبته الى احدها اي وحده تحكم بل وفيه
غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا على الالسنة وفي الاسماع
وجمعه صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان
غالبا في كلام البشر وكونه مستدركا على جميع الكتب قبله
فيما يفتقر اليه وهو غني عنها ومن ثم كان ابهر في الاعجاز
من سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل ومعادلا للكل
لان سبيلها واحد وهو مخالفة العادة وهو سبله كثيرة

طما

كما تقرر في وجوه اعجازه وسئل بعضهم ما موضع الاعجاز من
القرآن فقال هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان
ومعناه انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الى
جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه
لا يشار الى شيء منه الا وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزا
لمحاوله . وهدى لقائله . وليس في قدرة البشر الاحاطة با
سرار الله تعالى من كتابه . فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر
عنده واختلفوا في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم
على بلوغه الذروة العليا كما مر فاختار القاضي المنع وانما
المتفاوت ادراك الناس له واختار ابو نصر القشيري وغيره
تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح لئلا
يخرج عن نمط كلام العرب فجاء على نمط كلامهم ليتم ظهور
علو المعجز عن معارضته القرآن لان من سمع الفاظ القرآن وتدبرها
حق تدبرها علم من كل لفظ منها باعتبار ما دل عليه امرا
معجزا لا يعارض ولا يناقض واذا بلغ القرآن في الجلالة التي مرت
الاشارة اليها ما لم يبلغه غيره كان حقيقا بانه تتحلى به
اي بسماعه المسامع من التحلية بالعاطفة وتتحلى بالعاطفة
الافواه من الحلو فهو الحلي راجع للاول والحلواء بالعاطفة
راجع للثاني روى اي حسن لفظا اي من جهته فلا تجد لفظة

تحلية السامع بالحلي والحلواء

معه فيها ما بقي في كلام الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر
او تعقيد وراق اي تصفى من شوائب النقص فاعجب كل ناظر
فيه معنا اي من جهته ولا تجد معنا من معانيه الا وهو واضح
في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق وحلا
والحلوا الجناس تحلاها وحليها وسورة صور والتنظير
والنظائر والنظر الابيات والمسامع والافواه واللفظ
والمعنى مراعات النظير كالرقة والصفا والابيات والحروف
والهجا الابيات وفيما بعدها اللف والنشر المرتب فبسبب
كون سوره رقت وراقت جاءتا فاعله الخنساء وما قبله حال
منه اي حال كونها في حلاها اي صفاتها الجميلة وحليها اي
زينتها الخنساء بنت عمرو وخصها من بين كثيرات سميت بذلك
لانها كانت شاعرة معلقة كما ياتي بسط الكلام في ترجمتها
شبه سور القران في صفاتها العلية وترتيبها بما اودعته
من الاسرار البهية بامراة بلغت من الزينة واوصاف الحسن ما لا
يمكن التعبير عنه وارتنا اي اوضحت لنا وفاعله رقة الاتي فيه
اي القران غوامض اي خبايا فضل كل العلوم والمعارف المستنبطة
منه التي لا حد لها ولا غاية ومن ثم جاء عن علي رضي الله عنه وكرم
وجهه لو شئت ان اوقر بعيرا من تفسير سورة الضحى لفعلت
رقة كائنة من زلالها الزلال الماء في غاية الحلاوة والبرودة

رق لفظا وراق معنى فجاءت
في حلاها وحليها الخنساء

وارتنا فيه غوامض فضل
رقة من زلالها وصفاء

فعلى الزلال الخ

يوجد في اجواف صور توجد في نحو الثلج تشبه الحيوان وليست
في الحقيقة بحيوان كما قاله بعض اكابر ائمتنا وصفاء من ذلك
الزلال شبهه اي القران في محاسن اساليبها وصفاء مواردها
الموجبين لمن حدق في خفاياها حديد نظره .: وحقق في غور
دقيق فكره برد اليقين وصفاء القلب عن كل سوى حتى اطلع على
سائر الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية
والمواهب الرحمانية والمآرب الروحانية بماء في غاية العذوبة
والبرودة وصفاء الجوهرية ورقتها بحيث لا يمتنع من رؤية ما
تحته مما من شانه ان يخفى وبهذا الذي قررته من برد اليقين وصفاء
القلب يعلم ان ذلك انما يحصل لمن انصقلت مرآة فكره كما
اشار لذلك بكلام جامع بديع على عادته فقال انما تجتلي الوجوه
اي تظهر ظهورا واضحا لا اخفاء معه بوجه اذا قوبلت بالمرآة
اذا ما زائدة جليت اي ازيلت وبين هذا وتجتلي تجنيس الاشتقاق
عن مرآتها بكسر الميم والمد الاصداء وكذلك مرآة القلوب لا تجتلي
لها العلوم والمعارف من القران الا اذا جليت عنها اصداء الاغيار
واذا بقت فواها فيما هي بصدده اناء الليل واطراف النهار سور
جمع سورة وهي الطائفة المخصوصة المسماة باسم مخصوص
توقيفي منه لبيان الجنس لا زما باتي ليس خاصا ببعض سوره
بل يشملها كلها اشبهت لاشتمال كل منها على معادات من

انما تجتلي الوجوه اذا ما
جليت عن مرآتها الاصداء

سور منه اشبهت صورا منا
ومثل النظائر النظراء

العلوم وغيرها مستقلة بها لا تتوقف على ما في الاخرى ومن
ثم وقع التحدي بافصر سورة منه صورا جمع صورة وصورة
الشيء شكله منافع اشتمال كل منها على عقل وادراك وفهم
وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف على ما في غيره وكان النا
ظم رحمه الله قصد بهذا التشبيه الرد على من زعم بان الاعجاز
انما هو بمجموع القران لا بكل سورة لان ما فيه من انواع الا
عجاز السابقة انما يستفاد من مجموعه وهذه مقالة ضعيفة جدا
سدة لا يعول عليها المنا فاتها لقوله تعالى فاتوا بسورة
من مثله كما من بيانه فالصواب خلاف هذه المقالة بل قابلو
ها معتزلة لا يقام لهم وزن ومثل النظاير جمع نظير النظراء
جمع نظير ايضا وهو المثل والمناظر ويطلق النظاير على الاماثل
والافاضل وكل منها يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح
وهذا سافه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل اي ومثل تلك
السورة التي هي نظاير كما قال ابن مسعود لقد عرفت النظاير
التي يقرا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون سو
الاماثل والافاضل الذين يتناظرون في العلم بالنظائر (بالفضايل) او التخلي
عن الرذايل الالفاظ جمع لفظ والمراد به هنا اللفظ المفيد
عندهم اي الكفار ظرف للمبتدا او الخبر وهو كالتماثيل جمع
تمثال وهي الصورة يعني ان تقولهم في القران واقتراءهم

والالفاظ من عندهم كالتماثيل
فلا يوهمنك الخطباء

عليه

عليه بما يقدح في حقيقته امور مزخرفة مموهة بالاباطيل كما
ان التصاوير التي يخترعها المصورون كذلك فكما ان هذه لا وجود
لها في الحقيقة ولا اعتبار بها فكذلك تقولهم المذكور واذا
تقرر لك ان جميع ما قالوه في القران باطل قطعي البطلان فلا يوهمنك
الخطباء اي فاحذر ان يوقع مزخرفوا الكلمات بتمويهها فهم
ونقل محبهم في ذهنك ادنى ريب او شك في شيء من اوصاف
القران التي من بيان بعضها وما ينبيه على ما بقي منها كم اي
مرات كثيرة ابانت ايه او نخفة ايات جمع اية وهي لغة العلامة
واصطلاحا قران مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدإ ومقطع
مندرج في سورة قاله الجعبري ويشكل عليه نحو ثم نظر
في المدثر اية اذ ليس في هذه جمل ولا تقدير فالاولى قول
غيره طائفة من القران منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن
قوله من القران الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الاية
بذلك لانها علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها
وياتي قريبا عد اي القران من زايدة في الاثبات كما هو راي
جماعة علوم لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وفي حديث الترمذي
وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه
نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وان خرج

147

كم ايات اي باينات من علوم
عن كونها ايات [illegible]

سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقران
فان فيه خبر الاولين والاخرين قال البيهقي يعني اصول العلم
واخرج عن الحسن انزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها
اربعة منها التورية والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم
الثلاثة الفرقان اي مع زيادات لا تحصر ومن ثم قال الامام الشافعي
رضي الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع
السنة شرح للقران وقال ايضا جميع ما حكم به النبي
صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القران وما ثبت ابتداء
بالسنة فهو في الحقيقة ماخوذ منه لانه اوجب علينا
اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة بمكة سلوني عما
شئتم اخبركم عنه من كتاب الله تعالى فامتحن بدقايق فا
ستنبطها من القران منها لو قتل محرم زنبورا هل عليه جزاء
فاستنبط لهم منه انه لا جزاء عليه لان عمر رضي الله تعالى عنه
امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي
ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه وما نها
كم عنه فانتهوا الاية وتبعه اعني الشافعي العلماء على
ذلك فقال واحد ما قال صلى الله عليه وسلم او حكم او قضى بشيء
الا وهو او اصله في القران قرب او بعد وقال اخر ما من شيء
في العالم الا وهو فيه فقيل له فاين ذكر الخانات فيه فقال في

قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم فهي الخانات وقال اخر ما من شيء الا يمكن
استخراجه من القران لمن فهمه الله حتى ان عمره صلى الله عليه وسلم
ثلاثا وستين سنة استنبط من اخر سورة المنافقين لانها
راس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده
صلى الله عليه وسلم وقال اخر لم يحط بالقران الا المتكلم به
ثم نبيه صلى الله عليه وسلم فيما عدا ما استاثر الله تعالى بعلمه
ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام الصحابة مع تفاوتهم فيه
بحسب تفاوت علومهم كابي بكر فانه اعلمهم بنص ابن
عمر وغيره وكعلي كرم الله وجهه لقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه انا مدينة العلم وعلي
بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما جميع ما اوتيته
لكم من التفسير فانما هو عن علي كرم الله وجهه وكان ابن عباس
حتى انه قال لو ضاع عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ثم
ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل
ما حمله اولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا ليضبط
كل طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم ثم
افرد غالبا تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت ان تخرج عن الحصر
وقد بين هذا القائل وجه استنباط غالبها منه بتواليف

فـ
في عدد علوم القرآن العظيم

لا تحصى وقال آخر علومه خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة
آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في
أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع وبعض لذلك
اعتبار تركيب ما بينهما من روابط لكن هذا لا يحصيه إلا المتكلم
به تعالى [illegible] علومه ثلاثة توحيد ووعظ وحكم ومن
ثم سميت الفاتحة أمه لاشتمالها على هذه الثلاثة والإخلاص
ثلثه لاشتماله على الأول وقال ابن جرير الثلاثة التوحيد والأ
خبار والديانات وقال آخر اشتمل القرآن على كل شيء كما قال
سبحانه وتعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء أما العلوم فلا تجد
مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات
وملكوت السماوات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء
الخلق وأسماء مشاهير الأنبياء والملائكة وعيون أخبار الأمم
السابقة وشأنه صلى الله عليه وسلم وغزواته وأخباره إلى مماته
ثم شأن أمته من بعده وبدء خلق الإنسان إلى موته وأمارات
الساعة وجميع أحوال البرزخ والحشر والجنة والنار وزعم
الجاحظ أنه لا يوجد فيه شيء من المذهب الكلامي الذي هو احتجاج
المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة أرباب
الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتائج الصحيحة
من المقدمات الصادقة وردوا عليه بأنه مشحون من ذلك إذ ما

من

من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات العلوم العقلية
إلا وكتاب الله قد نطق به وقد بين الإسلاميون من أهل هذه العلوم
كثيرا من ذلك منه أن من أول سورة الحج إلى قوله وأن الله يبعث من
في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الإشارة
حتى لعلم الهندسة بل إلى أشكال فيه وهو الشكل الثلاثي بقوله
إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل فقال الأئمة وإنما أوردت حججه
على عادة العرب دون دقائق المتكلمين لقوله وما أرسلنا من رسول
إلا بلسان قومه ولأن من استطاع أن يفهم غيره بالأوضح الذي
يفهمه الأكثرون لا ينبغي له أن ينحط إلى الأغمض الذي لا يفهمه
إلا الأقلون وإلا كان ملغزا ومن ثم أخرج تبارك وتعالى مخاطباته
في محاجة خلقه في أجل صور نحو أو محها ليفهم العامة ما
يقنعهم ويلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم من
دقائق المعارف التي هي منتهى كل ومبلغ أربه ومن عجيب تلك
الإبانات أنها أبانت تلك العلوم التي لا غاية لها حال كونها متولدة
عن بعضها وبين من الجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة إليها
أخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال جميع آي القرآن ستة آلاف
آية وستمائة آية وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة
ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف وإحدى
وسبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي

فـ
في عدد آي القرآن وحروفه

بل مسمياتها فحروف التهجي اسماء كاشفة عن تلك المسميات
كما قال ابن زاي كشف عنها الغطاء اي التهجي وهو تعديد الحروف
بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ض ر ب فقد عددت
الحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة قبل ان تحصل صيغتها
والمراد هنا انه تتهجى بالاسماء عن المسميات حتى يتبين موضع
كل وبيانه ان الحرف الذي اول زيد مثلا له مسمى هو ز والخط
فيه بحذف هاء السكت لا يوثر لانه للتعليم وله اسم هو
الزاي لانه تعتريه سائر علامات الاسم ومن ثم قال سيبويه
قال الخليل يوما وقد سأل اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في ذلك والباء التي في ضرب فقيل نقول باء كاف
فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه
به فحروف القرآن من الاول وحروف التهجي هي المراد من الثاني
ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من قرأ حرفا من كتاب الله
تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف
بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فتسميته كل حرفا اما لغة
او مجاز باعتبار مدلوله وحينئذ فهي اي حروف القرآن وان عزت
معانيها وكثرت احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت
قليلة جدا بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثلا لا يقربها
نوع قرب لحروف اسماء الاعداد والا فشتان ما بينهما اذ ما يأتي

لعله
من ظاهر او با

فع

فهو كالحب والنوى عجب الزرع ... منها سنابل وزكا

له امد معلوم ينقضي فيه عن قريب وهذه مستمرة النمو والزيادة
على ممر الاعصار وتوالي الازمان في هذه الدار بل وفي دار القرار
كما يدل عليه الحديث الصحيح انه يقال للقارئ في الجنة اقرأ
وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وياتي ذلك قريبا بزيادة
وذلك المثال هو اما انها كحروف اسماء الاعداد فانها مع
كونها الفاظا محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود بها
واما انها كالحب اي الذي يلقيه الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس
بالارض فينشأ عن الاول من السنابل والحبوب ما لا يكاد ان
يحصى ولا يتناهى ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه الحالة
اعجب فاعله يأتي فقول الشارح ان فيه ضمير الحب والنوى
وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور في فعل ان له
فاعلين ضميرا او ظاهرا في حالة واحدة الزراع والغراس كما
يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفاء كسرابيل تقيكم الحر اي والبرد
وفيه ايضا اللف والنشر المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى
وعود السنابل للاول والزكا للثاني منها اي تلك الزروع والاشجار
سنابل او زكاء اي نموا يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل الارض
على استقصاء عددها لما اطاقوه فقد علمت ان المتناهي هنا
كما يحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن هي متناهية
ويحصل منها من العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثل

المراد به التغريب لا غير كما عرف مما مر ولا اشتان ما بين
الامرين الاترى ان عدم تناهي تلك الحبوب والثمار انما هو في
مدة قليلة ثم تفنى عن قرب واما تلك الحروف فان معانيها لا
تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي الحديث الصحيح انه يقال
للقارئ في الجنة اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه
يعلم انه يقرا ويتلذذ بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها
وما يفتح الله به على القراء من انواع المعارف اللائقة بتلك
الدار وتلك الذوات التي تم جميعها التماهي وذلك امر لا يتناهى
ابدا ومن عجيب شان الكفار انهم مع هذه المعجزات والايات
البينات كلها استمروا على ما هم عليه من غاية الاعراض والا
نكار وطال وافيه التردد والريب اي الشك عطف مرادف فقالوا كما
حكاه الله عنهم في كتابه العزيز فهو تلميح مرة انه سحر
اي تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف ماخذه
ودق وقالوا مرة اخرى انه افتراء اي كذب ومرة اساطير الاولين الى
غير ذلك من اضطرابهم واقتراحهم وعنادهم وتلبيسهم
وضلالهم فالواجب هو الله المتفضل بانزال القرءان مجيد في لوح
محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد وكل ذلك ينادي عليهم بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم
ولا راي ولا استعداد ولكن الميسر ذلك بكثير على من عدم التوفيق

فطال وافيه التردد والريب
فقالوا سحر وقالوا افتراء

ولم

ولم يمض سواء الطريق لما هو المقرر في العقول السليمة من
الحكم البديعة الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية
البرهان الواضحة البيان لم تغنهم اي تفدهم شيئا من الهدى
فالتماس الهدى بعد اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الاياس من ايمانهم
عناء اي تعب لا يفيد شيئا واذا ضلت عن طريق الحق العقول جمع
عقل وسبق الكلام عليه مستوفى على اي مع علم منها بتلك
الطرق اي اضلها باريها فماذا تقوله اي فاي قول تقوله الانبياء
النصحاء وقولهم حينئذ لا يفيد والبيت الاول مقتبس من قوله
تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون والثاني من قوله
تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على
سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
افلا تذكرون وبما قررت به كلامه يعلم ان هذين البيتين من
الكلام البديع الجامع تنبيه لا يتوهم من النظم انه مخالف
لقول الايمة اجمعت الامة على التكليف بالمحال كغيره كتكليف
ابي جهل مثلا بالايمان مع علم الله تعالى بانه لا يومن وذلك لان
التكليف بذلك انما هو بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا
عاقبتها فهم بالنسبة اليها مكلفون بالايمان لغفرانهم عليه
ظاهرا وان كانوا عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يومنون لان
هذا لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار وثبت القول بالجبر المنابذ

واذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى بهن عناء

واذا ضلت العقول على علم
فماذا تقوله النصحاء

فيه
اجماع الامة على
التكليف بالمحال

لما جاءت به الشرائع فاحذر أن تميل إليه فتزل قدمك ويجوز مكـ
واستخرج قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فوائد منها
قيل حكمة تنزيه القرآن من الشعر مع أن الموزون يورث الكلام عذوبة
أن قصارى أمر الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والإفراط
في الإطراء والمبالغة في الذم والإيذاء دون إظهار الحق ولهذا نزه
الله نبيه صلى الله عليه وسلم عنه ومن ثم قال بعض العلماء لم يو
جد متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره وأما ما وقع فيه على
صورة الشعر لا يسمى شعرا لأن شرطه القصد ومن ثم لم تعارضه
العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل دون البيتين ليس شعرا
وقيل الرجز كذلك ومنها سئل الغزالي عن قوله تعالى لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا فقال الاختلاف مشترك بين معان وليس المراد
نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن فليس
نظمه مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه يدعو للدنيا
بخلاف كلام البشر لاختلاف أفواههم وأغراضهم وأحوالهم
ومنها أن سائر كتب الأنبياء عليهم السلام لا إعجاز فيها
من حيث النظم والتأليف لأن المستفهم لا يقع بذلك بخلاف
الإخبار بالغيوب فإن الكل جميعها يشترك فيه ولكون المستقيم
كذلك كان كل ما في القرآن حكاية عنهم إنما هو حكاية لمعنى
ألفاظهم وليس بحقيقة ألفاظهم ذكره ابن جني وغيره

فيـ حكمة تنزيه القرآن من الشعر

فيـ

ومنها

ومنها وقع في القرآن آيات متشابهات من حيث النظم
كإيراد القصة الواحدة في سور وفواصل مختلفة لكن لا فكلا
بتقديم وبتأخير وبزيادة وبنقص وذلك كثير وقد أفرد
خلافا في الجواب عن ذلك بتواليف مستقلة ومن حيث إيهام
التعارض عند عدم التأمل نحو ولا يتساءلون وأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون وأول من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ثم تبعه الأئمة حتى أفرد بعضهم
ذلك بالتآليف كما أفرد في مختلف الحديث وبيان الجمع
بين الأحاديث المتعارضة ومن حيث إن منه المتشابه
الذي استأثر الله بعلمه أو علمه أيضا الراسخون في العلم
وهو مبحث طويل قد لا بأس بذكر خلاصته وهي قيل
القرآن كله محكم كما في آية وقيل كله متشابه كما في
آية والأصح انقسامه إليهما والمراد بإحكام آياته
إتقانها وتنزيهها عن نقص يلحقها وبمتشابهها أنه
يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والإعجاز ثم المحكم
ما عرف المراد منه قيل ولو بالتأويل والمتشابه ما استأثر
الله بعلمه كالساعة والحروف المقطعة أوائل السور
وفيها أقوال أخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان منشأهما
هل الوقف على في العلم وعليه طائفة قليلة كمجاهد

والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح
لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق الى معرفته
وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة فمن بعدهم خصوصا
اهل السنة ان الوقف على الله وهو اصح الروايات عن ابن عباس وعد
ابن السمعاني اختيار الاول هفوة وجمع بعضهم بان من المتشابه
ما يمكن الوقوف عليه ومنه ما لا يمكن فجمع الوقفان بهذا الاعتبار
ومن المتشابه ذكر آيات الصفات التي فيها ذكر نحو الاستوا
واليد والعين وجمهور اهل السنة منهم اكثر السلف واهل
الحديث على تفويض معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيه
عن ظواهرها وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله
تعالى وكان امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال الذي نرتضيه
دينا وندين الله به عقد اتباع سلف الامة فانهم درجوا
على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال على ذلك
مضى صدر الامة وسادتها واياها اختار ائمة الفقهاء
وقادتها واليها دعا ائمة الحديث والفخر فقال واحسن فيما
قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا بدليل منفصل وهو اما لفظي
وهو لا يعتبر هنا لانه مظنون اذ القطع به يتوقف على
انتفاء الاحتمالات العشرة وهو مظنون واما عقلي وهو انما
يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى

المراد

المراد لانه ترجيح مجاز على مجاز وتاويل على تاويل وذلك انما يكون
باللفظي وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن وهو لا يعول عليه في المسائل
الاصولية القطعية قالوا فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف
والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان حمل اللفظ على ظاهره
محال ترك الخوض في تعيين التاويل انتهى وتوسط ابن دقيق العيد
رحمه الله فقال التاويل ان قرب في لسان العرب نحو يا حسرتى
على ما فرطت في جنب الله اي في حقه وما يجب له لا ان بعد اي
كتاويل استوى باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين
وبين ما آل اليه امرهم شرع في الكلام مع اهل الكتابين
ليبين ما آل اليه امرهم ايضا فقال يا قوم وحذف حرف الندا
جائز الا في الندبة والاستغاثة ومع الضمير وكذا مع اسم
الاشارة واسم الجنس على قول فيه عيسى المدعوين بالنصارى
على ملتكم قوم موسى وهم اليهود وبين عيسى وموسى الجناس
اللاحق والتصديق والتكذيب التناقض بل التصديق بكتابهم
وهو التوراة الذي على ملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم
الذي هو الانجيل الحنفاء اي المسلمون جمع حنيف وهو المائل عن
كل دين الى الدين الحق ثم بين ما ابهمه قوله على ملتكم بقوله صدقوا
اي قوم عيسى كتبكم وهي التوراة وما بعدها كالزبور وكذبتم
كتبهم وهو الانجيل وجمعه للمشاكلة او لتنزيله منزلة

قوم عيسى على ملتكم قوم موسى بل الذي على ملتكم الحنفاء

صدقوا كتبكم وكذبتم كتبهم

كتب متعددة وفي هذا التبعات لان قوم عيسى خوطبوا ولا
واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى
وموسى الجناس اللاحق كغابيل وهابيل الا تبيين والتصديق
والتكذيب الطباق وان ذا الذي جعلتموه معشر اليهود ليس
البواء اي الصنيع الذي رجعتم به الغضب او هذا مقتبس من قوله
تعالى وباءو بغضب من الله لو جحدنا من الجحود وهو الانكار عن
علم جحودكم اي مثله بان انكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا
وكتاب عيسى لاستوينا نحن وانتم اي يكون ذلك منا لا يتصور ذلك
وليس للجحود وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله
ورسله والضلال وهو ما هم عليه من التصديق بالبعض والكفر
بالبعض استواء اي مساواة بل بينهما غاية التضاد وقال الحاصل
اننا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود
لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف ما يوهمه
النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب اي المكذب
لهم في ذلك وكان الشارح اخذ من هذا قوله وانما وقع التجاحد
بين اهل الكتاب اذ التعبير بالتجاحد مصرح بما ذكر مما خالف
النظم ويوافق ظاهر الآية انتهى وقد يقال لا يلزم من ادعاء كل
فرقة في الاخرى ما ذكر انكار كتابهم اذ لا مانع ان النصارى

يصدقون

يصدقون بكتاب اليهود مع قولهم انهم ليسوا على شيء
اي باعتبار تبديلهم وتغييرهم فيصح ما في النظم ويحتمل ارجاع
ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفاء وضمير الخطاب في كتبكم
وكذبتم للعرب غير اليهود والنصارى ويكون ذلك تفسيرا
لعاملتكم الحنفاء وفي التيسير فما يؤيد كلا من الاحتمالين
لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستفاد ان اليهود اشد
الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه في زعمهم الفاسد
واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا ليست النصارى
على شيء الموجب لقول النصارى فيهم ذلك ايضا وان الطائفتين
حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم وامتحنوا حتى وقع منهم من
العناد ما لا يصدر عن سخفاء العقول فضلا عن غيرهم شرع
الناظم في بيان ذلك كله منهم على وجه بديع فقال ما لكم اي
اي حال حصل لكم معشر العرب يعني باخوة الكتاب المراد به الجنس
الشامل للكتابيين سماهم بذلك لانه لما جمعهم ما فيه
من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيها كاستواء الاخوة
في الانتساب الى اصل واحد حال كونكم اناسا اليسر شانكم انه
يرعى الحقوق فيكم اخاء بكسر الهمزة نائب فاعل يرعى ويجوز
انه اسم ليس ونائب فاعل يرعى ضمير كا يعود اخاء اي ليس

يصدر منكم مراعات للذين الحق بالقيام بما يجب له من الحقوق
التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا بما في كتبكم
من النصوص بجات الكثيرة بنبوءته وعموم رسالته صلى الله عليه
وسلم وفي اخاء مع اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة والاخا
جناس الاشتقاق وبين الشهادة والشهداء الاتي ومن عدم رعا
يتكم لذلك انه يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا
عيسى صلى الله عليه وسلم حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما
دروا الملاعين انه شبه لهم بشخص مثله فقتلوه ونجاه الله منهم
ثم رفعه الى السماء لينزل اخر الزمان حاكما بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله ليعلم انه نزل
تابعا لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا
يقبل الجزية بل يقتل كل يهودي ونصراني في الارض لان نوعا ما
من الشبهة المجوزة لقبول الجزية منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه
لهم وما زال الكذا في هاكذا المذكور من حسد الاول للاخير المحدثون
والقدماء من لدن ادم الى اليوم فهي للتحقيق علمتم يا اهل
الكتاب بطلع قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول
اولاد ادم عليه السلام وهم اربعون جاءوا له من حواء في عشرين
بطنا في كل بطن ذكر وانثى وبارك الله في نسله حتى بلغوا في
حياته اربعين الفا هابيل الشدخه راسه بين حجرين وهو ثاني

اولاد

اولاد ادم عليه السلام حسده الداعي الى ذلك من اجل كون الله تعالى
تقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربانه فجيئته قال له لاقتلنك
فاجابه بانه يستسلم لقضاء الله ولا يجزي بالسيئة السيئة
كما افاد ذلك ما حكاه الله عنه بقوله عز قائلا لئن بسطت
الي يدك لتقتلني الاية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح كن خير ابني ادم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وجاء ان سبب حسده له انه تزوج اخته هابيل وكانت
ليست كجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة ادم
عليه السلام ان اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب
فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس وهو مع
مخالفته لظاهر الاية يمكن تاويله بانه لا مانع انه حسده
بسببين اخروي وهو ما في الاية ودنيوي وهو ما ذكر على انه
جاء في القصة ان ادم عليه الصلاة والسلام لما امر قابيل ان يزوج
اخته لهابيل فامتنع امرهما ان يقربا قربانا لله تعالى وكانت
العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تاكله فقرب كل
منهما قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده الى ان قتله وبين
الاول والاخير والمحدثون والقدماء جناس الطباق ونحو فيتم
وخانوا واحسنتم واساءوا والاباء والابناء وعرفوه وانكروه
الانبياء ومظلوم الاخوة الاضافة فيه بمعنى من وفي يتكلف

كونها بمعنى في واخبر عنه بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع
وفسميه الاتقياء لانهم الذين يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون
لانفسهم وهذا فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما يقابله
وكذا وما زال الخ وعلم من قوله وهذا فيه الخ انه ليس المراد بالا
خوة هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد بالاخوة
الاخوين بناء على القول بان اقل الجمع اثنان وقد سمعتم هو اليقين
لان المراد في كل العلم بكيد ابناء يعقوب المسمى في القرءان باسرائيل
اي عبد الله بن اسحاق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اخوه
اسماعيل بن ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم اخاهم يوسف عليه
الصلاة والسلام كما هو مبسوط في قصته المصدرة بقوله تعالى
نحن نقص عليك احسن القصص اي لانها سيقت على اسلوب
لم يسبق عليه غيرها من بقية القصص ولا بنوهم من بعدهم
له المحكي عنهم في قصتهم ولا من ذكرهم اثر قابيل الكافر
اللعين ان ذلك بنا في صلاحهم لاتفاق العلماء على انهم كلهم صلحاء
عدل اليه عن انبياء لانه الامر المتفق عليه كما تقرر ولقوة الخلاف
عنده في عدم نبوءتهم بخلاف يوسف صلى الله عليه وسلم فانه
لا خلاف في نبوءته لكن الحق ان ظاهر الاية او صريحها في قوله
تعالى قولوا ءامنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط اذ الاسباط هم اولاد يعقوب

وقد

وقد ذكرت الاية انهم انزل عليهم شيء ويجب الايمان به غير
ما انزل على ابائهم وذلك الشيء هو الوحي كما هو المتبادر
بل صرحت به اية واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفي نبوءتهم المستلزم
لنفي الوحي اليهم مناقض لصريح الاية فتامله ولا ينافي نبوءتهم
ما حكي عنهم في تلك القصة لانه انما صدر منهم عن تاويلات
تراها نشر بعضهم ومما يقرب ذلك ان العلماء رضي الله عنهم
اتفقوا على صلاحهم وان تلك الامور التي جرت منهم لم تؤثر
في صلاحهم فكذا في نبوءتهم على ان في عصمة الانبياء قبل
النبوءة خلاف محل بسطه كتب الاصول حين طرحوا ليكيد
القوه في غيابات جب هو البير التي لم تطو وغيابته قعره
وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم
الذي انبات عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد عشر
كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر ابوه وخالته
وسجود الكل له دخولهم تحت امره وطاعته وكان الامر كذلك
كما في اخر السورة فانهم لما جاءوا اليه مع ابيهم وخروا
له سجدا قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي
حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من
بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وليس في التعبير

ينزغ الشيطان بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها
قال تعالى لأفضل خلقه وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله الآية معناه وإما يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عن
المكذبين لك والنزغ أدنى حركة أمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه
أدنى غضب على عدوه وأراد الشيطان إغراءه أدنى وسوسة إليه
أن يستعيذ به تعالى ليكفيه أمره وهذا من تمام عصمته صلى الله
عليه وسلم لأنه لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له بهذا الأمر
الذي لا تأثير له من غير قدرة عليه ومن جحدهم له أيضا قذفهم
رموه بالإفك حيث قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل يريدون
يوسف وهو براءة أي بريء منه وفي تسمية الناظم هذا
إفكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف وقد أخرج ابن مردويه عن ابن
عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل قال سرق يوسف عليه الصلاة
والسلام صنما لجده أبي أمه من ذهب وفضة وكسره وألقاه
على الطريق فعيره إخوته بذلك وأخرج ابن جرير عن قتادة
قال سرقته التي عابوه بها أخذ صنما كان لأبي أمه وإنما
أراد بذلك الخير وروى نحو ذلك جماعة عن زيد بن أسلم وسعيد
ابن جبير وابن جريج وزاد أن أمه أمرته بذلك لأنها كانت
مسلمة قال الإمام الشافعي رضي الله عنه كان زيد هذا من

العلمين

٢٠٧

العلمين بالقرآن قال الحاصل أنه وقع منه صورة سرقة فذكروها
تعييرا له صلى الله عليه وسلم فهم لم يكذبوا وإنما الذي وقعوا
فيه أنهم عيروه بما لا عار فيه بل فيه غاية الرفعة والمدحة
كما ذكرته في كتابي سعادة الدارين في صلح الأخوين وذكرت
فيه أيضا نحو ما سبق وملخصه اعلم أن واقعة يوسف مع
إخوته واقعة عجيبة تشتمل على غرائب وعجائب وحكم
وأحكام وعبر وأمثال وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن
عاقبة الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر المحق وإن لم
يكن له أعوان ولا أنصار وعلى خذلان المبطل وإن كان أعوانه وأنصاره
الوزراء والملوك فضلا عن غيرهم وعلى أن البغي غشم والتحاسد
بين الإخوة أمر قديم قلما يسلم منه خيرهم أو أدناهم وإن كملوا
وجلوا وعلت مراتبهم وزكت معادنهم ومذاهبهم لكن إن
إخوة يوسف وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحاء بل أنبياء
بنص قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية اتفقوا على أن المراد بالأ
سباط أولاد يعقوب فكونها أمرنا بالإيمان بما أنزل إلى أبيهم
وبما أنزل إليهم ظاهر أو نص في أنه أنزل عليهم ما يجب علينا
الإيمان به إجماعا وهذا صريح في نبوتهم وعليه فقد يشكل
ما وقع منهم في هذه القصة من الأمور الكثيرة التي ظواهرها
يجب تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عنها بناء على الأصح

بل الصواب ان الانبياء جميعهم والرسل وغيرهم معصومون
قبل النبوءة وبعدها من صغاير المعاصي وكبايرها سهوها
وعمدها وتجاب بان ذلك بناتا على مذهب كثير من نقل عن
الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوءة لا قبلها والاولى ان
يجاب بان هذه الامور انما نستشكل على قواعد شرعنا اما
على شرعهم فنحن لا ندريه ويحتمل انه يوافق شرعنا في ذلك
فيحتمل ان لهم تاويلا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعقيب
كثير من كالناظم ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من العبا
رات التي ظاهرها لا يليق بهم انما هو بناء على عدم نبوءتهم
كما هو قول فيهم واخرج ابن جرير وابن المنذر ان ابا عمرو قيل
له كيف تقرا نرتع ونلعب بالنون وهم انبياء فقال لم يكونوا
يومئذ انبياء والحاصل انه يجب علينا الايمان بنبوءتهم
وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الخطاب المذكور
واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن قبلكم من الشدايد
والمحن وصبروا عليها فاعانوا بمرضاة الله ومحبته فتاسوا اي
تعزوا الذ التاسي التعزي من تاسيت بفلان تعزيت به اي جعلت
حالي على حاله ففي التاسي تسكين النفس على الامر المشق
وتصبرها عليه والتعزي الحمل على الصبر بوعد الاجر فمعنى
التاسي والتعزي واحد او متقارب وساغ ذكرها على الاول

لاختلاف

٢٠٨

لاختلاف لفظيهما بمن مضى قبلكم من الكمل في ذلك اذ اي وقت
او لاجل ان ظلمتم من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضاء
والعداوة والقتال فالتاسي في المصايب لا سيما بالكمل وبينه
وبين تاسوا الاشتغال للنفس فيه عزاء اي تسل وتصبر يحملها
على ان لا يصدر منها الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما
يصدر من اهل الجفاء والشقاء وهذا من التذييل اتراكم الفاعل
لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اي اتظنكم اهل الكتاب
وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم الحق وعملتم على العمل
به حين ظهر لو فيتم الواقع موقع المفعول الثاني خانوا ما
عاهدوا الله عليه فكتموا الحق وابوا قبوله من غيرهم ام متصلة
لانها معادلة للهمزة التي في قوله تراكم اهل الكتاب احسنتم
في اتباع نبيكم في جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيئا قط
ولم تبدلوا في حياته ولا بعد وفاته اذا ساءوا الطوية فلم
يستمروا على العمل بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه
ابتاءا لما يناله منا اتباعهم من الحظوظ الدنيوية بل لا يرون
شيئا من ذلك وانما الذي حملهم على عدم اتباع الانبياء عليهم الصلاة
والسلام انه تمادت اي تتابعت واستمرت على التجاهل الموجب
لرفض الحق واتباع الباطل اي اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم
بالحق وانهم على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم

ظلما وعلوا فاظهر ثم غير الحق ودمتم على العمل به، ابا ابينه
وبين الابناء الطباق كما من تقفف اي اتبعت اثارها الباطلة الابناء
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثرهم مقتدون ففيه اي الحق
الذي من جملته نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته
توراتهم المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام من اوريت الزند
قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور والانجيل المنزلة على عيسى
عليه الصلاة والسلام من نجل الشيء اخرجه التي لهم كما حكاه
الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول النبيء الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ولا ينافي هذا
جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا من اعظم الادلة على
صحة نبوءته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على
البينة الواضحة من امره لانه صرح بذلك على رءوس اهل الكتابين
ولم يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذ قد صرح
بذلك ولم يعترضوه كانوا على الميز به وكان تخلفهم عن اتباعه
لمحض العناد والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون يحرفون
الكلم عن مواضعه يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ليطفئوا نور
الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به واخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما

سمع

سمع بمخرج النبيء صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال
صلى الله عليه وسلم له انت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال
انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اتجدني في التوراة
قال انسب ربك فارتج النبيء صلى الله عليه وسلم فقال له
جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله احد الخ فقراها فقال
ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر
دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله اي التوراة
يا ايها النبيء انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
في الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح
ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا
لا اله الا الله يفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا
غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب الاحبار والبخاري
عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما انهما نقلا عن التوراة
والانجيل نحو ذلك وزيادة عليه وفي التوراة تجلى الله من
طور سيناء اي بتكليمه موسى عليه واشرق من ساعير اي
بتكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال فاران اي جبال بني
هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد صلى الله عليه
وسلم منها الى جميع الخلق كما يشير اليه تعبيره باستعلن

وفي الانجيل كالتورية من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل
فهم اي اليهود والنصارى في جوده اي ذلك الحق الذي بينه
كتاباهما وهو الانكار بعد العلم شركاء اي مشتركون
فلعنة الله عليهما ان شرطية تقولوا يا اهل الكتاب ما نافية
بينته اي التورية ولا الانجيل الحق المذكور فما زال بهما اي
التورية والانجيل عن عيونهم غشواء بالمعجمة والمهملة اي
عن بصائرهم ظلمة مانعة لهم من ابصارهم الحق من قولهم
ركب فلان العشواء اذا كان قد خبط امره على غير بصيرة وقولهم
ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهي الناقة التي لا تبصر
امامها فهي تخبط بيديها كل شيء وفيه الاشارة للمثل
المذكور والاستعارة بالكناية لانه شبه العيون بالبصائر
والعشواء بالظلمة المذكورة والاستعارة التخييلية في اثبات
الظلمة للعيون والترشيحية في قوله ما بينته لانه يناسب
المشبه به او تقولوا قد بينته كما هو الحق فما اي فباي شيء
حصل للاذن اي لالة سمعكم حتى انها عما تقوله التوراة والا
ناجيل واسناد القول اليهما فيه الاستعارتان السابقتان انفا
وكذا في قوله الا تبي من طي نفتهم الخ وقوله كساهم الخ صماء اي
غير سامعة له سماع قبول اي فلا موجب للاعراض عن ذلك الا
محض العناد والحسد عرفوه اي الحق السابق معرفة يقينية

ببواطنهم

ببواطنهم وانكروه بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون
الحق وهم يعلمون ويعرفونه وانكروه ظلما وذلك نتيجة الالزا
السابق ظلما مفعول لاجله كتمه اي الحق المذكور شهادة بدل
اشتمال من كتمه اي كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم
اهل الكتابين لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم
وصفة دينه معرفة قطعية ثم انكروا ذلك اما حسدا ا
وعنادا او مباهتة وتلبيسا على ضعفائهم لسعي ما بينا لوفد
منهم ونكتة ايقاع الظاهر موقع المضمر اذ الاصل كتموا
الشهادة به التسجيل عليهم بما قررته انهم بلغوا من العلم
به صلى الله عليه وسلم وبحقيقة دينه مبلغ رؤية الشمس ومع
ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد اشتراط اتيانه
بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم كما يفيده الحديث
الصحيح على مثل هذه اي الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف
قوله اعلم ان تكتمون ذلك وتظهرون الضلال انوار الاله الذي هو
النبوءة والرسالة والاله المعبود بالحق تطفئه من طفيت النار
اذ همدت حرها الافواه اي الالسنة المتقولة بالباطل وهذا
من الكلام البديع الجامع لا يكون ذلك يريدون ان يطفئوا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكيف
يطفى ذلك النور الالهي وهو الذي به يستضاء ظاهرا وباطنا اي

يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب اي يستمرون على ضلالهم
وادعائهم انهم محقون وينكرون نبوته ولا يذكرون من محنتهم اي
اهلكتهم برحاها اي اسلحتها عن امره الهيجاء اي حربه صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي ذلك بل الذي ينبغي لهم الرجوع عن الضلال والا
عتراف بانهم استمروا عليه محنتهم صلى الله عليه وسلم بركي
حربه كما عجز اباؤهم وابناؤهم وانهالهم بجلاء بني النضير
الى ارض الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير
من غير سلاح وقتل قريظة ولشدة باسه وظهور نصرته صلى
الله عليه وسلم عليهم كساهم ثوب الصغار اي الذل كضرب الروع على
غير المقاتلين من بني قريظة استعار اللباس للصغار على حد
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلائم المشبه
به وهو الكسوة وبما يلائم المشبه وهو طلول دماء وصون
دماء فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية والحال انه قد طلت
اي وقفت دماء منهم كبني قريظة وصينت دماء منهم كبني النضير
او المراد دماء المسلمين لان الله جعل لهم الغلبة والدائرة على
اعدائهم واذا تقرر اتصاف اهل الكتابين بتلك القبائح الشنيعة
حولهم ان يقال بحقهم كيف يهدى اي يوصل الى الاله منهم قلوبا
حشوها اي ملؤها من عمى بمعنى اللام المعدية لحبيبه محمد صلى الله
عليه وسلم متعلق بقوله البغضاء اي شدة البغض لحبيبه صلى

الله

خبرونا اهل الكتابين من اين
اتاكم تثليثكم والبداء

الله عليه وسلم وبصح على بعد انها للتعليل اي من اجله او البدل
اي حشوها بغضه بدل حبه وفي هذه الاستعارتان السابقتان
ايضا خبرونا اي اعلمونا يا اهل الكتابين التورية والانجيل
من اين استفهام انكاري اتاكم تثليثكم اي ادعاؤكم معشر
النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن اين
لكم معشر اليهود البداء بالموحدة والمهملة من بدا اظهر
وهو كما يأتي ظهور مصلحة بعد اخفائها وبنفوا على
ذلك امتناع النسخ اي لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح
بل عن محض سفهكم وعنادكم تنبيه حكى ابن الصلاح
عن بعضهم ان لفظ البدا غير صحيح لغة لانه من بدا بدوا ثم رده
بان ابن دريد ذكره قال الشمني وهو بالمد من قولهم بدا لي في الامر
اي تغير رأيي فيه عما كان ونقله الزركشي عن صاحب المحكم عن
سيبويه وقال الشعبي الاسم البداء ولا يقال في المصدر قال ومن
اجل ان البدو والظهور كان البداء في صفة الباري تعالى محالا لانه
لا يبدو اليه شيء كان غائبا عنه وفي بدا بمعنى اراد كما في حديث
الاقرع والاعمى والابرص بدا الله ان يبتليهم اي اراد لا ظهر لانه
كفر كما يأتي ما اتانا بالعقيدتين المذكورتين كتاب من كتب الله تعالى
ابدا او اعتقاد وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما
في نفس الامر كاعتقادنا فصحيح والا كاعتقادهم فباطل لانه

ما اتى بالعقيدتين كتاب
واعتقاد لا نص فيه ادعاء

فيه أي في إثباته وعبّر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير
معنى واحد معين بأن خلا عن الاحتمالات العشر المقررة في
محلها دون الدليل الأعم من ذلك لأن الاعتقادات لا يكفي فيها
الدليل الظني ادعاء أي باطل لأنه اختراع في الدين بمجرد
التشهي وكالنص حكم العقل القطعي فإن الاعتقاد المستند
إليه صحيح وإن لم يرد فيه نص بل لو ورد النص بخلافه وجب
تأويل النص إليه كآيات الصفات وأحاديثها فإن ظواهرها
محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتأويلها بما يوافق
العقل وأنكر جمع متأخرون من الحنابلة تأويلها لزللهم با
عتقاد ظواهرها من التجسيم والجهة وأطالوا في ذلك بما
كان سببا لمحقهم وسحقهم في الدنيا والآخرة والدعاوى التي
تقولون بها معشر اليهود والنصارى بفتح الواو وكسرها
كالفتاوى ما مصدرية ظرفية لم تقيموا عليها بينات أي أدلة
قطعية لأن الكلام في الاعتقاديات وهي لا يفيد فيها الظن
أبناؤها أي نتائجها أدعياء أي باطلة والدعي الأصل من ينتسب
إلى شخص بالكذب ومن يتبناه الإنسان وليس بابن له وإن عرف
نسبه شبه دعاويهم بوطء الزنى بجامع فساد كل وقبحه
وعدم الاعتداد بما ينشأ عنه لأنه ناشئ عن أصل فاسد
وهذا استعارة بالكناية ثم خيل لها بذكر ما هو من لوازم

المشبه

المشبه به الذي هو وطء الزنى وهم الأبناء الذين هم نتيجته
ثم رشح لها بذكر الأدعياء المناسب للمشبه به وبين الأدعا
والدعاوي والأدعياء تجنيس الاشتقاق وشبهه تخلطوه
والخلطاء والصفات ووصفه الأثبات وفي النظم القياس
الاقتراني المركب من مقدمتين حمليتين المنتج إنتاج الشكل
الأول فالأولى الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى والثانية
الدعوى بلا بينة باطلة ينتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل
تنبيه فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية
وملكية ولكل فرقة اعتقاد معروف وقد أشار الناظم رحمه
الله تعالى للبحث مع الكل والرد عليهم إجمالا وأكثر الكلام مع
القائلين بالتثليث لأنهم أشد وأكثر كفرا ومن ثم خصوا
بالذكر في قوله عز قائلا لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
الآية ليت حرف تمنٍّ شعري أي علمي أي ليتني علمت لما تقولونه
انضباطا حتى أتكلم معكم في رده بأبلغ مقال هنا وهو ذكر
الثلاثة الصادر منكم تارة حيث قلتم إن الله ثالث ثلاثة الأب
والابن وروح القدس وذكر الواحد الصادر منكم تارة أخرى حيث
ادعيتم توحيده نقص في عدكم أم نماء أي زيادة فحيث ذكرتم
التثليث كان ذكركم الواحد نقصا وحيث ذكرتم الواحد كان
ذكركم التثليث زيادة وهذا تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل

لانكم تارة تثبتون تعدد الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ابنها
ولذا قال فيهم متعجبا منهم كيف وحدتم اي القائلون بالتثليث
المانع التوحيد عنه الآباء والأبناء اللذان اثبتموهما في دعواكم
التثليث اي يمكن ان يوجد اله مركب من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر
لا لانا ما سمعنا بالله لذاته اجزاء او جزءان اي يوجد اله كذلك
بل ولا تعقلنا لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل
تعدده كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل لما ذكر انه
لو فرض اله مركب من اجزاء او متعدد قيل لهم الكل منهم نصيب
اي جزء من الملك فان قالوا نعم قيل لهم فهلا وفي نسخة فلم لا
وحذفت الف ما الاستفهامية لدخول الجار عليها نحو عم يتساءلون
تميز بالبناء للفاعل اي تتميز او للمفعول الانصباء اي نصيب
كل من الآلهة حتى يكون ذلك التمييز دليلا على ما زعمتموه ولا
تمييز فلا تعدد كما هو بديهي وبين الثلاثة والواحد والنقص
والنماء جناس التقابل كالحاجة والاضطرار والاماتة والاحياء
الانبات فان قالوا الكل نصيب او نصبا لكنهم خلطوها
قيل لهم اتراهم اي اتظنهم لحاجة اي احتياج واضطرار وهو
شدة الحاجة الى الشيء بحيث لا يجد مندوحة عنه خلطوها
خلطا يمنع تمييزها فان قالوا نعم فقل لهم الاله لا يحتاج

ولا

ولا يضطر لشيء مطلقا لانه غني بذاته عن غيره فاحتياجه
الالوهية واضطراره دليل قطعي على عدم الوهيته فان قالوا
خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار قلنا ايتصور وجود شركة
دائمة بين شريكين فاكثر والحال انه ما نافية بغى اي ظلم
الخلطاء اي الشركاء اي بعضهم على بعض لا يتصور ذلك بل متى
وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم كل منهما خراب
هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة تمانعا ولم
يقع فعل من احدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب فقط وتخلف
مراد المغلوب فيلزم ان لا ينتظم نظام هذا العالم لان الغرض وقوع
الشركة وعدم التمييز واحتمال توافقهما دائما الذي يجوزه
العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي هي مناط الادلة
القرآنية والسلائق العربية فليس ذلك دليلا اقناعيا خلافا
لمن وهم فيه بل الزم قائله الكفر بعض المتاخرين والعقيدة لكنه
الزام باطل كما هو جلي وكون العادة تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان
لان كل من عرف ما حكم ان شريكين في الايجاد والامداد لا يتصور
دوامهما على الموافقة لان من شان النفس ان لا تريد بقاء شريك
معها وذلك كله باطل لانا نشاهد هذا العالم باقيا على اكمل
وجوه الاتقان واحكم قواعد الشروط والاركان فيلزم من ذلك
انتفاء الشريك مطلقا وان الاله لا شريك له وبيان بطلان

التعدد من وجه، اخر وبيانه ان عيسى عليه السلام كان يركب
الحمار كما عرف ذلك بالتواتر عنه فحينئذ يقال لهم اتقولون في
حال ركوب عيسى على الحمار هو اي الاله الراكب الحمار فان قلتم
انه هو فركوبه يستلزم حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه
والاله لا يكون عاجزا ولا حادثا وما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه
وحينئذ فيا عجز اله تعجب من دعواهم المستلزمة ذلك بسببه
الاعياء اي التعب ام متصلة معادل لنفي الهمزة اتقولون الثلاثة
الذين زعمتموهم انهم الهة جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل
حينئذ حمار يحملهم اي الالهة اي مجموعهم ممشاه صيغة مبالغة
من مشى وفتح الميم بجناج الوزن يمشي به حمار في الجملة الخبرية
في النظم تبعيد التعجب مما يترتب على ما قبلها ومتصلة معا
دل لنفي الهمزة اتقولون سواهم اي الثلاثة الذين على الحمار هو الاله
فبسبب ذلك ما استبعدها مثبتة نسبة عيسى اليه خبر نسبة والانتماء
هو الانتساب فهو عطف مرادف على نسبة اي اخبروني عن انتماء
عيسى وانتسابه الى الاله حينئذ هل يوجب التثليث اي الذي
زعمتموه وكل عاقل يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجبا
اله وما بعده تذييل مقرر ام متصلة كذلك اردتم بها اي بالثلاثة
التي زعمتم انها الهة الصفات القائمة بذات الاله والصفة
ما دل على معنى زائد على الذات فلم من انفى الكلام عليها خصت

ثلاث

ثلاث بالصرف للوزن يوصفه اي الاله وثناء بضم اوله معدو
لين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا ليس ذلك التكرير
بل نفس الثلاثة فقط عند من ينظر الى مجموع الثلاثة والاثنين
فقط عند من ينظر الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول
واحد فقط والثاني اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر في
اثنين ولا في ثلاث فادعاء التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به
عاقل ام تقولون هو اي عيسى ابن الله فيقال لهم لم اختص عيسى
عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه ما نافية شاركته في معاني
البنوة الانبياء بل عيسى وبقية الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في ذلك على حد سواء فادعاء البنوة لعيسى تحكم باطل ايضا
فقتلته اي عيسى عليه الصلاة والسلام اليهود حال كون قتلهم
له انما هو فيما اي في القول الذي زعمتم معشر النصارى والزعم
اصله وموضوعه قول كذب ومن ثم قال العرب زعموا مطية الكذب
وقد يستعمل بمعنى قال مجردا عن التكذيب كقول ام هانئ للنبي
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة زعم ابن امي اي علي كرم الله
وجهه انه قاتل من اجرته فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
قد اجرنا من اجرت يا ام هانئ وكيف تزعمون ذلك والحال انه
لاموانكم به اي بسبب عيسى عليه الصلاة والسلام احياء
وهو رد الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيي

الموتى فكيف يحيي الموتى من يتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود
في ذلك شاهد صدق على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا
تثبت لانكم تقعون في التناقض الصريح ولا تتنبهون له وعلى كل
حالة ان قولا هذا حكي عنكم كقولكم بالتثليث اطلقتموه على
الله تعالى عما تقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا اذكرا اي ثناء
وتعظيما له في قولكم الله ثالث ثلاثة لقول هزؤا بضم الهاء
من هزؤا الكلام اذا كثر في الخطاء وفي نسخ بالزاي من قولهم هزءة
بالتسكين اي مهزوء به وبالتحريك يهزأ به ويصح ان ذكرا تمييز
عن تعالى اي تعالى ذكره وهذا من القول البديع الجامع مثل يجوز
نصبه حالا اي لقول هزء حال كونه مثلا او نعتا لمصدر محذوف
ورفعه خبر مبتدا محذوف اي هو مثل ما قالت اليهود اي قولهم
تاكيدا في التشبيه من حيث مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل
من المقالتين وكل من الفريقين لزمته اي لزمت دعواه مقالة شنعاء
اي قبيحة جدا اذهم استقروا البداء اي تتبعوه حتى قالوا ما عدا
العيسوية منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله نسخ ملة بملة
لانه يوهم البداء وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها
حتى نسخ ما مضى من اجلها ووافقهم بعض غلاة الرافضة
ومنهم من جوزه عقلا ومنعه شرعا واما قول بعض المسلمين
الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهي فلا يكون نسخا فممنوع

بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظي واعلم ان شريعة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا واختلفوا
في شريعة عيسى عليه السلام هل هي ناسخة لشريعة موسى
عليه السلام او مخصصة والاظهر انها مخصصة لا ناسخة
لقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال الامام في
تفسيره كبير ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد موسى
صلى الله عليه وسلم كلهم على شريعته الا شريعة عيسى عليه
الصلاة والسلام **تنبيه** ذكر الامام ايضا في المطالب العالية
في الحكمة في نسخ الشرائع كلاما حسنا فقال الشرائع منها
ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو
النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا ومجامع هذه
الشرائع العقلية امران التعظيم لامر الله والشفقة على
خلق الله ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع بها الا من الشرع
وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة نسخه ان الاعمال فع
البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف صارت كالعادة وظن
انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول بها لما هو المقصود من
معرفة الله تعالى وتمجيده بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطرق وعلم
ان المقصود من الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح في
المعرفة والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك

الصور والظواهر التي تطهر البشر ابر وقالا غيره حكمته ان
الخلق طبعوا على الملالة من الشيء فوضع في عصر كل رسول شريعة
جديدة لينشطوا في ادائها واعظم حكمة اظهار شرف
نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرايعهم وشر
يعته صلى الله عليه وسلم لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما
فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يامر بدوا في يوم وباخر
في يوم ثان وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني افضل
تنبيه، اخرما زعم اليهود ان النسخ يستلزم البدا باطل
لما تقرر ان المصالح الداعية للنسخ ترجع اما الى احوال المكلفين
او الازمنة وذلك لا يستلزم بدا ولا يقتضي ان الله تعالى ظهر له
شيء بعد ان لم يكن وزعم اليهود انه يستلزمه فمنعوا
النسخ وزعم كفرة الرافضة انه يجوز البدا عليه لوقوع
النسخ منه وهذا اغلط في الاولين من كفر اليهود فعلم
الجواب عن قولهم الفعل اما حسن فيستحيل النهي عنه او قبيح
فيستحيل الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه
ان التحسين والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعلم
العام قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة في وقت مفسدة
في وقت اخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة في حق واحد
مفسدة في حق اخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بان حرمة

كذا ينتهي بوقت او فعل كذا فالواو الشيع يمنع النسخ ايضا
لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما ان يدل
على الدوام فان ضم اليه ما يقتضي نسخه فهو تناقض وان لم ينض
له ذلك كفى في العمل به مرة فلا يتصور فيه نسخ فالواو فيما يمنع
ايضا ما علم بالتواتر من قول التورية تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه
انهم في زمن بخت نصر قتلوا حتى لم يبق منهم الا دون عدد التواتر
بل قيل لم يبق منهم الا ستة اطفال على ان هذا الابد كثيرا ما
يراد به الزمن الطويل كما في التورية كما في صور كثيرة وكم
اي مرات كثيرة ساق وجالا اي عذابا اليم استغرا وفي هذين تخالف
ومخالفة السابق جناس الاشتقاق ورد العجز على الصدر وفي
المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وحالعوهم وخالعوهم
الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الخ من التذييل
البديع واراهم اي اعلم انهم لقولهم بذلك اعني امتناع النسخ
لئلا يلزم البدا لم يعقلوا اي يعتقدوا الواحد في ذاته وصفاته
وافعاله فلا شريك له بوجه ما القهار في الخلق اي للخلق على
نفوذ ما اراده فيهم وفي تعلقه بفاعل لا فعي على حالها
وعلا ما يشا، لان امتناع النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه
جوزوا النسخ جواب لو الاتية تجويزا مثل ما قصد ريقا جوزوا المسخ عليهم
لو انهم فقهاء اي فهما ولا فهم لهم اذ لا ابله في العرف

منهم والنسخ لغة الازالة والتغيير والنقل كنسخت الشمس
الظل والريح التراب ونسخت الكتاب وشرعا بيان انتهاء حكم
شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثنا
وورد بان الكلام لا يعرف حكمه الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز
عن ذلك بهذا القيد اي لو ثبت انهم فقهاء لجوزوا النسخ
لانه كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم
البدا باطل لا يعول عليه وقضا بدليل على جوازه ووقوعه ما
علمه اليهود من وقوع المسخ وهو تحويل الصورة الى اقبح
منها في كثير من منهم في زمن موسى عليه السلام ولما خالفوا
في السبت فمسخهم الله قردة وخنازير كما قصه الله تعالى
علينا في كتابه العزيز فكيف يمنعون النسخ وهو ليس فيه
الا رفع الحكم الشرعي اي استمراره وتعلقه فعلم ان المراد
بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن من حيث
دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله المتعلق بفعل
المكلف من حيث هو مكلف اقتضاء او تخييرا لانه قديم وما
ثبت قدمه استحال عدمه ثم النسخ يكون الى بدل والى غير
بدل فان كان الى بدل زيد في الحد بالحكم الشرعي وان كان لا الى
بدل لم يزد ذلك وخلو اي ايجاد فيه اي المسخ للصورة الثانية
بعد ذهاب الصورة الاولى وامر اي تصرف برفع الحكم الاول

وايجاد

وايجاد الثاني سواء لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى
وخلعها الصورة الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول وخلعه
الحكم الثاني فاذا جوزتم الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني والا فانتم
سفهاء معاندون لا يلتفت اليكم وكيف تمنعون النسخ وانما
غايته ان كان لعبد ان فيه حكمين المنسوخ وهو المراد بقوله
وحكم من الزمان انتهى والناسخ وهو المراد بقوله وحكم من
الزمان ابتدا ولا ينافي هذا تفسيره النسخ بالرفع لما علمت ان
المراد رفع تعلقه بالمكلف او دوامه وهو الانتهاء المذكور
هنا وقول الشارح انه اشار الى تفسير بعض النسخ غير صحيح لان
حقيقة الرفع مستحيلة فوجب تاويل التعبير به بما قلناه كما
هو المقرر في محله فتامله وعلى كل فجواز النسخ اولى من جواز المسخ
لان ذاك في الاحكام وهذا في الذوات سواء جعلنا النسخ رفعا ام
بيانا وسواء جعلنا المسخ في صورتهم حتى صارت اقاربهم من المومنين
لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجيء الفرد الى قريبه ويتمسح به
ويدمع عينيه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة فيشيرون براسهم ان
نعم او في قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد والنظم مشير الى هذه
القصة ففيه تلميح وبين ابتدا وانتهى طباق واذا اردتم ايها
المسلمون المبالغة في ادحاض حجتهم فسلوهم فانه ليس لهم ان
في مسخهم التعنت عن خطابهم مبالغة في تحقيرهم اي جعلهم

فردة في الصورة كما هو المشهور أو في قلوبهم وجعلها كقلوب
القردة لا تقبل هداية مع بقاء ذواتهم على ما زعمه مجاهد نسخ
لآيات الله وهي الصورة الأولى مع أحكامها أو للإدراك الأول وبناء
على قول مجاهد أم إنشاء لإيجاد صورة مستقلة وحكم مستقل
يتعلق بها أو للإدراك كذلك فإن قالوا بالأول فقد ناقضوا
أنفسهم ولزمتهم الحجة أو بالثاني فهو مكابرة للحس والحق
أن المسخ متردد بين إنشاء الخلق وبين النسخ لأنه بالنسبة الى الصورة
الأولى نسخ وبالنسبة الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة إنشاء
لا يقال قد لا يعترفون بطرو التغير على قلوبهم بناء على قول مجاهد
لأنهم اعترفوا به في قولهم قلوبنا غلف أي مغطاة بأغشية في أكنة
خاصة لا يصل إليها ما جئت به وبداء بالمد سبق معناه وهو
مبتدأ خبره في قولهم الثابت عنهم ومقولهم ندم الله على
خلق آدم أو خطأ المشهور فيه القصر ويجوز مده كما جرى عليه
الناظم وهو عطف على بدا أي سلوهم عن قولهم هذا أهو عن
قصد منهم أو عن خطأ منهم فإن قالوا إنه عن قصد كان عين البداء
الذي أنكروه لأنه يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الأمور وحينئذ
فكيف يمنعون النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البداء هذا
تناقض قبيح وإن قالوا إنه خطأ منهم فيكفيهم الاعتراف به
على نفوسهم وأنهم في غاية الشقاوة والغباوة وسبيلهم

الاعتراف

الاعتراف بالبداء لا بالخطأ فاتضح بطلان زعمهم استحالة
النسخ حذرا من البداء وسلوهم أيضا عما لا يمكنهم إنكاره
لأنه أمر محسوس وورد القرآن على طبقه ويقولوا لهم علامة
الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول إحداهما بالأخرى أم محا
أي أذهب الله آية أي علامة الليل اسم جنس جمعي واحده
ليلة كتمر وتمرة وأتى بالنهار بدله وهكذا إلى يوم القيامة
ذكرا بضم الذال تمييز أي من جهة الذكر أي العلم والتعهد
بعد سهو ليوجد الإمساء أي الدخول في المساء وهو ما بعد
الزوال والمناسب أن يراد به هنا ما بعد الغروب أي سلوهم هل
هذا المحو واقع أم لا وبعد وقوعه فهل هو عن عمد بعد
سهو أو عن سهو ابتداء فإن قالوا بالأول لزمهم القول بالنسخ
لأنه بمنزلته أو بالثاني من التردد بعد الأول فقد كابروا الحس
أو من التردد الثاني لزمهم القول بالبداء لأن من يجوز السهو
يجوز البداء لأنه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد بين
الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار في غير ما آية فقال تعالى
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيات وقال تعالى وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة أي يخلف أحدهما الآخر لمن أراد أن
يذكر أو أراد شكورا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين
فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا



من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب والحاصل ان الحكمة كما
تقتضي دوام اشياء بلا تبدل ولا تغيير تقتضي تبدلها وتغيرها
وفي ذكر ابعد نسخ وجنا سر التطابق بتحريم والتحليل وتجدد ا
وامن الاتباعات ام بدا لله في ذبح اسحاق حيث امر به ثم نسخه والحال
انه قد كان الامر فيه اي بذبحه من الله تعالى لخليله ابراهيم صلى الله
عليه وسلم في النوم مقضا اي ماضيا نافذا وفي نسخة قضا بالقاف
اي حتم وذلك لان رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي
اي سلوهم عما وقع للخليل انه امر بذبح ولده امرا جازما ثم
عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه تعالى فامره بتركه
وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت نحاسا وانه مر
بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطباء والقصاص
فكله لم يثبت فيه شيء فان قالوا ان الامر بالفدا وترك الذبح
نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا او غير نسخ
لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة تنبيه ما جرى
عليه الناظم ان الذبيح اسحاق هو ما عليه الاكثرون قيل واجمع
عليه اهل الكتابين لكن سياق الاية والمشاهدة بان اسماعيل
هو الذي كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان اسحاق حج ولا اتى تلك
الاماكن قاضيان بانه اسماعيل وهو التحقيق كيف وقد صح ما
يصرح بذلك روى الحاكم في المستدرك ان الصنابحي قال حضرنا

وفي

قف على التحقيق

مجلس

مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم اسماعيل واسحاق ابني
ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال بعضهم الذبيح اسماعيل
وقال بعضهم الذبيح اسحاق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال يا رسول الله
خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد علي مما
افاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المومنين وما الذبيحان فقال
ان عبد المطلب لما امر اي في المنام بحفر زمزم نذر لله ان سهل له
امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم اي اقرع بينهم فخرج
السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم وقالوا
ارض ربك وافد ابنك ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح واسماعيل
الثاني وهكذا رواه ابن مردويه والثعلبي في تفسيريهما
وسلوهم ايضا فقولوا لهم اتنكرون النسخ وتقولون ما حرم
الاله نكاح الاخت بعد التحليل زمن ادم صلى الله عليه وسلم او تقولون
حرمه بعد ان حلله وعليه فهو اي نكاحها الزنا الموجب
للرجم وحد الزنا الغف فان قالوا احرمها بعد ان احلها فهذا صريح
في النسخ الذي انكروه وان قالوا لم يحرمها او لم يحلها فهو عناد
محض وقائله لا يخاطب ولا يكالم واذ قد بان لك قبيح جهلهم
وتناقضهم وعنادهم فامسك عن حجاجهم ولا تكذب ان

لعله
والثعالبي

اليهود والحال انهم قد زاغوا اي مالوا عن الحق من وجوه عديدة
سفها وحسدا امعشر اي قوم لوما جمع لئيم وهو الدنيء
الاصل الشحيح النفس جحدوا بدل من زاغوا المصطفى اي المختار من
الصفوة او المصطفى من كل نقص اي انكروا نبوءته ورسالته بعد
علمهم بهما علما يقينا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم والحال انه قد امن بالطاغوت اي الشيطان وكل ما عبد
من دون الله او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم هم
عندهم شرفاء هذا كالذي قبله بيان لعظيم لومهم وزيغهم
عن الحق اذ جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا وامنوا بالباطل
ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم ظاهر
النظم ان المومن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم وليس
كذلك بل كلهم امنوا به كما صرح به قوله تعالى عز قائلا الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قال المفسرون هم اليهود
يومنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا اي اشرافهم
او كفار العرب هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وعجيب
من الشارح حيث اخذ النظم على ظاهره واستدل له بالاية
مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد بمن امن بالطا
غوت قوم من قريش هم عندهم شرفاء ومعنى الاية حينئذ
ويقولون اي اليهود للذين كفروا اي كفار العرب الذين امنوا
بالجبت

بالجبت هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ويدل على هذا
ان حيي بن اخطب لما ذهب لقريش وغيرهم ليحرضهم على قتاله
صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سالوهم انحن خير
دينا ام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نعم فرجعوا وخرجوا
لقتاله صلى الله عليه وسلم تنبيه جعل الواو للحال لا للعطف
الدال عليها حذفها من قتلوا الاتي اولى من قول الشارح انها
عاطفة وان المسوغ للعطف وصف قوم بالجملة بعده اي لما
قررته فيه ان مدحهم للمومنين بالطاغوت مع جحدهم لنبوءة
نبينا صلى الله عليه وسلم فيه غاية الغباوة واللوم واحوجه الى
ذكر المسوغ قولهم شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان
يكون بينهما مناسبة لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر
وقد يقال في النظم دلالة لما جعله الشارح لانه اتى باربع
جمل ثنتين بلا واو وثنتين بواو ونظرا للمناسبة المعتبرة
في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت مع جحدهم نبوءة نبينا
فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم للانبياء عليهم
الصلاة والسلام واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة ظاهرة
بينهما فلم يعطف عليه قتلوا بدل ابعد بدل او عطف بحذف
حرفه بناء على انه يكن مناسبة لما قبله الانبياء كزكريا ويحيى
عليهما الصلاة والسلام وغيرهما جاء انهم قتلوا في يوم

واحد سبعين نبيًا ثم اقاموا يسوقون بقلهم ومعاشهم واتخذوا
العجل الفا ومعبودًا مع ان السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم
من الحلي الذي استعاروه من القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من
تراب اخذه من تحت حافر فرس جبريل الذي جاء به لفرعون حين دخل
وراءهم البحر لما انفرق لهم لانه كان امام فرعون عند دخوله فبمجرد ان
القى فيه تلك القبضة خار فقال لهم هذا الهكم واله موسى
فراج على عقولهم السخيفة كلامه فاعتقدوه الها ومعبودًا
كما قصه الله تعالى علينا مبسوطًا في القرءان ومن ثم كان في
كلامه اقتباس كقوله الا حرف تنبيه لاستفراغ وسع السامع
في الفاء سمعه لما بعدها انهم هم السفهاء ولكن لا يشعرون
بجهلهم مركب فلا اشفه ولا اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد
نقص عقله حتى حصلت له خفة وطيش وسخافة رأي وانطماس
بصيرة ومن ثم لم يفطنوا الى كونه محدثًا بحضرتهم من جماد والاله
لا يكون كذلك فقدمن له ادنى عقل وتمييز ثم يزداد نوا انواع سفههم
بقوله ملمحًا للواقع لهم وسفيه خبر مقدم او مبتدا وسوغ
الابتداء به وقوعه بيانًا لما قبله كما تقرر من ساءكا اي احزنه
المن وهو نوع من الحلوى يسمى الترنجبين كان ينزل عليهم وهم في
التيه في غاية الاضطرار والسلوى وهو السماني طير من اشهى
الطيور لحمًا وانفعها واطيبها غذاء كان ياتيهم الى محالهم

التلاوة لا يعلمون

وفا

جراقها جرقا فيمدون ايديهم اليه ويأخذون منه ما شاءوا وارضاه الفوم
اي الثوم كما قرئ به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست
من اداني والغثاء بل سال فيهما وفي نظائرهما قال تعالى تبكيتًا لهم بعد ما ذكر
انه انزل عليهم المن والسلوى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا
ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ففي كلامه اقتباس وطباق بين سماء
وارض ومراعاة النظير في المن والسلوى والفوم والقثاء ملئت بالخبيث وهو
ما سألوه من الفوم وما بعده منهم صفة تقدمت فصارت حالا بطون لينا سب
ما انطوت عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة والمراد ملئت بطونهم
بالداء الخبيث اي العضال الذي لا دواء له وهو الغل وما بعده والى هذه يز
شد ما رتبه عليه بقوله فهي نار مشتملة على ما يؤدي الى النار وسماها نارًا با
عتبار المئال كما في اراني اعصر خمرًا طباقها اي النار الامعاد اي المصارين اي
معا فوقه نار ثم معا ثم نار وهكذا او الى الاول يرشد قوله ملئت بالخبيث المشعر
بان بطونهم صارت به كنار ذات طباق وطباقها هي اعتقاداتهم النجسة ويحتمل
او المراد ان بطونهم صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها امعاؤ
هم والخبيث الذي ملئت به هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها جذبته المصارين
اليها فوق بعض وايضا الخبيث بعضه اشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض
لتفاوت عذابهم بالنسبة الى اكلهم واكتسابهم هذا على الاصح عند نافي الاصول
انهم مخاطبون بفروع الشريعة يعاقبون عليها بخصوصها في الاخرة وعلى مقابله
هم كفروا من وجوه بعضها اشد من بعض لو شرطية اربعوا في حال السبت
مصدر اي سبت اليهود اي عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة وا
صل السبت القطع لخير اي اذا زايدة للتاكيد كما هو راي جماعة وكل من الخبر
غير متعلق بان بعد واعلم ان الثاني مفعول ويحتمل كون الاول حالا من غيراي لو ارادوا

الله لليهود في حال سبتهم الذي فرض الله عليهم تعظيمه خيرا كان سبتنا
لخيرهم اي عندهم الاربعاء بتثليث البا هذا حيث ترتبه على ما قبله بطريق
الملازمة المستبعدة من اوجه غاية الاشكال ولم ينبه الشارح على ذلك او لم
يتنبه له وانما تكلم على نقض مجرد انه فقط ومنها قوله السبت آخر الاسبوع
والاربعاء رابعه وقيل السبت اوله والاربعاء خامسه وقد يقال أن الناظم نظر
الى ان السبت القطع كما مر والى ان الاربعاء محل النور الحسي لما يأتي ان الله تعالى
خلق النور فيه فيكون محلا للنور المعنوي الذي هو الوصل وكأنه يقول لو اريد بهم
الخير لجعل قطعهم وصلا ولا ينافي ذلك قوله هو يوم مبارك لانه باعتبار ما فرض
الله عليهم من تعظيمه وتخصيصه بالعبادة وما نحن فيه باعتبار انه لو اريد
بهم تعالى الخير جعل عبادتهم مؤذنا بوصولهم الذي من شانه ان ينشا عن العبادة
واما اذا جعل محل عبادتهم مؤذنا بقطعهم باعتبار اصل مدلوله فهو مما يؤذن
بنقصهم وانهم لم يرد بهم كمال الخير ومما يوضح هذا ان الله تعالى ادخر لهذه الامة
يوم الجمعة المؤذن بغاية الوصال اذ مقام الجمعية هو مقام الوصل الذي
هو اكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت المؤذن بقطيعتهم وجعل
للنصارى الاحد المؤذن بوحدتهم وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات
فكان فيما خصت به كل امة من الايام دليلا على احوالها وما يؤول اليه امرها
فنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة الفرقانية والحكمة الربانية زيادة في مدح
هذه الامة وذم غيرهم او يقال ان الناظم اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت
الايام كلها عندهم سبتا ليعموها جميعها بالعبادة وانما تخصيص يوم منها با
لعبادة دون بقية الاسبوع فهو من جملة ما اريد بهم من خلاف الخير وعلى
هذا مع ما فيه من البعد والتكلف يكون معنى حال سبتهم ذكر شانه ويكون ذكر
الاربعاء للمثال او للتقبيح ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح ما شرع لهم
وحثا لنا في ما قبله لان بركته لا تنافي ان تعطلهم عن العبادة بقية الاسبوع

غير

غير خير واعلم ان قول الشارح والسبت الخ عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو
الذي في الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها ونقله في شرح
المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي في روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير
واستدل له في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال
يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور
يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم
الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بعد العصر الى الليل وبهذا
الخبر صوب الاسنوي كالسهيلي وابن عساكر ان اوله السبت وجرى النووي
في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام
الا ان يجاب بانه جرى في توجيه التسمية المكتفى فيه بادنى مناسبة على القول
الضعيف ثم اقتصر لكون اوله الاحد الذي جزم به القفال من اصحابنا بان الخبر
السابق تفرد به مسلم وقد تكلم فيه الحفاظ علي ابن المديني والبخاري وجعلوه
من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه على بعض الرواة
فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع حجة على من لم يحفظه والثقة
لا يرد حديثه بمجرد الظن ولاجل ذلك اعرض مسلم عما قاله اولئك واعتمد
الرفع وخرج طريقه في صحيحه فوجب قبولها ومن ثم اقتصر ابن عساكر لكون اوله
الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام وآدم خلق يوم الجمعة انما يصح بتقدير
ان يوم الجمعة داخل في الستة التي فيها خلق العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم
فسر خلق الاشيا وجعل خلق آدم في اليوم السابع وهو يوم الجمعة ولم يثبت انه
خلق آخر الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم في ستة ايام آخرها الخميس وخلق
آدم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها خلقت لمصالحه فيه وسياق خبر مسلم
المذكور ظاهر في ذلك ويؤيده ايضا الخبر الصحيح ان الله تعالى هدانا ليوم الجمعة واضل

نخ السبت

عند اليهود والنصارى لان اليهود لما اعتقدوا ان اوله الاحد كان الجمعة سادسها
فاخذوا السابع وهو السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله الاثنين اخذوا الاحد
واما هذه الامة فاعتقدوا ان اوله السبت فاخذوا السابع وهو الجمعة قال ولا حجة في
اشتقاق نحو الاحد من الواحد وهكذا الان هذه التسمية لم تثبت بامر من الله
ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على قاعدة مذهبهم فاخذتها العرب عنهم
ولم يرد في القران الا الجمعة والسبت وليسا من اسماء العدد انتهى على ان هذه
التسمية لم تثبت لم يكن فيها دليل لان العرب تسمي خامس الورد رابعا وهكذا وهذا
هو الذي اخذ منه ابن عباس رضي الله عنهما قوله الذي كاد ان ينفرد به ان يوم عاشورا
هو تاسع المحرم وتاسوعا ثامنه وهكذا هو اي يوم السبت يوم مبارك لان الله
تعالى ابتدا فيه خلق هذا العالم كما مر خلافا لما زعمته اليهود انه ابتداء يوم الاحد
وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب
فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم ومن ثم رد الله تعالى عليهم بقوله عز قايلا وما
مسنا من لغوب اي تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب الا من حادث
مفتقر للغير بعاني الاسباب والله تعالى بخلاف ذلك كله انما امره لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون اي ان نوجده فورا فلا يتخلف عن الارادة فقول كن كناية عن
ذلك قيل بناء للمجهول الضيق النظم فلا يتوهم انه قول ضعيف للتصرف اي
للتصرف فيه ببيع ونحوه من اليهود اعتدوا اي ظلموا وعدوان كان سببا لمسخ
كثيرين منهم قردة وخنازير وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس
منهم في زمن داود عليه الصلاة والسلام اثنا عشر الفا فاصطادوا فيه وكانوا بايلية قرية
على جانب البحر فابتلاهم الله تعالى بان الهم السمك يوم السبت انه ما يبقى حوت في
البحر الا ورفع خرطومه او خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك وتفرقا فجمع رايي
جماعة على حيلة يمسكون بها السمك وتمنعهم عن الاصطياد يوم السبت فحفروا
يوم الجمعة حفرا لجانب البحر وجعلوا فيها جداول من البحر فصارت تمتلي منه يوم
السبت

السبت ويا خذونه يوم الاحد فشووا واكلوا فشم جيرانهم فسالوهم فاخبروهم
بالحيلة فقالوا ان السمك في ثم لما لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة ثم جماعة
حتى صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم الثلث الباقي فبنوا بينهم
حايطا فاصبحوا وقد مسخ الثلث الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه
اي لان الاية فيهم محتملة ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا ادري ما فعل
بالساكتة نجا هالام مسخها كذلك قال مالك يوخذ من هذا تحريم الحيلة ووجوب
سد الذرايع انتهى ويرد بان المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا
فان ورد في شرعنا ما يوافقه بالدليل فهو شرعنا لا غيره فبظلم متعلق بحرمنا
منهم وهو وضع الشي في غير محله كمسخهم في السبت واكلهم الربا واخذهم
اموال الناس بالباطل وكفرهم من عطف الاخص لزيادة الاهتمام به عدتهم اي جازيتهم
طيبات من الرزق فحرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ومن شان الطيبات انه يوجد في ترخصه
الذي تحتم الامر به ابتلاه اي اختبار ومحنة للعبد يكون سببا للفلاح او هلاكه
خدعوا اي يهود المدينة وما قرب منها بخلاف من زاغوا لكن ذلك عام وهذا
خاص لتقييده بالظرف بعده بالمنافقين من الاوس والخزرج الذين قهرهم
الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل مع بقايهم على كفرهم باطنا وكان
هوى هولاء مع اليهود لانهم مثلهم باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخد
يعة وكانت احبار اليهود هم الذين يتعنتون على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل
القران معنفا لهم تارة ومجيبا لهم عن شبههم اخرى ومنبها على احوال المنا
فقين الذين هم معهم باطنا اخرى ومعنى كونهم خدعوا بهم انهم اريد بهم المكروه
من حيث لا يعلمون بسبب المنافقين الذين كانوا يصدقونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيخدعون لهم لقلة ذهنهم وسفاهتهم كما قال وهل ينفق الا على السفيه
الشفعاء اي وما ينفق الشفعاء الا على السفهاء وهم اليهود لا غير شبه الشفعا

الحاصل لهم بما هو تصرف وتخرج في الشر فهي استعارة بالكناية واثبت لها ما
هو من لوازم المشبه به وهو الانفاق تخييلا وجعل الشارح ينفق من النفاق اي الرواج
فعليه شبه الشغب بالسلعة المعروضة للبيع واثبت لها النفاق تخييلا ورشح او
جرد بذكر الشبه الملايم للمشبه والمشبه به **والهمانوا** اي زعمهم مما كانوا يتربصونه
من النبي صلى الله عليه وسلم **ب** بسبب **قول الاحزاب** اي طوايف اهل مكة ومن كان
معهم من قبايل العرب الذين تجمعوا لحربه صلى الله عليه وسلم بعد وقعت **اخذ اخوانهم**
اي في الكفر لهم **انا لكم اولياء** اي متوالون ومتفقون على حرب محمد صلى الله
عليه وسلم وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن اخطب ازدادت
عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم
وقالوا نكون معكم عليه حتى نستاصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا لهم
ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقايدها ابو سفيان رضي الله تعالى عنه وغطفان
ومن معهم من اهل نجد وقايدها عيينة بن حصن فاجتمعوا في عشرة الاف
واليهود فاطمعوهم بانهم بذلك يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم النبي صلى
الله عليه وسلم استشار سلمان بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه فاحتفره في
صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما وصل العدو اليه خرج اليهم في ثلاثة الاف فمكثوا
نحو عشرين يوما او خمسة عشر وهو الاشهر لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل والحصى
ثم اشتد الحرب فجاء نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له اني اسلمت
ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فامره صلى الله عليه وسلم بان يخذل عنهم ما استطاع
فان الحرب خدعة فذهب الى بني قريظة وكان نديمهم في الجاهلية فحسن
لهم التخلف عن قريش معونة قريش الا ان اخذوا منهم رهنا وخوفهم على اموالهم
واولادهم فقالوا اشرت بالراي ثم ذهب للعرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك
وانهم ندموا على ذلك وارسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فارسلوا رسلهم لقر
يظة فذكروا لهم ذلك فلم يعتقدوا صدق نعيم وانحل عزمهم فبعث لهم الله تعالى
وارسل

وارسل عليهم الريح في ليال شديدة البرد فاكفأت قدورهم وطرحت خيامهم فبلغه
صلى الله عليه وسلم تخاذلهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان اذهب فانظر
ما فعل القوم ولا تحدثن شيئا حتى تاتينا فدخل بينهم فسمع ابا سفيان يقول
ليتفطن الرجل منكم من جليسه قال فاخذ بيده واخذت [illegible] بيد من بجنبي فقلت
من انت فقال فلان بن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما اصبحتم بدار
مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ثم امرهم بالرحيل وارتحل
قال حذيفة ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم
سمعت غطفان ما وقع لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى
المدينة وقال صلى الله عليه وسلم لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم
وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا
بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي رواية البخاري انه صلى الله
عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال قد وضعت
السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم اي بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل
بهم وفي رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على الصفا
فبعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب اليهم في ثلاثة الاف
مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر
وقذف الله في قلوبهم الرعب فعرض عليهم رييسهم الايمان وحلف لهم انه
نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فابوا فقال الليلة السبت فلعلهم
امنونا فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم
يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف عليك من المسخ ثم اشتد
عليهم الحصار فنزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم سعد بن معاذ
سيد الاوس فحكم فيهم بان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبعة ارقعة

فامر صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق وجلس
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه واخرجوا اليه فضربت اعناقهم وكانوا ما بين
ستمائة الى سبعمائة ولا ينافيه الرواية الصحيحة انهم كانوا اربعمائة مقاتل لان
الباقين اتباع وبما تقرر يعلم ان الاحزاب حالفوهم اي اليهود اي عاهدوهم
مع الايمان المغلظة على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالفوهم في ذلك فرحلوا عنهم
واسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن آخرهم ولم ادر لماذا تخالف الحلفاء
واراد بنفي الدراية الدراية على طريقة تجاهل العارف اغراء السامع على البحث عن
سببه ذلك وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق كلمتهم
واستئصال ساقتهم تنبيه تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم
مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما يعلمه على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ
كما هنا او التقرير نحو وما تلك بيمينك يا موسى اسلموهم اي المنافقون بعبد
الله بن ابي واعانة اليهود المسمين ببني النضير لاول الحشر مقتبس من قوله
تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم
الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين اي في اول الحشر واجلائهم من جزيرة العرب
الى الشام او من محلهم الى محل اخر وانما كان اولا لانهم لم يصبهم قبل نضير ذلك او في
اول حشرة الى القتال ابانة في قصتهم انهم عزموا على القتال ففشلوا والقى الله الرعب
في قلوبهم واخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر من هؤلاء ومن هاليهما الى الشام او في اول
حشر الناس الى الشام لانها فتحت بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها او
عليه فاخر حشرهم بها عند قيام الساعة لانها ارض المحشر كاميعادهم اي المنافقين
لليهود انهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم صادق لانهم سولوا لهم قتاله وانهم
يعينونهم ثم تخلفوا عنهم ولا الايلاد اي الحلف منهم لهم صادق وابطا سحن
الرعب اي هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وخشيته انتقامه منهم وطن طفرة بهم
عليهم

عليهم والخراب الاتي لحق دورهم قلوبا من اليهود المحصورين وغيرهم من اهل خيبر و
غيرها وهذا راجع للاول وبيوتا منهم راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب نعاها
اي اخبرت تلك البيوت بموت اهلها المعنوي من نعاه له نعوا ونعيا ونعيانا اخبره
بموته الجلاء اي خروجهم من ديارهم شبهه في كونه معلما لهم بقهرهم وزوال
شوكتهم المشبه بالموت بانسان يخبرك بما ينفع ويضر وهي استعارة بالكناية بالكناية
وذكر النعي الملائم للمشبه استعارة تخييلية وعجيب من الشارح حيث لم
يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من الاستعارتين المذكورتين بل فيها
استعارة ثالثة كما اشرت اليها بقولي المشبه بالموت وظاهر النظم ان وا
قعة بني النضير هذه بعد الخندق والمشار اليها بقوله السابق واهملوا الخ وهو
ما اوهمه كلام بعض اهل السير لكنه مردود بان بني قريظة هم الذين ظاهروا الاحزاب
واما بنو النضير فلم يكن لهم في الاحزاب ذكر بل كان من اعظم الاسباب في جمع
الاحزاب ما وقع من اجلائهم فانه كان من رؤسهم حيي ابن اخطب واضرابه وهو
الذي حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم ما كان فكيف
يصير السابق لاحقا وخلاصة ما قاله اهل السير في واقعة بني النضير انه صلى الله عليه وسلم
خرج اليهم يستعينهم في دية قتيلين فتلاهم بعض طلبه ثم باطنوا له الاجابة
ثم تواعدوا وهو صلى الله عليه وسلم جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد
واحد منهم ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال ليخبرن بما هممتم
به وانه لينقض العهد الذي بيننا وبينه فلما صعد الرجل لذلك اخبره صلى الله عليه وسلم
فقام مظهرا انه يقضي حاجته وترك اصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة
فطلبه اصحابه فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم
فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ستة ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها
وخرب ولما وقع في نفوس بعض المسلمين من ذلك شيء نزل ما قطعتم من لينة الاية واللينة

أصناف التمر ما عدا العجوة والبرني وفي الآية أنه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم إلا
ما ليس بقوت وكانوا يقتاتون العجوة وفي الحديث العجوة من الجنة وتمرها يغذي أحسن
غذاء والبرني أيضا كذلك وكان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم ابن أبي بعثوا إليهم
أن اثبتوا وتمنعوا فإنا لم نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن أخرجتم خرجنا معكم
فتربصوا فقذف الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم
عن أرضهم ويكف عن دمائهم وفي رواية ابن سعد أنهم لما هموا بالغدر أرسل إليهم
محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي وقد أجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعدها ضربت
عنقه فشرعوا في التجهيز فأرسل إليهم ابن أبي بأنهم يمتنعون ويمدهم بمن ينصرهم
فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فأظهر التكبير وكبر المسلمون
بتكبيره فسار إليهم وعلي يحمل رايته فلما رأوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل
والحجارة وخذلهم ابن أبي وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم
اخرجوا ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة فنزلوا على ذلك وكانوا يخربون
بيوتهم بأيديهم فلحقوا بخيبر ثم إلى الشام والحيرة على ستمائة بعير ولكون إلقاء
هولهم بمجرد الرعب كان ما بقي من أموالهم له صلى الله عليه وسلم يقسمه بين المها
جرين ليرفع مؤنتهم عن الأنصار وخدعوا أيضا بنو قريظة منهم بيوم الأحزاب
إذ زاغت الأبصار منهم فيه وطاشت الهراء وذلك أن الأحزاب لما أقبلوا ونزلوا حوالي
المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم والمسلمون فجعلوا ظهورهم إلى سلع والخندق
بينه وبين القوم خرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعبا القرظي صاحب عقد
بني قريظة وعهدهم فأغلق كعب دونه باب حصنه وقال إنك امرؤ مشؤوم
وإني عاهدت محمدا صلى الله عليه وسلم فلست بناقض ما بيني وبينه فإني لم أر منه إلا
وفاء وصدقا فقال ويلك افتح ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر
الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ومعها دونه غطفان وقد عاهدوني
على أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان
بينه

بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم
عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل الظن ونجم النفاق في
بعض المنافقين فأنزل الله تعالى وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآيات وقال رجال
ممن معه يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع ما مر من أن الله تعالى خذل الأحزاب وبدد
شملهم وجعل الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وأهلك بني
قريظة عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم أن في كلام الناظم في هذا البيت والذي قبله
تلميحا من وجوه عديدة وتعدوا ظاهر سياقه أن الضمير للنصارى واليهود
والمنافقين ويجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار العرب وغيرهم أي تجاوزوا
حتى وصل إيذاؤهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حدودا حدها الله لهم ومنعهم من تجا
وزها فلم يقفوا عندها فلذلك كان فيها أي في مجاوزتها عليهم أحد الظرفين حال
والآخر خبر العدواء أي بعدهم عن النجاة ووقوعهم في الهلاك الأبدي وفي هذا
تلميح إلى قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وبين تعدوا والعدو
جناس شبه الاشتقاق وهو أو شبهه بين نهتهم وانتهت والبدى والبذا
والخيل والخيلاء والكدى وكدا وعفا وعفو وسواء وسوء والجمت والجون واحلم
والحلم الأبيات ونهتهم أي أولئك المعتدون قوم منهم عن استمرارهم على
ما هم عليه من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وإيذائه قائلين لهم إنه لرسول الله حقا
وما انتهت عنه أي عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وإيذائه قوم بل استمروا على
ما هم عليه من إيذائه والأمر به فـ بسبب ذلك أبيد أي هلك الآمار منهم بإيذائه
صلى الله عليه وسلم والنهاة عن اتباعه لبقاء كل من الفريقين على ضلاله ومر أن عتبة
بن ربيعة لما اشتد أذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب إليه لينهاه فقرأ عليه فصلت
فرجع إلى قومه ومدح القرآن وأمرهم أن يخلوا بينه وبين ما هو فيه وبين لهم أن
القرآن ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وأنه صلى الله عليه وسلم ليس به جنون وأنه
ليكونن لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد بلسانه فقال افعلوا ما بدا لكم [illegible]

فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاه بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا
وبين الاسرار والنهار جناس الطباق لنهتهم وما انتهت وكالقدر والعشا والقطع
والوصل والتغريب والافصاح والملاح والاطرا والتباين والوفا الابيات وندا الهوى في
محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم
واما محمد فتسمى به قبله خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني
منكر القول اي القول المنكر الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفسا
ده وان الحامل له عليه انما هو محض عناد وفساد فقالوا مرة ساحر ومرة كاهن
ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان اعجاز القرآن وطاف صلى الله عليه وسلم
هو وابو بكر وعثمان رضي الله تعالى عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن ابي معيط وامية
بن خلف اسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الاخذ بمجامع ثوبه صلى الله عليه
وسلم فدفعه عثمان رضي الله تعالى عنه فوقع على استه ودفع ابو بكر رضي الله عنه امية
والنبي صلى الله عليه وسلم عقبة ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه
عاجلا فما منهم الا من اخذته رعدة ثم جعل صلى الله عليه وسلم يقول لهم بئس القوم
انتم لنبيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله تعالى عنهم ابشروا فان الله مظهر
دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بايديكم
عاجلا قال عثمان رضي الله تعالى عنه فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ايذائه
ايذا المنافقين قولهم يوم الخندق محمد يعد اصحابه ان ينفقوا كنوز قيصر
وكسرى واحدنا اليوم لا يامن على نفسه ان يذهب الى الغائط وقد حقق الله تعالى
مقالة نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين كنوز قيصر وكسرى في زمن عمر
وعثمان رضي الله تعالى عنهما ثم ذيل بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى
الامثال فليس تتميما خلافا للشارح لانه الماتي به لمجرد المبالغة والتاكيد
ولا تكميلا لانه الماتي به لدفع الايهام وفي ذلك اضطراب بين اهل البديع فقال
ونطق الاراذل اي منطوق الاسافل الذين لا مروة لهم ولا عقل الكلمة العوراء
الغبية

الغبية الساقطة اي شانهم النطق بالهجر وهؤلاء كذلك كيف وكل وجس
اي قذر وحمق وغضب فاير بهم يزيده اي ما جبلوا عليه وهو الخلق السوء
بفتح السين وضمها اي القبيح سفاها بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة
ومصدر المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه ويزيده
سفاهة ايضا وبعدا عن الخير الملة اي الشريعة سميت بذلك لانها تملى وتكتب
العوجاء اي الباطلة شبهها بطريق عوجا لا يهتدي سالكها الى مطلوبه بل
يتوه ويضل فيها على سبيل الاستعارة المكنية ثم اثبت لها العوج تخييلا واولئك
الاراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السوء والتمسك بالملة الباطلة فتضا
عفت سفاهتهم بسبب ازدحامهم من السفاهة والجهل انظروا ايها العقلا
كيف هي وما بعدها سادت مسد مفعولي انظروا واما قول الشارح كيف في مو
ضع المفعول الثاني وعاقبة القوم المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان
ولا مقوم لذلك كما عرف مما قررته كانت تامة عاقبة اي مال ومصير القوم
المعروفين بما ذكر وهي خزي الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان عاقبة الذين اساؤا
السوءى الخ ينبغي اقتباس وانظروا ما هو بصلته سد مسد المفعولين
ايضا وعجيب من الشارح حيث لم يبين اعرابه مع احتمال وجه اخر فيه غير ما
ذكر لكن ما ذكرته اولى كما هو واضح ساق البغي اللسان كهؤلاء البغاة بالمهملة
اي بداوهم اي فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا وسعادة الاخرة وفيه تشبيه
البغا بدابة مسوقة والبغي بسايقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات ا
السوق للبغا على جهة كونه فاعله وللبغي على جهة كونه واقعا عليه تخييل و
جد البغي الشعب اي السم فيه اي النبي صلى الله عليه وسلم سهما اي مهلكا وبين
الشعب والسم جناس المضارع ولم يجد ذلك البغي ان سببه غيل لسم القاتل
لوقته لعظاة الهيم في مواضع حال من الخبر وهو بادى كقولهم في بيت ميدو لهي
لقد ما زني قال المازني ذلك على الخليفة الواثق فقال لي ممن الرجل قلت من بني

نخ معوج

مازن قال أي الموازن أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة
فكلمني بكلام قومي وقال لي باسمك لأنهم يقلبون الميم باء والباء ميما قال فكرهت
أن أجيبه على لغة قومي لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن
لما قصدت وأعجب به أي وفيه ايخاسب لنفسه ثم قال لي اجلس واطمئن يريد
فاطمئن وقال ابن جني في سر الصناعة أخبرنا أبو علي في إسناده إلى الأصمعي
قال كان أبو سوار الغنوي يقول باسمك يريد ما اسمك فهذه الباء بدل من الميم انتهى
ومعنى لأنهم أهلكهم كما يهلك السم بل هو أبلغ من السم لأن إهلاك السم في الدنيا
وله أدوية تزيله وإهلاك الغضب في الدنيا والآخرة ولا دواء له كان من أجل ما صدر
من فيه أي فم البذي حال من الضمير المستقر في الخبر وهو بيديه قتله لنفسه بيديه
وقتل الإنسان لنفسه أشد من قتل غيره له في بسبب ذلك هو أي البذي القاتل لنفسه
المذكور في الانصاف بما وقع منه من سوء فعله بنفسه المرأة المشهورة بالملكة
القاهرة في العرب التي هي الزباء بفتح الزاي وتشديد الموحدة أي شبيهها فإنها
تناولت خاتما مسموما فمصته حتى قتلت نفسها وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو
وكان قتلها لنفسها بسبب ما تناولته بفيها من يدها لما ظفر بها عمرو ابن أخت
جذيمة الأبرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه إياها وحاصل القصة وهي طويلة
ذكرها الأخباريون وابن هشام وابن الجوزي وغيرهم أن جذيمة بن عامر التنوخي
وقيل الأزدي وهو أول من ساد من العرب وأول من اتخذ له الشموع وأوقدت بين يديه
وأول من اجتمع له الملك بأرض العراق من قبل زدشير وكان أبرص فكنوا عن ذلك
بالأبرش والوضاح قيل كان لا يأنف من الأبرص لأن في العرب من يفتخر بذلك وكان له أخت
أحبها نديمه عدي بن نصر الإيادي فوافقها على أن ينكحها منه إذا غلب السكر عليه
فسأله حينئذ في ذلك فأنكحه إياها وأشهد عليه ودخل بها فلما أصبح وعلم بذلك
تغيب عدي ولم يعرف له أثر وولدت له ولدا سمي عمرا فأحبه جذيمة واختطفته
الجن ثم ردوه فازداد حظا عند خاله وكان أبو الزباء وسميت بذلك لكثرة شعرها إذ كان
خلالها

يخللها ويسمى مهتها من ورائها ملك ما بين العرب والروم فغزاه جذيمة وقتله
قبل بعثة عيسى عليه الصلاة والسلام وطردها فلحقت الروم وجمعت الجيوش واستخلصت
من جذيمة ملك أبيها وابتنت لها بجانب الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة
نفسه بخطبتها لأنها بكر وأجمل أهل عصرها وطمع في ملكها فأرسل إليها فأظهرت
له غاية الفرح وأرسلت له بهدية سنية فاستشار في المسير إليها فبالغ قصير
ابن سعيد في منعه وفي أن ذلك مكيدة منها فلم يصغ إليه وسار إليها فلما قرب منها
أعاد الإشارة فأعاد قصير رأيه فلم يصغ إليه وسار إليها وكانت أمرت عسكرها
إذا وصل أن يحيطوا به ويمنعوه ممن معه ففعلوا وقصير معه فلما رأى ذلك ركب
فرس جذيمة التي تسبق الريح فجرى بها وفر فدخل جذيمة عليها ولبس معها
الأجواري وكانت ربت شعرها تنتفه حولا فكشفته له فقالت أمتاع عروس ترى فقال
بل متاع أمة بظراء فقالت خلان بعد سبية كن وبعل مولاتكن فأجلسته على النطع
وفعلن ثم أمرتهن بفصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فنزف دمه فيه
إلى أن قضى نحبه فأمرت به فدفن ثم أقبل قصير على عمرو وأخبره الخبر وأمره أن يأخذ بثأره
منها فأوهمه أنه لا قدرة له عليها فقال له اجدع أنفي وأذني واضرب ظهري حتى يؤثر
فيه الضرب فقيل فعل به ذلك وقيل بل فعل قصير بنفسه ذلك ثم ذهب إليها
مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته وأكرمت منزله ثم قال لها إن لي بالعراق
مالا كثيرا وذخائر فسفريني لآتي بها ففعلت فرجع إليها بأموال هائلة ثم عاد إلى
العراق ثانيا ثم رجع إليها بأكثر من الأولى فازدادت مكانته عندها ولم يزل يتلطف
حتى عرف سربا اتخذته تحت الفرات يصعد منه إلى قصرها وبابه من جانب الفرات
الآخر ثم خرج ثالثا فرجع بأكثر من ذلك كله فزادت مكانته وعولت عليه في أمورها
فأظهرت له أنها تريد غزوا وأنه يذهب ويأتيها بالسلاح والعدد فقال لها إن لي في بلاد
عمرو ألف بعير وخزانة مال وسلاح فأعطته ما أراد من المال وقالت له الملك يحسن
بمثلك فعاد إلى عمرو وقال أصبت الفرصة منها فقال له عمرو مرني بما شئت فقال الرجال

والاموال وقصد الى الحي رجل من فتاة قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان
في غرارتين سوداوين وعمرو فيهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان يكمن
النهار ويسير الليل ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت فقالت

ما للجمال مشيها وئيدا ... اجندلا يحملن ام حديدا

ام الرجال جثما قعودا ... ام الرجال في الغرار السودا

ولما وصلت العير الى المدينة لطعن بواب قصرها جوالقا بمخصرة بيده فضرط من
اصابته فاراد الصياح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت الجواليق فخرجت الر
جال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزبا فلما راته مصت خاتما في يدها
مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو فماتت وقيل ان عمرا قتلها بسيفه واحتوى
على بلادها او هو في سوء فعله النمل اي شبهه ثم بين وجه الشبه فقال قرصها
اي لسعها لغيرها يجلب الحتف اي الموت اليها عقب لسعها والحال ان لسعها
ما نافية له انكاء اي قروح جرح ولا دم ولا تاثير قوي في الملسوع فكل
منهما قتل نفسه بما خرج منه مع انه لا مصلحة تعود عليهما بما كان
سببا الهلاكهما صرعت قومه صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم يومنوا
به اي القتهم قتلى بين يديه حبايل جمع حبالة وهي التي يصاد بها وناصبها
يسمى الحابل بغي عليه صلى الله عليه وسلم مدها اي تلك الحبايل اليه المكر حال كونه
منهم وهو ابطان السوء مع اظهار خلافه والدهاء هو بالكسر والمد كالدهي
جودة الراي وفي كلامه استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صرعى
بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدي الصياد ومن حيث تشبيه
البغي بشبكة الصياد ومن حيث تشبيه المكر والدهي بالصايد كما تقتضيه نسبة
المد اليهما او بحبال الشبكة التي يمد بها الصايد حتى يقع فيها الصيد وتخييلية
باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحية بذكر الصرع الملايم بالمشبه وبما
تقرر علم ان في كلامه ثلاث استعارات مكنيات الاولى تشبيه القوم بالصيد وجرد
لها

لها بذكر الصرع والمكر والدهاء ورشح او خيل لها بذكر الحبايل والمد
والثانية تشبيه البغي بالشبكة وخيل لها باثبات الحبايل له ورشح بذكر المد
وجرد بذكر الصرع الملايم للبغي والثالثة تشبيه المكر والدهاء بالصايد على ما مر
وخيل باثبات المد ورشح بذكر الحبايل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع
من اشتراك مكنيتين او اكثر في كون الشيء الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا
للكل باعتبار الكل على حدتها بما يناسبها و بسبب مكرهم ودهايهم اتتهم
من قبله صلى الله عليه وسلم او في عود تلك الحبايل اليهم ولا يحيق المكر السيء
الا باهله فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون له كيدا الا عاد عليهم وكيف لا وكلما
تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم وجاءوا لاطفاء امره صلى الله عليه وسلم بدد الله
جمعهم وقتل سادتهم واظهر الله امره عليهم وهذا الذي ذكر بنصره وبالمو
منين ومن ذلك انهم اتتهم خيل الى الحرب تختال اي تتبختر براكبها
راكبوها تيها وعجبا والخيلا لتفاخر عليها الشجعان في الوغى اي الحرب
متعلق بقوله خيلاء اي كبر وترفع عن الوقوع في وهدة او الاصطدام بنحو
شجرة وهذا تخييل فصدت فيهم اي في ابدانهم القنا اي الرماح جمع قناة وفي
هذا الاستعارة المشهورة في قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض ولا ينافي ذلك عد
كثيرين له من انواع المجاز باعتبار ان فيه اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهي الا
رادة التي هي من صفات الحي لان ذلك مبني على تشبيه ميله للوقوع بارادته له
والاستعارة مجاز علاقته المشابهة ومن ثم قيل زوج المجاز بالتشبيه فتولد
بينهما الاستعارة وهل هي مجاز لغوي او عقلي خلاف والاصح الاول لانها موضوعة
للمشبه به لا للمشبه ولا لاعم منهما فاسد في رايت اسدا يرمي موضوع للسبع
لا للشجاع ولا للحيوان الجري وبسبب قصدهم كانت قوافي الطعن اي الطعنات
المشبهة بالقوافي في تتابعها حال كون تلك الطعن منها اي تلك الرماح ما شانها
اي عابها وفي نسخة شانه اي الطعن الايطاء لانه لم يوجد فيها اذ الصالبة تصدق

اعرب

بنفي الموضوع وهو تكرير القافية المسماة ايطاء ومعنى قوله عدم متخلف فيه
عندهم والمشبه به الطعنات المتواردة على محل واحد من غير ان تتوتر التالية
شيئا لم تتوتر المتلوة وهو معيب في المشبه به لانه يدل على عي الشاعر وتقصير
والمشبه لانه يدل على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتحريره وهذا الحل والى ما
سلكه الشارح كما يظهر بتامله نعم قوله ولكثرت ما علقت رماحهم في اجساد
عداهم تاتي الطعنة الثانية مكان الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن
يقرب حله **واثارت** اي رفعت تلك الخيل لما ركضت في مقامه الحرب **بارض**
العدو وفي الاقطار الحجازية وغيرها حتى في **مكة** في غزوة الفتح لما ازدحمت في
دخولها **نقعا** اي غبارا اظلم الجو حتى **ظن ان الفجر وافى** اي وقته وهو ما بين صلاة
الغداة وطلوع الشمس **منها** اي من اجل تلك الخيول التي اثارت ذلك
النقع او من اجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التي اثارتها تلك الخيول
عشاء اي وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية كلام الشارح بل
صريحه ان المراد العشاء بفتح العين وفسره بانه ما بين المغرب والعتمة
وفيه نظر وما ذكرته اولى واسلم مما تكلفه وفي قوله واثارت نقعا تلميح
الى قوله تعالى في سورة والعاديات فاثرن به نقعا وخلاصة ثم من هذه الغزوة التي
حصل فيها ذلك الفتح الذي هو اعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى اعز به دينه
ورسوله وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السماء وضربت
اطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دين الله افواجا واشرق به وجه
الدهر ضياء وابتهاجا وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله
عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده
وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكان ما تقادم بين
بعض بني بكر وبني خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج اربعون من خزاعة
الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه بقيام ردائه وهو يقول لا نصرت ان لم انصركم

بما

بما انتصر به قصي ولما احس ابو سفيان بمجيئهم جاء الى المدينة ليجدد
العهد ويزيد في المدة فابى صلى الله عليه وسلم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة
الاف ثم لحقه الفان لليلتين من رمضان سنة ثمان فلما كان بقديد عقد
الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم لما نزل مر الظهران امرهم ان يوقدوا
عشرة الاف نار فراوها فهال ابا سفيان ارسله قريش ليأخذ لهم امانا لعلمهم
بتجهيزه صلى الله عليه وسلم فلما راى تلك النيران بهرته امرها فادركه الحرس فاتوا
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم بعد تمنع وتهديد فسال العباس النبي
صلى الله عليه وسلم ان يظهر له فخرا في قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار ابي سفيان
فهو امن وقال للعباس احبسه عند حطم الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفي
رواية احبسه عند مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله تعالى فيراها فحبسه
فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسال عن كل قبيلة فيبينها له
العباس فيقول ما لي ولها ولما مرت به كتيبة الانصار وصاحب رايتها
سعد بن عبادة قال له سعد يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اي الحرب اليوم
تستحل الحرمة اي والكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فامر عليا
كرم الله وجهه بدفع الراية لابنه قيس واخبر ابا سفيان انه لم يامر بقتل
قريش وان اليوم يوم الرحمة وان الله تعالى يعز قريشا وخشي سعد ان ابنه
يقع منه شيء ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم في كتيبة المهاجرين مع الزبير
ايضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وامره ان يدخل من اعلا مكة
وان يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى ياتيه كما ذكره موسى بن عقبة وغيره
وقول الشارح انه صلى الله عليه وسلم امر الزبير ان يدخل من كداء بالضم تصحيف
وصوابه من كداء بالفتح والمد وقوله وامر سعد بن عبادة ان يدخل في بعض
الناس من كدا بالفتح لم ار في الروايات المعتمدة ما يشهد له وانما الذي صح

صلى الله عليه وسلم لم دخل من اعلاها وخالد من اسفلها ورواية عكس ذلك ضعيفة
لا يقول بمثلها ولعل الشارح اخذ ذلك من الرواية الاتية عن مسلم وان كان خبيرا بانه
ليس فيها نص بعكسه او بكداء او بعث خالد بن الوليد في قبائل ليدخل من اسفل مكة
ويغرز رايته عند ادنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في
مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يكفوا ايديهم الا من قاتلوا
ولما دخل خالد من اسفل فوجد جمعا قاتلهم حتى دخل المسجد من باب الحزورة
ثم كعب ولما قال له صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك قال كففت يدي
ما استطعت قال قضاء الله خير وفي مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم بعث على احدى
المجنبتين خالد بن الوليد وبعث على الاخرى الزبير وبعث ابا عبيدة على الذين بغير
سلاح فقال يا ابا هريرة اهتف لي بالانصار فهتف بهم فجاءوا فطافوا به
فقال لهم اترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال بإحدى يديه على الاخرى
احصدوهم حصدا حتى توافوني بالصفا قال ابو هريرة فانطلقنا فما نشاء ان نقتل
واحدا منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء قريش
لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو امن ومن هذا
اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد بانه صلى الله عليه وسلم لم يقتل الا
على اوباشهم الذين من شانهم الجهل والمبادرة بالقتال في غير محله وهذا
كقوله من اغلق بابه فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق
الروايات الاخرى المفيدة بذلك وبهذا يقوى ما ذهب اليه امامنا الشافعي
رضي الله تعالى عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التامين الذي وقع منه صلى الله
عليه وسلم لمن دخل دار ابي سفيان او اغلق بابه او دخل المسجد ولم يقع قتال
من جهة اعلا مكة التي دخل منها صلى الله عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان
القتال الذي وقع في غيرها انما كان لدفع قتالهم كما مر وعلم مما تقرر في القصة
انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو كداء بالفتح والمد

وكان

وكان معه في كتيبته الخضراء لكثرة ما معهم من السلاح راكبا على ناقته القصواء
بين ابي بكر واسيد بن حضير وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا
الحدق من الحديد فراى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك
ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال نعم وامر بقية من
اصحابه ان يدخلوا من اسفلها وهو كدى بالضم والقصر ولذا قال أتحفت
اي كفت وامسكت عنه اي ذلك النفع الذي حصل بمكة لما جمعت فيه
جنود الاسلام مع ما هم فيه من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها
ومن اسفلها الحجون بفتح الحاء وهو الجبل المطل على مقبرة مكة المسماة بالمعلاة
وضبطه هو كداء بالفتح والمد ان الفرقة التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع
شيئا كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما في مكة فامسك عنه ما كانت ما بمكة والكدى
اصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب عنه ما من كدا اعطايه اي كما تقدمه
رتبة والمصدر مضاف للمجهول وفاعل الاعطاء النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس
مفعول المصدر الثاني كداء بضم الكاف والمد لغة قليلة فيه اي وقلل غبار كدا
الذي هو اسفل مكة لان الفرقة الداخلين منه الذين اعطاهم النبي صلى الله عليه
وسلم له كانوا قليلين وعجيب من الشارح حيث لم يبين لهذا الشطر معنى
ملايما مع كونه اوهم ضبط كدا هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السا
بق في الشطر الاول وقريب منه كما يصرح به كلام ايمتنا في المناسك وغيرهم
فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا لما فيه من الجناس والمجاز من حيث
التعبير بالنقع عن الكدى والمجاز والاستعارة من حيث اسناد الاحجام والمنع
اللذين هما من صفة الادمي الى غيره على حد جدارا يريد ان ينقض كما هو بين لانه
لكنه ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان ما بمكة من مجموع
الفرقتين الداخلتين من اعلى واسفل او ما من مجموعهما اكثر مما من كل
منهما ومثل هذا البيت له كبير جدوى قلت بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفائه

وهو ان دخوله صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه كان من الحجون والبغية من كدا ووجه
اخذه من النظم واضح وانه خص اعطايه القليل بكدا ودل على انه والكثير بعده خلوا من الحجون
ويحتمل ان يراد بعض البقعتين مبالغة وعليه فيصح ان يكون اجمعت معطوف على اثارت
بحذف حرف العطف وفيهما ضمير هو الفاعل يعود على الخيل وان اكدى مبني للمجهول
والتقدير ان من قوة تلك الخيول انها قهرتهم حتى اماكنهم فكفت الحجون ومنعت
كدا والحجون من ان ينتصر الا اهلهما او تصور منهما ذلك لا سيما وخيل كدى
كانت قليلة ويصح بقاء النظم على اعرابه الاول وهو ان الحجون فاعل وان اكدى مبني للفا
عل وان المراد انه صلى الله عليه وسلم نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدته عليهم
والتقدير ان الحجون واكدى منعاهم عن ان يمدوا اعينهم اليه صلى الله عليه وسلم والى احد
من عسكره وفي هذا وما قبله من المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه عند البلغاء وبين الحجون
وكدا جناس معنوي وقد هلكت اي هلكت تلك الخيل والخيالة اوجها من الناس
بها اي بمكة قاتلة كما مر في الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها الرواية +
المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في ايذايه صلى الله عليه وسلم
والظهار هجوه فامر بقتلهم وان كانوا معلقين باستار الكعبة وعدتهم ستة رجال
واربع نسوة واهلكت بيوتا كان اهل مكة يرجعون الى اهلها مراي سيم منها
لها دعا وهو في الشعر المخالفة بين هجاء اواخره كان يكون بعضها ميما والاخرى يا.
وهنا انكفا تلك الوجوه من الناس لعلها تحميها او تجيرها والافواه اصله من قولهم
منزل قواء اي لا انيس به واقوت الدار وقويت اي خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به
ان تختلف حركات اعراب الروي وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله في قصدت فيهم
الغنا الخ يعلم ان الناظم استعار القواء للطعن المتتابع ورشح بذكر الايطا ولم
يذكر البيوت ترشيحا لبيوت الشعر المرشح بها ويذكر ما يختص بها من الاقوا و
الاكفا الى الاستعارة الاولى وفيهما تورية ولف ونشر مشوش لانه رجع الاقوا للبيوت
باعتبار لمح بيوت الشعر والاكفا للوجوه لان الرايى اذا انقطع انكفت الوجوه وتحولت
فاستعمل

فاستعمل الاقواء في الخلو من حيث بيت المسكن وفي تغيير القافية من حيث بيت
الشعر وكذلك الاكفا من حيث تغيير حركة الروي وبسبب ما حصل لاهل مكة من الخوف
الذي ظنوا انه مهلك لهم عن اخرهم دعوا محمدا صلى الله عليه وسلم احلم البرية
بالهمز في الاصل اي الخلق اي طلبوا منه يوم الفتح ان يعفو عنهم وان لا يعاقبهم بما مضى
منهم مما كانوا اوصلوه اليه من الاذى الذي لا يحتمله غير صلى الله عليه وسلم فاجا
بهم الى العفو قايلا لهم لا تثريب عليكم كما ياتي والعفو عمن ساله جواب الحليم
من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام بحق والاغضاء اي ارخا الجفون من الحيا
وفي ذكر الحلم والعفو والاغضا مراعاة النظير فناشدوه بدلا من دعوا القربى
اي حلفوه على ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم او بالقربى محل حذف الجار اي حلفوه بالقربى
التي بينهم وبينه ان يعفو عنهم التي وصلت اليه من سايرهم بطون قريش وهم
ولد النظر ابن كنانة احد اجداده صلى الله عليه وسلم حال كون تلك القربى قطعتها
الترات يعو فيقيني جمع ترة وهي مصدر وتره ابي قتل له قتيلا ولم يدرك دمه
والشحناء اي التباغض والتحاسد الذي كان بينهم وبسبب تلك المناشدة عفى
صلى الله عليه وسلم عنهم عفو قادر لانه صلى الله عليه وسلم كان يسهل عليه ابادتهم عن
اخرهم لم ينقصه اي لم يعكر ذلك العفو عليهم وبسببه ما مضى منهم صحبة
اغرا تقدمت عليه حطرت حالا اغراء من اغريت الكلب بالصيد اي حملته على
اصطياده وهو ما عل ينقض اي لم يكدر عفوه اغرا سفهايهم وجهلايهم فيما
مضى حال كونه منهم حتى بلغوا في ايذايه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله
عليه وسلم وخلاصة ما اشار اليه الناظم انه صلى الله عليه وسلم لما كان الغد من يوم الفتح
قام خطيبا في الناس فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو اهله ثم قال ايها الناس ان
الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة
لا تحل لامرء مومن بالله واليوم الاخر ان يسفك بها دما او يعضد بها شجرة فان
احدكم ترخص فيها بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الله اذن لرسوله ولم ياذن لكم

وانما حلت لي ساعة من نهار اي من الفجر الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغايب ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ثم قال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقاء في مثل لا تسروا الاسترقاق وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اقول لكم كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين وهو سر هذه العجو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد القطع انه نا ظر الى الله تعالى **واذ كان القطع والوصل له** كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم **تساوى** عنده على ذلك **التقريب** للاقارب والبعداء **والاقصاء** اي الابعاد للاقارب والبعداء ولو يتميز احدهما قريب ولا اخص لان النظر لرضى الله وامتثال امره وهذا من القول البديع الجامع **وسواء** بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهو فيهما بمعنى التمام ومنه سواء للسايلين اي سواء الصراط والوسط ومنه في سواء الجحيم وبمعنى غير قيل ومنه وقد ضل سواء السبيل وهو وهم وانما هي بمعنى وسط **عليه** الذي تقريبه واقصاؤه لله لا غير واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا صلى الله عليه وسلم لان خلقه القرءان يرضى برضاه ويسخط بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدا **فيما اتاه من سواه** كلاهما حال من المبتدا او الخبر وهو **الملاحي** بالسب والتنقيص **والاطراء** اي المبالغة في المدح حتى يخرج عن الواقع اي سواء عليه اللوم والاطراء حال كونهما منكر جين فيما اتاه من غيره من خير وشر اي استوى عنده مدح الغير وذمه لانه ليس نظره الى نفسه وانما نظره الى تصريف الحق في خلقه بما اراده منه تنبيه ما وقع للناظم هنا من حذف همزة التسوية بعد سواء والعطف بالواو هو ما درج عليه الفقهاء في كتبهم وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر الشايع من ذكر الهمزة والعطف بام وقد صرح في الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سواء علي قمت وقعدت وكذا في القاموس فقال وسواء تطلب اثنين سواء زيد وعمرو اي ذوا استواء استويا وتساويا تماثلا وقد صرح سيبويه بالمسئلة اتم تصريح واوضحها اكمل ايضاح فقال كما

همزة

كما في البديع عنه اذا كان بعد سواء همزة استفهام فلا بد من ام اسمين كانا او فعلين وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطفت الثاني باو تقول سواء علي قعدت او قمت وان كانا اسمين بلا الف عطفت الثاني بالواو تقول سواء علي زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر ان كان الثاني بالواو او بأو صح لا بمثلها انتهى وعلم صحة ما عليه الفقهاء وانه في قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما في الصحاح سهو وان قراءة او لم تنذرهم من الشذوذ بمكان انتهى واستحضر ذلك فانه مهم ومن ثم لو مر فيها في بحث او صاف قدمه صلى الله عليه وسلم ما ينبغي مراجعته لعزته ونفاسته **انتقامه** صلى الله عليه وسلم اي غضبه واستيفاؤه الذي صدر منه كان **لهوى النفس** الامارة بالسوء المطبوعة على التكبر على الغير وحب التميز عليه بما يقهره ويذله **لدامت قطيعة للرحم وجفاء** اي ابعاد لها ولكنه لم يكن كذلك وانما كان لله تعالى بقطعهم حيث قطعوا ما امر الله به ان يوصل ووصلهم غيرنا ظر لما سبق منهم من قتال صحابه لا سيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر رباعيته حيث هو صلى الله عليه وسلم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وكيف لا **وقد قام** صلى الله عليه وسلم **لله** وحده لا للهوى ولا للحظ ولا لرعاية رحم او صديق وفي نسخة بالفاء اي مستعينا بالله تعالى **في الامور جميعها فبسببه** فيما مدله تعالى وبه **ارضى الله** تعالى **منه** صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بارضى وظاهر من فاعله وهو **تباين لا عداء الله** **وولاء** لاولياء الله من غير تعويل على حظ سوى رضى ربه ولهذا كان **فعله** صلى الله عليه وسلم **كله جميل** لصدوره على مقتضى قوانين الاعتدال وحقوق موازين الكمال **ولا بدع** في ذلك اذ **كل اناء بما فيه ينضح** اي يسيل مما فيه على ظاهره **الا بما حواه** مما يدل على متقدم المرتبة وهو **الاناء** اي لا ينضح الاناء الا بما فيه فمن امتلا اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضح الاناء كلها خيرا ومن امتلا اناء قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا او لبراحة متخليا بمعاني هذه الصفات الباهرة الا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل ومنه قوله تعالى وهل نجازي الا الكفور ويصح ان يكون من التتميم

وفيه التلميح الى المثل السائر وهو وكل اناء بالذي فيه ينضح اطرب السامعين اي اسر
هم وامزجهم ونشطهم الى محبته واتباعه وامتثال جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه
وسلم ذكر علاه لانهم يجدون لذلك روحة تفوق روحة الراح ياحبذا استنشاقه لراح
اي خمر مستنشاة ولذلك ففيه كلامه سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح
من هموم الدنيا ما دام سكرانا بها ملنا اي سكرنا وتواجدنا به اي الراح
المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فانه قد يقال الراح الخمر وهي
مؤنثة وتذكيرها شاذ الندامى اي شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون
اي يتخاطبون عليها بالاشعار التي فيها مدحها وغير ذلك وفي هذا استعارة
تصريحية واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه في اطرابه لسامعيه بالراح
في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلايم المستعار منه وهو ذكر الميل
والتخ ملوا علما ان هذا الموصوف بهذه المعاني الذي اطرب السامعين ذكر
علاه وهو النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرا الكتب كانه على
اصل ولادة امه وشكلها اذ الغالب في النسا عدم الكتابة وقيل نسبة الى ام
القرى اي مكة وقيل غير ذلك ومع كونه صلى الله عليه وسلم لا يقرا ولا يكتب اطلعه
الله تعالى على علوم الاولين والاخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق في كل علم
وحلم وحكمة وخلق حسن وساير اوصاف الكمال وبواه من الاحاطة بجميع
مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسة العالم ومتفرقات الشرايع وعوارف
المعارف ما لم يصل لشاوه مخلوق وهذا مقتبس من قوله تعالى الذين يتبعون الر
سول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اعلم الخلق
جميعا حتى من اي الانبياء والمرسلين الذين اسندوا اي روى عنه الرواة والحكماء
اي العلماء الذين يضعون كل شيء في محله فهو من عطف الاخص على الاعم وتمما
قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم احواله وسيره ومغازيه اتفق لطريق
لطيف التاريخ عام مولده وبعثته ودار مهاجره لانهما تشرفا به على ساير الامكنة

والى

والى ذكر زيارته وتاكدها والاشارة الى انها من افضل القربات وانجح المساعي
وقد البحث فيها كتابا حافلا لم اسبق الى مثله مشتملا على جميع ما يتعلق به
وسميته الجواهر المنظم في زيارة القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل
لمن نازع في ندبها بما يكون سببا لسواد وجهه وتباره في الدنيا والاخرة فقال
كانما من الله تعالى عليه باشارته على انه هيا له اسباب تلك الزيارة من الزاد
والراحلة الموصوفة بالصفات الحسنة الاتية حتى كانها مخاطبة له تقول
اركب على ظهري فاني احملك ذهابا وايابا مع السلامة من التعثر والراحة
من السير المتعب وعدتني ذكر الموعود في حيزها كما هنا يوجب اشتراكه
بين الخير والشر وانما يقع التمييز بالقراين وحذفه يعينها للخير ويعين للشر
اوعد ان ازدار اي النبي صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة وابدال الدال من التاء
في نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع الخافض اي بزيارته هذا العام وجناء
اي ناقة قوية من الوجين وهي الارض الصلبة ومنت اي انعمت بوعدها اي بوعو
دها الوجناء المذكورة وهذا كما علم مما وطيت به اولا كناية منه عن
نيته للزيارة في تلك السنة واعداده لما المركوب بها فهو اخبار على لسان
حال ذلك المركوب وبما تقرر من ان ال في الوجناء للعهد الذكري اندفع
قول الشارح بين وجنا والوجنا جناس والعجب منه انه صرح مع ذلك بان ال للعهد
المستلزم لاتحاد اللفظين وان الاول هو عين الثاني أ يليق بي ان اترك الزيارة
او اتباطا عنها فلا انطوي اي احتوي واضم نفسي على تلك الوجناء التي منته على
بما ذكر لها اي لاجلها فيسهل سيرها بي فان حسن سير المركوب من حسن ركوب
راكبه في حصولا فتنظر به اي طلبا منها لذلك الموعود فالمصدر مضاف للفا
عل هو اليا والها مفعوله فان اريدت الاضافة اليها ايضا كانت هذه الاضافة غير
صحيحة لانه اجتمع فيها التا تعريف وهو الاضافة الى كل من الضميرين وقد
قالوا لا يجوز اجتماع التعريفين على معرف واحد قالوا وانما جاز في اضافة الصفة

من اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وامثلة المبالغة واقتران المضاف
لمون سائر المضافات بال لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا
فليس هنا محذور اجتماع اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات انتهى ثم جرى لنا فوق
ان اضافة المصدر الى مرفوعه او منصوبه غير محضة فعليه يجوز ما وقع في النظم
لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتامله اما اذا لم ترد الاضافة لذلك وانما اريد بقاؤها
على نصبها فيه ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله لتطوي بالبنا
للفاعل والمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما بخلاف الثاني ما اي المسافة
البعيدة التي بيننا اي بيني وبين ذلك القبر المكرم على الحال به افضل الصلاة والسلام
الاجلاء جمع جلاة كما في القاموس وعبارته والجلاة الفقر والمفازة لا ماء فيها
ثم قال والصحراء الواسعة جمعه جلا وجلوات وفلى جمع جمعه افلاء انتهى وبه
يندفع ما للشارح هنا وجوز الشارح فيه كسر الهمزة مصدرا في المسير الى فلاة
بعد اخرى ولا يلزمه على بنائه للفاعل ان الاولى جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما
مختلفان بالاعتبار بل وبالحقيقة اذا النظر في تلك المسافة المطوية الى السير
البعيد وفي الاولى الى الامكنة المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله وبين
انطوي ولتطوي جناس الاشتقاق كهو او شبهه بين مباركها والبركة وبين
كاورانها والكوراء وحنين وحنت ونضت والانضاء والخلاص والخلاصها الاتية
بوجنا الوف صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق بتطوي وكان القياس بها
لكن ظهر لارادة وصفها بهذا الوصف الممدوح البطحاء المعهودة ذهنا
وهي مكة وتوابعها او طل الابطح والبطحا مسيل متسع فيه دقاق الحصى هذا وما
بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة في انه من تلك الاوصاف حالو
كان لراحلته ادراك لو كانت مثله فيها لما تشاهده من حاله تجاهلها اي تزعجها
ويقلقها النيل في ارض مصر عن الاقامة بها مع انها وطنها ومرباها لشدة
شوقها الى التمطي بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الاثار وبين الالف والاجفال
جناس

جناس الطباق والحال انه قد شفي اي شرب رطوبة جوفها او اخل جوفها
الظماء اي شدة العطش في طريقها فهي راضية بهذه المشقة المؤدية
لمس النخلي في جنب ما تلقاه في تلك الحضرة من فوايد الانعام وبقايا النعم
ولاجل ذلك انكرت مصر لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار
ما تلقاه في تلك الحضرة الاحمدية والساحة المصطفوية وبسبب
هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل هي تنفر بكسر الفاء وضمها اي تجفو في
٣٠٥ الهرب من مصر الى تلك الحضرات العلية ما مصدرية لاح اي ظهر من ارض مصر
بناء الجيزة او خلاء اي فضاء ولا ينافي هذا قوله بالوف البطحاء لانها تالفها
لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فهي توجهها اليه تجد في السير وتنفر الى
جهة مقصدها سواء لاح لها في غير تلك الحالة او بناء وفضاء وفسر الشارح الخلاء
بالحشيش وهذا فيه من زيادة المبالغة ما لا يخفى عظيم وقعه لكن يبعده
مقابلته بالبنا بخلاف ما ذكرته وقوله والمراد به ما ابنية مصر وهو اقرب
لانتهى في غاية البعد كما لا يخفى وابيضت من البيض وهو الماء العذب او
السائل على مباركها بركتها هي اول محل بطريق الحجاز يجتمع الحجاج
فيه للتاهب لسفرهم ولذلك كان مجمعا عظيما تجلب اليه كلما يحتاجه
الحجاج سميت بذلك لان ماء النيل ياتي اليها فيمكث فيها زمانا طويلا وكانت
فضاء صرفا فعمر فيها القطب الرباني البرهاني المتبولي من نحو سبعين سنة
جامعا وجعل فيه مجاورين يقرؤون القران فصارت من بركته عليهم حتى ذكر
بعض صالحيهم ممن ادركناه يوما بالجامع الازهر انه اشتهى زيارة امه
بالعجم وهو ثم واستاذن الشيخ في السفر لذلك فلم ياذن له فدخل الى خلوته
والناس يقرؤون القران على بابها فراى نفسه ببلده عند امه فسلم عليها
واقام عندها اربعة اشهر بعدها بالايام والليالي ثم اشتاق للشيخ فراى نفسه
في خلوته فخرج فراى القراء قد قرؤوا في تلك المدة نحو ربع القران وهذا من

بعض كرامات الاولياء ان الله تعالى نطوي الهم مكنة تحكم لان كليهما من حيز
الكرامة وإذا اجاز احدهما جاز الاخر فتامله ثم بنى الشيخ ثم الناس حول ذلك الجامع
ابنية وبساتين لا تزال تتسع ببركته حتى صارت الان قرية كبيرة اي وفي محل
البركة على مبارك تلك الناقة من الماء العذب ما رواها وراكبها ومن معه
وبعد البركة منازل للحجاج في هذه الطريق واكثرها مشهور لغالب الحجاج
فلا حاجة بنا الى تصريح ببيانها هي البويب وانما حملت النظم على هذا لا يهامه
ان فضت عام في الكل وهو غير مراد ان اراد به ما ذكرناه وان اراد به انه من
العطاء وما تسعت على مبارك الناقة بركتها لمزيد سعتها في عطف ما بعده
عليه من غير حاجة الى التاويل الذي ذكرته وعجيب من الشارح حيث حمله على
المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه الذي لا يتم الا بركاته ما ذكرته لان تلك
المنازل اكثرها قفر معطش لا ماء فيه الا ما والخضراء وهي قرية من المحل المسمى
الان بعجرود وفيه بير ماء مر مسهل ونجا نبها بركة ماء تملا من بيت المال يعم الحجاج
احتياج اليها وكان ذلك من اهله حدث بعد الناظم وانما قلت من اهله لان بركته
معلومة الحدوث في اوايل هذا القرن والقباب التي تليها اي المنازل السابقة اي الوا
دي المسمى بوادي القباب اي زبر الرمل المشبهة لارتفاعها وبياضها بالقباب
البيض الحسنة وبير النخل وبجانبها بركة تملا من بيت المال وماؤها احسن
من الذي قبله بكثير ولذا قال والركب فايلون عندها اي مستريحون وقت القيلولة
رواء من الماء بكسر اوله جمع ريان او ريا وعقبة ايلة اي عقبتها وحقل محل
بعدها قريب منها تسميه العامة مرور حقل وقد ليس هذا الاسم مشهورا
عند الناس اليوم خلفها اي الناقة لكونها جاوزته والمغارة المنسوبة الى
شعيب النبي صلى الله عليه وسلم الفيحاء اي الواسعة وعيون الاقصاب سميت بذلك
لكثرة ما فيها من القصب الفارسي يتبعها النبك هذا البيت مشهور وفي
القاموس النبك بالنون والموحدة بلد بين حمص ودمشق ويقلوه النبك

كجابة

كجابة وبها قبر ولي يسمى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح
وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد العوجاء اي المنحرفة عن جادة الطريق
وجعل الشارح كجابة مفعول يتلوا والعوجاء فاعله فعليه هما محلان متقابلان وفيه
نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجاء اصلا بالمواقف للخارج ما ذكرته حاورتها
اي حادثت الناقة الحوراء فيما هي بصدده شوقا منها لما الناقة مشتاقة له و
سايرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهذا مانع لحمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا
تفقهون انه احد جبل يحبنا ونحبه وينبوع حاورتها شوقا ايضا وهي بلدة معروفة
من جملة الحجاز الذي هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذا
من جملة قرى المدينة وبسبب مجاورتها لهما رق الينبوع والحوراء المذكوران
لساكنهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهد تحمل للزايرين لاح اي ظهر بالدهنوين
اي وجهها تثنية د هنا اما لكونه غلب اسمها وهو الدهنا محل قبيل بدر على مجاور
تهما وان ثم محلين كل يسمى بالدهنا بدر وهي الان قرية عامرة بها عين كثيرة ونخيل
ومحل الوقعة المشهورة به التي اعز الله بها الاسلام مشهور بين الزوار ويتبركون من جن
بها من الشهداء وغيرهم وفي بدر قورينة من نسخة بلاح المناسب للمعنى لغير المراد
وبقربه اية باقية من ايا ته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هايل كصوت طبل
الحرب في الجو اشتهر على الالسنة ان هذا الاجل نصرته صلى الله عليه وسلم والعرج بها
وقد انكره قوم يقالوا لا حقيقة له وانما هي اصوات الريح تسمع في ذلك الوادي
عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين عظيمين من الرمل واذا مشى الانسان بينهما
وقوي عصف الريح سمع ذلك الصوت وقال اخرون من بعض المتاخرين بل هي حقيقة
لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حتى سمعناه والجو ساكن لا ريح به البتة
وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة انتهى واقول وقد تكرر ايضا سماعه مرات متعددة

في صحراء متعددة حيث لا ريح ولا حركة ثمة ولا مشاة ثم ولقد كنت في بعضها مرافقا
لجمع جم من وجوه مكة ورؤسائها وعلمائها من المالكية والحنفية فجرى الكلام
بينهم في ذلك فمنهم من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب لذلك
المحل والرقي الى اعلا احد الجبلين ليحاط بسبب ذلك الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو
ربع النهار ونحن لا نسمع شيئا وقد هدأ الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا حر
كة وفي اخر الامر سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة واحدة فقط فانصرفنا ومن المنكرين
من رجع ومنهم من اصر على انكاره وقد جاءنا فقيه ساكن يؤذن ويؤم في مسجد البلد
فسبيل محل في ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى اخره وفي غيرهما لا
يسمعونه الا احيانا والله اعلم بحقيقة ذلك لها اي للناقة بعد وفي نسخة قبل الاح
لها ارض حنين يقال انه جبل صغير قريب بدر والظاهر ان الناظم اعتمد في هذا على
ما هو مشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس غير حنين المذكور في الاية
الذي هو عين بين مكة والطايف ولظاهر قول الشارح ان نسخة قبل اوضح لان
حنينا بعد بدر ان لما ذكره الناظم مستند لكن يبقى هذا مع كون القاموس
الجامع المستوعب لم يذكره الا احتمالا وعنت لتلك الناقة وما هي فيه الصفراء
قرية معروفة منحرفة عن طريق اهل مصر لا يمرون عليها الا عند ذهابهم للزيارة
وخلفت اي خلفت بزوة اي جنتها المشهورة واسنادها ذلك اليه والرما بعده مجازي
برابغ فالجحفة محل بعيد رابغ كان بلدة مشهورة لليهود وقد دعا صلى الله عليه وسلم
ربه ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد حتى الطاير الاحمر وكان ميقات
الحجاج المتوجهين من هذه الطريق كما صح به الخبر عنها اي عن تلك الناقة لما انها
استبشرت بقطعها لتلك الاماكن ما اي ثوب التعب الذي حاكه اي نسجه
الانضاء اي الهزال شبه الهزال بحايك الثوب والثوب باثر الهزال من حيث ان الهزال
يوجب للبدن من التعب ما يعمه كما يستر الثوب البدن ثم خيله باثبات ما هو
من لوازم المشبه به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهي استعارة بالكناية
تتبعها

تتبعها استعارة تخييلية وترشيحية وارتقها اي ابصرتنا تلك الناقة الحلاص
من التعب بيرا على وهو اخر الجنة الاخ بعد رابغ الى مكة جعفاب الشو
ق بعدها بقليل فالخلطاء اي المحل المشهور الان بخليص فيه عين واسعة وبركة
كبيرة فهي اي تلك الناقة من ماء بير عسفان المشهورة او من ماء عيون بطن مر ظمآ
نة اي عطشانة خمصاء اي جوعانة لان العادة ان الحجيج اذا وصلوا لتلك نحو
عسفان اشتد شوقهم ولا تشتغلوا عن سقي دوابهم واطعامها الى ان يدخلوا مكة
قرب الزاهر المشهور وقبل ذي طوى المساجد المعروفة بمساجد عايشة
بالتنعيم منها اي الناقة اي وصلها المساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المسافة
بينهما نحو ميلين تخطاها اي بسبب شدة جريها لما حنت بالوصول فالبطو
الحاصل منها اوحداء بمهملة قبلها وا ومفتوحة اي سرعة وكان مراده لما حنت
بالوصول تغلب بطوها سرعة بمعنى ان بطوها زال وخلفته سرعة شديدة حذو
المذكورات عدة غالب المنازل بين مصر ومكة التي عليها المعول لان بها انتظام طريق الو
صول الى تلك المعاهد وينقع شكوى الواجد وينشط بسيرانها القاصد كالاصراء اي منازل
القمر الثمانية والعشرون التي عد عليه ذكره نظرا للعطف ما السماك
الاعزل الذي هو من منازل القمر ولهم سماك اخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس
من المنازل فالعواء منزلة من منازل القمر وهي خمسة انجم ولا يقتدي بهذه كما لا
عند المبلغ وحثى بها اي على تلك الناقة ارحل من مكة الى عرفة لان الحج عرفة كما صح
به الخبر ولانه باب الملك الذي يقف به السائل يلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة
للمبيت بها لانها نسك واجب او مندوب او ركن كالوقوف اقوال اصحها عندنا الاول
ولان فيها مغفرة الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا وفي حديث في سنده ضعف انه صلى الله
عليه وسلم دعا ربه بعرفة ان يعفو عن امته بالجم حتى التبعات فلم يستجب له فدعا بذلك
في مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمي والمبيت بها او الى بقية المشاعر التي حول مكة
وبها متحسرا اي حال كون تلك الناقة كالمتحسر لرتعها على الروضة ما هي قاصدته و

فوت سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس استعارة بالكناية
واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل والبيد تجريد لها لاستهدم التشبيه الذي
هو الناقة **سمأ وزها** اي تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر **البيداء** اي المفازة
الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر وشبه البيدا التي هي محل سيرها
بالسما التي هي محل سير الشمس بجامع السعة ولما ذكر مكة استطرد الى ذكر ما
شرفها الله به على سائر البلاد فقال **موضع البيت** اي الكعبة بالجر بدل من مكة بدل
بعض من كل وبالرفع خبر مبتدإ محذوف وعليه فمعنى كونها موضعه انه في بعضها وفيه
اقتباس من قوله تعالى او بينت الاية **مهبط الوحي** نعت او بدل بعد بدل او معطوف
بحذف العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال فيما بعده محل نزوله عليه صلى
الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء به النبي
المبعوث عن ربه على لسان الملك او بالالهام او في النوم او بالالقاء في الروع **ماوي** مرجع
فلان الى منزله **الرسل** الكرام بل وسائر الانبيا وهو تعريف النبي والرسول والكتاب لانه
ما من نبي الا حج البيت كما في حديث واستشاطح وهو لاشتغالهما بامر فوقها
لم يصح **حيث** ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما قبله **الانوار** الالهية متنزلة
وقدر هذا لان الاحسن منع اضافة حيث الى المفرد اي تنزلها دائما على قلوب الطا
يفين والعاكفين والركع السجود و**حيث البهاء** اي الحسن المعنوي المكنى به عن حصول
ملايم النفس من الحكم والمعارف المضافة على اهل تلك الحضرة الالهية والمعاهد
الربانية حققنا الله لنا ذلك فيها بمنه وكرمه امين وراعى النظير بذكر الوحي والرسل والانوار
والبهاء وكذا الطواف وما بعده فيما ياتي **حيث فرض الطواف** في حج او عمرة وما خارجهما
فهو حيث لم ينذر سنة موكدة ورد فيه فضايل جمة تحمل من احاط بها على مزيد
الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا انه للغربا افضل من الصلاة لانه عبادة خاصة بهذا
المحل لا توجد في غيره واختلفوا في ايها افضل اركان الحج هو او الوقوف بعرفة فقال جمع
هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها بخلاف الوقوف وبانه امر عام .. لا يشترط

فيه

فيه شروطها ولذا لم يقبل الصرف وقال اخرون بل الوقوف للحديث الصحيح الحج عرفة اي معظمه
ذلك لان من ادركه ادركه بخلاف الطواف ولانه المتكفل بمغفرة الذنوب وفضل المعتمر
كما في الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر بغاية الذل والافتقار بخلاف
بقية الاركان وهذا هو الاصح كما حررناه في كتبنا الفقهية و**حيث السعي** اي فرضه في احدهما
ايضا بنا على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه و**حيث الحلق** والتقصير
في احدهما ايضا اي فرضه بنا على الاصح عندنا انه ركن و**حيث رمي الجمار** اي ايجابه لا على
جهة الركنية و**حيث الاهداء** اي سوق الهدي الى مكة ثم ذبحه بها وتفرقته على ثلاثة
من مساكينها المقيمين والغربا والاولون اولى الا ان يكون الغربا احوج والمراد بمكة
كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف من مذهبنا الذي هو مذهب الناظم ان
اصل الاهداء سنة ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها من المدينة وهو
مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت في زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها
الناس واعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يريد بالاهداء كل دم وجب في النسك او توابعه اثم
بسببه كالواجبات عليه او لاجل التمتع وموضع تفاصيل ذلك كله كتب الفقه والمنا
سك وذكره الفرض في الطواف فقط موهم انه فرض دائما فلا يتنفل به وان ما
بعده ليس بفرض مع انه فيه ما هو ركن ولا يتصور ندبه ولا وجوبه في النسك
وهو السعي والحلق وما هو واجب لا ركن وهو الرمي وما هو واجب تارة وهو
ما حصل لترفه او جناية ومندوب اخرى وهو ما فعل تطوعا اي من غير سبب وكان
الناظم وكل الامر في هذا التفصيل لشهرته وانه ليس بصدد ذلك **حيث الحيث** تاكيد
لفظي وهو سائغ هنا حصرا او الكتب الكلامية على حبذا بما يغني مراجعته **معاهد**
جمع معهد وهو في الاصل المنزل الذي يعود اليه معارفوه دايما وهذه المواضع كذلك
لان من عرفها فهو عائد اليها بالفعل تارة وبالعزم اخرى **منهجها** اي مكة احترازا على
بقعتها كالكعبة ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من المواضع المانوس بها وبالحرم عموما ومزدلفة بل وخارجه كعرفة **لمن خير**

٢٣٨

لبيارقهن اي علاماتهن الدالة على شرفهن من تعظيم الامة لهن وازدحامهم على التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن **البلاء** بفتح الباء اي طول المدة الذي من شانه ان يغير الا شيا عما هي عليه وذلك لان الله تعالى صانها من التغيير لحرمتها لديه وبقطها عنده وليستهر لهذه الامة التمتع بها الى اخره والمراد هو **حرم** محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق السموات والارض كما في الحديث الصحيح وحديث ان ابراهيم حرم مكة المراد انه اظهر حرمتها التي كانت خفية على الناس فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت بدل كل من بعض على حد جنات عدن في مريم بنا على اثبات ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم ينظروا الا نكار الجمهور له ولمن منع الاستدلال بالاية نظرا الى ان ال في الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل منه الكل والعهد الخارج لانه لا خارج حتى يكون معهودا او الذهني لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة وهي موضوعة لبعض وكان وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر من وجوه المنع انه نظر الى ان جنات عدن علم على الجنان الثمانية الموجودة الان والجنة حيث اطلقت فانما يتبادر منها واحدة من تلك الثمانية جمع اقسامها انه بدل كل من بعض بهذا الاعتبار وامر تجويز انه بدل كل من كل نظرا الى ان جنة عدن علم كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون ابدال علم من نكرة وذلك اقرب الى كونه كل من كل وقد يجاب عنه بان هذا المدلول الشخصي الشرعي الخارجي من مدلول النكرة الذي هو الفرد المنتشر وذلك اقرب الى كونه جعل كل من بعض منه الى كون بدل كل من كل وبهذا الذي قررته يكفي مثله في اثبات ذلك الراي المخالف لراي الجمهور فيندفع ما اطال به السيد من التشنيع على ما اثبت كيف وقايله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب ما خذه بل وحتمل لا تشنيع على قايله ويجوز فيه القطع نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة في كتب الايمة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه **امنا** اي يامن من فيه من شر الغارات واستباحة الحرمات بل كان الانسان يقتل ابيه فيه فلا يتعرض له ولما دخله الطوفان لم يعد فيه ولما جا على ابن وكان رجل من قوم ابرهة فيه فلم يجبه من رمي الابابيل شي حتى خرج منه

هذا

هذا لجو الجاهلية واما بقتضه صلى الله عليه وسلم فالمراد امن صيوده وشجره ونباته وكذا لقطته وترابه من ان يتعرض احد اليها بقتل او قلع او قطع او تملك او نقل الا ما استثني وهذا مقتبس من قوله تعالى حرما امنا وفيه كبيت حرام الاية نوع تلميح **وبيت حرام** اي ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس **ومقام** بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم وهو الحجر الذي نزل لابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا محمد وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين وسلم من الجنة كما جا به الحديث ليقوم عليه عند بنايه الكعبة اذا طال البنا فكان يعلوا به الى ان يضع الحجر في محله ثم يقصر به الى ان يتناول الحجر من اسمعيل صلى الله عليه وسلم وفيه اثر قدميه الكريمتين وهو الذي قام عليه لما فرغ من بناء الكعبة ايها الناس ان الله قد بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعه النطق في الاصلاب والاجنة في الارحام فاجابوه بلبيك وفي رواية انه نادى بذلك على الحجون ولا تنافي لاحتمال انه نادى مرتين قال الايمة وبقاوه من غير ان يتعرض له احد في الجاهلية ومع كثرة السيول التي كانت تدخل الحرم وتزحزح ما هو اكبر منه باضعاف منقطعة من ايات الله الباهرة واختلفوا في موضعه الموجود فيه اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم اولا وانما كان عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله تعالى عنه الى موضعه اليوم اجتهادا منه قولان اصحهما الاول ومن الغرايب ما قيل المراد الحجر الذي وضع الخليل عليه رجليه لما جاء بعد موت هاجر ليزور اسمعيل فوجده غايبا فسال عن حاله زوجته فشكت فقال عليه الصلاة والسلام مري زوجك ان يغير عتبة بابه فجاء فاخبرته فطلقها ثم جاء وقد تزوج الاخرى فوجده غايبا فسال عن حالهم فاثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه فابى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه عليه وامال لها راسه فغاضت قدمه فيه ثم حولته فغاضت الاخرى فيه ثم قال لها مري زوجك فليلزم عتبة بابه **فيه** اي البيت او الحرم ولا يبعد عوده للمقام نظير ومن دخله كان امنا **المقام** بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي الاقامة **بلا** بفتح العوفية اي جوار لقصد التعرض لرحمات واقالة العثرات وكانه اخذ هذا من ان

اهل مكة يسمون جيران الله اي بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى هذه
اللفظة مع خفايها واشتراكها بين معان كما في القاموس لا سيما مع منعها هنا الا هذا
وبين حرم وحرا وجناس الاشتقاق كهوا وشبهه بين مقام والمقام وما ياتي من قضينا والقضا
ورمينا ورمي وينشر ونشر وشمت وسممت وقاب وروحضتها والرحضا وحططنا
ونحط وقرانا والاقرا وسمحنا ويسمح وذهلنا واذهل وقضينا اي ادينا اذ القضا يطلق على الادا
ذا لغة كما في قضية الدين بها اي بمكة وما ينسب اليها كعرفة ومزدلفة ومنى مناسك
جمع منسك من النسك وهو العبادة اي اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما لا يحمد الا
في فعلهن القضا اي لا يحمد الادا حمدا مخصوصا في فعل عبادة الا في فعلهن كيف وقد
يتميز به الحج المتكفل بالجنة من عمل اخرى وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته
امه وبكونه انشعث اغبر وبمنعه من ملذوذاته الحسية والمعنوية وبفراقه لاهله وو
طنه وبتكبير لتقاته على ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما او يرفعها الا كتب الله
له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولي مخصوصا يندفع ما يورد على الناظم ان غير الحج
الا فضل منه والمساوي له والمقصور عنه يحمد فاعله ايضا تنبيه بما قررته في قوله فقضينا
والقضا يندفع ما للشارح هنا ومن جملته قوله لا يفسر القضا اخر البيت بالفعل ويتعين
انه الفراغ او ضد الادا فيفسر القضا بما ليس معناه لغة لا شرعا وبما لا يتصور في الحج وهو
قوله او ضد الادا على ان استعمال القضا بمعنى الادا اشهر من الشمس لغة وشرعا
وقد حقق بعض المتاخرين ان القضا لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته
العمر وتضيقه بنحو خوف غصب او مال او موت لا يقتضي انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون
قضا فيما بعد ذلك الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلاة تضيق عليه فعلها في الوقت
ثم بان خلافا ما ظنه انها تصير قضا وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافه للكثيرين
انها ادا كما اتفق عليه الاصليون اذ القضا ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا تنبيه
ثان لا يتوهم ان ما وقع في النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه لان محل ما قاله الجمهور
من منع تقديمه انما هو اذا كان هو والمستثنى منه نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون
فان تقدم

فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب والذي عليه الاخفش وصححه ابو حيان جوازه
ان كان العامل متصرفا فقط نحو الا كل شيء ما خلا الله باطل فالمستثنى من ضمير باطل العامل في ذلك
الضمير وما هنا لا تقدم فيه على مستثنى لانه مقدر كما قررته ولا على عامله وانما هو على اذ المرتكن
الا الشيون شافع وحكى سيبويه ما لي الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا وابوك مبدل
منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة ومن قاس الكوفيون والبغداديون وابن مالك
وعليه فلا اعتراض على المتن ورمينا بها اي الناقة الفجاج جمع فج وهو الطريق
اي الفناها فيها لتسير بنا الى طيبة هي المدينة على مشرفها افضل الصلاة والسلام سميت بذلك
لان الله تعالى طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها دار هجرته ومحل نصرته وموضع تربته
ولها اسما كثيرة جدا والسير بالمطايا جمع مطية وهي الدابة تمطو اي تجد في سيرها
رماء مصدر راميته اي شبه سير السهم اذا رمي به وسببه ان سيرها يشبه سير السهم
اشبهت القوس وحبيبة اصبنا عن قوسها غرض القرب اي الى المدينة المشبهة
بالغرض في كونه المقصود بالرمي والسير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة بالكناية
واثبات الرمي استعارة تخييلية وذكر الغرض والقوس ترشيح وكونها شبهت بالقوس
فهي استعارة بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم والاصابة والغرض
ترشيح ونعم الخبيئة اي الذخيرة الناقة الكوماء هي المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا
محذوف وعكسه فقول الشارح انه صفة الخبيئة ليس في محله وهي الكوماء العظيمة
السنام فرابنا اي ابصرنا المدينة وما حواليها التي شرفها الله تعالى بان جعلها ارض الحبيب
اي حبيب رب العالمين فنبينا صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذي هو اعلى واجل من مقام الخلة
لان المحبة الكاملة تستلزم الخلة وزيادة اي ارض المدينة وما حواليها يغض معجون
منها اي من اجل الجلالة التي جعلتها الضياء المشرق عليها حسا ومعنى واللالا اي
البرق اللامع على صفحاتها المشار به الى مواهب الحق المعاضة على الزائرين وفي الضيا واللالا
مراعاة النظير وبطاني بالتشديد وفتح تخفيف نحو كان لو يدعها الرضوهيه للتشبيه المؤكد
لما ذكرانه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة والاصل نحو كان زيدا اسد الله كالاسد

فهي حرف التشبيه اهتماما به فبحث أن دخول الجار عليها قال بعضهم وانما تستعمل حيث
يقوى التشبيه حتى يكاد الرامي يشك في أن المشبه هو المشبه به او غيره ولذلك قالت بلقيس كانه
هو وقيل ترد للظن والشك فيما اذا كان خبرها غير جامد البيداء من تلك الارض وهو اسم
لمحل قريب من ذي الحليفة المشهورة اليوم بأبيار علي من التعليل او ابتداء الغاية فكل منهما
والاحسن انها زايدة على مذهب الاخفش وجماعة حيث ما زايدة قابلت الهيني الناظرة
اليها روضة غناء اي كثيرة العشب والنبات والازهار والثمار وكان البقاع اي الاماكن
اللاتي حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار والاضواء المنزلة على ضريحه الكريم
صلى الله عليه وسلم زرت عليها اي البقاع طرحيها عايد لقوله ملاءة بضم اوله وهو ثوب عربي
او ثوبان ملفوقان كذا قيل وعبارة شرحي لشمايل الترمذي الملاءة بالضم والمد وهي كما
في القاموس كل ثوب لم يضم بعضه الى بعض بخيط بل كله نسج واحد وفي النهاية هي الا
زار وفي الصحاح هي الملحفة ولا ينافي لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين انتهت
وبها يعلم أن الثوبين الملفوقين ملاتان لا ملاة واحدة حمراء تشبه تلك الانوار
والاضواء التي غشيت تلك البقاع وعمتها من ساير جوانبها بخيمة حمراء شدت
على ما فيها ازرارها في عراها من ساير جوانبها وكان الارجاء اي نواحي المدينة الغراء
ينشر اي يخرج نشر اي ريح المسك فيها اي تلك الارجاء الجنوب وهي الريح التي تقابل الشمال
والجربياء بكسر الجيم ككيمياء وهي كما في القاموس الشمال او بردها او الريح بين الجنوب وا
لصبا وهي التي تثير السحاب وهي المرادة هنا واذا اشمت بكسر الشين المعجمة اي نظرت
الى سحايب البرق الحق اي تمطر تلك البقاع او شمت في القاموس شمته بالكسر اشمه
بالفتح وشممته اشمه بالضم رباها جمع ربوة بتثليث الراء وهي ما ارتفع من الارض لاح
اي ظهر وهو راجع لشمت منها اي تلك البقاع برق راجع للاول وفاح راجع لشممته ففيه
لف ونشر مرتب كباء بوزن كساء عود البخور او ضرب منه اي ريحه من كبا بالتشديد اذا بخر
ثوبه اي بخره وبين لاح وفاح جناس مضارع اي نورا اي نورا باهرا او اي نور بفتح اوله اي
زهر نضير وبينهما الجناس المحرف ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي شهدنا

هما أي

هما أي رأينا هما بأبصارنا وبصايرنا يوم نضرب لشهدنا أبدت لنا القباب التي هناك قبا بد
على مشهور فيه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال قرة معي أي كثير انهمل منها من أجل
ما شهدته حسرة على ما مضى لي من قرار فعلوا وبردا بوصولي اليه او خوفا من التقصير
بعدم رعاية الادب في تلك الحضرة الجليلة وقد أي ذهب اصطباري لا سيما بعد ان
وطئت الرهدة الربا وانحت رحلي بقبا وبين جزع وعبر الجناس المصحف فطن موقي بسيل عظيم
وصبري جفاء بالضم المهملة أي زبد فكما ان السيل يذهب بذلك الزبد في اسرع وقت فكذلك
دموعي تذهب بصبري فلا يبقى عندي منه شيء وهذا من جناس التذييل كقوله الآتي وكم
اذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب وبسبب ما ذكر أن ما شهدته يوجب كثرة الدمع
وفقد الصبر ترى ايها المخاطب الركب طايرين أي جادين في السير حاثين لدوابهم
ليستخرجوا منها اقصى ما يمكنها من الاسراع من أجل الشوق الى طيبة فيكيف
بمشرفها عليه افضل الصلاة والسلام لهم ضوضاء أي اصوات عالية بالصلاة والسلام
عليه صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضا مقصورة الجلبة واصوات الناس لغة في
المهموزة انتهت وبها يعلم رد ما قاله الشارح فكان عطف على قوله ترى الزوار ما
مست الباساء اي شدة السير ومشقته منهم خلقا ولا الضراء تأكيد لما قبله وكيف
بمسهم شيء من ذلك وكل نفس منهم يتكرر منها ابتهال اي تضرع الى الله تعالى بان يقيل
عثارها ويقبل آثارها وسؤال في توسل الى الله تعالى باحب خلقه اليه ودعاء اطناب
ورغبة فيما عند الله تعالى من جزيل الثواب وابتغاء اي طلب لما عند الله تعالى وزفير اي
تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعتري القلب من خشية المواخذة لما فرط منه و
تعسير الشارح تارة باغتراف النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تمامه
الذي لا بد منه في حده نظن ايها المخاطب منه اي من اجل كثرة ذلك الزفير وشدته بحيث
يسمع له صوت في الصدور ومن ثم جاء ان صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف كان يسمع
له ازيز كازيز المرجل صدورا مفعوله الاول طيورا صادحات اي مصوتات يعتادهن
زقاء بالزاي والقاف اي صوت بطول والحاصل ان ذلك الزفير من شدته تظن له في صدورهم صوت

نخ الزوار

اشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت ويكاد يغريه
بالعين اي يحمله على ملازمته لها مدا اي سيل من الدموع نشا من حرقة القلب من فراق المحبوب
او خشية قطيعة او عن فرحة بلقيا الحبيب والمثول في حضرته ونحيب وهو رفع الصوت بالبكا
يحثه اي يحمله ويزيد فيه استهلالا اي علو الصوت بشدة وجسوم كانما رحضتها اي
غسلتها ولذا سمي المغتسل مرحاضا من عظيم المهابة اي الجلالة التي استولت على قلو
بهم لما اناخوا رحالهم بتلك الحضرة الجليلة الرحضاء اي العرق الكثير من اثر الحمى اي
جسوم قام بها من عظيم المهابة ما ازعجتها ازعاجا يتولد عنه كثرة عرقها حتى
كانه غسلها ووجوه تتلون بالالوان المختلفة لشدة ما عندهم من القلق والخوف وا
لحيا منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه بوصف التقصير وعدم كمال الاتباع له كانما
البستها من اي جلدها بالمد ومن تعبير وانه غريزي باعتبار اصله ومكتسب
باعتبار كماله الوانها الحرباء وهي دويبة مشهورة ذات الوان متعددة تستقبل
الشمس براسها ودموع من شدة البكا والحزن على عدم القيام بواجب تلك الحضرة
ومشرفها عليه افضل الصلاة والسلام كانما ارسلتها من جفون سحابة وطفاء
اي مسترخية الجوانب لكثرة ما فيها شبه ما عندهم من الحزن الباعث لهم على
غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوة ماء ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف
وخيل باثبات السحابة للمشبه هو ففيه اربع استعارات وفي قوله كل يعجز الى هنا من طر
علامات التنظير والانسجام البديع الذي هو سهولة الالفاظ وعذوبتها بحيث تشابه الماء
العذب الذي من شانه الانسجام والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذي ذوق عليم
بلاغة ومر له كثير من هذا النوع فبعد ان وصلنا الى ذلك القبر المكرم على ما بينا مما مر
شرحه بقوله كل يعجز الى هنا حططنا الرحال بفنا كرمه صلى الله عليه وسلم نستمطر سحائب
القبول والانعام ونستقيل عثرات التقصير والاثام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما حيث اي في مكان يحط
الوزر اي الاثم والثقل عنا فيه بشفاعة مشرفه صلى الله عليه وسلم وترفع بلحظه واسعافه

وامداده

وامداده عنا الحوجاء اي الحاجة بفنا النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى
يصل الى العيان وتستغني عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع الطباق وقرانا
السلام اكرم اي على اكرم خلق الله وافضلهم كما مرت الاشارة اليه مستوفيات اول
هذا الشرح وافتخر الناظم في هذا البيت بانه قد جاء افراد السلام عليه صلى الله عليه وسلم
عن ابن عمر من السلف بان قال النجم اللغوي السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره افضل من
الصلاة عليه عنده اي للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من احد يسلم علي عند قبري الا رد
الله علي روحي حتى ارد عليه السلام ويعارضه الحديث الصحيح انه تعالى يصلي هو وملائكته
على المصلي عليه في الصلاة الواحدة عشرا وفي رواية مائة وصلاة الله افضل من رده
صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعا لا يرد على انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام
فالاولى ان توجه افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية فينبغي تخصيص افضليته
بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى من استمرار
السلام وان كان باقيا في مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلماء فانهم لما ذكروا
ان الزائر يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من حيث
اي من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذي يسمع الاقراء للسلام منه وفيه رد
العجز على الصدر وما اقتضاه كلامه من ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه
عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة وان من صلى او سلم
عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل عليه احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي
الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها جملة
في الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل
انه غريب من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد اعلمته
وفي وان نوزع فيه ما من احد يسلم علي الا رد الله الي روحي حتى ارد عليه السلام وفي
من غير نزاع فيه يقتضيه به من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه
النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول

الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت اي بليت فقال ان الله عز
وجل حرم على الارض ان تاكل من اجساد الانبياء وفي رواية زيادة فنبي الله حي يرزق
وبقيت احاديث اخر معارضة جمعت بينهما في الكتاب السابق بانه صلى الله
عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من بعيد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف
ومع سماعه لهما يبلغهما ايضا زيادة في اكرام الزائر والاعتناء بشانه والامتداد له
بذلك سواء ليلة الجمعة وغيرها واما رده فهو عام لمن عند قبره ولغيره لانه ما من مسلم يسلم على
قبر اخيه المومن فسمعه ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم تكن له
خصوصية بذلك وكفى الزائر شرفا وتميزا انه صلى الله عليه يسمع صوته من غير واسطة
ويكفي المصلي والمسلم من بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم ومعنى رد روحه صلى الله
عليه وسلم السابق نطقه لانه صلى الله عليه وسلم حي على الدوام بروحه لم تفارقه ابدا وفي
الانبياء احياء في قبورهم يصلون والاحاديث في ذلك كثيرة جمعها الامام البيهقي في
جزء واستدل بها على دوام حياة الانبياء عليهم الصلوة والسلام حياة مخصوصة اعلى
واتم من حياة الشهداء المنصوص عليها في القران وذهلنا اي غبنا عن احساسنا
او عن ما نحن بصدده عند اللقاء لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال وبهاء ماعدا
ذلك الجمال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل صبا اي شديد الصبابة التي هي
رقة الشوق وغلبة اشتياق به من الحبيب اي المحبوب وهو متعلق بقوله لقاء
كان من شانه ان يذهل الصب ويخرس الفصيح ويقيهما عما عند المحبوب والا +
ستلذاذ بشهوده وانسه ورجعنا بقلب الجميع اي سكتنا عن الكلام عند اللقا
وبقاء ما دمنا في تلك الحضرة العلية فلم يبق فينا متسع له من اجل المهابة اي
الاجلال والمخافة حتى اجتمع علينا امران لا نجد ما يوجد اجتماعهما الا في نحو هذا
المقام وهما لا كلام منا فيما نريد ولا ابتداء منا بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من
قهره الجلال واستولت عليه خوارق الاحوال كما قال القائل وكم رمت
بث الشوق عند لقائه فلما التقينا ما ملكت ولا حربا ورجعنا اي بلادنا والغلو

التعلقات

التعلقات كثيرة جدا برعاية المقام اليه اي نبينا صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة
للمثول بين يديه صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه
وسلم والجسوم جمع جسم وجسم الشيء جرمه الثانية من الارض انشاء اي انعطاف الى البقاء
في حضرته صلى الله عليه وسلم ابدا ان تيسير الامالي تكمل زيارته صلى الله عليه وسلم وسمعنا
اي جدنا بها اي بتغيبها لا يوجد احد بمثله وهو التمتع بتلك الحضرة العلية الذي
نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام بمن
فيها لحقوق الملازم علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات وايضا واننا وان كنا نخلا بهذا
الفراق لنا اسوة بالخلائق في ذلك وقد وقع يقينا انه يسمع عند الضرورة التي لا
يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها وبين السماع والبخل الطباق
ولما تمم مقصد زيارته صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع ينادي به صلى الله
عليه وسلم بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه من تلك القسيمة
التي والاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة كلها تتضمن ما هو بصدده من
مدحه صلى الله عليه وسلم والثناء عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في الدنيا
والاخرة ويامن به من كل محنة باطنة او ظاهرة ومن ثم ختم جواب اقسامه بقوله
الاتي الامان الامان الخ فقال يا ابا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص بها
فلا يجوز لاحد التكني بها مطلقا على الاصح عندنا سواء في زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده
لمن اسمه محمد وغيره لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي والعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هنا فان سبب
النهي ان اليهود كانوا يتنادون بذلك فيلتفت صلى الله عليه وسلم لهم فيقولون له لا نعنيك
فنهى الناس عن التكني بذلك ومن ثم اخذ بعضنا بمنعنا ان المنع خاص بزمن حياته
صلى الله عليه وسلم وبعضهم انه خاص بمن اسمه محمد وتكنية علي كرم الله وجهه ولده
محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم ان خصوصية
له وتكنية غيره بذلك اجتهاد منه ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به

صلى الله عليه وسلم الاعلام بانه هو الخليفة الاعظم عن الله تعالى في جميع شوونه لا سيما
مقام قسمة الارزاق والعلوم والمعارف والطاعات ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح ايضا انما انا قاسم والله يعطي ولاجل هذا اعلم ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم
انه اعطي مفاتيح الخزاين قال بعض العلماء وهي اجناس خزاين العالم ليخرج لهم بقدر
ما يطلبون فكل ما ظهر في هذا العالم فانه يعطيه صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح
وكما اختص تعالى بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله عليه
وسلم باعطايه مفاتيح الخزاين الالهية فلا يخرج منها شي الا على يديه صلى الله عليه
وسلم وقيل انما كني بذلك لانه كان ولد من خديجة رضي الله تعالى عنها يسمى القاسم
الذي ضمن من تضمن كذا اشتمل عليه اقسامي عليه بكسر الهمزة بالاقسام
الكثيرة الاتية في نيل مطلوبي منه صلى الله عليه وسلم مدح فرقوا بينه وبين الحمد باموراعرف
احدها ان الحمد على الجميل الاختياري والمدح على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن ثانيها
وثالثها ان الحمد انما يكون عن علم وبصفة كمال والمدح يكون عن ظن وبصفة مستحسنة
وان كان فيها نقص ما رابعها ان في الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح وا
لحمد اختص بالعقلا والعظما واكثر اطلاقه على الله تعالى وقول الكشاف انهما اخوان
اي متشابهان لا مترادفان قاله الطيبي وقال السعيد بل مترادفان واستدل له
بكلام الفايق وانتصر بعض المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه واكثر العلماء
على ان الحمد يختص بالاختياري والمدح اعم له وثناء هو على القول الاخير مرادف
للمدح لانه ما يكون الا في الخير الاختياري وغيره والمدح على ذلك القول كذلك وبه
لما تقرر ان عليه اكثر العلما يندفع قول الشارح هذا من مراعات النظير وعلى ما
قبل الاخير يكون فيه مراعات النظير في الجملة وعليه يحمل كلام الشارح اما الحمد وا
لمدح فبينهما تقابل او مراعات النظير او تراد في بالعلوم اي اقسم عليك بها
لتشفعن لي بما يومنني من كل مكروه بان يعطيني الله الامان منه وكذا يقال في الا
قسام الاتية والمراد بها هنا التشفع والاستعطاف لباب سواله ومن ثم قال

احمانا

احمانا اي اقسم او اقسمت عليك لتفعلن كذا انه لا يكون يمينا الان نواه وجعله
اول الاقسام لان مرتبة العلم لا اعلى منها ولا مساوي لها ومن ثم لم يومر صلى الله عليه وسلم
بالسوال للزيادة مما هو عليه الا العلم وقل رب زدني علما وهو صفة يتجلى بها المذكور
لمن قامت به تجليا يمنع من احتمال النقيض التي تنزلت عليك من الله
حال كونها بلا كاتب من الجمع الكتب وهو الجمع وانما الموصل لها اليك امل
اي اقرا من جبريل وهذا الذي قررته في اعراب هذا البيت اولى مما سلكه الشارح
وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة والاملا طباق واقسم عليك بما
ثبت ايضا من مسير الصبا وهي الريح التي مهبطها مطلع الشمس عند استواء
الليل والنهار وهي مراد الحسن في قوله اذا جعلت ظهرك الى باب الكعبة فالصبا
تقابلك ومستقبلها في الكعبة وقول ابن يونس الصبا ما جاء من قبل وجه
الكعبة ويطلق على ما يهب من يمين هذا المطلع الى قريب مهب سهيل ويساره
الى قريب القطب الشمالي واخرج ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ما بين
مطلع الشمس والجدي يسمى صبا ويسمى شمالا وتسميته صبا صرح عثمان
الاعرج من السلف حيث قال حد الصبا من مطلع الشمس الى كرسي بنات نعش
وفي القاموس الشمال الريح تهب من قبل الحجر اي بكسر الحا ثم قال والصحيح انه ما مهبه
من مطلع الشمس وبنات نعش او من مطلع الشمس الى مسقط النسر الطاير
وقيل الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا الى بنات نعش والدبور ريح تقابل الصبا
والجنوب ريح تخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ولهذه الريح
اثر عجيب في نصرته صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر
بنصرك اي بسببه وهو الرعب الذي قطع قلوب اعدايه واخمد شوكتهم
وبدد جموعهم شهرا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور مع قوله اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره صلى الله عليه وسلم

٢٤٩

وهو الرعب اي الخوف منه المزعج لاعدائه مسافة شهر من سائر نواحي المدينة
فلم يرجع احد منهم راسه الا اختطفته لوامع سيوف نصره صلى الله عليه وسلم وفواصل
اسنة قهره عليه الصلاة والسلام والتحديد بالشهر اشارة الى انه لم يستولي عليه كما تزيد
مسافته في حياته صلى الله عليه وسلم على شهر ولا ينافي ذلك ان ملك امته يزيد على ذلك
بكثير جدا او احترازا عن غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان رعبهم ان وجد لا
يصل الى هذه المسافة وفي رواية نصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم
مسيرة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا وانما جعل الغاية شهرا
لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين احد من اعدائه اكثر من شهر وهذه
الخصوصية حاصلة له على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة
لامته من بعده فيه احتمالات اظهرها كما تقضي به المشاهدة انهم رزقوا
من ذلك حظا وافرا وكان الصبا الذي الرخاء وهي الريح اللينة المسخرة
لسليمان صلى الله عليه وسلم غدوها شهر ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم اظهر واعظم لان تلك سخرت لذات سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه سخرت
لحفظه من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهي هيبته عليه الصلاة والسلام وايضا فتلك
انما كانت تسير بعد امر سليمان لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر
من نبينا صلى الله عليه وسلم فهو من تشبيه الادنى بالاعلى نظير كما صليت على ابراهيم في صلاة
التشهد على احد الاجوبة فيه وفي ذكر الرخا بعد الصبا مراعاة النظير تنبيه
اصول الرياح اربعة الصبا وهي التي تهب من جهة باب الكعبة وهي حارة يابسة
والدبور من ورائها باردة رطبة والجنوب من جهة يمينها حارة رطبة والشمال
من جهة شمالها باردة يابسة واشرت بقولي اصول الى ان لهم فروعا كالنكبا
وفسرها بعض السلف بانها بين الصبا والجنوب والذي في القاموس الكلام فيها و
حاصل النكبا ريح انحرفت ووقعت بين ريحين او بين الصبا والشمال او نكب
الريح الاربع نكبا الصبا والجنوب والحايبا وتسمى النكيبا ايضا نكبا الصبا
والشمال

والشمال والجربيا ونكبا الشمال والدبور وهي نيحة الازيب والهيف نكبا الجنوب والدبور
وهي نتيجة النكيبا وهي وتعبير كل بما ذكر فيه هو الاصل ولا ينافي ما مر انه قد يطلق
بعضها على خلاف بعض ما فسرت به هنا وفي القاموس الجنوب ريح تخالف الشمال مهبه
من مطلع سهيل الى مطلع الثريا تنبيه ثان روى مسلم ان الشمال ريح الجنة التي تهب
عليهم وينافيه الحديث الذي اخرجه ابن جرير وابن مردويه وابن ابي الدنيا وابو الشيخ
ريح الجنوب من الجنة وهي اللواقح وفيها منافع للناس والشمال من النار تخرج فتمر
بالجنة فتصيبها نفحة منها فبردها من ذلك ويجاب بان ما ذكر في الحديث
الاخير هو حال الشمال في الدنيا بخروجها اولا من النار ثم تكتسب بريح الجنة وبردها
وحكمة ذلك جمعها للقوة النارية والقوة البردية لان من شان الاولى كثرة الحركة و
شدة الانضاج والثانية ملايمة النفس وازالة كدرها فهذا حالها في الدنيا وما
في الحديث الاول هو حالها في الاخرة فاهل الجنة لا يرون سواها كما يصرح به قوله
وهي ريح الجنة وحديث ريح الجنوب من الجنة غاية امرهما انهما يدلان على ان ريح الجنوب
من بعض رياح الجنة وما دل عليه حديث الشمال من ذكر حاليها وما اختصت به
في الدنيا والاخرة اعلا مما دل عليه حديث الجنوب فتامله فان قلت جاء عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما ان الجنوب سيد الارواح واسمها عند الله تعالى الازيب
قلت هو معارض بما جاء عن قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله
تعالى عنهما الشمال ملح الارض ولولا الشمال لانتنت الارض وهذه فائدة جليلة
دنيوية نشات عن خروجها اولا من النار وخلت عنها الجنوب ولئن كان الشمال افضل
اوبقا كل منهما افضل من وجه فالجنوب لكونها تخرج اولا من الجنة هي التي تهب على
اهل الجنة فيها هذا كله بفرض تكافي سند الحديثين وليس الامر كذلك اذ سند حديث
مسلم لا يوازيه شي وحينئذ لا يعارض حديثه شي من الاحاديث الاخر لانها ليست
في رتبته بل ولا قريب منها لانها من حيز الضعيف وهو لا يعارض الصحيح اصلا وفي اثر
عثمان الاعرج انه ذكر الارواح الاربعة وحدكل فقط الا الشمال فزاد انها من الجنة

نحن فنأخذ من طيب عرفها وفيه أن الأربع مساكنها تحت أجنحة الكروبيين حملة
العرش وأنها تهيج فتنفع بحملة الشمس فتعين الملائكة على جرها ثم تهيج من حملة
الشمس فتقع في البحر ثم تهيج من البحر فتنفع في رؤوس الجبال فتقع في البر ثم ذكر أن
أحد الشمال من كرسي بنات نعش إلى مغرب الشمس وحد الدبور منه إلى مطلع
سهيل والجنوب منه إلى مطلع الشمس والصبا منه إلى كرسي بنات نعش وإن قلت
علم مما تقرر أن كلا من الجنوب والشمال له مزية بخلاف الصبا مع أنها التي خص منه صلى
الله عليه وسلم وكان القياس أن تكون نصرته صلى الله عليه وسلم بأحد تينك لتكون الأ
فضل لو من وجه للأفضل بل كان القياس اختصاص ذلك بالشمال لما تقرر أنها الأفضل
مطلقا قلت إن أخذنا بما عرف مما مر أن الشمال تطلق على ما يعم الصبا فالأمر
واضح وإن قلنا بتغايرهما كما هو الأصل فحكمة ذلك والله أعلم أن وقت مهب الصبا
هو المعين على قتال العدو بخلاف وقت مهب الشمال وقد يكون في المفضول
مزية بل مزايا لا توجد في الفاضل فتأمل ذلك كله فإنه مهم مع أني لم أر أحدا أشار
لشيء من ذلك قال بعض المفسرين والريح مسكنها تحت الأرض الثانية كما ورد في الحديث
الصحيح وفيه لما أراد الله سبحانه أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا
ليهلكهم فقال يا رب أرسل عليهم بقدر منخر الثور فقال له الجبار سبحانه كنت
تكفي الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر الخاتم قال في الحديث والأرض الثالثة
فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حيات جهنم
والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد
فإذا أراد الله أن يطلقه لما شاء من عباده أطلقه رواه الحاكم وقال الحافظ
المنذري إنه صحيح ولم يخرجه الشيخان ولا ينافي هذا قول الشارح السابق وفيه
أن الأربع مسكنها تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش لجواز أن تكون أجنحة
الكروبيين تحت الأرض الثانية لما ورد أن أقدامهم تحت الأرض السابعة وأقسم
عليك أيضا بمعجزتك العظمى مع علي كرم الله وجهه في غزوة خيبر لما سرت إليها

ودفعة

ودفعت الراية وكانت سوداء لعلي رضي الله تعالى عنه ففتح بعض حصونها وأرسلت أبا بكر
لحصن آخر فقاتل ورجع بلا فتح وأرسلت عمر رضي الله تعالى عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد
فقال صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فقلت لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله
يفتح الله على يديه فتشوف كل أحد لذلك فسألت عن علي رضي الله عنه فقيل به رمد
فدعوت عليا فجاء والإنسان يقوده من شدة الرمد في عينيه تجلت بعينيه
وكلتاهما ما هما حال مؤكدة رمداء ثم قلت له خذ هذه الراية وامض بها حتى يفتح
الله بها على يديك فيرا نال ما خالطهما ريقك الذي هو الشفاء الأكبر وغدا أي وذهب
بتلك الراية يضرب بعينيه المثل في حدة الأبصار كما يضرب ببصر العقاب الذي
هو سيد الطيور كما في الكامل ومن ثم قال ناظرا بعيني عقاب ومن أمثال العرب
أبصر من عقاب ولما جاء أو هو كما ذكر هرول هرولة حتى ركز حربته في رضم
من حجارة تحت الحصن وقال له يهودي من باب الحصن من أنت قال علي بن أبي
طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما أنزل على موسى بن عمران فما رجع حتى
فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه اليهودي فطرح ترسه من يده فأخذ
بابا فتترس به واستمر يقاتل حتى فتح الله على يديه ومن كبر ذلك الباب أن ثمانية
أرادوا أن يقلبوه فلم يستطيعوا وحمل أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد
المسلمون عليه ففتحوها فجروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا فهذا كله
في غزاة معهودة من أعظم الغزاة وأجل الفتوحات وهي غزوة خيبر كانت مد
ينة كبيرة ذات حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام وكانت
سنة سبع لها العقاب لواء أراد باللواء الراية وهي العلم الضخم لأن الذي كان
يومئذ راية لا لواء ولم يعرف له صلى الله عليه وسلم الرايات إلا في خيبر وقبلها كانت
الألوية فقط نعم قال عياض في مشارقه اللواء الراية وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية
كانت تسمى العقاب لأنها سوداء ولون العقاب أسود وكانت من برد لعائشة
رضي الله عنها ذكر ذلك أهل السير وغيرهم كالحافظ الدمياطي وغيره وفي عقاب

التورية

(٢٦)

والعقاب الجناس التام واما قول شارحه ان التي تسمى العقاب بيضاء وانها التي
اعطاها لعلي فهو مخالف لما رايته من كلام اهل السير على انه ناقض ذلك حيث
قال وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقبان كانت تحوم على لحوم القتلى كانها
رايات مرتفعة اتبعها وهذا احتمال لا يقوله الا من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى
الله عليه وسلم يومئذ سوداء تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها لعلي كرم
الله وجهه ويحتمل انه اعطاه غيرها كما اعطى اثنين رايتين غير راية علي كرم
الله وجهه ونقل بعض اهل السير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عليا رضي الله عنه
هو الذي كان معه لواء النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف وعن سعيد بن المسيب رضي
الله عنه ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد مرط اسود وراية الانصار يقال لها
العقاب وفي هذا نظر لما مر ان الرايات لم تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية
الانصار يوم احد بالعقاب فهو جري على ما عليه اهل اللغة ان كل راية تسمى
العقاب كما ان راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى بذلك وعليه فقول الناظم لها
العقاب لواء لا يختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه واقسم عليك بريحانتين
وهما سيدنا الحسن وسيدنا الحسين كرم الله وجههما وفي تسميتهما بذلك
اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وفي
رواية ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا طيبهما حسا ومعنى وفضلهما على غير
هما انما هو حاصل منك لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا
والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفا مشهورا بين الصحابة
يضرب به المثل وان لم يتطيب بل كانت ام انس تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم
ليتطيبوا به لباهر ريحه الذي نعت لطيبهما اودع عنهما بالبناء للمفعول فاطمة
الزهراء مبتدا خبره ما قبله وهما الصلة والموصول كذا ذكره الشارح ولا يصح
لخلو جملة الصلة عن عايد للموصول وجوز البناء للفاعل وان المفعول الثاني
محذوف اي اودع الزهراء عنهما اياه وفيه فلاقة وحذف من غير دليل
والصواب

والصواب ان الذي نعت للريحانتين بتاويلهما بالمذكور ونحوه ونظيره ما ذكره
في الذي في قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو داود هذا امتي يعني الحسن والحسين
ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا قال ابو حيان يجوز استعمال الذي
بمعنى الذين لكن يجب كون ضميره كون الصلة ضمير الجمع اعتبارا بالمعنى ثم
قال والذي نختاره ان في قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا انه افرد لفظا وان كان
تحته افراد فيكون التشبيه بمثل الجمع الذي استوقد وقيل في الاية الذي بمعنى
الجنس ولا يختص الواحد وقيل حذف نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد
وكذلك يقال ههنا فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله اودع عنهما الى ما هو من
خصايصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته صلى الله عليه وسلم ينتسبون اليه في الكفاءة
وغيرها ووجه تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذي اودع عنها
تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء لانها لم تحض كما في العسقلاني
حديث رواه الغساني وروى الخطابي ابنتي فاطمة حوراء ادمية لم تحض ولم
تطمث وانما سماها الله تعالى فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار
وقد ذكر الناظم عليا وفاطمة وابنيهما وياتي ذكر الثلاثة متفرقا بلا اسا
نيد وقد استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما يتعلق بها في
كتابي الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والرفض والابتداع والزندقة الذي
لم يولف في هذا الباب اجمع منه واخرج الطبراني والخطيب ان الله جعل ذرية
كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي حديث رجاله
ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب وهو محاصر الطايف فقال
قال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة
ولتوتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد
علي وقال هو هذا توفي كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه
بن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج

٢٤٧

الى صلاة الصبح بعد ان يستيقظن سحرا وقال للحسن انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
فشكى اليه ما لقي فقال ادع عليهم فدعا انه يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا
منه واكثر في تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت
ولا كذبت وانها الليلة التي وعدت ومات ليلة الاحد واختلف في موضع قبره
لانه اخفي خوفا من ان ينبشه الخوارج وفي رواية انهم حملوه ليدفنوه مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فند الجمل الذي يحمله فلم يدر اين ذهب فلذلك قال اهل
العراق انه في السحاب كنت على الدوام ناويهما اي تضمهما اليك لمزيد محبتك
لهما وشفقتك عليهما ومن ثم صح انه صلى الله عليه وسلم قال نظرت الى هذين الصبيين
يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي
والطبراني هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من
يحبهما والترمذي احب اهل بيتي الي الحسن والحسين واحمد وابن ماجة والحاكم
من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني وجاء منا كرفي
صح بغضهما ابناي الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير
منهما حجة لما عليه اهل السنة ان الايمة الاربعة افضل من اهل البيت نعم ما
فيهم من البضعة الكريمة لا يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل
الحسنين على غيرهما اي من حيث تلك البضعة وان كان غيرهما ممن ذكر افضل
منهما علما وعملا ومعرفة فتامله تنبيه قوله صلى الله عليه وسلم سيدا شباب
اهل الجنة مشكل لانهما ماتا غير شابين ولان الجنة ليس فيها شباب لان الوارد
ان جميع الناس من اهل الجنة يكونون على خلقة ابناء ثلاث وثلاثين سنة حين يدخلونها
وهم كلهم مستوون في هذا السن الذي هو سن الكهولة واعدل الاسنان وانشر
فيها فلهذا اختير كونهم عليه وحينئذ فليس في الجنة شباب ولا كهول ولا شيوخ
فاي شباب هما سيداهم ويجاب بان المراد بالشباب الذين ماتوا شبابا فهما
سيدا هؤلاء من غير استثناء بخلاف الكهول والشيوخ فانهما قد يسود انهم
وهم الاكثر

وهم الاكثر وقد لا كابيهما والايمة الثلاثة قبله ونحوهم والحاصل انهما سيدا
شباب الناس على الاطلاق وغير الشباب فيهم تفصيل ولذا ذكر الشباب فقط ويحتمل
ان المراد شبابها فرضا وخصوا لان النعم انما تستوفى غالبا لمن هو على سنها
الذي فضلت فيه على غيرها من اهل ذلك العصر ثم رايت بعضهم قرر الاشكال بنحو
ما ذكرته لكن ما ذكرته اظهر في الاشكال ورايت عنه اجوبة للثلاثة من الايمة
فيها بعض مخالفة سهلة لما ذكرته وزيادة على ما ذكرته وسابين لك منها
اجوبة ثلاثة لابن الحاج في منها واستظهر انه سماهم باعتبار ما كانوا عليه
مفارقة الدنيا ولذلك يصح ان يقال للصغير انه يموت من صغار اهل الجنة والشيخ
المحكوم بصلاحه من شيوخ اهل الجنة فهما سيدا شباب اهل الجنة بهذا الاعتبار
وحسن الاخبار عنهما بذلك وان كانا لم ينتقلا عن الدنيا شابين لانهما كانا
عند الاخبار بذلك انتهى وهذا يرجع عند التامل الصادق الى قولي ويحتمل ان
المراد شبابهما فرضا الخ بل ان زاد صدق تامله رأى ان التعبير بما ذكرته اوضح
وجوابه الثاني ان يراد بهما سيدا شباب اهل الجنة باعتبار ذلك الوقت الذي
كانا فيه شابين قال ولا يرد على هذين الجوابين الزام انهما سيدا المرسلين لانهما
شباب في الجنة لانهم غير داخلين في شباب اهل الجنة على المعنيين جميعا انتهى
وقوله لانهما شباب في الجنة الذي بنى عليه ايضا بعض ما سبق عليه ممنوع وانما
الذي دل عليه حديث كونهم يدخلونها على سن ابناء ثلاث وثلاثين وهو سن الكهولة
اذ الشباب الى الثلاثين والكهولة الى الاربعين ثم منها شيوخة ومر ما اجبت
به دون بعض ما اجاب به وله جواب ثالث مبني على ان اهل الجنة شباب وقد علمت
ان الواقع خلافه فلا حاجة في ذكره على انه في ذاته فيه غموض وعدم وفاء بالمقصود
وان سلم ما بناه عليه كما يعلم بتامله لمن وقف عليه واجاب غيره بان معناه انهما
افضل من مات شابا في سبيل الله تعالى من اهل الجنة ولم يرد انهما من الشباب لانهما
ماتا وقد كمل لهما كلما يعده الشباب من المروءة كما يقال فلان فتى وان كان

شيئا يشير الى مروءته وفتوته اوانهما سيدا اهل الجنة سوى
الانبيا والخلفا الراشدين وذلك لان اهل الجنة كلهم في سن واحد
وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل انتهى قوله وهو الشباب
مردود واجيب ايضا بانه يمكن ان يراد هما الان سيدا شباب من
قدم من اهل الجنة من شباب هذا الزمان انتهى وليس فيه كبير نفع
فيما في لغرض ذكره صلى الله عليه وسلم ذلك مدحا لهما والحاصل
ان الذي ينتج في هذا المقام وبه يحصل الجواب الواضح ان الذين كتبت
لهم السعادة المعبر عنهم بكونهم اهل الجنة شباب وكهول
وشيوخ وان الحسنين تميزا في حال شبابهما بل في صغرهما بفضايل
على من هو في سنهما حينئذ لا تحصى ولا يستثنى منهم احد بل في حال
شبابهما فضلا عن جميع الشباب الموجودين ح مع غير استثنا
بل الشباب مطلقا من غير استثناء ايضا اذ لا نعلم وهما في
شبابهما ان شابا قبلهما ولا بعدهما ساواهما فضلا عن
كونه فضلهما واذا تقرر هذا فلاجل كونهما فضلا الشباب من
غير استثنا بخلاف الكهول والشيوخ فانهما لم يفضلاهما
على الاطلاق في حالة من الحالات خص الشباب بالذكر
واضافهما الى الجنة باعتبار انه يقال لمن هو في حال شبابه وقد
كتب شهيدا هذا من شباب الجنة اي من الموصوفين الان
بكونه من الشباب وكونه من اهل الجنة وحينئذ اتضحت حكمة
الشباب واتضحت اضافتهم واتضح انه لا يحتاج الى استثناء
الخلفا الاربعة فضلا عن الانبيا واتضح ان في هذا من التمدح
لهما ورفعة قدرهما وبيان تميزهما ما لا يخفى عظيم وقعه
فتامله لتستخرج من تلك الاجوبة المطلوبة مع ما فيها
مما

مما سبق وما في هذا الجواب الذي هو اصوبها واوضحها
كماوية بالمد فيتعين للوزن وان جاز القصر في
اصل الكلمة من الخط حال من الفاعل نقطتيها اليا.
اي ابو الكايو اليا لنقطتيها حال كونها من جملة حروف الخط وكانه
اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن كان
النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه
ويقعد الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول رب
اني ارحمهما ومما جا عن اسامة ابن زيد رضي الله تعالى
عنهما قال طرقت على النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج
وهو مشتمل على شيء قلت ما هذا فكشفه فاذا حسن ٤٦
وحسين على وركيه فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم
اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وجا انه صلى الله عليه وسلم
اقبل ومن حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب
ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو ووجه
التخصيص باليا انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله عليه وسلم خاتم
الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان الالف افضل الحروف
لانها مادة كل حرف فهي الاخرى الحقيقة كما انها الاول كذلك
وهكذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم فانه اولهم خلقا ورتبة واخرهم
وجودا وختما فعنصره الكريم مندرج ومنبث في جميع الانبيا
بالفعل تارة بالنسبة لمن في عمود نسبه وبالقوة اخرى
بالنسبة لمن ليس في عموده من يمان للنقطتين وحينئذ فلا تجريح
فيه خلافا لما زعمه الشارح شهيد يمان مشهد الحسن
وكانت ولادته في نصف شعبان بالمدينة سنة ثلاث من

الهجرة وسببه ان يزيد بن معاوية ارسل الى زوجته جعدة
الكندية انها تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف درهم
ففعلت فمرض اربعين يوما ومات فبعثت ليزيد فما وعدها
به فابى وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين
وجهد به الحسين ان يخبره من سمه فابى وقال والله اشد نقمة
واجل كيدا تقطع واني لفارق من ابن خميت فيحق عليك لا
تكلمت في ذلك بشيء ثم قال واقسم عليك ان لا تريق في امري
محجمة دم ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا اخي ان اباك
استشرف لهذا الامر مرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة
قبله ثم ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله
ما ارى ان يجمع الله النبوة والخلافة وربما يستخفك سفهاء الكوفة
فيخرجونك وقد كنت طلبت من عايشة ان ادفن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت فاطلب منها وما اظن القوم
الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فلما مات سال
الحسين عايشة رضي الله عنها فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان
لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده
ابو هريرة ثم دفن بالبقيع الى جنب امه رضي الله تعالى عنهما وكان
مروان يكثر من اذيته فلما مات بكى في جنازته فقال له الحسين
اتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال اني كنت افعل ذلك الى احلم
من هذا واشار بيده الى الجبل وكان مروان هذا اشد الناس بغضا
لاهل البيت وكان هذا سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن بن
عوف رضي الله تعالى عنه قال لا يولد لاحد مولود الا اتي به للنبي صلى الله عليه وسلم
فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون
ابن

ابن الملعون وروى ايضا حديثا من جملة قول عايشة رضي الله تعالى عنها
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم
سال ربه من شتمه او لعنه او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكوة وكفارة
وطهارة ومن فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على عاتقه ويقول
اللهم اني احبه فاحبه وفي من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغايب اللهم اني
احبه فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يقبل فمه ثم يدخل
فمه في فمه ويقول لك وفي اخرى من احبني واحب هذين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيامة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان
الجنايب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث
مرات وكرما ظاهرا بانه فيه ابهر ولم تسمع منه كلمة فحش قط الا قوله
مرة عن مخاصمة لبعض له عند الامارغم انفه وجاء من طرق كثيرة بعضها
صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا الحسن سيد ويصلح الله به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجههما
لما توفي تولى الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان اخر الخلفاء الراشدين بنص
جده صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته
هي تكملة الستة اشهر الباقية منها وعقد مضيها سار الى معاوية في نظر في اربعين
الفا فلما تراءى الجمعان علم الحسن انه لن تغلب احدى الطايفتين حتى يذهب اكثر
الاخرى فرضي بالنزول لمعاوية عن الخلافة شفقة على الامة بشروط قبلها معاوية
فنزل له وحينئذ صار هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لاجتهاد لم يكن اثما
بل ماجورا واما شهادة الحسين وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة
اربع ومن فضايله رضي الله عنه حديث حسين مني وانا من حسين احب الله
من احب حسينا حسين سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين سبطان
من الاسباط وجاء من طرق صحح الحاكم بعضها ان جبريل وفي رواية ملك القطر

ولعلهما وقعتان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول واراه من تربة الارض التي يقتل فيها واعطاها لام سلمة واخبرها ان يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وشم صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال ريح كربلا وفي رواية فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى بكربلا وبالطف كذلك قال بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسوددي واما حسين فله جراتي وجودي وروى البغوي وغيره سمى هارون ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين وجاء ان العرب لم تسم بهما في الجاهلية فسببهما ان يزيد لما استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان ياخذ له البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه اهل الكوفة ان ياتيهم ليبايعوه ويمحو ما هم فيه من الجور فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم لاخيه وامره ان لا يذهب باهله ان ذهب فابى فبكى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملا طستا بين يديه وقدم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا فارسل اليه يزيد بن زياد فقتله وسار الحسين غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فساله فقال قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية والقضا ينزل من السما ولما قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لا حتى ناخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوايل خيل ابن زياد فعدل الى كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه التمسوا منه نزوله

على

على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم فروا عنه الى عدوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من اهله نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا انهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه ولما استحر القتل في اهله صاح بلغ خمسين صاح اما ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث وجاء شجاعة جده فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه وبين حريمه فصاح رضي الله تعالى عنه كفوا سفهاكم عن النساء والاطفال فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم الى ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش الى ان سقط الى الارض فحازوا راسه يوم الجمعة عاشر المحرم عام احدى وستين ووضعه قاتله بين يدي عبد الله بن زياد متبجحا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب عنقه وقال اذا علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن اولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا قال الحسن البصري رضي الله تعالى عنه ما كان على وجه الارض لهم يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله في انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى انس رضي الله تعالى عنه وقال اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد بن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين وبكى فاغلظ عليه ابن زياد وهدده بالقتل فقال لاحدثنك بما هو اغيظ عليك من هذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على يافوخهما ثم قال اللهم اني استودعك اياهما وصالح المومنين

فكيف كانت ودبعة النبي صلى الله عليه وسلم عند كيا ابن زياد انتهى ولا عجب فان يزيد بلغ من قبايح
الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبايح منه بل قال احمد بن
حنبل بكفره ونهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة
في ذلك ثبتت عنده ولم تثبت عند غيره كالغزالي فانه اطال في كثير مما نسب اليه كقتل
الحسين فقال لم تثبت من طريق صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ في تحريم سبه ولعنه وكابن
العربي المالكي فانه نقل عنه ما يقشعر منه الجلد انه قال لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده
اي بحسب اعتقاده الباطل انه الخليفة والحسين باغ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها
بعض اهل الحل والعقد وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر
الى استخلاف ابيه اياه مع النظر لذلك فلا يشترط موافقة احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان
هذا انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم الخروج على الامام الجاير اما قبل ذلك
فكان الامر منوطا بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضي الله تعالى عنه محق بالنسبة لما عنده لا سيما
ان رأى ما رأى الامام من كفره وبه يرد ايضا قيل نظير ذلك حال معاوية الحسن قبل تولية له عن
الخلافة ومع علي كرم الله وجهه فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير اثم لاجتهاده فا
لحسين كذلك انتهى فتامل ذلك فان كلام الايمة فيه كالمتناقض ولا يزول الاشكال فيه الا بما قررته
واستبعد وما يبطل توجيه تلك الكلمة ما ذكرته في مختصري تاريخ الخلفا للحافظ السيوطي ان
رجلا سمى يزيدا امير المومنين فامر عمر بن عبد العزيز خامس او سادس الخلفا الراشدين ولا يرد +
الحسين رضي الله عنه على الذين عبروا بالاول فانه وان كان منهم بنص الحديث الصحيح على ان الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم
ثلاثون سنة ومدة خلافته ستة اشهر تكملت هذه الثلاثين لانها لم تطل ولم يجز له ما دان للاربعة
من جميع بلاد الاسلام فكانه اندرج في خلافة ابيه فهما كرجل واحد فهو من الاربعة وحينية تعين
ان خامسهم عمر رضي الله عنه بضربه عشرين سوطا فهذا صريح في انه كان متغلبا بالشوكة لا اماما
لان الذين هم اهل الحل والعقد حقيقة اكره اكثرهم على بيعته كما صرحت به في المختصر المذكور بعد
لا اصله واقلهم من اجلا الصحابة هربوا الى مكة ويأتي قريبا بعض ذلك مع زيادة عليه ولما دخل قصر
الامارة بالكوفة امر بالراس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم اتى له وجهز مع روس
اصحابه وسبايا ال الحسين الى يزيد فلما وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل ينكت
الراس بالخيزران وجمع بانه اظهر الاول واخفى الثاني قيل والعجب كل العجب من ضرب يزيد ثنايا

الحسين

الحسين بالقضيب وحمل ال النبي صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنسا
مكشفات الوجوه والروس ولما اوطوا الدمشق اقيموا على درج الجامع حيث تقام الا
سارى والسبي وقيل ان يزيد ارسل باس الحسين وثقله ومن بقي من اهله الى المدينة
فكفن راسه ودفن عند قبر امه بقيعة الحسن وقيل اعيد الى جثته بكربلا بعد اربعين
يوما من قتله ثم سلط الله على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الا
الذين ارسلهم ابن زياد بالراس اول منزل جعلوا يشربون بالراس فخرجت عليهم
يد من الحايط معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

أترجوا امة قتلت حسينا ۞ شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الراس ثم عادوا فاخذوه واخذه غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر يوم
قتله من الايات ان السماء مطرت دما وان اوانيهم مليت دما وان السماء اشتد
سوادها لانكساف الشمس حينيذ حتى رويت النجوم واشتد الظلام حتى ظن الناس
ان القيامة قد قامت وان الكواكب قد ضرب بعضها بعضا وانه لم يرفع حجر الا روي تحته
دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل الحمرة
ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن
حتى قتل الحسين وقال ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يوثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية
فاظهر تاثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظيم الجناية وكما اظهر الله عظيم
الجناية على الحسين بذلك الامر الباهر اظهره على ولد ولد الحسين زيد صاحب المذهب
المشهور رضي الله عنه فان بني امية استمتعوا به وقتلوه وحرقوه فانتقم الحق تعالى ممن فعل ممن
به حتى سلط الله عليه من فعل به مثل ذلك مما فعل بزيد واقبح بكثير كما هو مبسوط في قصته مع
هشام المشهورة وفيها من الكرامات الباهرة لاهل البيت ما وجب ذكر حاصلها ليطلع عليه محبهم
فيزداد محبة لهم او المبغض فيرجع عن بغضه الى الله تعالى اعلم انه ذكرت في كتابي اسنى المطالب في صلة
الاقارب ما لفظه تنبيه اخر يويد ما ذكرته في التنبيه الذي قبل هذا ما وقع لهشام بن عبد الملك
حيث قطع رحم زيد ابن علي فقتله قومه الذين ارسلهم اليه وحرقوه بالنار فسلط الله عليه من
اخرجه من قبره وحرقه بالنار جزاء له وفاقا وشرح ذلك ان زيد بن علي بن زين العابدين ابن
الحسين بن علي رضي الله عنهم كان يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان من جبابرة بني امية وظلمتهم

وكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يخجله بين جنده وفي عز مملكته ومن ذلك
انه قال انت زيد المؤمل للخلافة وما انت وذاك وانت ابن امة فقال له زيد ان الامة لو قصرت بولدها
عن بلوغ الغاية ما بعث الله نبيا هو ابن امة وجعله ابا العرب وابا خير النبيين وهو اسماعيل
ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت امه مع ام اسحاق كامي معك وما تقصير برجل
ابوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده علي بن ابي طالب فلما خرج قال هشام لجلسائه
الستم تزعمون ان اهل هذا البيت قد انقرضوا الا لعمر الله ما انقرض قوم هذا
خلفهم ودخل عليه مرة اخرى فرأى عنده يهوديا يسب فقيل كان يسب النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل كان يسب الله فانتهره زيد وقال يا كافر اما والله لئن تمكنت منك
لاختطفن روحك فقال هشام مه يا زيد لا تؤذ جليسنا فخرج قائلا من استشعر
حب البقاء استشعر الذل الى الفناء وهاج حينئذ على الخروج على هشام فاطاعوه من اهل
الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة من الائمة قيل منهم ابو حنيفة
رضي الله تعالى عنه وايده بمال عظيم وخرج معه من الفقهاء والقراء واهل البصائر خمسة الاف
في زي لم تر الناس مثلهم ثم خذله الذين بايعوه وتاخروا عنه فقال اين الناس فقيل له
احتبسوا في المسجد فقال لا يسعهم عند السخط لانهم لنا فعادوا اليهم وامرهم بالخروج
فابوا فقال يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل الى العز والى خير الدنيا والاخرة فابوا فاقبلت
جنود هشام فحمل عليهم زيد رضي الله عنه فقتل منهم مقتلة عظيمة فلم ينجع ذلك فيهم
شيئا ودخلوا الكوفة فتفرقت اصحابه عنه فلم يبق الا نزر يسير وحاربهم يوم الاربعاء
والخميس فحمل عليهم وقتل من فرسانهم كثيرين فاصيب اخر يوم الجمعة بنشابة
في جبينه فجيء له بطبيب فنزعها فمات من وقته ودفن في قناة واجري عليه الماء
حتى لا يعرفوا قبره ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عريانا فنسجت العنكبوت على
عورته لوقته فلم يرها احد فكان ذلك من كراماته الباهرة ثم انزلوه وحرقوه بالنار
حتى صار رمادا فذروه في الهواء فلما كان زمن السفاح اول خلفاء بني العباس وهو عبد
الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم امر بامراة هشام المذكور فشدخ
راسها بالعمد وامر بقطع ثدييها

وقتلها

وقتلها قصاصا في ام ولد او زوجة كانت لزيد رضي الله عنه
قتلوها ثم امر بهشام فنبش من قبره فوجد بحاله لانه كان طلي
بالعنبر لئلا يتغير فاقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه
بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد رضي الله عنه جزاء وفاقا فتامل
من نصرة الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب بني العباس كانوا
يكرهون ذرية الحسين لانهم ينازعونهم الملك ويخرجون عليهم
كثيرا ومع ذلك اظهر الله تعالى الانتقام من هشام لزيد على يد من
يكره بني زيد وبني عمه فاعتبر بذلك ليسر بتمييزه كل مسلم
كامل الايمان الطف اي بذكر ما وقع فيه ومن انه ارض بالعراق
وانه يسمى كربلا او قريب منه وقبره به معروف يزار ويتبرك
به مطابيقها اي مجموعها على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
اذ هو انما يخرج من الملح فقط اي مصاب الحسين لان قتله به واما
قتل الحسن فمن انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا وانما
علم به نفر من الناس ولا كربلا بل كل منهما يذكرني بذلك المصاب
حتى اني اتصور في كل ارض انها هي وظاهره انه مغاير للطف
ومن انه قول وكان الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد عن الشعبي
ان عليا كرم الله وجهه لما مر بكربلا عند مسيره الى صفين وقف
وسال عنها فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي القصة الاتية في

ما رعى فيهما ذمامك مرؤو س
وقد خان عهدك الرؤساء

شرح قوله فابكهم ما رعى فيهما ذمامك اي حرمتك ايها النبي
الكريم مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفاء بها ولا يحصل ذلك
الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة والجلالة ومن
بغض شانيهما واعتقاد انه على غاية من الحماقة والضلالة والجراءة
والتهور مرؤوس اي تابع كالجعدية في الحسن وابن زياد واتباعه
في الحسين رضي الله عنهما والحال انه قد خان عهدك الرؤساء
اي المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد فيهما التشبيه
في قتليهما لكنهما فازا بمنزلة الشهادة العظمى وباءا بخزي الدنيا
والاخرى وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين لانهم انما قتلوه
بسيف جده الامر بسله على البغاة وقتالهم لا يعول عليه لان يزيد
لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعه والمبايعون
له مكرهون على البيعة كما هو معلوم وغاية امر يزيد انه
جائر فاسق متغلب وحرمة الخروج على الجائر التي جرى عليها
الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضاء تلك الاعصار واما
تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين فلم يدخلوا تحت حيطة
راي غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا ابن الزبير ولم يبال ببيعته
ولا اعتد بها لجماعة اخرين امتنعوا منها وصرحوا من انها
ما له تعلق بذلك مع زيادة وروى ابن السكن انه صلى الله عليه
وسلم قال وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق

فمن

ابدلوا الود والحفيظة في القر
بى وابدوا من بعدها الشحناء

فمن ادركه منكم فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما
يرد له ايضا ما ترتب على قتل الحسين مما من بعضه ويبين رعا
وخان الملوك والرؤساء جفاة الطباع وابدلوا اي هؤلاء
الود المذكورين بتثليث الواو اي المودة التي حرضهم الله تعالى
عليها في الاية الاتية ببغضهم وقتالهم والحاق الايذاء لهم
بكل طريق امكن حتى ان القرمطي سباهم وبيعت الشريفة
في عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين لكثرة من سباه
منهم وابدلوا ايضا الحفيظة اي الحمية في نصر القربى ومحبتهم
اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم وهم آل البيت النبوي يعني
تركوا هذين واخذوا اضدادهما فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن
نصرتهم ولم يمتثلوا قول الله تعالى في حقهم الدال على غاية
رفعتهم قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى الاية وقد
اختلف المفسرون في القربى والذي جاء عن الحسن بن علي كرم
الله وجههما بسند حسن انهم اهل البيت فانه خطب الناس
خطبة بليغة فيها انا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم
قال انا ابن البشير انا ابن النذير ثم قال وانا من اهل البيت الذين
افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم زاد في رواية على كل
مسلم فقال فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى وفي رواية ومن يقترف حسنة

نزد له فيها حسنا قال اقتراف الحسنات مودتنا اهل البيت
وجاء عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهم بسند فيه شيعي
غال لكنه صدوق انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما
وروى غير واحد نحو ذلك عن علي واخرج الطبراني عن زين العابدين
انه لما جيء به اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين رضي الله عنهما
واقيم على درج دمشق قال بعض جفاة اهل الشام الحمد لله مسجد
الذي قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له اما قرات
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال وانتم هم قال
نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس وانبنا عه
من حملها على غير ما ذكر كما في البخاري وغيره عنه ان المراد
الا ان تودوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم وفي رواية عنه
انهم لما ابوا ان يبايعوه انزل الله عليه ذلك فقال صلى الله
عليه وسلم يا قوم اذا ابيتم ان تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا
تؤذوني ويؤيده ان السورة مكية ورواية نزولها بالمدينة
ضعيفة وان امكن نزولها مرتين كما قيل به في الفاتحة ووجه
عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش اقتصر
على المقصود بالذات ومن ذكر اهل البيت وعمم في كل مسلم
ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة

ولا

ولا تعارض بينهما ومن ثم كان ابن جبير وهو اجل تلامذة ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما يقول تارة بهذا وتارة بهذا
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما الا ان تودوا الله ولا
منافاة ايضا لان من جملة موادته تعالى موادة رسوله واهل
بيته وادعاء نسخ الاية قول مرذول لا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده
كما قاله البغوي وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي
حديث احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز
وجل واحبوا اهل بيتي لحبي وصح ايضا ما بال اقوام يتحدثون فاذا
راوا الرجل من اهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني وفي خبر احمد انه صلى
الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد اذيتني ثم قال من
اذى عليا فقد اذاني وروى احمد والترمذي حديث من احبني
واحب حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معي في الجنة زاد
ابو داود ومات متبعا السنة وبها يعلم بطلان قول الرافضة
تنفع محبتهم مع مخالفة السنة وابدت اي اظهرت ضبابها
عائد لفاعل ابدت واراد بالضباب اليرابيع لان النافق لا يكون الا
لها النافقاء في احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها
حتى لا يبصر وهو موضع من جحره يجعل الحاجز بينه وبين الفضاء
قريبا جدا حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعاء

ضرب الفاقفاء براسه فانتفق وخرج هاربًا منه ولهذا يقال انفق
اليربوع تنفيقًا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح
وفي النظم تشبيه المكرة بالحسنيين حتى فعلوا معهما ما فعلوا
باليربوع في مكرها المذكور فهو استعارة تصريحية وفي ذكر
النافقاء استعارة ترشيحية او تشبيه ما عند اولئك من النفاق
بالنافقاء بالجامع الآتي فهي حينئذ استعارة مصرحة رشحت
بذكر الضباب او تشبيه النافقاء بما عند اولئك من النفاق
الذي حملهم على ان فعلوا بآل البيت ما فعلوا فتشبيه
النافقاء بنفاق اولئك استعارة بالكناية والجامع ان النافقاء
يظهر اليربوع منها فيهرب من صياده وكذلك نفاق اولئك
اظهرهم حتى هربوا من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع
استعارة تخييلية ويصح ان يكون استعارة بالكناية ايضا
لتشبيه الضباب باولئك في المكر واضافتهم الى ضمير النافقاء
تخييلية وقست اي غلظت واشتدت منهم اي المكرة الفجرة
المذكورين ونحو حال من قوله قلوب فوصل اليهما ثم الى ذريتهما
منهم غاية الاذى والاستهانة بحقهم الواجب رعايته
عليهم ولم تكن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد لهم
الشقاوة والعذاب الاليم على من اي اولئك الائمة الذين هم
بدور الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري رحمه الله في الذين قتلوا

وقست منهم قلوب [illegible] (هامش)

لعلم تلي (هامش)

مع

مع الحسين من اهله لم يكن لهم شبيه على وجه الارض بكت الارض
فقدهم والسماء وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت
عليهم السماء والارض اذ مفهومه ان المومن تبكي عليه السماء
والارض بمعنى انهما يتاسفان على ما فاتهما من اعماله وثوابه اما
الارض فمحل سجود المومن وعباداته واما السماء فمحل مصاعد
اعماله واذا كان هذا في مطلق المومنين كما علم من الاية فما
بالك بآل البيت النبوي والسر العلوي ويصح ان يكون المراد ببكائهما
بكاء اهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة
لانه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا بدليل فابكيهم
ايها الصالح للخطاب ما استطعت اي مدة دوام استطاعتك
تاسيًا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم علي وروى
ابن سعد عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه بكربلا عند
مسيره الى صفين فوقف وسال عن اسم هذه الارض فقيل له كربلا
فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي
جبريل انفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطئ العراق
بموضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمني اياها
فلم املك عيني ان فاضتا واخرج الترمذي ان ام سلمة رات
النبي صلى الله عليه وسلم باكيًا وبراسه ولحيته التراب فسالته

فابكيهم ما استطعت ان قليلا في عطفي من الصفا البكاء (هامش)

فقال قتل الحسين اتفاقا وكذلك رأى ابن عباس رضي الله عنهما
نصف النهار اشعث اغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه
فسأله فقال دم الحسين واصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم فنظر
فوجد قد قتل في ذلك اليوم فان قلت الامر بالبكاء ينافيه
الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية ومن ثم قال
ابقشنا بكره البكاء بعد الموت قلت ليس المراد بالبكاء
المامور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن على ما
حصل للدين واهله من استباحة حرمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودم بنيه واهله ومن غاية الاستهتار بحقهم
والفرح بمصابهم ومن زوال انوار النبوة وعلومها وتقاها
وزهدها وكمال الاتصاف بفقدهم وذلك كله مصاب يحق لكل احد ما يساويه مصاب
ان يحزن على ذلك ويتأسف عليه ويأمر به غيره ويدعو اليه
فان قلت كيف نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البكاء وبكى في
الحديث المذكور قلت المنهي عنه انما هو البكاء بعد الموت
لوقوع اليأس منه فوجود البكاء حينئذ ربما دل على نوع تبرم
بالقضاء والواقع هنا البكاء منه صلى الله عليه وسلم قبله وهو
محض رحمة حينئذ وبهذا يتبين عدم الاحتياج الى الجواب عن
عدم تحقيقه بان المنهي عنه البكاء الاختياري والذي وقع منه
صلى الله عليه وسلم لعله اضطراري او بيان للجواز او اطلق فيه

البكاء

البكاء على مجرد دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم لما فعله
صلى الله عليه وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اي وقد
نهيت عن البكاء فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده
الرحماء فتبين ان مجرد دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتأمله
ثم تمم ما امر به من البكاء بما يصلح ان يكون دليلا حاملا عليه
فقال الجزاء قليلا اي قليل في مقابلة عظيم من المصاب لا سيما
٥٧
مصاب الامة بالحسين واهل بيتهما رضي الله عنهم وبين قليل
وعظيم طباق وفيه استشفاق ورد العجز على الصدر البكاء وان
كثر وهو الصوت الذي يكون مع الدمع واما المقصور فهو
الدمع فقط وغير القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم
باشادة ذكرهم وادامة الثناء عليهم والرد على اعدائهم
وغير ذلك كل يوم وكل ارض لكربي لاجل ما حصل لي من الكرب
وهو الغم الذي ياخذ النفس بحيث يخشى موتها منهم
اي بسببهم ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل
والاسر والسبي والايذاء كربلاء راجع لكل ارض وعاشوراء راجع
لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اي زاد في ذلك الكرب حتى ان
كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التي قتل فيها الحسين
وكل يوم اصبح علي تصورت انه يوم عاشوراء الذي قتل فيه
فكربي عم جميع ما فيهم من الازمنة والامكنة فلا يفارقني

كل يوم وكل ارض لكربي منهم كربلاء وعاشوراء

التي انا فيها

بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لآخر وبين كربي وكربلاء جناس
شبه الاشتقاق كهوا وجناس الاشتقاق في تاويه او بيت
وفوضتا وتفويضي وطيفهم وطاب وسعدتم وسودته ووزره
والزوراء والقاسم واقسامي وابكهم والبكاء ياءال بيت النبي
وهم مومنوا بني هاشم والمطلب وهم المذكورون في قوله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا واكثر المفسرين انها نزلت في علي وفاطمة والحسن
والحسين رضي الله عنهم وقيل نزلت في نسائه صلى الله عليه
وسلم ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادي به في
السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت فيهم
ورجحه جمع بان نص سبب النزول ابعد خلف قطعا ويدل له ما صح
عن ام سلمة قلت يا رسول الله انا من اهل البيت قال بلى ان شاء
الله ولدخول آل البيت خبر مسلم انه ادخل اولئك الاربعة
تحت كساء وقرا الاية وصح انه صلى الله عليه وسلم جعل هؤلاء
تحت كساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وفي حديث حسن انه صلى الله عليه
وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو
ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي
هذه فقالت اسكفة الباب وحوائط البيت امين ثلاثا فعلم

ءال بيت النبي الى قوله
تسلية عنكم الناسا

ان المراد باهل البيت في الاية اهل بيت سكنه صلى الله عليه وسلم
وهن امهات المومنين واهل بيت نسبه وهم مومنوا بني
هاشم وبني المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم والاشعر ان هؤلاء
هم الال المذكورون في قوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
وقيل المراد بآله هنا كل مومن واختير وخبر آلي كل مومن تقي
ضعيف بالمرة وال البيت الذين حرمت عليهم الصدقة هم
المرادون في جميع ما جاء في فضل ال البيت او الال وذوي القربى
واولئك الاربعة هم المرادون في اية المباهلة كما يصرح به
ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها ان فؤادي اي قلبي ليس فعل
جامد معناه نفي مضمون الجملة في الحال ونفي غيره بالقرينة
وقيل هو لنفي الحال وغيره وقواه ابن الحاجب بقوله تعالى الا يوم
ياتيهم ليس مصروفا عنهم قال ابن مالك وترد للنفي التام
المستغرق والمراد به الجنس كلا التثريب وهو مما يغفل عنه
وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى وفي ارادة هذا
المعنى الاخير في النظم تسلية عنكم الناسا بعو فيه اوله
اي ما يحصل لي من الشدائد والمحن وفي القاموس تاساه اذاه
واستغنع به بل محبتكم مقيمة فيه على الدوام لا تزول لها عنه
ولا تنقصها شدة وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يومن
عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي انا حرب لمن حارب بهم

وسلم لمن سا المصطفى عدو ولمن عادا نعم الامن اذى قرابتي فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذا الله تعلى وفي الحديث ايضا اني
تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فناص
كونه صلى الله عليه وسلم قرنهم بالقران في ان التمسك بهما يمنع
الضلال ويوجب الكمال واشار الى ان ما عنده ملازم له لا يفارقه
بسلو ولا نسيان ولا بغيرهما من الوجوه يحفها والتحزن والتحسير
لما يفيها انما هو مع تفويض الامور الى باريها كما قال غير
اني الا اني فهو استثنا منقطع فوضت امري في ذلك كله الى
الله الفاعل لما يشا والمقدر لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون وتفويض الامور الى من هو مقدرها ومدبرها براء
اي مبري للمفوض من ذلك عن اعتماده على كل شيء من حوله وقوته
وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة من الشرك وكنز من
كنوز الجنة وفي فوضت وتفويض جناس الاشتقاق وجملة
وتفويض الخ تذييل رب للتقليل يوم بكربلا مسيء باعتبار
ما وقع فيه من قتل الحسين ومن معه بها خففت بعض وزره
تعلل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم على النفوس التي عند
غيرة لال البيت النبوي الزوراء فيها مع وزره شبه الاشتقاق
وهي ناحية ببغداد اي ما وقع من خلفا بها بني العباس الذين

غير اني فوضت امري الى الله وتفويض الامور [illegible]

رب يوم بكربلا مسيء خففت بعض وزره الزوراء

هم

هم من حلقة ال البيت من اخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين وغيره
من ال البيت بالخروج على بني امية لانهم عاثوا وجاروا ولم يرقبوا
الله ولا رسوله طرفة عين في ال البيت الطاهرين المطهرين الكاملين
المكملين الجامعين بين العلوم الشرعية والمعارف الربانية والا
سرار الالهية والكرامات الباهرة والمعاني الفاخرة ثم ينزع
الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم فقتلوهم اشر قتلة
كما قال والاعادي الذين هم اوليك الفسقة الفجرة كان كل
طريح اي مطروح منهم الى الارض بفوارق السيوف ولوامع
الاسنة الموجبة لتوالي الحتوف الزق المنتفخ الملقا بالارض
الذي حل عنه الوكا وهو ما يشد به راس الزق ولا يزالوا يتبعونهم
حتى قطعوا دابرهم عن اخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين وهذه القضية مبسوطة في التواريخ
كتاريخ الخلفا للسيوطي ثم في اختصاري له فعليك بطلبها
من محلها ان شئت يا ال فهو منادى واصله اهل فابدلت
الهاء همزة ساكنة وقبلها همزة محركة فابدلت الساكنة
الفا على القاعدة ولا يضاف الا الى الاشراف كما هنا وانما قيل
ال فرعون لانه كان متصورا بصورة الاشراف بيت النبي ومن
انتمى اليه انهم طبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا واوصافا
وظاهر النظم ان المراد بالطيب في وبي جا نتيك طيبها منك

والاعادي كان كل طريح منهم الزق حل عنه الوكاء

يا ال بيت النبي طبتم وطاب الـ مدح لي فيكم وطاب الرثاء

غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل أنه أراد في الموضعين للطيب
ظاهرا أو باطنا وأن الطيب ثم لهما وهنا للباقين وهو الوجه لأن ذاك
في خصوصهما وهذا في عموم أهل البيت كما دلت عليه الآية الشريفة
بقوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
إذ هي منبع فضائلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء
بشأنهم حيث ابتديت بإنما المفيدة لحصر إرادته تعالى إذهاب
الرجس عنهم وهو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به وتطهيرهم
من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة ويأتي في أحاديث تحريمهم على
النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه إلهام الإنابة
إلى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم
الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا عضوضا ولذا لم تتم
للحسن عوضوا عنها الخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب
الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم وحكمة ختم الآية بتطهير
المبالغة في وصولهم لأعلاه في رفع التجوز عنهم ثم تنوينه
تنوين التعظيم والتكثير المشير إلى أنه تطهير بديع ليس من
جنس ما يتعارف ويؤلف ثم أكد صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله
وقد جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية اللهم
هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي
رواية اللهم إن هؤلاء آل بيتي فاجعل صلواتك وبركاتك

على آل محمد إنك حميد مجيد وفي أخرى اللهم أهلي أذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث إن مثل أهل بيتي مثل
سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وحديث خيركم
خيركم لأهلي من بعدي وحديث سألت ربي أن لا أتزوج إلى أحد من
أمتي ولا يتزوج إلي أحد من أمتي إلا كان معي في الجنة فأعطاني ذلك
وحديث وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وحديث أنا
حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم قاله لعلي وفاطمة وابنيهما
وحديث إن لكل بني أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة
فأنا وليهم وعصبتهم وهم عترتي خلقوا من طينتي وويل
للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه
الله وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد
إلا كبه الله في النار فطاب المدح لي فيكم وإن لم أستوف
واجب حقكم ومعالي شرفكم لأن الله ورسوله أثنى عليكم
بما تنقطع به الأعناق دون الوصول إلى غايته والإحاطة
بشيء من نهايته وطاب لي فيكم الرثاء وهو تعداد محاسن
موتاكم في طيبتهم وطاب الاشتقاق والمدح والرثاء الطباق وأنا
حسان مدحكم أي أنا المشبه في الاعتناء بمدحكم على أقصى ما
يمكن من وجوه البلاغة وفنون الفصاحة بحسان بن ثابت رضي
الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب

أنا حسان مدحكم فإذا نحت
عليكم فإنني الخنساء

له منبرا في مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم أيده بروح القدس
ومن بلاغته أنه لما أراد أن يهجو قريشا أخبره النبي صلى الله
عليه وسلم بأنه ما من بطن من بطون قريش إلا وله فيها قرابة
فقال لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين ورءاه عمر رضي
الله عنه ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر إليه شزرا فقال كنت أنشد فيه بين يدي من هو خير
منك وهو يقول اللهم أيده بروح القدس ثم استشهد ببعض
الصحابة على ذلك فشهدوا له به فإذا الخنساء رفعت صوتها
بالبكاء **عليكم فإنني الخنساء** بنت عمرو بن الشريد من سراة
قبائل منهم ابن قيس بن عيلان قيل قدمت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع قومها بني سليم المؤلفين له صلى الله عليه وسلم ولذا
حضر معه صلى الله عليه وسلم منهم يوم فتح مكة وحرب حنين
ألف رجل ونظرت عائشة رضي الله عنها إليها وعليها ثوب
الحزن فأخبرتها بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عنه فاعتذرت بأنها
لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه وهو أن زوجها افتقر فسألت
أخاها فقاسمها ماله ثم افتقر فسألته فقاسمها ماله ثم الثالثة
كذلك ثم الرابعة كذلك فعنفته زوجته فأجابها بأنها
كفته عارها ولو هلك مزقت خمارها ولبست من شعر صدارها

قالت

قالت فلما هلك اتخذت هذا الثوب فقيل لجرير من أشعر الناس فقال
أنا لولا هذه فقيل له بما فضلتك قال بقولها

إن الزمان وما يفنى له عجب ✿ أبقى لنا ذنبا واستؤصل الراس
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا ✿ بالحالمين فهم هام وأرماس
إن الجديدين في طول اختلافهما ✿ لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وأجمع علماء الشعر أنه لم يكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر
منها فأما تبع مشيئها في نوحها على أخيها صخر ورثائها
له بالمعاني البديعة والمباني البليغة ومجامع الثنا وجوامع
الرثا، ومنه ألا يا صخر إن أبكيت عيني لقد أضحكتني دهرا طويلا
إلى أن قالت إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاك الحسن الجميلا
ومنه أيضا يؤرقني التذكر حين أمسي ويردعني عن الأحزان نكسي
على صخر وأي فتى كصخر ليوم كريهة وطعان خلس ثم قالت
وما يبكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي
ومنه أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندا
ألا تبكيان الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا
طويل النجاد رفيع العماد وساد عشيرته أمردا ومنه
وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار وسأل
الخليفة المهدي لبعض عن أشعر بيت قالته العرب فذكر له هذا
فأعطاه ثلاثين ألف درهم بعد أن شكا أن عليه دينا عشرة آلاف

ذريتهم وقد رأى عمر رضي الله عنه تطوف بالكعبة لاطمة لخدها
معلقة نعل بحر في خمارها فوعظها فقالت زينب فإن شا لم
يرزأ أحد مثله فقال إن في الناس من هو أعظم رزية منك فإن
الإسلام قد غطى ما كان قبله وإذا لا يحل لك لطم وجهك ولا
كشف رأسك فكفت وحضرت حرب القادسية مع بنيها أربع
رجال فحرضتهم على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فإذا رأيتم
الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت نارا على أوراقها، فتيمموا نارها
وطيسها، وجالدوا رسيسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في
دار الخلد والمقامة، فتقدموا حتى قتلوا كلهم فقالت الحمد لله
الذي شرفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة
وكان عمر رضي الله عنه يعطيها أرزاقهم لكل مائتان حتى قبض
رضي الله تعالى عنه وعنهم سد ثم الناس أما الحسنان أو ذريتهما ثم أيضا
فالمراد بالناس بالنسبة إليهم الكل لكن بالنسبة لما جميعهم من
البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء، وأما بقية آل البيت فالمراد
بالناس بالنسبة إليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر إلى النسب
وأما بالنظر إلى السيادة بالتقى فهو خاص بالمتقين منهم وخص
بذلك لكونه جاء عن كثير منهم من التقى والزهد والعبادة والعلم
والمعرفة ما لم يجئ عن غيرهم وبهذا يجاب عما يورد على النظم
أن السيادة من حيث التقى لا تختص بهم والكلام إنما هو فيما

سد ثم الناس بالتقى وسواهم
بسمو نسبهم الطاهر والنظر

اختصوا

اختصوا به ووجه الجواب تمييزهم على أكثر الناس بتقى لم يحصل لل
غيرهم والمعنى كما سد ثم الناس بالنسب سد تقوهم بزيادة التقى
الذي لا يوجد في غيركم ومن أن جماعة قالوا إن القطب لا يكون إلا
منهم ومع ذلك كله ففي النظم إيهام ألا أن يقال سيادته ثم الناس
بالنسب أشهر من أن تذكر وقد ليل الأول أعني السيادة من حيث
النسب الذي هو أشرف الأنساب، آية المباهلة قال بعض المحققين
محقق المفسرين ابن تيمية لا دليل أقوى من هذا على فضل فاطمة وعلي
وابنيهما رضي الله عنهم أي لأنها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه
وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه
وعلي خلفها فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريتهم
يسمون أبناءه وينتسبون إليه نسبة حقيقية نافعة في الدنيا
والآخرة ويدل لذلك ما صح أنه صلى الله عليه وسلم خطب فقال ما
بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع
قومه يوم القيامة بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة
الحديث وأخرج الطبراني في حديث إن الله عز وجل جعل في
ذرية كل نبي في صلبه وجعل الله تعالى ذريتي في صلب علي بن
أبي طالب وروى غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة إذا
كان يوم القيامة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترا من الله عليهم
إلا هذا وذريته فإنهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم وذكر

ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردود بان كثرة طرقه ترفعه
الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما صح عن عمر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما
خلا سببي ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل بني
انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني انا ابوهم وعصبتهم
وجاء في حديث اخر بسند رجاله من اكابر اهل البيت ان عمر قال
ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة ام كلثوم وانكار جماعة
من متاخري اهل البيت ان عليا لم يزوجها لعمر ليس في محله واقرار
الصحابة لعمر على هذا الاستدلال صريح في رد ما عارضه من اقاويل
شاذة في هذه المسالة لا سيما ما البعض بني امية في ذلك
ودليل الثاني اعني النظر الى السيادة بالتقوى ما صح انه لما نزل
قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين دعا صلى الله عليه وسلم جميع
بطون قريش فعم وخص وقال للكل لا اغني عنكم من الله شيئا
غير ان لكم رحما سابلها ببلالها اي ساصلها بصلتها ومعنى ذلك
انه لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه نفع اقاربه بل وامته
بشفاعته العامة والخاصة واخرج الطبراني حديث ان اهل
بيتي هؤلاء يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك ان اوليائي منكم
المتقون من كانوا وحيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي
في اهل بيتي من اقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ان لا يعذبهم

واخرج

واخرج احمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة
الجنة ما بدات الا بكم وجاء في احاديث ضعيفة ان فاطمة
احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفي رواية ان
عليا قال يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لان الله فطمها
وذريتها عن النار نعم اخرج الطبراني بسند جيد رجاله
ثقات ان الله غير معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس ان
الله غير معذبك ولا احد من ولدك ولا ينبغي لاحد من ال البيت
ان يغتر بذلك لانه ستفيده من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
السابق ان هؤلاء اهل بيتي يرون انهم اولى الناس بي وليس كذلك
ان اوليائي المتقون الخ وحديث البخاري ومسلم ان ال ابي فلان ليسوا
باوليائي انما وليي الله وصالح المومنين ان نفع رحمته وقرابته وشفاعته
للمذنبين من اهل بيته وان لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب
عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب
اليه صلى الله عليه وسلم بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم
عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرض عن بعض من يقول المصطفى
في القيامة يا محمد يريد ان يشفع له فيقول لا املك لك من الله
شيئا كما في الحديث وتامل قول الحسن بن الحسن السبط رضي
الله عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم احبونا لله فان اطعنا
الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا ويحكم لو كان الله

نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته
لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أي كأبي طالب والله إني أخاف أن
يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وأن يؤتى المحسن منا أجره مرتين
وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال موسى بن علي بن الحسين بن
علي عن أبيه عن جده إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل أعمالنا وبه قف
يعلم أن الفرقة المسماة بالشيعة ليسوا من شيعة أهل البيت
وإنما هم من شيعة إبليس لعنهم الله كما في الحديث الذي رواه
الدارقطني وقال إن له عنده طرقا كثيرة يا أبا الحسن أنت وشيعتك
في الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ثم
يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم
نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون
وفي رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم قال لا يشهدون
جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف وسواكم الذين يدعون
سيادة ويفخرون عليكم كسعيها بني أمية أو المراد وسواكم
أي غيركم الذين لم يعملوا بعملكم لا سيادة لهم في الدين أصلا
بل ولا في الدنيا عند العقلاء وإنما سيادته عند الجهلاء مثله
وأفرد الضمير نظرا للفظ سوى البيضاء أي الفضة والصفراء
أي الذهب أي طمع الناس في ماله فتخصيص هذين لشدة الاحتياج

نبز بفتح النون والباء أي اللقب

والتطلع

والتطلع إليهما أكثر من غيرهما وفي سنده ثم وسودته الاشتقاق
والبيضاء والصفراء التذييل وأقسم عليك بأصحابك جمع صاحب
وهو من اجتمع مؤمنا ولو لحظة وأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم
في حياته مؤمنا ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال
المحلي رحمهما الله لهذا الأخير فيه نظر وإيهام وإن وقع في
صنع أحمد بن حنبل رضي الله عنه في مسنده ما يؤيد ذلك كما
بيّنته في محل آخر الذين هم بعدك خلفاء الهداة أي الدالون
للأمة على الله بما يجب له ويجوز ويستحيل عليه وعلى رسوله
كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس وكمال الأخلاق
والجهاد في سبيل الله تعالى وغير ذلك مما يليق بكل مما ذكر
وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم
اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام أخص أفراده بذلك
فقال اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر والأوصياء أي الذين
وصيتهم بالقيام بأمور الدين والمجاهدة عليها ففتحوا الأمصار
والبلاد وساسوا الأمة ونشروا فيها علوم الكتاب والسنة
حتى خضعت الرؤوس لمعاليهم وباد أهل الزيغ عن آخرهم فلم
يقم منهم رئيس ولا مرؤوس وإنما حملت الأوصياء على ما ذكر
ردا على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم وصى بالخلافة لأبي بكر أو
لعلي ووجه الرد أن الذي دلت عليه صرائح السنة ووقع عليه

وبأصحابك الذين هم بعدك
خلفاء الهداة والأوصياء

أي مملكة

اجماع من يعتد به انه صلى الله عليه وسلم لم يوص في امر الخلافة
بشيء صريح والا لعلمته الامة لو خالفوا ذلك النص فاقتضت
المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته ان لا ينص
عليها صريحا وانما اشار صلى الله عليه وسلم الى انها لابي بكر
باشارات تقرب من الصريح كما بينتها في الكتاب السابق ذكره
ولعل تلك المصلحة التي ذكرناها في عدم التصريح هي التي ظهرت
له صلى الله عليه وسلم لما طلب في مرض موته دواتا وقرطاسا
ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد الكتابة
ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية
من مخالفة النص المؤدية الى اهلاك المخالف ولذا ترك صلى الله
عليه وسلم الكتابة والدليل على انه انما ترك لمصلحة انه مكث
بعد ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه
مصلحة عائدة على احد لم يترك ذكره وان وقع اعظم مما وقع
فسكوته صلى الله عليه وسلم لذلك اوضح دليل على ما تقرر احسنوا
بعدك اي بعد وفاتك الخلافة عنك في الدين بالقيام بجميع
ما يجب او يحسن مراعاته من الامور الظاهرة والباطنة حيث
اجمعوا على استخلاف ابي بكر رضي الله عنه وكرم وجهه ثم
على استخلافه لعمر ثم على استخلاف اصحاب الشورى لعثمان ثم
على مبايعة علي ثم ابنه الحسن ثم بعد نزول الحسن لمعاوية على

احسنوا بعدك الخلافة في الد
ين وكل القيام ...

ولاية

ولاية معاوية رضي الله عنهم وحيث نصبوا كلهم نفوسهم
لمجاهدة الاعداء ولنشر العلوم التي تحملها عنهم التابعون
ثم من بعدهم جزاهم الله تعالى عن الاسلام والمسلمين خيرا او كل
منهم لما تولى في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته
من الخلافة او الامارة او القضاء او تجهيز الجيوش وحفظ الثغور
والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على ان جميع امورهم انما
كانت للدين لا لغير اذا بكسر الهمزة وفتح الذال كتاب اي فيهم
بما تولاه اهل له في اي بقعة او زمن كان كيف وهم جميعهم
عدول كما نطق به القرآن ومن وقعت منهم له هفوة فقد
كفرت عنه بحد او توبة هم اغنياء نزاهة اي من جهة
النزاهة والتعفف عن جمع المال وان كان من جهة يقطع بحلها
لان محط نظرهم انما هو التجرد المطلق عن سائر القواطع
عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض
اي المال وانما الغنى غنى النفس اي بالله عما سواه سواء كان
بيده مال ام لا ومن كان منهم بيده مال كابن عوف وعثمان والزبير
فانما كان خازنا لله يصرفه في مصاريفه الشرعية فهو
مقتنيه لذلك لا للفخر والمباهاة ولا لمحبة جمع لذلك الحطام
الفاني ولذلك جاء ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اعتق
ثلاثين الف رقيق وتصدق هو وعثمان في غزوة تبوك بما

اغنياء نزاهة وفوا
علماء بما امرا

اعرف ان سيدنا عبد
الرحمان بن عوف اعتق
ثلاثين الف رقيق و
ثمن كل عبد ثمانون اربعا

يتيقن الفقر وكان للزبير ألف عبد تؤدي إليه الخراج وما مات إلا
وعليه قدر كثير جدا من الديون وكون المتخلف عن ابن عوف ربع
ثمنه ثمانون ألف دينار لا ينافي ما تقرر أنه إنما كان خازنا لله
لأن الخازن لله ليس معناه أنه يخرج جميع ما في يده دفعة بل
يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب منه في كل حال وزمن وأما
إخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما كان يدخل في يده دفعة
فهو إما لاحتياجه لذلك لسد ضرورات أصحابه أو لأن حاله في
الأمور الخارقة للعادة لا يقدر غيره على التأسي به فيها فلا
يكلف بذلك وتخلف ابن عوف عن الفقراء في دخول الجنة الوارد إما
لكونه يقف ليشفع أو ليسأل سؤال تكريم عما أنعم به عليه
أو جبر الخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك غير قادح في فضله رضي
الله عنه هم فقراء أي غالبهم بل كلهم لأن ذوي الغنى منهم كانوا
خزانا لله كما مر فلا يعدون من الأغنياء إلا باعتبار الصورة وأما
باعتبار الحقيقة فهم على غاية من الافتقار إلى الله تعالى ببواطنهم
وظواهرهم لا يشهدون لأنفسهم مالا ولا غنى وإنما يعدون
أنفسهم خزنة لا غير وبما تقرر في معنى غناهم وفقرهم يعلم
أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر وهي مسألة كثر الاختلاف
فيها والحق منه ما قررته لما علمت أن الغنى هو الذي ختم به أمره
صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي في الكمال

فلولا أن الغنى مع الشكر أفضل من الفقر مع الصبر لما ختم له
صلى الله عليه وسلم به فمحل الخلاف في الفقر مع الصبر كما تقرر
وأما الفقر مع الرضا فهو أفضل قطعا اتفاقا وفيه نظر واضح
لأنه صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء أمره مع فقره على غاية
من الرضا لم يصل إليها غيره ومع ذلك لم يختم له إلا بالغنى مع
الشكر كما تقرر وبعض تحقيق هذا القول فغالب فقراء الصحابة
يفضلون أغنياءهم لأنهم راضون بفقرهم قطعا وبين الأغنياء
والفقراء التضاد وكذا بين الحقراء والأمراء وبين الرخص والأغلاء
الأنبياء هم علماء أئمة لأنهم ورثوا من علومه صلى الله عليه
وسلم ما تميزوا به على جميع من جاء بعدهم وفي الحديث أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لأكثرهم
وإلا فقد جاء أن الحسن البصري كان يفتي الصحابة في زمنه وقد
قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه في خطبة الوداع
رب مبلغ أي بفتح اللام أوعى من سامع هم أمراء أي كثيرون منهم
تولوا الإمارة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في زمن الخلفاء
الراشدين فقاموا بحقوقها وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض
المفتونين سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما كان أميرا على
الكوفة بعدم العدل فيهم دعا عليه بدعوات استجيبت فيه
عاجلا حتى صار عبرة للناس ومنها أن الله يطيل عمره ويعرضه

للبخترى وكان قد تهدّب حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر
يتعرض للجواري في الأسواق ويقول شيخ سوء أصابته دعوة العبد
الصالح سعد رضي الله تعالى عنه ومما يدل على أنهم أغنياء
لا غير أنهم زهدوا في الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها
فُعلى من الدنو أي القرب لسبقها للأخرى وقيل لدنوها من الزوال
وهي ما على وجه الأرض وقيل كل المخلوقات من الجواهر والأعراض
وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا فإن المراد بها هنا الأموال
وتوابعها من نحو الجاه والكبر والعجز والخيلاء ولفظها مقصور بلا
تنوين حيث لا لام فيها وحكي تنوينها واستشكل ابن مالك
استعمالها منكرة كما في الحديث وأجاب بأنها انخلعت عنها
الوصفية وأجريت مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين في الزهد فيها وهو أخذ ما يحتاج إليه
من الحلال وترك ما لا يحتاج إليه منه على قسمين فأكثرهم ترك السعي
في تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها
وبالعبادات حتى لم يفت من أوقاته شيئا إلا وهو مشغول بشيء
من ذلك وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزان الله تعالى كما
مر وهذا لا ينافي زهدهم فيها لأنهم لم يمسكوها لأنفسهم
بل لإخراجها على مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم وإذا
تقرر أن زهدهم بقسميه فيها حقيقي فما عرف الميل إليها

زهدوا في الدنيا وما في أيديهم ولا الرغبة في الميل

في علمو الزهد هو أخذ ما يحتاج إليه من الحلال وترك ما لا يحتاج إليه منه الخ

منهم

منهم بنوع التبعات ولا إقبال الحفار لحقارتها في أعينهم ولا الرغبة
في الزيادة في تحصيلها وهذا أعلم من نفي الميل بالأولى فذكره
مجرد إيضاح وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافي
هذا ثناؤه صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح
في يد الرجل الصالح ودعاؤه به لأناس كثير من الصحابة كابن
عوف وأنس وغيرهما بكثرة أموالهم جدا لأن المال له جهتان
جهة خير يصرفه في الطاعات والإعانة به على قيام أمور
الديانات وبالنظر إليها يثنى عليه وجهة شر يصرفه في ضد
ذلك وبالنظر إليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم من
أحبني فأقلل ماله وأمت ولده الحديث وقد بسطت الكلام على
ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا وذمها والجمع بين
تلك الأحاديث في كتاب سعادة الدارين في صلح الأخوين بما لا
يستغنى عنه راجعه أن خضوا في الوغى أي بسبب الحرب الواقع
منهم لأعدائهم في الوقائع المشهورة ومن إطلاق الوغى
على الحرب مجاز لا حقيقة نحو سملوي كثير من وقيع بغيرهم
حاربوها بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية وإخلاص طوية
فنصرهم الله تعالى عليهم بقتل بعضهم تارة وإزالة ملك آخرين
أخرى أسلابها بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثيابه

أي خضوا في الوغى نحو سملوي
حاربوها أسلابها

وجنيبة

القنبل وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنفقة وحبلته
تقاد بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لأنه جمع
مضاف للملوك الذي هو جمع الكثرة وإضافة الجمع تفيد عموم
إما في الأفراد وهو التحقيق أو في المجموع وعليه كثيرون
أغلاء بكسر الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم
الفاعل أي غالية الأثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح
الهمزة وكأنه جمع غال كداء وأدواء وبه يندفع قول الشارح
لا وجه له إذ تنتفي بل وجهه أظهر من الأول لأن حمل المصدر واسمه
على الجمع يحتاج لتأويل كما أشرت إليه بخلاف حمل الجمع على الجمع
وأما قوله على المعنى الأول إن المعنى أنه كما كان القتل رخاصا
للنفوس فالأسلاب أي أخذها أغلاء للأسلاب وقال فعله على
المعنى الأول أيضا وكأنه أي الناظم يقول إنهم كما أرخصوا
نفوس محاربيهم بالقتل فقد أغلوا أسلابهم بواسطة كثرة
ما سلبوه واجتمع عندهم من الأسلاب فقط بل بين أرخاص الأنفس
وإغلاء الأموال التي هي الأسلاب المأخوذة ممن قتلوه لكثرة ما
قتلوه وسلبوه إذ تنتفي في كل من المعنيين بعد وخفاء والوجه
أن المعنى عليه أنهم كما أرخصوا تلك النفوس عوضهم الله تعالى
تلك الأسلاب الغالية الأثمان على حد رجل عدل أي عادل ورجال
عدل أي عادلون فكما أن المصدر هنا أول باسم الفاعل فكذا

فيما

فيما نحن فيه يؤول الأغلاء بالغالية وهذا هو المعين على فتح
الهمزة فيتساوى المكسور والمفتوح كلهم في أحكامه جمع حكم
والحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء
أو التخيير وحكم الحاكم يظهر ذلك ويطلق أيضا عند الأصوليين
على النسب التامة المثبتة تارة والمنفية أخرى كما في قولهم
الفقه العلم بالأحكام الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا
لما يوهمه كلام الشارح ذو اجتهاد صحيح لتوفر شروط الاجتهاد
كلها في جميعهم بزيادة ولذلك لم يعرف عن أحد منهم أنه قلد
غيره في مسألة من المسائل وكان الناس يستفتون كل من رأوه
منهم فيفتيه باجتهاده ولا يعترض أحد منهم على أحد إلا
إن كان هناك نص صريح خولف فيذكر لهم فمنهم من يرجع
إليه ومنهم من يؤوله أو يعارضه بمثله وهذا رد على قوم
سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق والجهل
فاعتقدوا أنهم ذوو أهواء أنفس أو حظ أو بغض حاشاهم
الله من ذلك بل لم يخترهم لصحبة نبيه إلا وهم على أكمل الأوصاف
وأجلها وذوو صواب يعني وذوو ثواب ولو عبر به لكان أولى لأن
إبقاءه على حقيقته إنما يتأتى على القول الضعيف أن كل مجتهد
مصيب وأن حكم الله تعالى تابع لظن المجتهد أما على الأصح أن
المصيب واحد وأن له أجرين كما صح به الخبر أو عشرة أجور كما

كلهم في أحكامه ذو اجتهاد
وصواب وكلهم أكفاء

في رواية وللمخطئ اجرا واحدا كما صح به الحديث ايضا فلا يقال
كلهم ذو صواب بل صوابه ذو ثواب كما تقرر فتامله فعلى الاول
كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مصيب وعلى الثاني علي مصيب
له اجران او عشرة اجور ومعاوية في خروجه على علي مخطئ وله
اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود ثم ان وافق
ما عند الله تعالى فصواب والا فخطا فان قلت يمكن تاويل النظم
بان مراده ذوو صواب عند نفسه باعتبار انه يتحتم عليه العمل
بما ظنه وان لم يكن صوابا في نفس الامر قلت هو تاويل بعيد
على ان هذا لو كان مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم
وكلهم اكفاء اي متكافيون في اصل الصحبة والفضيلة والعلم
والاجتهاد وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ ولا لهوى وانما يتفا
وتون في الزيادة في ذلك وحينئذ فلا ينافي ذلك قول ابن عمر ابو
بكر اعلمنا ولا سؤال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا افدر الله امة
لست فيها يا ابا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس على اكابر مشيخة
المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده من العلم ببركة دعاء النبي
صلى الله عليه وسلم له بان الله تعالى يفقهه في الدين ويعلمه التاويل
ما ليس عند غيره ولا سؤال معاوية لعلي بالارسال اليه في المشكلات
فيجيبه ولقد قال له احد بنيه لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا
انه احتاج الينا وسالنا واجمعوا على ان افضل الناس بعد الانبياء

عليهم

عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم علي والاصح عثمان
ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم اهل بدر ثم اهل
بيعة الرضوان وقيل اهل احد رضي الله عنهم ورضوا عنه اقتباس
من قوله تبارك وتعالى والسابقون الاولون الاية قال رضي الله عنهم
ورضوا عنه ورضا الله عن العبد تامينه من سخطه واحلاله في محل
كرمه ورضا العبد عنه ان لا يختلج في سره ادنى حزازة من وقوع
قضاء من اقضيته الحق به بل يجد لذلك في قلبه برد اليقين وثلج
الصدر شهودا للمصلحة العظمى وزيادة الطمانينة وبين
رضي ورضوا اشتقاق فكيف يخطوا او خطا الا تبين فبسببها ما
ذكر من اوصافهم وختمها بما في الاية في حقهم اتى استفهام
انكاري تعجبي اي كيف يخطو البعض اي بعض البعض اذ الخطوة
ما بين القدمين خطا وهو نقيض الصواب يعني لا يخطئ احد
منهم خطا يأثم به لما مر انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد
اذا اخطا كان له اجر وهذا كالذي قبله ماخوذ من عدة احاديث
ذكرتها في الصواعق السابق ذكره مع ذكر مخرجيها وهنا اذكر
منها جملة عرية عن ذلك اتكالا على اسانيدها ثم منها ان الله
اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزراء انصارا واصهارا
فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا اي فرضا ولا نفلا وفي رواية

رضي الله عنهم ورضوا عنه
ما يخطئ الا البعض خطا

فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني
فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه اذا اراد
الله برجل من امتي خيرا القى حب اصحابي في قلبه اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه ما شانكم وشان اصحابي ذروا لي اصحابي ذروا
لي اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما
ادرك مثل عمل احدهم يوما واحدا وفي رواية للشيخين وغيرهما
لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه من لم يحفظني في اصحابي
لم يرد علي الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي انا فيه ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والباقي ارذال وفي غالب الفهم وفي
رواية متفق عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم الحديث وهم اول داخل في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة
نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
قوم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم والغالب فيه انه للرجال وقد
يشمل النساء كما هنا من بعده قوم وهكذا السابقون الاولون

ثم

ثم الذين من بعدهم وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم
وكان الناظم اشار بهذا البيت الى صحيح البخاري عن نهر فزانة
سال ابا سعيد رضي الله عنه عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
اين يدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وزوانه هل يرتد احد منهم
سخطة لدينه فقال لا فقيل له ان من شان الرسل ان اصحابهم كذلك
فعلم ان مجيء الصحابة قوما من بعد قوم من علامات نبوته
صلى الله عليه وسلم واندفع ما قد يقال اي فايدة في هذه الجملة
من كلام الناظم وهل هي الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه
فايدة اذ لا فرق بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم
متلبسون بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة
ونحوهم عليهم فلا يصح منه شيء اصلا وانما هو من مقالات
الجاهلين ووضع المفترين وعلى النهج اي الطريق الواضح الفسيح
اي المستقيم الذي لا انحراف فيه ولا اعوجاج جاؤوا وكلهم وتابعوهم
باحسان وهكذا لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم امر الله وهم على ذلك
ما لموسى كليم الله ولا لعيسى روح الله النبي صلى الله عليهما
وسلم حواريون جمع حواري وهو الناصر وجعل ذلك علما بالغلبة
على اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام لانهم كانوا يحورون الثياب
اي يقصرونها ومن الحوار اي الدقيق الابيض لبياض الوانهم في

نحو مقالات

ما لموسى ولا لعيسى حواريون في مقابلتهم ولا نقباء

فضلهم بشهادة نص آية كنتم خير أمة أخرجت للناس وحديث
خير القرون وفي رواية خير الناس قرني وحديث المناجاة أن موسى
عليه السلام رءا الصفات الامة في اللوح اوصافا باهرة فقال يا رب
فاجعلني منهم ولانقباء في فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش
اذ الحواريون لعيسى عليه السلام والنقباء لموسى عليه السلام ولما
اقسم بالصحابة كلهم اجمالا خص العشرة المقطوع لهم
بالجنة مرتبا للاربعة الاول منهم على ترتيبهم في الافضلية
والاحقية بالخلافة فقال اقسم عليك بابي بكر الصديق رضي
الله عنه فهو عطف على بالعلوم بحذف حرفه ويحتمل انه وما
بعده ابدال تفصيلية من باصحابك الذي تميز عن سائر الصحابة
رضي الله تعالى عنهم بما كان كالصريح في انه الخليفة الحق بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه افضلهم بل افضل ما عدا الانبياء
والمرسلين كما صرح به في حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على
احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر وهو ما صح من طرق
كثيرة بحيث اشتهر بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله
الاشعري فلذا لم يسع احدا من المعتقد عقلا انكاره للناس به
في حياتك الاقتداء فاعل صح والظرف متعلق به وفي تلك
الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فقال مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها

بابي بكر الذي هو للناس
في حياتك الاقتداء

يا رسول

٤٧١

يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع أن
يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم مري ابا بكر فليصل بالناس
فعادت فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف
فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة
قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه فقال مروا ابا بكر
وفي اخرى ان الحامل لعائشة على ذلك خوفها تشاؤم الناس به
بقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات
فيه وفي اخرى انه امرهم بالصلاة وكان ابو بكر غائبا فتقدم
عمر فكبر وكان صيتا فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج رأسه
مغضبا لا يأبى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه خرج
فجر الاثنين يوم موته كشف سجف حجرته فرآهم في صلاة الصبح
وابو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص ابو بكر رضي الله عنه
على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون ان يفتتنوا
في صلاتهم فرحا به صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده أن
اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر فتوفي ضحى وفي البيت
التلميح الى هذه القصة قال العلماء فيه اوضح دليل على انه
افضل الصحابة مطلقا واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن
ثم اجمعوا على ذلك لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع

قوله يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله أي أعلمهم بالقرآن صريح
في أنه أعلمهم بالقرآن مطلقا وقد استدل الصحابة أنفسهم
بهذا على أنه أحق بالخلافة منهم علي قال لقد أمره النبي صلى
الله عليه وسلم أن يصلي بالناس وإني لشاهد وما أنا بغائب وما
بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا
وما أحسن قول من قال صلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل
فسكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون ومن الظواهر
أو الصرائح على خلافته أيضا ما أخرجه مسلم أنه صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة في مرض موته ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى
أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى
الله والمؤمنون إلا أبا بكر وفي رواية اكتبوا لأبي بكر كتابا لا
يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون
في أبي بكر وصح أن قوما سألوا إنسانا أن يسأل لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى من يدفعون الزكاة بعده فسأله فقال
إلى أبي بكر وأخرج الشيخان أن امرأة أتته صلى الله عليه وسلم فأمرها
أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئتك فلم أجدك كأنها تقول الموت
فقال إن لم تجديني فائتي أبا بكر ومنها ما أخرجه الشيخان من عدة
طرق أنه صلى الله عليه وسلم رأى أنه على بئر لم تطو فنزع منها
بدلو فأخذ الدلو من يده أبا بكر فنزع بها دلوا ودلوين ثم

أخذها

أخذها عمر رضي الله عنه من أبي بكر فاستحالت في يده غربا
أي دلوا كبيرة فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن أي حتى
رووا قال العلماء هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وقصر مدته
وطول مدة عمر وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمنه
وبقيت أدلة أخرى سمعية وآيات وأحاديث كثيرة تدل
على أحقية خلافته وأنه أعلمهم وأفضلهم يقتضيها أتم
بيان في كتابي الصواعق السابق ذكره والمعدي أي المسكن
للفتنة والاضطراب في أمر الخلافة يوم السقيفة التي لبني
ساعدة من الأنصار حين اجتمعوا بعد دفنه صلى الله عليه وسلم
فيها إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه لما أي حين أرجف
الناس أي اضطربوا في أمر الخلافة وبين المعدي أي المسكن
وأرجف والقريب والأباعد وتقرب وتبعد المطابقة إنه تعليل
للمعدي ولا ينافيه كسر إن لأنها مع كونها للاستئناف قد
تفيد التعليل أيضا كما صرحوا به في إن الحمد والنعمة لك في
التلبية الداء أي المسكن للاضطراب الاعيرة وكان مراده أنه
المشهور قديما وحديثا بأنه يسكن الفتن ويجلي كربتها وفي
الصحيح عن عمر رضي الله عنه أنهم لما توفي النبي صلى الله
عليه وسلم تخلف علي والزبير ومن معهما في بيت فاطمة وتخلفت
الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة واجتمع المهاجرون

والمعدي يوم السقيفة لما
أرجف الناس أنه الداء الداء

الى ابي بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم
فلما جلسوا قام خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم مدح
الانصار واطنب بحيث لم يترك اية او خبرا جاء فيهم الا ذكره
ثم ذكر ان قومه يريدون ان يستقلوا بالامر عليهم ثم سكت
فاراد عمر رضي الله عنه ان يخطب بما زوره اي جمعه في قلبه فا
شار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين
ان الخلافة لا تكون الا في قريش واحتج بالحديث الصحيح الايمة
من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر واما ابا عبيدة واخذ
بيديهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس
وترفع ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت
الفتنة فبادر عمر وقال لابي بكر ابسط يدك فبسطها
فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائل قتلتم سعد
ابن عبادة اي لانه كان به مرض فقال عمر قتله الله اي لان الاجتماع
عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر رضي الله عنه في
اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه
يؤدبه بما يراه ان يقول في حقه ذلك وصح ان عمر رضي الله عنه
احتج على الانصار بامامة ابي بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا
نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد وجلس الغد
على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد ثم اثنى على ابي بكر ثم

قال

فقال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعة العامة فخطب
ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني
وان اسات فقوموني اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا
عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير
الزبير فدعا به فجاء فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعه فلم ير عليا فدعا به
فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعه
واستدل كل منهما حينئذ على احقيته بالخلافة بانه صاحب
الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره ان الصحابة
اجمعوا على خلافة ابي بكر لم يتخلف عنها احد منهم ثم تبعهم
من بعدهم من اهل السنة والجماعة الى الان ثم تعلم وكذا اكثر
الفرق واقسم عليك يا ابي بكر الفاعل لذلك حال كونه كرم الله
وجهه اتفقه بالقاف والمعجمة الذي برز وهو ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم اي ائتي به بازالة كل شبهة عنه واهله با
زالة اسباب الفساد بنفيهم بعد ما قصر بقة كان اي وجد
اللذين متعلق هو وما بعده بما سيهما وهو اشقاء على كل كرمة
اي عم باخذ النفيس وبيع كونها ناقصة وللدين خبر على الاشقاء
اي اشراق وقرب يخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل ابدا
ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله عنه والله لولا ابو بكر ما عبد

انفق الحر بن عبد ما كان
للدين على كان بينا شفقا

الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا فكلهم يوم
وفاته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى تكلموا بكلمات
غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان غائبا فلما حضر دخل وكشف
عن الوجه الكريم وقبله وقال الفداء طبت حيا وميتا لا يجمع الله
عليك موتتين ثم خرج فتلا عليهم وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين فلما سمعوها ردت اليهم
عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر فانه انكر موت النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فاسكته ابو بكر فسكت
فاقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا عمر فقال ايها الناس من كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي
لا يموت ثم تلا الاية فقالوا كانا لم نسمعها الا حينئذ
فكان هو المثبت لهم حينئذ والا لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا
في محل دفنه اختلافا شديدا كاد ان يفضي الى الفتنة فروى لهم
الحديث ان كل نبي يدفن في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه
وزال ما كان بينهم وايضا اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا
حتى روى لهم الحديث المشهور نحن معاشر الانبياء لا نورث ما
تركنا صدقة فرجعوا اليه وبهذا علم انه رضي الله عنه كان
احفظهم للسنة وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة
خلافته واشتغاله بقتال المرتدين ومانعي الزكوة ومسيلمة

الكذاب

انفق المال في رضاء ورسول
واعطا جملة ولا حدا

الكذاب وحال كونه انفق المال الكثير الذي كان يملكه اي صرفه
في مصارف الخير حتى نفد جميعه في اي بسبب او من اجل رضاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء به القرآن العزيز قال تعالى
وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى الى اخر السورة قال ابن
الجوزي اجمعوا انها نزلت في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه
لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم بدليل قوله تعالى ان اكرمكم عند
الله اتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح به الحديث الصحيح
ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب يس اي المذكور في
سورة يس اي حبيب النجار افضل من ابي بكر وصح حديث انه ليس
في الناس احد امن علي في نفسه وماله من ابي بكر ولو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام
افضل سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة ابي
بكر لانه سيصير خليفة يحتاج الى ملازمة المسجد واخرج
الترمذي حديث ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا ابا
بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة وما نفعني
مال احد قط ما نفعني مال ابي بكر والطبراني ما احد عندي
اعظم يدا من ابي بكر واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته
والترمذي رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار
الهجرة واعتق بلالا من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما

ينفعني مال ابي بكر ولا ينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه
وسلم لم ياخذ منه الراحلة الى الهجرة الا بالثمن لاحتمال انه ابراه منه
وصح انه كان بينه وبين عمر شيء فسأله ان يغفر له فابى فذكر ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فندم عمر فاتى منزل ابي بكر فلم يجده
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى اشفق
ابو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه
مرتين فقال صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت
وقال ابو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا
لي صاحبي فما اوذي ابو بكر بعدها وفي رواية في قضية نظير
هذه الا تدعون لي صاحبي ما شانكم وشانه فوالله ما منكم
رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور
ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي
بماله وواساني واتبعني واخرج احمد واخرون عن جماعة من
الصحابة انه قال صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني
مال ابي بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالي الا لك يا رسول الله
وفي رواية عن ابن المسيب مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي
في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه واخرج ابن عساكر انه
اسلم وله اربعون الف دينار وفي رواية اربعون الف درهم
فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن

عساكر

عساكر انه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عباءة قد
خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد
ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فقال صلى الله
عليه وسلم يا جبريل انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله يقرا عليه
السلام ويقول قل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط
فقال ابو بكر رضي الله عنه أأسخط على ربي انا عن ربي راض ثلاثا
وسنده غريب ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل عليه السلام
هبط متخللا بطنفسة واخبر ان الله امر ملائكته ان يتخللوا
بها كابي بكر قال الحافظ ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه
كالذي قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولى
وصح عن عمر رضي الله عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر ان
سبقته يوما فجئته بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ابقيت لاهلك فقلت مثله فاتى ابو بكر بكل ما
عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ما ابقيت
لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله فقلت لا اسبقه الى
شيء ابدا والحاصل انه لا منة لاحد عليه فيما انفقه وان كثر وانما
المنة له عليه وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن
ذكر النعمة على جهة الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على

نحو مقصد فالمن على المتصدق عليه بأن يعدد عليه ما أعطاه
له أو يذكره لمن لا يحب اطلاعه عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والأذى وأعطاه الله عطاء جما أي كثيرا في وجوه الخير العامة
والمصالح الدائمة فمنها إعطاؤه ثمن محل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم كما جاء في حديث الهجرة أنه صلى الله عليه وسلم لما
وصل قباء وأقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى أن يأخذ
أحد بزمامها وقال دعوها فإنها مأمورة فاستمرت إلى أن بركت
عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم سارت وهو عليها حتى بركت ثم
على باب دار أبي أيوب الأنصاري من بني النجار أحد أخوال جد النبي صلى
الله عليه وسلم عبد المطلب وكانت دارهم أوسط دور الأنصار
وأفضلها ثم قامت وبركت في مبركها الأول وألقت بأطراف عنقها
بالأرض ثم صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم
عنها وقال هنا المنزل إن شاء الله ثم ساوم بني النجار في تلك
البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها من مال أبي بكر
رضي الله عنه وكان قد خرج بماله كله فكان له من السبب في ذلك
المسجد الأعظم ما اقتضى وصول ثوابه إلى حد لا يقدر قدره واشترى
أيضا جماعة أسلموا فعذبهم أهل مكة العذاب الأليم منهم بلال
وأعتقهم ولا إكداء أي ولم يقطع إعطاءه بل استمر عليه حتى
توفاه الله تعالى وأبي أي وأقسم عليك بأبي حفص الذي أظهر الله

وأبي حفص الذي أظهر الله
به الدين عمر الفاروق رضي

سئل عمر عن سبب

به الدين كما جاء في سبب تسميته بالفاروق وأخرج أبو نعيم
في الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس أنه سأله عن تسميته بالفاروق سئل
فذكر أن حمزة أسلم قبله بثلاثة أيام وأنه خرج إلى المسجد
فسب أبو جهل اللعين النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر حمزة
فأخذ قوسه وجاء فضرب بها أحد صدغي أبي جهل فقطعه
فسال الدم فأصلحت بينهم قريش مخافة الشر والنبي صلى
الله عليه وسلم مختف بدار الأرقم فانطلق حمزة فأسلم وبعده بثلا
ثة أيام أنكر عمر على من أسلم فقيل له إن أختك وختنك أي سعيد بن وقيل
زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة قد أسلما فجاء فضرب رأس
أخته وأدماه فقالت له كان ذلك على رغم أنفك فاستحيى حين
رأى الدم وجلس وسألها أن تريه الكتاب فقالت له لا يمسه إلا
المطهرون فاغتسل فأخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن
الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الآيات فعظمت في صدره
فقال له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله لتعليم أخته
وزوجها إني لأرجو أن يكون الله تعالى خصك بدعوة نبيه صلى
الله عليه وسلم فإني سمعته أمس يقول اللهم أعز الإسلام بعمرو
ابن هشام أي أبي جهل أو بعمر بن الخطاب فقال دلني عليه فتوشح
سيفه وذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع
القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا الباب فإن

٢٧

افبل فبلنا ه وازاد بر فنلتا ه فسمع ذالك النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج فتشهد عمر فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد فقلت
يا رسول الله السنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاخفاء فخرجنا صفين
انا في احدهما وحمزة في الاخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش
الي والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسماني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ وفرق الله بي بين الحق والباطل
وفي رواية انه لما اظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم
حتى اجاره خاله قال فما زلت اضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام
وصح انه لما اسلم نزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد قد
استبشر اهل السماء باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف
القوم اليوم منا وانزل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
من المومنين وان ابن مسعود قال ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر وقال
ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد
رايتنا وما نستطيع ان نصلي الى البيت حتى اسلم عمر فقاتلهم
حتى تركونا وسبيلنا وان حذيفة قال لما اسلم كان الاسلام
كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المد
بر لا يزداد الا ضعفا فبسبب قوته في الله وشدة شكيمته
كما علم فيما تقدم ان عوى اي رجع واقلع وانكف الرقباء اي الاعدا
عما كانوا عليه من الافساد في الدين وعدم النصح له وعدم ايذاء

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بالامور العظيمة التي كانوا
يفعلونها معهم وهو ايضا الامام العدل القوي في الله الذي
ينطق الحق على لسانه وقلبه ولذلك تقرب الاباعد عنه في النسب
في اي بسبب او لاجل رضى الله اليه متعلق بتقرب فيكونون بذلك
اولى عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال انبعاواني في هذا
البيت من انواع البديع بالعكس نحو لا هن حل لهم الاية وبالاكتفاء
وهو حذف شيء دل عليه ما قبله كما قررته وبرد العجز على الصدر
وبالارصاد وهو ان يتقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم
الاية وتبعد عنه القرباء اي قرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله
تعالى فعلم انه لا يحابي قريبا ولا بعيدا وانه لا رياء عنده ولا
سمعة ولا حمية ولا عصبية وان محط نظره هو الله لا غيره وطاعته
ربه في المقربة منه وضدها هو المبعد منه عمر بن الخطاب من موصوله
قوله الفصل اي القاطع بين الحق والباطل ومن حكمه السوي اي الذي
لا اعوجاج فيه السواء تاكيدا اي المعتدل وهذا اولى من جعل
الشارح السوي صفة حكم والسواء خبره لاقتضائه تغايرهما
وليس كذلك فر اي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل عات متمرد
جني او انسي اذ اي لاجل انه كان فاروقا ظاهره ان سبب تلقيبه
بالفاروق كون الشيطان فر منه وليس مرادا انما المراد ان سببه ان
الله تعالى فرق به بين الحق والباطل كما صحت به الاحاديث فبسبب

والذي تقرب الاباعد بالدين اليه وتبعد عنه القرباء
عمر بن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوي السواء
فر منه الشيطان اذ كان فاروقا فللنار من سنا ه انبراء

ما منحه الله من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل ويفر الشيطان
منه بسببه للنار التي هي اصل الشيطان من سناه اي بالقصر اي ضو
انبراه اي انمحاه والاصل في ذلك احاديث صحيحة منها حديث
يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا
قط الا سلك فجا غير فجك وحديث ان الله تعالى جعل الحق على
لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر قط فقالوا وقال الا نزل
القران على نحو ما قال وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
وحديث ان الله تعالى وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان
الشيطان ليفر منك يا عمر وفي رواية اني لانظر الى شياطين
الانس والجن قد فروا من عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال اقرا عمر
السلام وقل له ان رضاه حكم وان غضبه عز وفي اخرى الحق بعدي
مع عمر حيث كان وفي اخرى ان الشيطان لم يلق عمر منذ اسلم الا
خر لوجهه وفي اخرى الصدق بعدي مع عمر حيث كان وفي اخرى
عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وصح حديث
ما طلعت الشمس على خير من عمر وروى احمد وغيره انه صلى الله
عليه وسلم قال له يا اخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا وروى
الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نائم شربت لبنا حتى
انظر الى الري يجري في اظفاري فقالوا ما اولته عمر قالوا فما اولته
يا رسول الله قال العلم وانه راه وعليه قميص يجره قالوا

فيما اولته يا رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين الذين
ينطقون الحق على السنتهم وابن اي واقسم عليك بذي النورين ابي
عمرو عثمان بن عفان ذي اي صاحب الايادي اي النعم وهذا في
اليد بمعنى الجارحة جمع ايدي جمع يد فاتى به الناظم في اليد
بمعنى النعمة ايضا التي طال اي عظم وامتد الى المصطفى على الخلق
كلهم اي المختار فهو من الاصطفاء وقيل المصطفى المنتقى من كل
شين وكدر فهو من التصفية بها متعلق بقوله الاسداء اي الا
عطاء حفر البير اي بير رومة وذلك انها كانت ليهودي في الاشهر
فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ما يستعذب غيرها
فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بير رومة او من اشتراها فله
الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم وحفرها وهي
موجودة الى الان وثوابها مستمر له الى قيام الساعة وفي رواية
ان عثمان لما سمع قوله صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البير
اشترى نصفها بمائة بكرة وتصدق بها واقتسمها يوما
لهذا ويوما لهذا فجعل الناس يستقون منها في يوم عثمان
ليومين فلما راى صاحبها انه قد امتنع منه ما كان يصيبه من
ثمن الماء الذي يبيعه منها باع من عثمان النصف الثاني بشيء
يسير فتصدق عثمان رضي الله عنه بها كلها تنبيه تعبير
الناظم بالحفر تبع فيه بعض الروايات وكانه لم يبال بقول من

وابن عفان ذي الايادي التي طا
ل الى المصطفى بها الاسداء
حفر البير جهز الجيش اهدى الـ
هدي لما ان صده الاعداء

قال ذكر الحجر وهم من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها
ويجاب بانه لا مانع من انه اشتراها ثم زاد في تعميقها مبالغة
في تكثير ما بها لشدة احتياج الناس اليها ثم رايت بعض المتأ
خرين صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها كانت تباع بمد
وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها ان يبيعها له فاعتل
بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها بخمسة
وثلاثين الف درهم تجهيز الجيش اي جيش العسرة في غزوة تبوك
اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حث على جيش العسرة فقال
عثمان رضي الله عنه يا رسول الله علي مائة بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول
الله علي مائتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض
صلى الله عليه وسلم على الجيش فقال عثمان رضي الله عنه يا رسول الله
علي ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فنزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد
هذه وفي رواية حمل عثمان في جيش العسرة على الف بعير وسبعين
فرسا وصح انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين
جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل يقلبها بيده ويقول
غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم
القيامة ما يبالي ما عمل بعدها وصح انه لما حوصر اشرف عليهم فقال

ما ضر عثمان ما فعل بعد
اليوم ما ضر عثمان ما فعل
بعد اليوم وفي رواية انه
بعث بعشرة الاف
دينار فصبت بين يديه
صلعم فجعل يقلبها ويقول
غفر

انشدكم

انشدكم بالله ولا انشد الا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش
العسرة فله الجنة فجهزته الستم تعلمون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من حفر بير رومة فله الجنة فصدقوه بما قال
وصح عن ابي هريرة رضي الله عنه اشترى عثمان الجنة من النبي صلى
الله عليه وسلم مرتين حيث حفر بير رومة وحيث جهز جيش
العسرة وصح انه استشهد اقواما من الصحابة على ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من يشتري هذه المربد ويزيده في
مسجدنا وله الجنة واجره في الدنيا ما بقي درجات له فاشتريته
بعشرين الفا وزدته في المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه
صدقوا ولكنك غيرت ثم تجهيز الجيش وحفر البير فصدقوه ذكر
فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال رضي الله عنه
ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكر انهم سيقولون لك
في غيره فكان كذلك في علي خرجوا عليه فاستشهد الصحابة
على خصوصيات فشهدوا له فقال الواحد صدقوا ولكنك غيرت وفي
رواية ان محمد بن ابي بكر لما دخل على عثمان وكان مع الخارجين
عليه استشهده ان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه
وقال لو كان عندنا شيء زوجناه وانه بايع عنه في بيعة
الرضوان وانه قال من يشتري هذا النخل فيقيم قبلة المسجد

وله مثله في الجنة فاشتراه عثمان وان المسلمين اشتد جوعهم
فبسط لهم على انطاع الحواري بالسمن والعسل فكان اول خبيص
اكلوا في الاسلام وانهم ظمئوا ظمأ فجعل لهم بير رومة فاعطى
عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف فيهم والغني
سواء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع الناس فاشترى
خمسة عشر راحلة طعاما فاخذ ثلاثا واعطى النبي صلى الله
عليه وسلم ثنتي عشرة فدعا له بالبركة فيما اعطى وما امسك وانه
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار فصبها في حجره فقال ما
ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير بحراء فرجف بهم فضربه
بقدمه الشريف وقال اثبت حراء فانما عليك نبي او صديق
او شهيد كذلك ومحمد يقول نعم تنبيه قال ابن مالك
من احسن شواهد قول الكوفيين والاخفش ان او ترد بمعنى الواو هذا
الحديث الاخير اهدى الهدي الى مكة وارسله اليها عام الحديبية
حين توجه صلى الله عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في ذي
القعدة سنة ست يريد العمرة فمنعته قريش من دخول الحرم
لما اي حين ان صدوه عن الدخول اليها الاعداء اي المشركون وكان
وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة بخلاف هدي غيره
لكن انما ذلك لعزة قومه بها دون غيره ففي الخصوصية حينئذ

تامل

تامل بل فضيلة ادبه الاتية من تركه الطواف ثم كان رسالة حيث
لم يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال انه اخر هديه
لغيبته حتى حضر بعد ذبحهم لهديهم فحينئذ هو لم يرسله
الا وقد ايسوا من ارسال هديهم فلا مخالفة فيه للادب
وتعبيره بلما هذه يجيز هو ما ذهب اليه جماعة وقال
ابن مالك انها بمعنى اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة
الى الجملة وهي تقتضي جملتين وجدت الثانية عند وجود
الاولى ولذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما
ماض او جملة اسمية مقرونة بالفاء او باذا الفجائية ويجاد لنا
في فلما ذهب عن ابراهيم الروع الاية فهو وايجاد لنا خلافا لابن
عصفور وقد ترد للاستثناء نحو ان كل نفس لما عليها
حافظ في قراءة من شدد الميم وفي هذا انحا السوي الشواه
وبعد والاباعد ويقرب والقريب وادب والاديب اجناس الاشتقاق
او شبهه وابي رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه
وسلم الى اهل مكة ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع بين النبي
صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو المرسل اليه من اهل مكة
ليقع الصلح بينهم على انه يرجع في هذه السنة ولا يدخل
مكة لئلا يقول الناس انه دخلها كرها على اهلها ثم يعود
اليها معتمرا السنة القابلة ويدخلها والاسلحة في غلفها

ليكون ذلك علامة على الصلح وعلى وضع الحرب بينهم عشر
سنين ثم نقضوا الصلح فكان ذلك سببا لفتح مكة في السنة
الثامنة ولما ارسله امسك سهيل بن عمرو عنده بدله وفي
رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر اذهب فاستاذن لنا ليخلوا
بيننا وبين الكعبة فقال يا رسول الله ليس هناك احد من بني
عمي يمنعني ولكن ارسل عثمان فان بني عمه يمنعونه فارسله
ليكلم اشراف قريش في ان يرجعوا عن صدهم عن دخول مكة
وان يمكنوه من دخولها لاداء ما جاء بقصده من الاعتمار وتعظيم
البيت بالبدن والهدي دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى
كل من القولين احتبسوه عندهم وقالوا له ان شئت ان تطوف
بالبيت فطف فابى اي امتنع حينئذ ان يطوف بالبيت اذ تعليلية
لم يدن اي يقرب منه اي من البيت الى النبي متعلق بيدن فناء وهو
ما امتد من جوانبه ولما احتبسوه بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ان عثمان قتل فدعا الناس الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت
وقيل على ان لا يفروا ذكره الحافظ مغلطاي ولما بايعه الناس
على ذلك وضع يمينه على شماله وقال هذه من عثمان وفي البخاري
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه بيعة عثمان فضرب
بها على يده اليسرى الحديث وفي رواية للترمذي ان عثمان في حاجة
الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد

رسول

٢٨١

رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم
ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وارسلوا عثمان وجماعة
من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فبسبب ما وقع من
عثمان من امتثاله لامر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو
ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من
عداوتهم للمسلمين لا سيما الاكابر منهم كعثمان ومن تأدبه مع
النبي صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم
له فيه جزته عنها اي تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب
اليهم والامتناع من الطواف ببيعة اي في بيعة رضوان سميت
بذلك لما في الاية الثانية من رضى الله عنهم بسببها يد من
نبيه اي عثمان بيضاء اي بالغة في الكرم الذي عم الانام منها
الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم ولم لا تجازيه تلك اليد
البيضاء بذلك والذي وقع منه من الامتناع من الطواف لاجل غيبة
النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له من الدخول ادب عظيم
جدا عنده رضي الله عنه ومن عجيب هذا الادب انه حصل فيه امر
عظيم وفضل مستغرب جسيم وذلك انه مع كونه ترك الفعل العبادة
تضاعفت الاعمال التي في ذلك الفعل وهو الطواف اي ثوابها

جزته عنها ببيعة رضوان
يد من نبيه بيضاء

ادب عنده تضاعفت الاعمال
بالترك حبذا الادباء

بسبب التردي لذلك الفعل لأجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك
هنا أفضل من الفعل لو وقع منه لأنه ليسر فيه هذا الأدب الذي
بلغ به عثمان من الشأو ما لم يبلغه غيره فلذلك حسن أن يقال فيه
وفي أمثاله على سبيل المدح حبذا الأدبا فهو تتميم لمدح في
عثمان رضي الله عنه من أجل الأدب لأنه كان عنده من الحياء الذي
هو منشأ الأدب ما لم يكن عند غيره وهو من أجلهم كيف وقد
صح أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحيا صلى الله عليه
وسلم منه لما دخل عليه فجمع ثيابه ألا أستحيي من رجل تستحيي
منه الملائكة وروي من غير طريق أشد أمتي حياء عثمان بن
عفان رضي الله عنه عثمان أحيى أمتي وأكرمها عثمان حيي ستير
تستحيي منه الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله
إنما يشبه عثمان بأبينا إبراهيم عثمان وليي في الدنيا والآخرة
ولو أن لي أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى
منهن واحدة وما زوجته إلا بالوحي من الله وصح أنه صلى الله
عليه وسلم ذكر فتنة يقربها فمر عثمان فقال هذا يومئذ على
الهدى وأنه قال إن الله مقمصك قميصا أي موليك الخلافة
فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك
قال لهم يوم الدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا
وأنا صابر عليه وفي البخاري أن بعض أعدائه جاء إلى ابن عمر ورماه

نخ حيي نسيب

أن الملائكة ع

نخ تقريبا

بأنه

٢٨٢

بأنه فر يوم أحد وأنه تغيب عن بدر وعن بيعة الرضوان فرد
عليه ابن عمر بأن الله تعالى قد غفر له وعفا عنه ما وقع منه يوم
أحد وبأن تغيبه عن بدر إنما كان بإذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليمرض ابنته رقية وقال له إن لك أجر من شهد بدرا وسهمه
وبأن غيبته عن بيعة الرضوان إنما هو لكونه كان أعز أهل مكة
فأرسله في حاجته فكانت بيعة الرضوان فضرب صلى الله
عليه وسلم إحدى يديه على الأخرى فقال هذه لعثمان قال العلماء
ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولهذا سمي ذا النورين وقال
وهو محصور بداره فقتله أنه اختبأ عند ربه عشرا أنه رابع
أربعة في الإسلام وأنكحه صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى
ولا تمنى ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا مرت به جمعة منذ أسلم إلا وأعتق فيها رقبة
أي جملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا ولا زنى ولا
سرق جاهلية ولا إسلاما وجمع القرآن على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلي أي وأقسم عليك بعلي وسبق عنه الأقسام
به أيضا وإنما لم يكتف به لأن ذلك وقع تبعا للمعجزة المقصودة
بالذات وهي برء عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما وليس من ما
هو مذهب أهل السنة وأكثر الفرق من أن الخلافة والأفضلية بينهم
على هذا الترتيب فأحق الصحابة بالخلافة وأفضلهم أبو بكر

نخ ولا غنى

ثم عمر وهذا الاجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه جماعة من
الايمة منهم الامام الشافعي رضي الله عنه قطعي لا نزاع فيه
يعتقد به ثم عثمان ثم علي وهذا اما عليه الاكثرون فهو ظني لا
قطعي وخالف فيه سفيان الثوري ومالك وغيرهما فقالوا بافضلية
علي وان كان عثمان احق منه بالخلافة لاجماع اهل الشورى ثم الصحابة
على خلافته مع الاشارة اليها من النبي صلى الله عليه وسلم كما
سيفعل الاشارة الى ذلك ومما يصرح بافضلية علي ما صح عن ابن
عمر كنا نخير من الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر نخير بين
ثم عمر ثم عثمان وعن ابي هريرة رضي الله عنه كنا معاشر اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه الامة
بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت فهل تجب محبتهم
برعاية افضليتهم فيه تفصيل وهو انهما ان كانتا من حيث
الدين والعلم ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبها
كترتيبهم المذكور وان كانت لنحو قرابة او احسان لم تجب رعايته
كذلك صنو النبي صلى الله عليه وسلم اي مثله من حيث اجتماعهما
في اصل واحد هو عبد المطلب فهما كنخلتين اصلهما واحد وفي حديث
الترمذي فانما عم الرجل صنو ابيه وهو من هذا القبيل ومن اي الذي
دين لنا باعتقاد فؤادي اي قلبي وداده اي حبه والولاء اي مناصرته
والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولم يبال بوقوع الاجماع

عليهما

عليهما وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر ورموه بما هو بريء
منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي
ولما تاكد الذب عنه لكثرة اعدائه من بني امية والخوارج الذين بالغوا
في سبه وتنقيصه حتى على المنابر خصه الناظم بذلك ولهذا
اشتغل جهابذة الحفاظ ببث فضائله نصحا للامة ونصرة للحق
ومن ثم قال احمد ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي وقال اسماعيل
القاضي والنسائي وابو علي النيسابوري لم يرد في حق احد من
الصحابة بالاسانيد الحسان اكثر مما ورد في حق علي فمن ذلك ما
صح ان الله تعالى يحبه وان رسوله يحبه بل روى الترمذي انه كان احب
الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان المراد بالناس بنو
هاشم حتى لا ينافي ما مر ان ابا بكر كان احب الناس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة لما نزلت دعا صلى الله عليه
وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء اهلي وانه قال انا
سيد ولد ادم وعلي سيد العرب لكن اعترض تصحيح الحاكم لهذا
وانه قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
رواه ثلاثون صحابيا وان الله تعالى امره بحب اربعة واخبره انه يحبهم
منهم علي وانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وان من سبه
فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه يقاتل على القرآن كما قاتل

صلى الله عليه وسلم على تنزيله وأنه يهلك فيه اثنان محب مفرط
ومبغض يبهته وأن قاتله اللعين ابن ملجم أشقى الآخرين كما
أن عاقر الناقة أشقى الأولين **ووزير ابن عمه** النبي صلى الله عليه
وسلم أي ناصره وحامل كل أثقال نائبه صلى الله عليه وسلم ونائب عنه **في**
المعالي الدينية والدنيوية جمع العلا وهو الرفعة والشرف
وأصل هذا الحديث الصحيح أنه لما خلفه على المدينة في غزوة تبوك
قال يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال أما ترضى أن
تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ومر الكلام
عليه في شرح أودعتهم الزهراء وقال صلى الله عليه وسلم فيما
أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة علي مني وأنا منه
ولا يؤدي عني إلا علي والترمذي أنت أخي في الدنيا والآخرة
والخطيب علي مني بمنزلة رأسي من بدني وابن عدي علي يعسوب
المؤمنين والمال يعسوب المنافقين والبزار علي يقضي ديني والنسائي
والحاكم إن كل نبي أعطي سبعة نجباء وأعطيت أنا أربعة عشر
علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر الحديث وأحمد
أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت
في علي ثلاثمائة آية ولبست الوزارة خاصة به رضي الله عنه
فقد أخرج الترمذي حديث ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء
ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل

ووزير ابن عمه في المعالي
ومن الأجل تسعد الوزراء

وأما

وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع
والبصر وفي رواية هما مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس وأخرج
الطبراني وأبو نعيم أن الله أمدني بأربعة وزراء اثنين من أهل
السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر وابن عساكر
أن لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر بل قد يستشكل
ذكره الوزارة فيه دونهما مع أنها لم ترد فيه لفظا وصحت فيهما
وقد يجاب بأنها وردت فيه بمعناها على وجه أبلغ من لفظها
وهو قوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى فإن هذه الوزارة
المستفادة من هذا التشبيه كوزارة هارون أخص من مطلق الوزارة
الواردة فيهما ومن ثم أخذ منها الشيعة أنها تفيد النص على
أنه الخليفة بعده وهو كذلك لولا ما يأتي قريبا من إبطال ذلك
الاستنباط ومما يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه
وسلم آخاه دون غيره وأرسله مؤذنا على الناس ببراءة في الموسم
مع أن الخليفة على الحج أبو بكر لأن العرب لا يقبلون من يبلغ عن
الكبير إلا من كان من أهله وجلدته وأنه استخلفه بمكة عند
الهجرة حتى أدى ودائعه وقضى ما عليه وأتاه بأهله فهذه كلها
مؤذنة بوزارة خاصة لم توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط
على أنه وصفه بما هو أعظم منها وأجل **ومن الأجل تسعد الوزراء**
تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن تلك السعادة

ما أمره صلى الله عليه وسلم به من المواخاة فقد اخرج الترمذي
انه صلى الله عليه وسلم آخى بين اصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا
رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تواخ بيني وبين احد فقال صلى
الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة ومن العلوم التي اشار
اليها بقوله انا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد
العلم فليات الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي
بابها وفي اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم
هذا الحديث فجماعة منهم النووي رحمه الله تعالى على انه موضوع
والحاكم صححه وصوب بعض الحفاظ المطلعين انه حديث حسن
وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي بينهم فقال لا
ادري ما القضاء فضرب صدره بيده ثم قال اللهم اهد قلبه
وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين
اثنين وقيل له ما لك اكثر الصحابة حديثا فقال اني كنت اذا سا
لته انباني واذا سكت ابتداني وكان عمر يتعوذ من معضلة ليس
فيها ابو الحسن يعني عليا ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني
الا علي رضي الله تعالى عنه وذكر عند عايشة رضي الله تعالى عنها
فقالت انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة
الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت آية الا وقد علمت
فيم نزلت واين نزلت وعلى من نزلت ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا

فـ على حديث
انا مدينة العلم

ناطقا

ناطقا وقال سلوني عن كتاب الله فانه ليس من آية الا وقد
عرفت بليل نزلت ام بنهار ام في سهل ام جبل ولاجل هذه العلوم في
الكثيرة التي افيضت عليه من تلك الحضرة النبوية لم يزده
كشف الغطاء يقينا كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله لو كشف
الغطاء ما ازددت يقينا اي لانه حصل عنده من البراهين القطعية
على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق الرسل فيما
جاءوا به ما لا يزيد اليقين فيه رؤية ذلك عيانا واحترز بنفي
زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته فان عاقلا لا يشك ان عين
اليقين اقوى من علم اليقين وان حق اليقين اقوى من عين اليقين ودليله
قوله تعالى اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فاثبت لنفسه
حقيقة الايمان ويقينه وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان
فلا منافاة فيه لما قاله علي كرم الله وجهه خلافا لمن وهم
فيه بل للانتفاء سواء على فضله وعلمه وزهده وتقدمه
على من عدا الخلفاء الثلاثة قبله وحقية خلافته وقيامه فيها
بما قام به من قبله وزيادة الشمس اي مثلها في الظهور والاضاءة
التي لا يلتفت فيها الى تقول مفتو ولا عناد معاند كيف وهو
مع ذلك ما عليه غطاء اي ساتر بل هو ظاهر لكل احد وقد اخرج
الطبراني عن ابن عباس قال كانت لعلي رضي الله تعالى عنه ثماني عشرة
منقبة ما كانت لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن عمر قال اعطي ثلاث

لم يزده كشف الغطاء يقينا

بل هو الشمس ما عليه غطاء

خصال لان يكون لي خصلة منها احب الي من ان اعطى حمر النعم تزويجه
ابنته وسكناه المسجد واعطاؤه الراية يوم خيبر وصح عن ابن
عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب حديث ان الله جعل ذرية
كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وما احسن
قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا امير المومنين لقد زينت
الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي احوج اليك منك
اليها وقول احمد وقد ساله ولده عن علي ومعاوية اعلم ان عليا
كان كثير الاعداء ففتش له اعداؤه شيئا فلم يجدوا فجاءوا الى
رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيدا منهم له وصح خلافا لمن
نازع فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نام في حجره وهو يوحى اليه
فغربت الشمس ولم يصل العصر فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم
وعلم انه لم يصل دعا الله تعالى ان يرد الشمس فعادت حتى ظهر
ضوؤها على الحيطان فصلى ثم غابت وفي هذا كرامة له باهرة ولعل
الناظم اشار اليها بتشبيهه بالشمس تشبيهه مقابل على
ان الله سبحانه اختص عليا من العلوم بما تقصر عنه العبارات
قوله صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي وهو حديث صحيح لا نزاع فيه
وقوله انا دار الحكمة ورواية انا مدينة العلم وعلي بابها فقد
كثر اختلاف الحفاظ وتناقضهم فيه بما يطول بسطه وملخصه
ان لهم فيه اربعة اراء صحيح وهو ما ذهب اليه ويوافقه قول

قف على حديث انا مدينة العلم وعلي بابها حسن مقارب للصحيح الحاكم

الحافظ

الحافظ العسقلاني وقد ذكر له طرقا وبين عدالة رجالها
ولم يات احد ممن تكلم في هذا الحديث بجواب عن هذه الروايات
الصحيحة عن يحيى بن معين وبين رد ما طعن به في بعض رواته كشريك
القاضي بان مسلما احتج به وكفاه بذلك فخرا به واعتمادا عليه
وقد قال النووي في حديث رواه في البسملة ردا على من طعن فيه
يكفينا ان نحتج بما احتج به مسلم ولقد قال بعض معاصريه ما
رايت احدا قط اورع منه في علمه حسن وهو التحقيق ويوافقه
قول شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر رجاله رجال الصحيح الا عبد
السلام الهروي فانه ضعيف عندهم انتهى وسبقه الى اخر كلامه
الحافظ العلائي فقال عن الهروي هذا تكلموا فيه كثيرا انتهى
ويعارض ذلك تصويب ابي زرعة على حديثه ونقل الحاكم عن
يحيى بن معين انه ثقة فثبت انه حسن مقارب للصحيح لما علمت
من قول ابن حجر ان رواته كلهم رواة الصحيح الا الهروي وان الهروي
وثقه جماعة وضعفه اخرون ضعيف اي بناء على راي من ضعف
الهروي موضوع وعليه كثيرون ائمة الحفاظ كالقزويني وابن مس
الجوزي وجزم ببطلان جميع طرقه والذهبي في ميزانه وغيره
وهاؤلاء وان كانوا ائمة اجلاء لكنهم تساهلوا تساهلا كثيرا
كما علم مما قررته وكيف ساغ الحكم بالوضع مع ما تقرر ان رجاله
كلهم رجال الصحيح الا واحدا فمختلف فيه وانه يجب تاويل كلام

القائلين بالوضع بأن ذلك لبعض طرقه لا كلها وما أحسن قول بعض
الحفاظ في أبي معاوية أحد رواته المتكلم فيهم بما لم يسمع هو
ثقة مأمون من كبار المشايخ وحفاظهم وقد تفرد به عن الأعمش
فكان ماذا وأي استحالة في أنه صلى الله عليه وسلم يقول مثل
هذا في حق علي وقول بعض المحققين تمسك الشيعة بهذا الحديث
على أن أخذ العلم والحكمة يختص بعلي لا يتجاوزه إلى غيره إلا بوا
سطته لأن الدار إنما يدخل إليها من بابها ولا حجة لهم فيه إذ ليس
دار الجنة بأوسع من دار الحكمة ولها ثمانية أبواب انتهى وفيه بحث
عند الواحدي لكنه ضعيف وعلي بابها وأبو بكر محرابها الحديث
واحتج بعض من لا تحقيق عنده على الشيعة بأن عليا اسم فاعل من
العلو أي عال بابها فلا ينال لكل أحد وهو بالتعسف أشبه لا
سيما وفي رواية رواها ابن عبد البر في استيعابه أنا مدينة
العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه إذ مع تحديق
النظر في هذه الرواية لا يبقى تردد في بطلان ذلك الرأي فاستفد
هذا وعلم مما قدمته أنه الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة
بالإجماع ولا التفات إلى من زعم أنه لا إجماع على خلافته
وهو أول من أسلم قال بعض الحفاظ إجماعا أي من الصبيان واعتد
بإسلامه حينئذ لأن الأحكام إذ ذاك كانت منوطة بالتمييز
ولم يعبد وثنا قط ومن ثم اختص بكرم الله وجهه وآخى به

الصديق

الصديق في ذلك وآخاه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة
بالوحي وهو أحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد
والخطباء المعروفين وجمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واختلى بعد موته صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا
فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك الكتاب
لظفرت بالعلم كله ولما هاجر صلى الله عليه وسلم أمره أن يقيم
بعده بمكة حتى يؤدي عنه ودائعه ثم يلحقه بأهله ففعل
وأرسله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة وكان الأمير
فيها على الحج أبا بكر فأذن في الناس في الموسم بمنى بسورة
براءة لأن العرب لا يعتدون بما يجيء على لسان الكبير إلا إذا كان
الرسول فيه من أهله ومن ثم جاء في حديث رجاله ثقات
إلا واحدا فمختلف فيه أنه صلى الله عليه وسلم خطب وهو
محاصر الطائف عقب فتح مكة فكان مما قال أوصيكم بعترتي
خيرا وأن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة
ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلا مني أو كنفسي يضرب أعنا
قكم ثم أخذ بيد علي وقال هو هذا وشهد معه صلى الله عليه
وسلم المشاهد كلها وكان له فيها اليد الطولى البيضاء إلا
تبوك لأنه استخلفه على المدينة وقال له لما قال أتخلفني مع
النساء والصبيان أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى

إلا أنه لا نبي بعدي وبكونه إنما قال له ذلك حينئذ يبطل
تمسك الشيعة به على أن الخليفة المتقدم على الكل على أن هارون
مات في حياة موسى صلى الله على نبينا محمد وعليهما وسلم فلا
دليل فيه للخلافة بعد الموت أصلا فإن قلت لم خص الناظم
بوصف الوزارة مع عدم ورود ما فيه ولم يصف بها الشيخين مع
ورود ما فيهما قلت قوله مع عدم ورود ما فيه ممنوع بل
ورد فيه ما هو مصرح بها وهو في قوله أنت مني بمنزلة هارون
من موسى ومؤاخاته صلى الله عليه وسلم له دون غيره وإرساله
مؤذنا ببراءة في الموسم مع أن الأمير غيره لما تقرر أن العرب لا
يقبلون الأمر من مبلغ عن الكبير وهو من جنده وقوله في حقه
لأبعثن إليكم رجلا مني أو كنفسي الحديثان المذكوران آنفا واستخلافه
صلى الله عليه وسلم له بمكة حتى أدى ودائعه وقضى ما [illegible] وأتاه
بأهله فهذه كلها مؤذنة بالوزارة فلذا وصفه الناظم بها
وأيضا لم يصف الشيخين بها لأنه وصفهما بما هو أجل منها
توفي كرم الله وجهه شهيدا على ثلاث وستين سنة ضربه
اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فأوصله
دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين وهو خارج
إلى صلاة الصبح بعد أن استيقظ سحرا وقال للحسن إنه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكا إليه ما لقي فقال ادع عل

انه

أنه يبدله خيرا منهم وأنهم يبدلون شرا منه وأكثر تلك
الليلة من الخروج والنظر إلى السماء وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت
وإنها الليلة التي وعدت وكان عنده أوز فلما خرج للصلاة صحن
فطرد عنه فقال دعوهن فإنهن نوائح وقيل إنه لم يبت إلا ليلة
الأحد وله أسوة بالخليفتين قبله عمر فعثمان رضي الله عنهم
فإن كلا منهما قتل شهيدا مظلوما أما عمر فقتله مجوسي عبد
للمغيرة بن شعبة لكونه شكا إليه ثقل خراجه فلم يشكه
لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنائعه فكمن له إلى أن
ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح
نائبا بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله
عليه وسلم فإنه أرسل ولده بعد أن طعن يستأذن عائشة في
ذلك فقالت كنت أعددت هذا المكان لنفسي ولأوثرنه به فاشتد
فرحه بذلك وأما عثمان فاجتمع على قتله أوباش أربعة الآف
مجمعون من مصر وغيرها فحاصروه إلى أن قتلوه في أوسط أيام
التشريق والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان
وثمانين سنة وقيل أكثر وقيل أقل وتوهم منهم أنه أراد قتل
محمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما وهو بريء من ذلك وإنما فعله
بعض أهله وكان أصحابه رضي الله تعالى عنهم يمكنهم الدفع
عنه لكثرتهم فمنعهم من أن يقاتلوا محاصريه ولما قال له زيد بن

ثابت إن الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال
لا حاجة لي في ذلك كفوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي
عهدا أنا صابر عليه ومن ثم كان عنده في الدار ممن يكفيه الكثير
فأرادوا أن يمنعوا عنه فقال من أغمد سيفه فهو حر لأنه علم
بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه مقتول مظلوم وأنه على
الهدى وأنه لا مخلص له من القتل وأمره أن لا يعزل نفسه كما جاء
في الحديث وهو يا عثمان إنك ستولى الخلافة من بعدي وسيريدك
المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر
عندي كما مر ذلك في الأحاديث وصح أن عثمان أشرف من كوة فقال
لعلي يا أبا الحسن ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر يا عبد الله
فوالله ما غبت عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على
أحد فتحرك الجبل ونحن عليه فقال اثبت أحد فإنه ليس عليك إلا
نبي أو صديق أو شهيد وايم الله لتقتلن ولا تقتلن معك أي بعدك
وليقتلن طلحة والزبير تنبيه ورد في مناقب علي حديث كثر
كلام الحفاظ فيه فأردت أن ألخص المعتمد منه ولفظه عن أنس كان
عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال صلى الله عليه وسلم اللهم
ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير فجاء علي فأكل
رواه الترمذي والمعتمد عند محققي الحفاظ فيه أنه ليس بموضوع
بل له طرق كثيرة قال الحاكم في المستدرك رواه عن أنس أكثر

من

من ثلاثين نفسا ثقة وحينئذ فيتقوى كل من تلك الطرق بمثله
ويصير سنده حسنا بغيره والمحققون أيضا على الحسن بغيره أن
يحتج به كالحسن لذاته وفي جملة طرقه طريق رواتها كلهم
ثقات إلا واحدا قال بعض الحفاظ لم أر من وثقه ولا من جرحه وطريق
أخرى رواته كلهم ثقات أيضا إلا واحدا قال النسائي فيه ليس
بالقوي وهو معارض بأن غير واحد وثقه وذكر الحاكم أنه صح
عن علي وأبي سعيد وسفينة أنه صحيح لكن تساهله في التصحيح
معلوم فالحاصل مما سبق أن كثرة طرقه صيرته حسنا يحتج به
ولكثرتها جدا خرج الحافظ أبو بكر بن مردويه فيها جزءا
وأما قول بعضهم إنه موضوع وقول ابن طاهر طرقه كلها
باطلة معلولة فهو الباطل وابن طاهر معروف بالغلو الفاحش
وابن الجوزي مع تساهله في الحكم بالوضع كما هو معلوم ذكر
في كتابه العلل المتناهية له طرقا كثيرة واهية ولذلك لم
يذكره في موضوعاته فالحاصل ما تقرر أولا أنه حسن يحتج به على
أنه لا يلزم عليه محذور لأنه مؤول قطعا وإلا لاقتضى أنه أحب
إلى ربه من نبيه صلى الله عليه وسلم فهو عام مخصوص وقد صح من
الأحاديث جملة مستكثرة تخرج الثلاثة عنه فاستفد ذلك
كله فإنه مهم تنبيه آخر مما كثر الاختلاف فيه أهو موضوع
أو لا حديث يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك

ومعنى يجنب هنا يمكث جنبًا ويتعين أنه مراد من عبر يستطرقه
جنبًا لأن الاستطراق بظاهره حلال ولا خصوصية فيه لأحد
ثم هذا الحديث كثر الاختلاف في سنده أيضا فقال بعض
الحفاظ إنه موضوع وبعضهم كالحافظ العلائي ضعيف
لا ينتهي إلى الوضع وقال الترمذي إنه حسن لكن اشتد إنكار
الحفاظ عليه في تحسينه له فإن فيه ثلاثة ضعفاء وكل منهم
شيعي متهمين بالكذب قيل ومما يدل على نكارة هذا الحديث
أنه صلى الله عليه وسلم لم يختص عن الأمة بشيء من الرخص فيما
يقتضي القيام بإخلاله أصلا وإنما كان ترخصه في الأمور
الدنيوية كإباحة ما وراء الأربع في النكاح ونحو ذلك فلم
يكن صلى الله عليه وسلم يترخص عنهم بإباحة الجلوس في
المسجد جنبًا أبدًا انتهى ومال الحافظ ابن حجر إلى تحسين الترمذي
بأن له شواهد عند البزار رواته ثقات قال والسبب في ذلك
أن بيت علي كان كبيته صلى الله عليه وسلم في كونه كان مجاورًا
للمسجد وبابه منه فقد صح من طرق أنه صلى الله عليه وسلم
لما أمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد إلا باب علي شق على
بعض الصحابة فأجابهم بعذر في ذلك وأقسم عليك بباقي
أصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الأحاديث الصحيحة
منها أن عمر رضي الله تعالى عنه لما جعل الأمر شورى بين الستة

وثلاثة

خ بإخلاله
تضييع حرمانه والقبلع

انكر

أنكر عليه بأنهم ليسوا رضى فقال أما عسى أن تقولوا في علي
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يدك في يدي تدخل
معي يوم القيامة حيث أدخل وذكر في عثمان حديث أنه يوم
يموت تصلي عليه ملائكة السماء وأن ذلك له خاصة وفي
طلحة أن رحل النبي صلى الله عليه وسلم سقط في ليلة فقال
من يسوي لي رحلي وهو في الجنة فبادر طلحة فسواه له فقال
يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك في أهوال
يوم القيامة حتى أنجيك منها وذكر في الزبير أنه جلس يذب
عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم حتى استيقظ فقال
له يا أبا عبد الله لم تزل قال لم أزل بأبي أنت وأمي قال هذا جبريل
يقرئك السلام ويقول أنا معك يوم القيامة حتى أذب عن وجهك
شرر جهنم وذكر في سعد بن أبي وقاص أنه صلى الله عليه
وسلم قال فيه يوم بدر وقد أوتر قوسه أربع عشرة مرة يدفعها
إليه فداك أبي وأمي وذكر في عبد الرحمن بن عوف أن الحسنين
اشتد بكاؤهما جوعًا فقال صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء
فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما
إهالة فقال له صلى الله عليه وسلم كفاك الله أمر دنياك وأما أمر
آخرتك فأنا لها ضامن ومنها أن حراء ارتج وعليه الخلفاء
الأربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد فقال له

النبيء صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبيء او صديق
او شهيد ومنها من رواية سعيد بن عمرو بن نفيل ابو بكر في الجنة
وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة
والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي
وقاص في الجنة وتاسع المومنين في الجنة فنشدوه بالله
عنه فقال اما اذا انشدتموني فانا تاسع المومنين ورسول
الله صلى الله عليه وسلم العاشر ثم قال الموقف احدهم مع رسو
الله صلى الله عليه وسلم يغبر منه وجهه افضل من عمر احدكم ولو
عمر عمر نوح المظهر اي المبين الترتيب بينهم من النبيء صلى
الله عليه وسلم وهو معمول فبينا اي لنا تفضيلهم على حسب
مراتبهم التي بينها منشر فيهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله
وعكس ذلك الشارح والاو الظهر والمظهر لذلك بينهم
لنا ايضا الولاء اي الموالات والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب
مراتبهم ومن ثم سيل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفاء
الاربعة هل يجب ان تكون على حسب فضلهم فقال محبتهم من
حيث الدين والقرب الى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يجب ان تكون
بحسب فضلهم ومن حيث نحو قرابة او احسان لا يجب ان يكون كذلك
وما قاله في الخلفاء الاربعة ياتي في بقية الصحابة رضوان الله
عليهم طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي احد العشرة المشهو

لهم

طلحة الخير المرتضى وصفا
واحد النجوم ذي الرفعة

٢٦١

لهم بالجنة واحد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة
اصحاب الشورى في امر الخلافة بعد عمر الذين توفي صلى الله عليه وسلم
وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر لكونه
السبب في اسلامهم وسماه النبيء صلى الله عليه وسلم طلحة
الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث
باع ارضا له بسبعماية الف فبات عنده اهله بنيم مخافة من
حسابها فاصبح ففرقها وفي رواية ففرقها في ليلته على فقراء
المدينة وجاءه رحم له يسئله برحمه فاعطاه ثلاثماية الف
وكان مغله بالعراق في كل سنة اربعماية الف وكان يكفي
ضعفاء قومه وقوم ابي بكر بني تيم ويقضي ديونهم ويرسل
الى عايشة رضي الله عنها في كل سنة عشرة الاف درهم
وتصدق في يوم بماية الف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى
المسجد يصلي فيه وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله
عليه وسلم كمن شهدها اجرا وسهما قيل لانه كان بالشام
لتجارة والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن
زيد رضي الله عنهما للتجسس عن خبر عير قريش وخرج لبدر
فرجعا الى المدينة فوافيا منصرفه من بدر وصح انه صلى الله
عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا زبير ان لكل
نبيء حواريا وانتما حواراي اي ناصراي وان الخلفاء الاربعة

وطلحة والزبير وابن عوف وسعد وسعيد كانوا امام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في القتال وخلفه في الصلاة في الصف وليس
احد من المهاجرين والانصار يقوم مقامه واحد منهم غاب او شهد
المرتضيه اي الذي ارتضاه النبي صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه
الناظم من اضافة اسم الفاعل الى معموله الضمير العائد على ال
المقترنة به هو الاصح نحو الضارب الرجل والشافيه ومنع
المبرد هذه الصورة واوجب النصب اي لئلا يلزم عليه اجتماع
اداتي تعريف ورد لان اضافة الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا
بل تخفيفا فال واقعة ثم جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال
ان كان مثنى كالضاربا او جمعا على حده كالضاربا زيد والضاربوا
زيد او اضيف لمعرف بال نحو الضارب الرجل او المضاف اليه كالقاصد
باب الكريم او الى ضمير هو مرجعه اي كما هنا ومن قال التقدير
الذي ارتضى هو النبي صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع
الاضافة حينئذ لانها ليست الى ضمير مرجعه أل فتنبه له
رفيقا واحدا هو ما في اكثر النسخ وفي نسخة احد وهو الفاعل
اي الذي ارتضاه احد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفي اخرى احدا
وهو على نزع الخافض اي في احد يوم ظرف لاسم الفاعل وقول
الشارح انه بدل من احد اي بناء على النسخة الثانية بعيد جرم
الرفقاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه

كسعد

كسعد وسعيد والامانة والامفاء وتمسكت واستمسكت
وانطوت وانطوى واغتنا والغوث والغيث الاتيان جناس الا
شتقاق او شبهه وفي ذكر واحد في اكثر النسخ نظر بل المنقول
في السير وغيرها ان الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لما انكشف
عنه الناس اربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الا
نصار وفي البخاري لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر
رجلا لكن ظاهر كلام بعض اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك
انفراد معه صلى الله عليه وسلم ثم ثنا بعث بعده الناس فانه
قال وكانت لطلحة اليد البيضا يوم احد وقى النبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ لما ضرب بالسيف فشج وجنفه بيده فشلت
واستمرت شلا وكان الصديق اذا حدث عن يوم احد بكى وقال
ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ اوجب
طلحة اي وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قد
ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهو عليه ليصعد صخرة هنا
لك فما استطاع فبرك له طلحة فصعد على ظهره واستوى
عليها فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي
صلى الله عليه وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه
وعن عائشة انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جاء يوم احد
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة بن الجراح

عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فأصلحنا من شأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم أتينا طلحة فإذا به بضع وسبعون أو
أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية وإذا قد انقطعت إصبعه
فأصلحنا من شأنه ثم رأيت حديثا مجمعا مصرحا بما في النظم
على نسخة واحد أو هو لقد رأيتني يوم أحد وما في الأرض مخلوق
غير جبريل عن يميني وطلحة عن يساري ولما رجع صلى الله عليه
وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية فقيل يا رسول الله من هؤلاء
قال هذا منهم وأشار إلى طلحة وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه
من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة
ابن عبيد الله وصح أيضا طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل
يقع فيه وفي الزبير بحضرة سعد بن أبي وقاص فينهاه فيأبى فصلى
ثم دعا عليه أنه إن كان مبطلا يريه فيه آية ويجعله للناس
عبرة فخرج فإذا جمل هائج يشق الناس فأخذه وفرسه بيديه
ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب فأنا رأيت الناس يتبعون
سعدا ويقولون هنيئا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك وكان
خرج هو والزبير على علي رضي الله عنهم فاجتمع بهما يوم الجمل
فروى للزبير ما بان له ووعظ طلحة فتأخر ووقف في بعض
الصفوف فجاءه سهم في ركبته فقتله في جمادى الأخرة

سنة

وحواريك الزبير ابن العوام
الذي نجت به [illegible]

سنة ست وثلاثين عن أربع وستين سنة على الأشهر ودفن
بالبصرة وجاء علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة
الله عليك أبا محمد يعز علي أن أراك مجدلا وحواريك أي ناصرك
الزبير بن العوام القرشي وأمه صفية عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو أحد الثمانية السابقين والستة أصحاب الشورى
والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين لم يلحقه
حمزة وعلي أحد في الشجاعة والفروسية ولذلك لما كان يوم
بدر بعمامة صفراء نزلت الملائكة بعمائم صفر وهو أول من
سل سيفا في سبيل الله لأنه سمع أخذ محمد فخرج يشق
الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة
فقال له ما لك فقال أخبرت بأنك أخذت فصلى عليه ودعا له
ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضاء والهمة العليا
اخترق صفوف الروم من بين أولهم إلى آخرهم وفتح مصر مع
عمرو بن العاص وصح أنه لما اشتد الخوف يوم الأحزاب ندب صلى
الله عليه وسلم من يأتيه بخبر عصيان بني قريظة فقال أنا فأعاد
فقال أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حواريا وحواريَّ
الزبير وجمع له صلى الله عليه وسلم بين أبويه فقال ارم فداك
أبي وأمي وصح عن عثمان أنه قيل له وهو محصور لو استخلفت

قال العلهم قالوا الزبير قيل نعم قال أما والله إنه لخيرهم ما
علمت وإنه كان لأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
صحيحة أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم ثلاثا وكان له ألف عبد
يؤدون إليه الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم
بدرهم منه وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف
خرج علي وهو على بغلة النبي صلى الله عليه وسلم فنادى ادعوا لي
الزبير فدعي له فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال له نشدتك
بالله أتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مكان
كذا وكذا فقال يا زبير تحب عليا فقلت ألا أحب ابن خالي وابن تحب يا زبير
عمتي وعلى ديني فقال يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له
فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك ثم أدبر راجعا فقال له
ولده عبد الله ما بك فذكر له القصة فقال لم تجئ للقتال بل
لتصلح بين الناس فأباه وفي رواية أنه قال له جبنا جبنا فقال قد
علم الناس أني لست بجبان ولكن ذكر لي حديثا فحلفت أن لا أقاتله
وفي رواية أن سبب رجوعه أنه قال لأصحاب علي أفيكم عمار بن
ياسر قالوا نعم فأغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لعمار ستقتلك الفئة الباغية ولا مانع أنه قال
ذلك ثم ذكره علي بالحديث زيادة في إعلامه ثم سار فلما وصل

وادي

وادي السباع نام فجاء رجل فقتله في جمادى الأولى سنة ست
وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الأشهر وقبل أن يجتمع
بعلي قال لابنه عبد الله أما أراني إلا سأقتل اليوم مظلوما ثم
أكد عليه أن يبيع أمواله ويقضي دينه من أرضين له منها الغابة
وبضع عشرة دارا وقدر دينه ألفا ألف ومائتا ألف وما ولي إمارة
قف قط ولا جباية ولا خراجا ولا شيئا ولا خلف درهما ولا دينارا فباع
ابنه ماله ثم قال من كان له عليه دين فليأتنا نقضي ما عليه
ثم أقام أربع سنين ينادي بكل موسم من له عليه شيء فليأتنا
فلما لم يأته أحد أخرج ثلث ماله لأنه أوصى به ثم قسم الباقي
قف بين ورثته وكان له أربع نسوة فأصاب كلا منهن ألف ألف
ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف هذا
ملخص ما في صحيح البخاري لكن اعترض بأن الصحيح أن الذي تركه
مضافا للدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون ألف
ألف وثمانمائة ألف وكان له صدقات كثيرة ومكارم جليلة
وماله كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة إليه بل أغنياء الصحابة
كلهم كذلك لأن أموالهم إما من سلب أو سهم من الغنيمة أو
الفيء أو تجارة مبرورة وأوصى إليه سبعون من الصحابة بأموالهم
وأولادهم فحفظها وكان ينفق على أولادهم من ماله ومن مدح
حسان فيه * وكم كربة ذب الزبير بسيفه * عن المصطفى والله يعطي فيجزل *

فيما مثله فيهم ولا كان قبله ° وليس يكون الدهر ما دام يذبل
ثناؤك خير من فعال معاشر ° وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل
أبو القرم بفتح القاف وسكون الراء أي السيد الكريم عبد الله
ابن حبيب وأبي بكر الذي أنجبت أي أتت به في غاية النجابة
والشجاعة والرأي الحازم والتصرف الصائب أسماء بنت أبي بكر
الصديق رضي الله عنه ذات النطاقين بعد عشرين شهرا من
الهجرة بالمدينة وكان أول مولود بعد الهجرة واشتد فرح المها
جرين به لأن اليهود توعدوهم أنهم عملوا لهم ما أبطل
نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان كذبهم ولما احتجم صلى
الله عليه وسلم أعطاه دمه وقال له غيبه في موضع لا يراك
فيه أحد فلما رجع إليه قال ما فعلت بالدم قال شربته قال إذا
لا تلج النار بطنك وويل لك من الناس وويل للناس منك فكان
كذلك لأنه سعى في الخلافة لما مات يزيد سنة أربع وستين
فأطاعه أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة
الشريفة لتقدمها وسماعه من خالته عائشة رضي الله عنها
ما روته له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا أن قريشا حديثو عهد
بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد إبراهيم الخليل عليه
السلام وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها الشرقي لاطيا بالأرض
كما كانت في زمن إبراهيم صلى الله عليه وسلم فأعادها ابن الزبير

لذلك

لذلك بعد أن شاور الصحابة فمنهم من أمره بذلك ومنهم من نهاه
عنه فلم يرجع إليه لسماعه الحديث المذكور فكان أجر ذلك البناء
باقيا له إلى أن يهدمها ذو السويقتين فإن البناء الموجود الآن كله
بناؤه إلا حائط الميزاب فإن الحجاج لما حصره أول الحجة سنة اثنين
وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصره إلى أن قتله سابع جمادى
الأولى سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان أدخله ابن الزبير من الحجر
وهو ستة أذرع كما أدخله إبراهيم عليه الصلاة والسلام
وأخرج الستة ثم أخر الجدار كما هو اليوم وسد الباب الغربي
وأعلا الباب الشرقي لتصير كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم
لأن قريشا لما بنتها حينئذ قصر بهم المال الحلال عن أن يجعلوها
كما كانت في زمن إبراهيم فجعلوها كذلك وكان ابن الزبير
صواما يواصل الخمسة عشر يوما وأكثر وأما الأطلس لا لحية
له من دهاة العرب المشهورين وشجعانهم الموصوفين وأحد
العبادلة الأربعة المنفردين سنا وعلما وذكاء وفقها والثلاثة
عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص
وليس منهم ابن مسعود لأنه أكبر منهم سنا فليس في طبقتهم
والضيفين تثنية ضيف وهو المتطفل المستحلم من الحظوظ
والشهوات فتوءم العض من تامت المرأة إذا ولدت اثنين في
أن العض أنجبها لكثرة ما قام بها منه ولو قال توءم العض كان

والضيفين توءم العض سعد
وسعيد ان [illegible] الا ضيفان

أو ضحى ومعناه حينئذ أنهما لما اشتركا في الفضائل الجليلة صارا
كأنهما مولودان في حمل واحد سعد أبي إسحاق بن أبي وقاص
مالك القرشي الزهري وهو أحد الستة أصحاب الشورى والثمانية
السابقين إلى الإسلام بل هو ثالث الإسلام وأقام كذلك سبعة
أيام والعشرة المشهود لهم بالجنة والشجعان المشهورين
وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دما في سبيل
الله وكان يقال له فارس الإسلام شهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم أحد ألف سهم وولاه
عمر رضي الله تعالى عنه العراق فكان الأمير في فتح مدائن كسرى
وغيرها ومن كراماته الظاهرة أنه قطع بجيوشه البحر على
ظهور الخيل لم يبلغ الماء منها إلى حزمها والناس في غاية
الطمأنينة كأنهم سائرون بالبر وكان الذي يسايره سلمان
الفارسي رضي الله عنهم وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة
وكان صلى الله عليه وسلم يناوله النبل يوم أحد ويقول ارم فداك
أبي وأمي وأقبل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه فـ
فقال هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله وقال له يا خال اجلس
فإن الخال والد ودعا له فقال اللهم سدد رميه وأجب دعوته
وفي رواية صحيحة اللهم استجب لسعد إذا دعاك فلم تسقط
له دعوة بعد ذلك فكان مجاب الدعوة وأشرف على الموت

فأخبره

فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه يعيش فقال لعل الله أن
يرفعك فينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون واعتزل الفتنة
بعد قتل عثمان فلم يدخل فيها ولم يحضر شيئا من تلك الحروب
توفي رضي الله عنه بقصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة
فحمل إليها وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة
وصلى عليه أمهات المؤمنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة
خمس وخمسين عن تسع وسبعين وكان أوصى أن يكفن في جبة
صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال إنما كنت أخبأتها
لذلك وهو آخر المهاجرين موتا وفي مسلم أن آية ولا تطرد
الذين يدعون ربهم نزلت في ستة منهم سعد وابن مسعود
وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي أحد العشرة
المشهود لهم بالجنة وشهد المشاهد كلها وعده البخاري
فيمن شهد بدرا ومر في ترجمة طلحة أنه لم يشهدها وهذا
ما عليه الأكثرون وقد يجمع بأنه لم يشهدها حسا وشهدها
حكما أجرا وسهما وهو ابن عم عمر رضي الله عنه وزوج أخته
والسبب في إسلامه كما مر ولذا لم يدخله في أهل الشورى
كولده عبد الله لئلا يظن به أنه حابى أقاربه وأخرج الشيخان
أن امرأة ادعت عليه عند مروان أنه أخذ لها قطعة أرض فقال
ما كنت أفعل بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

من اخذ شبرا من ارض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال مروان لا اسئلك
بينة بعد هذا ثم قال سعيد رضي الله عنه اللهم ان كانت كاذبة
فاعم بصرها واقتلها في ارضها فذهب بصرها وبينما هي تمشي
في ارضها وقعت في حفرة فماتت زاد مسلم انها قالت اصابتني
دعوة سعيد وفي رواية انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها
الذي ادعت ثم دعا عليها فماتت توفي سنة خمسين عن بضع
وسبعين سنة ودفن بالمدينة وابوه زيد توفي في الجاهلية
لكن جاءت احاديث تدل على انه من اهل الجنة منها لكنه مرسل
غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح سئل صلى الله
عليه وسلم عنه فقال ياتي يوم القيامة امة وحده بيني وبين
عيسى ان عدت الاصفياء فهذا ان من كان ابوهم كيف وفي اسميهما
ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب السعادة وعبد الرحمن
ابن عوف بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري احد الثمانية السا
بقين للاسلام والستة اهل الشورى والعشرة المبشرين بالجنة
والخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنهم
وصح انه كان بينه وبين خالد شيء فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق
احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اي نصفه
وفي رواية الواقدي وابن عساكر يا خالد ذروا لي اصحابي متى

وابن عوف عرض نفسه
لا [illegible]

بعنها

ينك انف المرء ينك المرء ولو كان احد ذهبا ينفقه قيراطا
قيراطا في سبيل الله لم يدرك غدوة او روحة من غدوات عبد
الرحمن وشهد المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم كلها وكان
ممن ثبت يوم احد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى دومة الجندل
الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها بين كتفيه
وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم او قال شريفهم
ففتح عليه وتزوج بنت شريفهم الاصبغ فولدت له ابا سلمة
وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به في غزوة تبوك فصلى وراءه
ركعة من صلاة الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابي غيره
وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجته فادركهم
الوقت فاقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن بن عوف رضي
الله عنه ولما اتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما
قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من امته وائتم صلى الله عليه
وسلم بابي بكر ايضا لكنه اخرج نفسه عن الامامة بتاخره
وقال لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تثبت وقد
اشرت اليك ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قلت لم لم يفعل عبد الرحمن
ذلك قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدائه صلى الله عليه
وسلم به واقتدى صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة

المشاهد

بجانبه من ناحية الحِجر بكسر الحاء فصلى به الخمس مرتين في يومين
صبيحة الاسراء والذي يليه وكان كثير الانفاق في سبيل الله أعتق
في يوم واحد أحدا وثلاثين عبدا حتى جاء أن جملة ما أعتقه ثلاثون
ألفا وفي حديث أنه أمين في السماء أمين في الارض وكان كثير المال
محظوظا في التجارة قالت أم سلمة خفت أن يهلكني كثرة مالي
فقالت يا بني أنفق قال الزهري تصدق على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف دينار ثم بأربعين ألف دينار
ثم بمثلها ثم خمسمائة فرس ثم خمسمائة راحلة وفي رواية
ألف وخمسمائة راحلة وأوصى لأمهات المومنين بحديقة فبيعت
بأربعمائة ألف وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله ولكل
واحد ممن بقي ممن شهد بدرا بأربعمائة دينار وكانوا مائة
ومن جملتهم عثمان فأخذ مائة وهو أمير المومنين وبألف
فرس في سبيل الله وكان أهل المدينة عيالا عليه ثلث يقرضهم
وثلث يقضي ديونهم وثلث يصلهم وقدمت له عير من الشام
سبعمائة راحلة فسمعت عائشة رضي الله عنها أصواتها
فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه فأتاها فحدثته
فقال أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل
الله عز وجل وباع أرضا من عثمان بأربعين ألف دينار فقسمها
في أقاربه بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المومنين وروي

في جملة ما أعتق عبد الرحمن بن عوف

أنه

أنه صلى الله عليه وسلم قال له لن تدخل الجنة إلا زحفا فأقرض الله
عز وجل يطلق لك قدميك قال أما الذي أقرضه قال تتبرع من كل
مالك فهم بذلك فأتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم
المسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كان كفارة لما هو فيه
والذي صح من ذلك أتاني جبريل فقال مر ابن عوف فليضف الضيف
وليطعم المسكين وليعط السائل وليبدأ بمن يعول فإذا فعل
ذلك كان تزكية لما هو فيه وفي حديث ابن عدي وغيره أنكحوا
عبد الرحمن بن عوف فإنه من خيار المسلمين روى أبو نعيم وغيره
أن رجلا لين الصوت قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما بقي أحد إلا فاضت عبرته غير عبد الرحمن بن عوف فقال صلى
الله عليه وسلم إن لم تكن فاضت عينه فاض قلبه وفي حديث
ضعيف أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف
والذي نفس محمد بيده لن يدخلها إلا حبوا وفي آخر رواه
أحمد والطبراني رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا
وفي رواية لأحمد قد رأيته يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن
الجوزي في الموضوعات وفي رواية لابن سعد وابن عساكر كأني
بعبد الرحمن بن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم أخرى
حتى يفلت ولم يكد لكن يعارض ذلك ما رواه جماعة أنه صلى الله
عليه وسلم قال له كفاك الله أمر دنياك وأما أمر آخرتك فأنا لها

خ تتبرأ

٢٦٨

ظامئ وسببه ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال صلى الله
عليه وسلم من يصلنا بشيء فأتاه بصحفة فيها حيس ورغيفين
بينهما اهالة توفي عن اثنين او خمس وسبعين سنة سنة اثنين
وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي وقيل الزبير لانه كان هجر
عثمان لما امر اقاربه فقال لابن عوف هذا فعلك فدخل عليه
ولامه وقال انما وليتك لتسير كسيرة الشيخين فقال كان عمر
يقطع اقاربه في الله وانا اصلهم في الله فنذر ان لا يكلمه ابدا
وترك من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار وكما تقرب
من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثرة فيها يقول الحصري
قال من بدل مما قبله نحوثت نفسه الدنيا اي صيرت اموالها
واستغنائها خبيثة عنده بسبب بذل الها في وجوه الخير
والقربات بذلا دائما مستمرا كثيرا اي مع العقل ويرفع الى اعلى
الدرجات العلى كما مر في الاحاديث وذلك البذل الكثير يمده
الثراء اي كثرة المال الذي فتح الله به عليه واكثره من التجارة لانه
كان محظوظا فيها بحيث لو امسك التراب صار ذهبا والمكنى
ابا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري امين هذه الامة
كما صحت به الاحاديث وفي رواية واميني وفي اخرى وامينا
ايتها الامة واحد العشرة والرجلين الذين عينهما الصديق يوم
السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد الخمسة الذين اسلموا في

يوم

يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم عثمان بن مظعون وعبيدة بن
الحارث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج ام
سلمة شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت
يوم احد مع النبي صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه
حلقتين دخلتا في وجنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق
المغفر فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه
صلى الله عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما والهتم القاء
مقدم الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم
جعل خالدا اميرا عليه وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولي عمر
اعاده لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي امير الامراء
بالشام وروي انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها ابو
بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلازمه فلما
اكثر عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر الآية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك
لأبايعك قال ما كنت لأتأمر على رجل قدمه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لما ادركه اجله وهو موجود
استخلفته لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
لكل امة امينا وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم
عمر الشام تلقاه الناس فقال ابن اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة

باتيك فاتاه على ناقة مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته
واعتنقه وقال للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد
فيه سوى سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه
تمنوا فقال رجل لو ان هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله وقال
اخر جوهرا انفقه كذلك فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه الدار مملوءة
رجالا مثل ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة ووقعات مع المشركين
هائلة وصح عن الحسن مرسلا ما من احد من اصحابي الا لو شئت
لاخذت عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي
سنة ثماني عشرة شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية
بين الرملة وبين بيت المقدس اولا ما وقع بها ثم انتشر بالشام
وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله زرته فرايت عنده
عجبا ورايت عليه من الجلالة ما هو لائق به اذ ظرف لاقسم المقدر
او تعليل له بعزي اي بنسبتي اليه اي ابي عبيدة الامانة الامناء
واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه لكل امة
امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وفي رواية وامين وفي
اخرى وامينُنا ايتها الامة واعلم ان هذا كقوله صلى الله عليه وسلم
في ابي ذر انه اصدق لهجة مما اظلت الخضراء واقلت الغبراء لا يقتضي
تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها
واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذان فكملت فيهما

جو

وبعميك نيري فلك المجد
وكل اتاه منك اتاء

صفة الامانة والصدق فتميزا فيهما عمن لم يكملا فيه ولو
سلمنا زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض ذلك تفضيلا ايضا
لان المفضول قد يتميز بمزية بل بمزايا لا توجد في الفاضل لانه
خلف تلك المزايا بمزايا اخرى اجل منها واعظم فحصل مناط الافضلية
فيه وان خلا عما تميز به المفضول واقسم عليك بعميك اخوي
ابيك لابيه وهما حمزة والعباس رضي الله عنهما وكل منهما اسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني المستنيرين نيري تثنية نير
وهو الكوكب المضيء فلك هو ما تسير فيه الكواكب المجد في
الكرم والحسب شبه المجد بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها
وهو الفلك اذ كل سماء تسمى فلكا ففي استعارة بالكناية
واستعارة تخييلية ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس
والقمر واثبت لهما ما هو من لوازمهما وهو الاضاءة ففيها ايضا
استعارة بالكناية واستعارة تخييلية وفيها ايضا استعارة
تجريدية بذكر المجد الملائم للمشبه وكل منهما اتاه اي حصل له
منك اتاء بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والثمار كما في القاموس
وقال الشارح هو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل
النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة ويكنى ابا عمارة
ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان عظيما شجاعا اخا النبي
صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اسلم قديما وسبب اسلامه ان

لعله غير

اللعين أبا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ولم يجبه
وانصرف أبو جهل إلى نادي قريش عند الكعبة وأقبل حمزة من قنصه
متوشحا قوسه فأخبر وهو أعز فتى في قريش وأشد شكيمة فغضب
وعمد له فشجه في رأسه شجة منكرة وقال أتشتمه وأنا على دينه
فقامت إليه رجال من بني مخزوم فمنعهم أبو جهل خشية الفتنة
وهو أول من اتخذ له رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء حين
بعثه إلى سيف البحر بكسر السين من جهينة استشهد بأحد
نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد أن قتل إحدى وثلاثين كافرا
قتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال رأيته يهد الأبطال هدا
فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته رمية بحربتي فأصابته
ولبث هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك أسلم وحشي
بعد فقبله النبي صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك عني
أي خشية أن يصيبه منه شيء إذا تذكر قتله لحمزة وخرج يوم
اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول هذه
بتلك ومع ذلك فقد أصابه لما صح عن ابن المسيب أنه قال كنت أعجب
لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريقا في الخمر وقال ابن هشام
بلغني أنه لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر يقول قد
علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة ولما رأى النبي صلى الله عليه
وسلم حمزة قتيلا بكى ولما رأى ما مثل به شهق وقال لن أصاب بمثلك

شعبان

أبدا ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود
ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط أشد من بكائه على حمزة
وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى كاد يغشى عليه
يقول يا حمزة يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أسد الله وأسد
رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب
عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في هذا نوح ولا تعدد
شمائل بل إخبار ببعض بلية وشمائله رضي الله عنه وصح حديث
أنه سيد الشهداء يوم القيامة وأنه لولا جزع النساء لتركته
حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث رحمة الله عليك
قد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصحح الحاكم حديث والذي
نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله تبارك وتعالى في السماء السابعة
حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله لكن تعقب وورد من
طرق أن الملائكة غسلته وصححه الحاكم لكن تعقب وأما العباس
وكنيته أبو الفضل فكان جليلا جوادا ذا رأي وكمال عقل معظما
بين الصحابة وعند النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل
الإسلام وكانت إليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع
النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة فعقد له البيعة على
الأنصار وكان صلى الله عليه وسلم يثق به في أمره كله أسر ببدر
لقوله صلى الله عليه وسلم من لقيه فلا يقتله فإنه خرج مستكرها

وسمعه صلى الله عليه وسلم يئن لكونه في شدة او وثاقه فلم ينم فقيل
له ما يسهرك يا رسول الله قال انين العباس فقام رجل فارخى من
وثاقه وفك وثاق الفدية ففادى نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال
ما معي شيء فقال له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل
اي زوجته حين خرجت اذا اتاك فافعل به كذا فقال ان علمك بهذا
ولم يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى
قبيل فتح مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء
وبه ختمت الهجرة وكان ردا للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه مولده وكان رجلا عاقلا
باخبار اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاءك بمكة خير
لك ولما قالت الانصار نترك لابن اختنا العباس الفداء يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا
وثبت معه حين انهزم الناس وكان عمر يستسقي به الغيث
اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا
وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة
ثاني عشر رجب او رمضان سنة اثنتين وثلاثين وله نحو من ثمانية
وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث العباس
مني وانا منه لا تسبوا اموتنا فتوذوا به الاحياء وحديث
انه سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة فقال

ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث من اذى
العباس فقد اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه وحديث اوصاني
الله بذي القربى وامرني ان ابدا بالعباس بن عبد المطلب واخرج
الدارقطني في الافراد ليكونن في ولد العباس ملوك يلون امر
امتي يعز الله بهم الدين وابن عساكر اللهم اغفر له ذنبه وتقبل
منه احسن ما عمل وتجاوز عنه سيئ ما عمل واصلح له في ذريته
لا توذوا العباس فتوذوني من سب العباس فقد سبني وفي
حديث ضعيف وقال ابن الجوزي موضوع العباس وصيي ووارثي
واخرج الرافعي الا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن
عترتك الخلفاء ومنك المهدي في اخر الزمان به ينشر الله الهدى
وبه تطفى نيران الضلال ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك
يختم وابو نعيم في الحلية الا ابشرك يا ابا الفضل ان الله عز وجل
فع افتتح بي هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده يحمل
على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة وصح انه من ولد
الحسن وجاء انه من ولد الحسين ولا تعارض لان فيه شعبة من
ولد الحسن ايضا فهو حسني وفيه شعبة من ولد الحسين
وشعبة من العباس والترمذي وقال حسن غريب اللهم اغفر
للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا والخطيب
وابن عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم

وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما اعلن وما ابدا وما اخفى
وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة والخطيب يا عباس
انت عمي وصنو ابي وخير من اخلف بعدي من اهلي اذا كانت سنة
خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك منهم السفاح ومنهم المنصور
ومنهم المهدي واقسم عليك **بام السبطين** الحسن والحسين
فاطمة وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم زوج حيدرة عن الثناء
لانه الافصح **علي** زوجها النبي صلى الله عليه وسلم ثاني سني
الهجرة بوحي من الله بذلك كما ورد وبنا بها بعد تزويجها بسبعة
اشهر ونصف في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا وكان
سنها حينئذ خمس عشرة سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل
نحو عشرين سنة وسن علي احدى وعشرين سنة واشهر
قال ابن عبد البر هي وام كلثوم افضل بناته وكانت فاطمة
احب اهله اليه وكان يقبلها في فيها ويمصها لسانه واذا
اراد سفرا يكون اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها
توفيت بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة احدى عشرة
وبينهما نحو ستة اشهر وسنها تسع وعشرون سنة
في القول الثاني وقد اسر اليها النبي صلى الله عليه وسلم
انها اول اهل بيته لحوقا به فسرت بذلك ودفنها علي ليلا
بوصية منها واختلف في محل دفنها والاشهر انها في قبة

وبأم السبطين زوج علي
وبنيها ومن حوته العبا

ولدها

ولدها الحسن قرب محرابها وكان القطب ابو العباس المرسي
يجزم بهذا قيل فلعله كوشف به وروى احمد في المناقب والدولابي
انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا واضطجعت وقالت انا مقبوضة
الان فلا يفتشني احد ولا يكشفني فماتت فامتثل علي وصيتها
رضي الله عنهما لكن يعارضه انها فاطمة بنت عميس بانها
تغسلها وهذه مقدمة لان الاصل عدم الخصوصية **وبنيها**
يعني اولادها الحسن والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام
كلثوم وزينب واولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله
عليه وسلم عقب الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين
فقط وام كلثوم ولدت لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد
عمر بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله
ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الاخير باختها زينب فولدت له
عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلها ولهم شرف اعلى
من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون من شرف اولاد الحسنيين
لمن بنتيهما بما ورد فيهم وللعباسيين والطالبيين شرف ايضا ومن
ثم لقب بالشرف كل عباسي ببغداد وعلوي بمصر ولجعفر الصا
دق ولدا اسمه اسحاق تزوج السيدة نفيسة بنت الحسن
ابن زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ولد منها ولدان لم
يعقبا **ومن حوته العبا** وهم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة

وعلي وابنيهما ومن لبعض هؤلاء فضائل كعلي وابنيه رضي الله
عنهم ومن فضائل فاطمة ما صح عن ابيها صلى الله عليه وسلم القا
ئل نزل في حقه وما ينطق عن الهوى انما فاطمة بضعة مني
يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما اغضبها احب اهلي الي فاطمة
اذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجب يا اهل الجمع غضوا
ابصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى تمر ان
فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار فاطمة
بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها
وان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري
فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران اما ترضين ان
تكوني سيدة نساء اهل الجنة قالت فاطمة نزل ملك من السماء رضيت
فاستاذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء
اهل الجنة يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين
وسيدة نساء المومنين وسيدة نساء هذه الامة وخبر اتاني فق
جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة
بفاطمة فكنت اذا اشتقت الى رائحة الجنة شممت رقبة فاطمة
قال الائمة رد على تصحيح الحاكم له انه كذب موضوع جلي الوضع
لان فاطمة ولدت قبل النبوءة فضلا عن الاسراء وصح انه صلى الله
عليه وسلم جعل على علي وفاطمة وابنيهما كساء ثم قال اللهم

هؤلاء

هؤلاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير وفي رواية القى عليهم
كساء ووضع يده عليها وقال اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل
صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي اخرى ان الآية
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
نزلت في بيت ام سلمة فارسل صلى الله عليه وسلم اليهم وجللهم
بكساء ثم قال نحو ما مر وفي اخرى انهم جاءوا واجتمعوا فنزلت فان
كان فهي نزلت مرتين وفي اخرى ان ام سلمة قالت له الست من
اهلك قال بلى وانه ادخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم
وفي اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله انا من اهل البيت قال
بلى ان شاء الله وفي اخرى ان واثلة قال لها ساعة رسول الله صلى
قلت الله عليه وسلم بجا عليهم وهم تحت الكساء وعلي يا رسول الله
فقال اللهم وعلى واثلة وفي اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك
قال وانت من اهلي قال واثلة وانها لمن ارجى ما ارجو قال البيهقي
وكانه جعله في حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم
لا تحقيقا واشار المحب الطبري الى ان التجليل بالكساء المذكور
تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة وبيت فاطمة
وغيرهما وبه يجمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم
وما جللهم به وما دعا به لهم وما اجاب به واثلة وام سلمة

وفي أخرى سندها حسن أنه اشتمل على العباس وبنيه بملاءة
ثم قال يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم
من النار كستري إياهم بملاءتي هذه فأمنت أسكفة الباب
وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثا وأقسم عليك بأزواجك
اللواتي تشرفن بأن صانهن عن النار والنقائص لما صح عنه صلى
الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يزوجه إلا من ستكون معه في
الجنة منك حال من قوله بنا، أي داخلات ظاهر كلامه أن من تزوجها
ولم يدخل بها لم يحصل لها ذلك الشرف وينبغي تخريجه على
حرمتها على غيره فإن قلنا تحرم وهو الأصح حصل لها الشرف أو
تحل لم يحصل لها وهن إحدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات
وأربع عربيات وإسرائيلية أولهن خديجة تزوجها صلى الله
عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها
أربعون سنة وأشهر وله خمس وعشرون عند الأكثرين وكانت
قد عرضت نفسها عليه كما مر وهي أول من آمن به من النساء
وفي الصحيحين أن جبريل عليه السلام قال يا محمد هذه خديجة
قد أتتك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ
عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب
اللؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب وأولاده صلى الله عليه وسلم
كلهم منها إلا إبراهيم واختلف في عدتهم وجملة ما اتفق

عليه

وبأزواجك اللواتي تشرفن
بأن صانهن منك بنا

قف

عليه منهم ستة القاسم ولد قبل النبوة وبه كان يكنى ومات
وسنه نحو سنتين على خلاف فيه وأربع بنات زينب وهي أكبرهن
وماتت سنة ثمان من الهجرة عند زوجها ابن خالتها أبي العاص
ابن الربيع ولدت منه عليا كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
ومات قبل الاحتلام وأمامة التي حملها في صلاته تزوجها
علي بعد فاطمة رضي الله عنهم ثم رقية توفيت وهو صلى
الله عليه وسلم ببدر ولما عزي بها قال الحمد لله دفن البنات
من المكرمات خرجه الدولابي ثم أم كلثوم توفيت سنة تسع
من الهجرة تزوجها عثمان بعد ابني أبي لهب ثم فاطمة الزهراء
البتول قال ابن عبد البر ولدت سنة إحدى وأربعين من مولده
صلى الله عليه وسلم والذي رواه ابن إسحاق أنها ولدت قبل النبوة
زاد ابن الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة الزهراء
لما مر وبتولا لأن الله تعالى قطعها عن النساء حسبا وفضلا
أو لانقطاعها إلى الله تعالى واختلف في أنه صلى الله عليه وسلم
هل ولد له غير أولئك الستة فقيل الطيب والطاهر وعبد الله
وقيل الأولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو الأصح وقيل عبد
مناف وقيل المطهر وأما إبراهيم فمن سريته مارية القبطية
ولد في ذي الحجة سنة ثمان وسماه إبراهيم باسم أبيه فهو
السابع وفيه روايتان جمع بأنها وقعت قبله مخففة

٢٠٧

قف على دفن البنات

قف على أولاد فاطمة
رضي الله عنها

واطعمه فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب اليه وهو في العوالي
عند ظئره الحداد فيأخذه ويقبله ثم يرجع توفي وله سبعون
يوما وقيل ستة وعشرة اشهر وقيل غير ذلك وفي رواية انه
لم يصل عليه اي بنفسه بل امرهم فصلوا عليه وفي حديث
لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ
النووي في تزييفه وبطلانه ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال
فيه لان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان
توفيت خديجة قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون
عن خمس وستين سنة ثم تزوج سودة بنت زمعة بعد موت
ابن عمها اخي سهيل بن عمرو بمكة لما ان رجعا من الحبشة بعد
عقده على عائشة ودخل بها قبل عائشة على ما جمع به بين
الخلاف في ذلك واراد طلاقها لما اسنت فوهبت نوبتها
لعائشة فامسكها توفيت بالمدينة في شوال سنة اربع
وخمسين ثم عائشة بمكة في شوال سنة عشر من النبوة
ودخل بها بالمدينة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا
وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج بكرا غيرها واحبها صلى
الله عليه وسلم اكثر من بقية نسائه ولما فقدها في بعض
اسفاره قالوا عروساه خرجه احمد وكانت فقيهة عالمة
حافظة فصيحة ماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وكنا

صلى

صلى الله عليه وسلم ام عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير
لا بسقط اسقطته منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم
يثبت وهي وخديجة افضل امهات المومنين ثم الاصح ان خديجة
افضل لما صح ان عائشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها
قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني
الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس ولانه صلى الله
عليه وسلم اقرأ عائشة السلام من جبريل وخديجة السلام
من الله تعالى والاصح ايضا ان فاطمة افضل من خديجة لما فيها
من البضعة الكريمة التي لا يعادلها شيء والخبر المقتضي
لخيرية خديجة اجيب عنه بانه من حيث الامومة لا السيادة
وممن جرى على ذلك الامام المجتهد التقي السبكي فقال الذي
نختاره وندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة
واختار ايضا ان مريم افضل من خديجة للاختلاف في نبوءتها
ثم حفصة بنت عمر سنة ثلاث من الهجرة بعد ما رجعت من
هجرة الحبشة وموت زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى
الله عليه وسلم فاوحي اليه راجعها فانها صوامة قوامة
وانها زوجتك في الجنة توفيت سنة خمس واربعين ثم
ام سلمة هند بعد موت ابي سلمة سنة اربع وكانت من
اكمل النساء ماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع

ثم ام حبيبة رملة بنت ابي سفيان بن حرب بعد ان مات زوجها
عبيد الله بن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست زوجها النجاشي
لعمرو بن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه
اربعماية دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل
بها سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين وتزوج
زينب بنت جحش بعد زيد بن حارثة زوجه الله اياها فدخل
عليها من غير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفتخر بذلك على
امهات المومنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات
منهن بعده وصح عن عايشة لم تكن امراة خيرا منها في الدين
واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واوسع صدقة واشد
ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله
تعالى وهو الدفع رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة عشرين
وتزوج زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت تسمى في الجا
هلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة ثلاث ثم ماتت
بعد ثلاثة اشهر وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية
سنة سبع بعد خيبر بسرف وبنى بها فيه وكان حلالا وروا
محرما معناها انه في الحرم على ان من خصايصه صلى الله عليه وسلم
ان له ان ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى وخمسين
وقبرها به مشهور يزار ويتبرك به وتزوج جويرية بنت

الحارث

الحارث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس
ابن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسال النبي صلى الله
عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من
ذلك اودي عنك كتابتك واتزوجك قالت نعم فسمع الناس
بذلك فاعتقوا ما في ايديهم من قومها وقالوا اصهار رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فما راينا امراة كانت
اعظم على قومها بركة منها اعتق في سببها ماية اهل
بيت من بني المصطلق خرجه ابو داوود وعن ابن شهاب انه
اختارها من الخمس فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين
سنة توفيت سنة خمسين وتزوج صفية بنت حيي
من نسل هارون عليه الصلاة والسلام وعلى ساير الانبياء والمر
سلين وهي من سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم لدحية في اخذ
جارية فاخذها فقيل اعطيته سيدة قريظة والنضير لا
تصلح الا لك فخشي عليهم الفتنة فاعطاه غيرها ثم اعتقها
وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة وفي رواية انه صلى
الله عليه وسلم قال لها هل لك في قالت يا رسول الله اني كنت اتمنى
ذلك في الشرك وكانت بعينها خضرة فسالها عنها فقالت
انها كانت نايمة وراس زوجها ملكهم في حجرها فرات قمرا
وقع في حجرها فاخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب

ماتت رضي الله عنها في رمضان سنة خمسين ودفنت بالبقيع
قبلها ولا نساؤه المجمع عليهن واختلفوا في ثنتي عشرة امرأة
بعضهن الاصح فيه انه طلق قبل الدخول وبعضهن الاصح فيه انه
لم يتزوجه ومحل بسط ذلك في كتب السير **الامان** اي اقسم
عليك بهؤلاء المذكورين قبل لما تحققتهم به ان تنيلني من حضرتك
بواسطة شفاعتك في الى من لا يخيب شفاعتك وان تؤمنني
النار **الامان** تاكيد اي من عقابها لما اقترفته من الذنوب وقطيعة
ما جمعته من العيوب **ان** بالفتح تعليلا والكسر استئنافا او فيه
ايماء الى العلة ايضا **فؤادي من اجل ذنوب اتيتهن هواء** اي خال
عن فهم ما ينفعني في ديني ودنياي لفرط الحياء والخجل من الله
والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفي نسخة هباء اي لا
وجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك علي حتى يزيد اعتناؤك
بي وامدادك لي اني **قد تمسكت** اي توثقت واعتصمت **من ودا**
دك اي محبتك لكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو اغلبي
كما يدل عليه حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولم يعمل
بعملهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وان المستلزم
لذلك هو كمالها وان ذلك من الناظم من هضم النفس بتقدير
ما لم يقع واقعا كما هو شان الخوف المراعي مطلقا او في بعض
الاحوال **بالحبل** اي السبب الاقوى وهو العهد الوارد عنك في

الامان الامان ان فؤادي
من ذنوب اتيتهن هواء
هباء

قد تمسكت من ودادك بالحبل
الذي استمسكت به الشفعاء

الاحاديث

٢٠٧

الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من احب وان لم يعمل بعملهم **الذي**
استمسكت به الشفعاء من الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء
فلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة محبتهم واذا
اورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم في الاغيار اورثتني
وقوع شفاعتك في بجامع اني احبك كما يحبونك وان اختلف
مقدار المحبة في الطرفين واعلم ان العلماء والعارفين اختلفت
عباراتهم في المحبة وكثرت ولكن ليس اختلافا في حقيقتها
بل احوال الصلة وثمراتها اذ حقيقتها من المعلومات التي لا تحد كما
اطبق عليه المحققون وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن
التعبير عنه ومن ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره هي لا
تحد بحد اوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء وانما تكلم
الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها
وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه
الشريطة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب
الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها حرفين مناسبين لها
غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى الحلق والباء الشفهية التي
هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة
وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه واعطوا
الحب الضم الذي هو اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة

مسمياه وفوتهما واعطوا الحب وهو المحبوب الكسر لخفتهما
المطابقة لخفة المحبوب وذكره على القلب واللسان وهذه منا
سبة عجيبة بين الالفاظ والمعاني تعلمك بان غير لغة العرب
لا تلحقها واعلم ايضا انه صح في الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده وماله والناس اجمعين قالوا المراد هنا
حبه صلى الله عليه وسلم اي الميل اليه اختيارا لا طبعا وكل من كان ذا
نفس مطمئنة كان حبه راجحا واما من كان مرجوحا وقع كلام
عياض ان هذا شرط لصحة الايمان ورد بان حمل المحبة على معنى
التعظيم والاجلال وليس مرادا هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم
المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه عن محبته وانما
المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه وفي
صحيح البخاري ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله انت احب الي من
كل شيء الا من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه وسلم لن يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك
الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له صلى الله عليه
وسلم الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط
فانه حاصل لعمر قطعا وانما هو لان حب الانسان نفسه طبيعي
وغيره اختياري بواسطة الاسباب وبهذا هو الذي اراده
عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغيير ما جبلت عليه النفس

فجواب

٢١٨

وأبى الله أن يمسني السوء
بحال ولي إليك التجاء

فجواب عمر اولا بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالدليل انه صلى
الله عليه وسلم احب اليه من نفسه نظرا لكونه الذي
انقذه من مهلكات الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار
فاجابه بالان اي عرفت فنطقت بما تحب ومن علامة محبته
صلى الله عليه وسلم ايثار مأموره ومنهيه على جميع اغراضه
قال القرطبي وكل من امن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان
شيء من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا
ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته على اهله وولده وماله
وكذا زيارته بل زيارة اثاره لما وقر في قلوبهم من محبته غير
ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات والشهوات عليهم وأبى
الله اي لم يرد كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده ودل
عليه ما تفضل به عليك بقوله عز قائلا ولسوف يعطيك
ربك فترضى والمعلوم المستقر من اخلاقك الجميلة والذي دلت
عليه اثارك الجليلة ان من لجأ اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا
يحرمه ربك من فضله مسارعة الى رضاك ومن ثم اخبر تعالى عنه
تعالى انه سبحانه يقول لك في ذلك الجمع الاكبر على رؤوس الاشهاد
قل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ان يمسني السوء
بحال اي في حال من الاحوال الدنيوية والاخروية والحال ان لي اليك
التجاء اي استنادا لمزيد محبتي لك وخدمتي لجنابك ومن هو

كذلك حقيق بان لا ينال من ربه عذاب ولا سخط ولا حرمان ولا
قطيعة ولاجل ذلك فدرجوناك معشر محبيك وخدامك
ايها النبي الكريم اي املنا فيك للامور الخطيرة العظيمة من
الذنوب والمخالفات والغفلات والشهوات التي ابردها اي
ايسرها في فؤادنا رمضاء اي نار تتوقد من شدة خوف المواخذة
بما كسبته قلوبنا والسنتنا وجوارحنا وبين ابردها ورمضاء
الطباق المطابقة واتينا اليك بقلوبنا اي وجهناها
الى الاستعاذة بك من كل مكروه والى قبرك المكرم حال كوننا
انضاء جمع نضو بكسر النون اي مهازيل فقراء من الاعمال الصالحة
ولكثرة ما حملناه من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب
ثقله حملتنا الى حضرتك التي فيها الغنى الاكبر انضاء اي ركايب
مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها الى الوصول
الى حضرتك العلية اعتناء للوقوف بساحة كرمها والتملي بشهود
احسانها ونعمها وانطوت اي استترت في الصدور اي القلوب
حاجات نفس املت حصولها من جنابك الكريم ترفعها اليك
اذا وصلت الى حضرتك وحضيت بحلول نظرك منها الامداد من
مزاياك والتوسل والتشفع بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه
اقرب منك اليه ولا احد بعدك يقول الكل فضلا عن غيرهم عليه
فحينئذ كانت تلك الحاجات ما لها عن ندى اي عطاء يديك

فدرجوناك يا مولاي النبي املنا في
امر اهم في فؤادنا رمضاء
واتينا اليك انضاء فقر
حملتنا الى الغنى انضاء

واحضرت في الصدور حاجات نفس
ما لها عن ندى يديك انطواء

الكريمين انطواء اي استتار واستخفاء بل لا يقضيها غير جاهك
الواسع ولا يبرزها غير عطايك الهامع ولا ارتحال لنا عن واسع
جودك ولا انصراف عن ساحة كرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك
متشبثين بالتذاد اثارك طامعين في حصول كل ما املناه بشمول عفوك
التي هي مطمع المقربين ووسيلة المقصرين فما غشينا بها التفضي
جميع حاجاتنا الوفور جاهك وعظيم منزلتك عند ربك يا من هو
الغوث المكرو بين والملجا للمنقطعين المنقذ لهم من الشدائد
والغيث المريع للمضطرين المشبع للجائعين العجز لهم من
العوائد فان شكونا وارتفع لاواء اذا اجهد الورى اللاواء
اي اذا ضيق على الخلق الجدب حتى اشرفوا على التلف والجواد الاعظم
الذي لم يخلق الله من يصل الى مراتب جوده فضلا عن ان يساويه
فيه به اي بسببه تفرج الغمة عنا معشر امته وتكشف
الحوباء بفتح اوله وضمه الاثم اي عقابه والشدة والحاجة
والحالة القبيحة وفي نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف
الغماء وهي بمعنى الاولى لتساوي الكربة والغمة اذ هما الكرب الذي
يشتد على النفس الى ان يكاد يقتلها والغماء والحوباء في معانيها
المذكورة من غم الهلال اذا ستره غيم او نحوه والخبر استعجم يا
ندا يتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو معطوف
على الندا قبله بحذف حرف العطف او مستانف لكنه بعيد رحما

ما غشينا يا من هو الغوث والغيث
اذا اجهد الورى اللاواء

والجواد الذي به تفرج الغمة
عنا وتكشف الحوباء

من الرحمة وهي رقة القلب وغايتها التفضل والانعام او ارادتهما ومن
في يا سيما اول ابيات هذه القصيدة ما يتعين استحضاره هنا
بالمؤمنين مقتبس من قوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم وكان
بالمؤمنين رحيما وقرب في شرح قوله رحمة كله ما يعلمك
بسعة رحمته لا سيما بالمؤمنين وبالهي راجيه لا سيما على
الضعفاء والمساكين والايمان التصديق الاجمالي في الاجمالي
والتفصيلي في التفصيلي بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه
وسلم بالضرورة عندنا اذ لا يكفر منكر غير الضروري وهو ما
يستوي في معرفته الخاص والعام او بالاجماع وان لم يكن ضروريا
لان انكار المجمع عليه غير الضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة
منا ولا يكفي التصديق وحده بل لا بد معه من الاقرار بالشهادتين
باللسان فان تركه مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار
كما نقله النووي عن اهل السنة لكن اشار الغزالي رحمه الله
تعالى الى ما اختاره جمع محققون وغيره انه من اهل الجنة وتركه التلفظ
معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف يخلد والكلام
فيمن لم يمتنع منه جحودا وانكارا والا كان كافرا اجماعا والاعمال
من الايمان عندنا كاكثر المحدثين اي من كماله فالفاسق مؤمنا
فاسقا تحت المشيئة قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقالت الخوارج انه كافر والمعتزلة

انه

انه لا كافر ولا مؤمن وهو عندهما مخلد في النار لانتفاء الايمان
المتكفل بدخول الجنة تنبيه مهم يتعين الاحاطة به لعظيم
جدواه وعزة فحواه اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير
واحد انه ابلغ من الرحمان وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره لكن
في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال ومن ثم قال بعض
الائمة صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لاستحالة
حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت للشيء اكثر مما له
وصفات الله تعالى متناهية الكمال وايضا فهي انما تكون في صفة
تقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك واستحسن
ذلك التقي السبكي وغيره فاستشكل والله على كل شيء قدير
بانه لما فيه من المبالغة يستلزم الزيادة على معنى قادر وهو
محال واجاب الزركشي عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة
الفعل او تعدد المفعولات وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل
الواحد قد يقع على متعدد وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال
ولهذا قال بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرير حكمه بالنسبة
الى الشرائع وفي الكشاف المبالغة في التواب اي في نحو وهاب
وتواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده او في قبول التوبة
حتى نزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وعبر
الزركشي عن الثاني بما يؤول لما قاله الزركشي وهو ان المبالغة

لمّا تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل
السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف واعلم
ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي اصل الفعل ويشكل
عليه وما ربك بظلّام للعبيد وما كان ربك نسيا واجيب عن
الاول بان ظلّاما وان كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد
الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله تعالى علّام الغيوب عالم الغيب
فاتى في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل
الدالة على اصل الفعل بالواحد وبانه نفي الظلم الكثير لينتفي
القليل ضرورة لان الظالم يقصد بظلمه الانتفاع بما يأخذه
فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فالقليل اولى وبانه بمعنى ذي
ظلم ونسب للمحققين وبانه بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبان اقل
القليل لو وقع منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة
وبانه اراد ليس بظالم ليس بظالم تاكيدا للنفي فعبّر عن ذلك
بليس بظلّام وبانه ورد ردا على من قال ظلّام فلا مفهوم له وبان
صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سواء في الاثبات فجرى
النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلّاما للعبيد من ولاة الجور
وهذه كلها تصلح جوابا عن الثانية وزيد عاشر وهو مناسبة
رؤوس الاي ‌‌ اذا طرق لرحمنا مازائدة ذهلت اي غفلت عن ابنائها
الرُّحما مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما

ارضعت

ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى ولكن عذاب الله شديد وتقييد رحمته بالمومنين
بهذا اليس لانتفاعهم بها في غيره بل لانها في هذا اليوم اظهر
واعم لان الله تعالى يظهر له صلى الله عليه وسلم من العظمة
والسودد والتقدم على جميع الانبياء والمرسلين وتخصيصه
بالشفاعة العظمى في فصل القضاء ما يعلم جميع اهل ذلك به
الموقف انه لا اقرب منه الى ربه وان كل نسب ينقطع في ذلك
اليوم الا حسبه ونسبه وفي الرحيم والرحما رد العجز على الصدر
والذمام والذما وصاعدات وصعداء وافتفا واقتفاء ووعرة
ووعرا وتتقي والاتقا وذرعا وذرعا والعرج والعرجاء ورضى
والرضا وحب والحبا جناس الاشتقاق او شبهه واعمال وما ل
جناس ناقص وبطان وبطا الاحق وحر والحر محرّف يا شفيقا من
الشفاعة وهي السعي في اصلاح حال المشفوع فيه عند المشفوع
اليه في المذنبين في غفران ذنوبهم وكشف كروبهم اذا طرق
لشفيقا وفيه ما في الذي قبله ما زائدة اشفقوا من الشفق
يطلق على المشفقة وشاع من حطلقة له المشفقة الذلقة والدهش
وحمله على هذا هو الصواب واما تفسير الشارح له بالخوف
فهو وان كان موضوعا له ايضا لاكنه لا يناسب هذا الا انه لا يلايم
قوله من اجل خوف عقاب ذنبه عائد للبرآء لتقدم رتبته وافراده

٢١١

نكير اللفظ لا للمعنى او لكون المراد منه الجنس على حد قوله صلى الله
عليه وسلم خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على طفل الحديث
البراء من الكبائر جمع برى بوزن فقيرا وذكرهم لان خوفهم من
الصغائر فقط يدل على شدة ذلك اليوم ومنا قشة الحساب فيه
وان الخوف فيه من الذنوب يعم اكثر الناس لانهم لا يخلون عن صغيرة
بل صغائر بل لا يخرج عن ذلك الا المعصومون بل خوفهم المحفوظون
ومع ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والانبياء
عليهم الصلاة والسلام شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم
سلم جد يا من تحلى بكمال الرحمة ونهاية الشجاعة بجاهك
الواسع فانه لا اوجه منك عند ربك لعاص استاسرته الخطا
واحاطت به العجز والبلايا والاصل لي اولنا فهو تجريد والتفات
وان فيه التنكير لما ياتي ولم يعين ما يجود به عليه قصدا
لعموم المسئول بان يجود عليه في ذلك اليوم بابطاله بشفاعته
له الى كل امر غوب وصرفه عن كل امر مهوب وما نافية سواي اي غيري
هو العاصي ولكن تنكيري الواقع في قولي لعاص استحياء منك ان
اذكر لك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها مواجها لك بالتصريح
بان تكابرها ما نهيتنا عنه وحمل الاستحياء على التنكير مع الغفلة
كرجاء عدا قبان قلت ذلك مضمر بخلاف هذا قلت المراد
التشبيه من حيث ان حمل الخبر في كل يحتاج لتاويل لان الحمل شرطه

ح لعلها على ما سواي هو العا
ولكن تنكيري الاستحياء

المساوات وهي غير مو جودة هنا التباين مع لوليهما هذا تقرير من
عبارته وفيه مواخذتان احداهما الذي عليه الجمهور ان ضمير
الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا تعريف الخبر
على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال نحو ان الله
هو الرزاق اي لا رازق سواه وفي العايق وكلام الكشاف يميل اليه
ان تعريف الخبر قد يكون لقصر المسند اليه وقد يكون لقصر المسند
بحسب المقام فعلى الاول هو العاصي دال على حصر العصيان في
سواي كزيد هو القايم والمستفاد من النفي الداخل على الجملة
نفي ذلك الحصر بناء على ما هو المشهور ان النفي يتوجه للقيد
فان توجه للمقيد ايضا توجه الاعتراض الاتي من باب اولى
وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده وانه عاص
هو وغيره لانك اذا قلت ليس سوى زيد هو القايم احتمل معه
ان زيدا هو القايم وحده وانه وغيره قايمان واذا فهم القطع
ذلك لم يصح قوله ولكن الخ لانه اثبت على احتمال العصيان لغيره
معه وهو خلاف قصده من انه العاصي وحده اي ادعاء وهضما
للنفس لا حقيقة لان الواقع بخلاف ذلك ثانيهما ان التنكير هنا
لا يستقيم انه يفيد الاستحياء ولئن افاده فشان السائل
عدم الحياء لان المطلوب من المحتاج ان يرفع حاجته مبينا لنفسه
حتى يعرف حاله فيتعطف عليه فابهامه لنفسه حينئذ غير

لا يوفق لك أن تجيب عن الأول إلا بأن من الواضح أن سوى كغير فلا تتعرف
بالإضافة إذا وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا
وأن أل في العاصي للعهد الذهني فهي للجنس على حد :: ولقد أمر
على اللئيم يسبني :: فيراعى فيها التنكير تارة والتعريف أخرى
وحينئذ زال الحصر الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى وما
سوائي عاصيا بل أنا العاصي وحدي وعن الثانية بأن الناس يختلفون
على أقسام فمنهم من يغلب عليه الحياء والخجل من ارتكابه ما كان
سببا لسؤاله فيستر نفسه حياء وخجلا من المواجهة بالتقريع
بارتكابه القبائح وسترا واحتشاما من اعترافه بالنقائص
والفضائح خشية من أن يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون
مقتضيا لحرمانه والناظم رحمه الله تعالى لمزيد إجلاله للنبي
صلى الله عليه وسلم راعى ذلك فنكر نفسه وذكر الوصف المقتضي
لسؤاله على جهة الإبهام لا التفصيل حياء من أن يبين نفسه
أو معصيتها فيكون ذلك سببا للرد نفيسة لا زلت أتطلب
أن ما ذكره الناظم هنا من أن سبب التنكير قد يكون للاستحياء
هل صرح به أحد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو
قولهم لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فمن أسباب
التنكير إرادة الوحدة نحو وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى
أي واحد أو إرادة النوع نحو هذا ذكر أي نوع من الذكر وعلى او

أبصارهم

أبصارهم غشاوة أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس
بحيث غطاها لا يغطيه شيء من الغشاوات ومما يحتملهما والله
خلو كل دائق من ما أي كل نوع منهما من كل نوع منه أو كل فرد من
أفراد القطع إرادة التعظيم بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف
نحو فأذنوا بحرب من الله ورسوله ولهم عذاب أن لهم جنات
وسلام عليه إرادة التكثير نحو أن لنا لأجرا أي وأجرا جليلا أو إرادة او
التقليل نحو ورضوان من الله أكبر أي رضوان قليل منه أكبر من
الجنات بأسرها إرادة التحقير بمعنى انحطاط شأنه إلى حد او
لا يمكن أن يعرف نحو من أي شيء خلقه أي من شيء حقير مهين
ثم بينه بقوله تعالى من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحياء
الذي ذكره الناظم وهنا قاعدة يعم نفعها وهي أن الاسم
إذا ذكر مرتين فإن كانا معرفتين فالثاني عين الأول غالبا دلالة
على المعهود الذي هو الأصل في اللام أو الإضافة نحو اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين أو نكرتين فالثاني غير الأول غالبا وقد
اجتمعا في فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال صلى الله
عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فهو تصريح بما ذكر في القسمين
أو الأول نكرة فقط فكذا القسم الأول نحو رسولا فعصى فرعون
الرسول أو عكسه حكمت القرائن ونقضت هذه القاعدة وفي
بآيات كثيرة نحو هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أي العمل إلا الثواب

وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وبوتي كل ذي فضل فضله
وبرده ما مر من انها اغلبية على ان بعض المحققين بين ان جميع
ما اورد عليه من الايات من جملة افرادها وانه لم يشذ عنها
شيء الكون في بعضه تكلف وتداركه اي ادركه بالعناية منك
له بان تمده بسوابغ كرمك وتفرغ عليه سجال حلمك حتى
لا يبقى قط بهفوة ما دام له بالذمام بمعجمة فسم متعلق
بتداركه اي تداركه بجود منك التي انعم الله تعالى بها عليك
ما دام له منك ذماء بالمعجمة اي تعلق واصله بقية الروح
في المذبوح اي ما دام فيه ادنى تعلق واستمساك بك لانك
اكرم الكرماء من الخلق وعادة الكريم ان من تعلق به نجا من كل ما
يخافه من اليم العذاب وبعد الحجاب ولم لا وقد اخرته اي ذلك
العاصي الاعمال السيئة القبائح تكبها والمال الفاني الذي
امسكه عن صرفه في وجوه الخير او جمعه من وجوه الشر حتى
اشتغل به قلبه :: وطاش في جمعه لبه :: ولم يبال من اي وجه جمعه
ولا باي وجه اكتسبه عما قدمه الصالحون جمع صالح وهو
القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملائكة
ومن ثم اخبر صلى الله عليه وسلم ان المصلي اذا قال في تشهده السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين اصاب كل عبد صالح في السماء
والارض وبين اخرته وقدم التطابق بين الحسنات والسيئات

وتداركه بالعناية منك له بالذمام منك ذماء

اخرته الاعمال والمال عما قدمه الصالحون الاغنياء

والملح

والملح والعراق والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة
ووراء وامام والصيف والشتاء والحر والبرد ويوم وليلتي والرجاء
والخوف والاقوياء والضعفاء الاتباع والاغنياء من الاعمال الصالحة
والانفاق في وجوه الخيرات وهذا الف ونشر مرتب لان الاول للاعمال
والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه لان الاعتراف مظنة العفو قال
تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية منتهيا عليها للحديث
الصحيح الندم توبة فقال كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع
ملائكة الليل والنهار الذين يرفعون اعمال العباد فيحصي الى الله تعالى
الظهار العظيم فضل الطائع وقبيح فعل العاصي وعليها اي من
اجلها انفاسه صعداء اي متواترة ممدودة من شدة ما
يلقى من كرب الندم وفرط الاسف عليها وسبب الوقوع في ورطتها
انه الف المبطنة بالكسر اي ملء بطنه من الطعام والشراب
كذا قال الشارح والذي في القاموس انها الاشر والبطر وقال في
البطر انه النشاط والاشر فلعل احتمال النعمة والدهش والحيرة
والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير ان يستحق الكراهة
انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن يوزن كتف انه الاشر
المتهوم ومن همه بطنه والرغيف لا ينتهي عن الاكل المبطئة
السير الى الله تعالى اي المعوقة عن الاجتهاد في رضاه واستفراغ
الوسع في الاعمال الصالحة التي هي سبب هداية السبيل وتنزيد

كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات وعليها انفاسه صعداء

الف المبطنة المبطئة السير

النفس عن كل وصف دنيء وخلوه ذيا ولو لم يكن من شوم البطنة
الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله المومن ياكل في معاء
واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء من انها تفسد العقل بذهاب
فطنته والبدن بذهاب نشاطه وقوته بدار وهي الدنيا بها
اي فيها البطان جمع بطين ككرام جمع كريم بطاء جمع بطيء على
وزن الجمع قبله فهم متاخرون عن العابرين متخلفون عن السابقين
فبسبب عصيانه بكون ذنبه بقسوة قلب اي مع شدته
وغلظه المؤذنين الى ان البكاء صوري لا حقيقي ومن ثم نقص
تلك القسوة الدمع عن ان يمر منه شيء في غير ذلك الباكي

فبكا ذنبه بقسوة قلب
نقص الدمع والبكا مكا

ف بسبب هذا النقص انقلب البكاء عن حقيقته وهو حزن يعتري
القلب فيحصل له من الهيبة والقلق المزعج والخوف المقلق ما يجري
الدموع وينتج الرجوع وصار ذلك البكاء كانه مكاء بالتخفيف
اي كالصفير بجامع ان كلا صوت يجري على اللسان ولم يتاثر به
القلب وبين البكاء والمكاء الجناس المضارع وغدا اي صار ذلك
العاصي بعد ما وقع منه من المعاصي والبكاء الذي لا يفيد لمزيد
قسوة قلبه يعتب من عتب عليه وجد عليه القضاء من قضاء الله
صنعه وقدره اي يقول لم او كيف قدر علي هذا والحال انه لا عذر
للعاصي يحتج به على الله حتى يسقط اثمه وتندفع مواخذته
فيما يسوقه اليه القضاء والقدر من المعاصي لان الله تعلى

وغدا يعتب القضا ولا عذر
لها عليّ فيما يسوق القضا

٢١٥

اجرى عادته الالهية في هذا العالم على اسباب ومسببات تنا
ناط بتلك الاسباب وبفسبب وقوعها اليها نظرا للصورة
الوجودية وان كان الكل في الحقيقة انما هو بقضائه وقدره
كما يدل على ذلك قوله تعلى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاسند تعلى اليه الرمي والقتل
القتل باعتبار الصورة الوجودية ونفاهم عنهم باعتبار الحقيقة
الايجادية اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان نسند
الافعال التي جا عليها صورة ليمدحوا ويذموا باعتبار جريان تلك
الصور عليهم والى الله تعلى حقيقة من حيث عجز العبد عن ذلك
وانفراد الحق تبارك وتعلى به وان نعتقد بطلان مذهب القدرية
الذين ينفون قدرة الحق ويثبتون قدرة العبد تخيلا منهم انهم
فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعلى وغفلة عن انه يلزمهم
ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعلى ما لا يشاؤه على
ان نسبة افعال العباد الى الله تعلى لا تستلزم نسبة القبيح اليه
لان الشيء انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا لا لفعله تعلى لانه
يتصرف في ملكه بما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
وان نعتقد بطلان مذهب الجبرية ايضا لانه يلزم عليه ان لا ثواب
ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان المجبر المكره على الشيء من كل وجه
لم يصدر منه فعل ينسب اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم

من الشريعة الغراء أن الله تعالى أسند الأفعال للعباد ومدحهم
عليها تارة وذمهم أخرى فنتج ما قلناه من التوسط بين المذهبين
بأن نظرنا إلى الأفعال من حيث الصورة وأنطنا بها أحكاما ومن حيث
الحقيقة وأنطنا بها أحكاما لأن هذا هو العدل السوي والطريق
الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضة والناصبية وأهل السنة
فالرافضة سبوا الشيخين وعثمان وأكثر الصحابة ووالوا عليا
وشيعته والناصبية سبوا عليا وشيعته ووالوا أولئك
الأكثرين وأهل السنة عدلوا فوالوا الكل وترضوا عنهم فكانوا
في الجنة وكان كل من ذينك هنا وفيما مر في النار فإن قلت قوله
ولا عذر الخ ينافيه احتجاج آدم بالقضاء والقدر في قصته المشهورة
مع موسى عليهما الصلاة والسلام لما قال له موسى أنت أبونا
آدم الذي أخرجتنا من الجنة بخطيئتك أي بالنسبة لمقامك وإلا
فهي ليست بخطيئة حقيقة لأنه نسي كما في الآية وأيضا
فلعموم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال له كم تجد
في التوراة قدر علي ذلك قبل أن أخلق قال بأربعين سنة قال أتلوم
ني على ذنب قدره الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة قال نبينا
صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج آدم موسى وكذلك
احتج عمر على أبي عبيدة بالقدر لما ذهب إلى الشام فرأى فيها
طاعونا فأراد الرجوع فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله

في الفرار من الطاعون

تعالى

تعالى يا أمير المؤمنين فقال له عمر رضي الله عنه لو غيرك قالها
يا أبا عبيدة أي لأوجعته ضربا نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله
قلت لا ينافيه أما الأول فلأن الاحتجاج بالقدر إن كان قبل
الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وإن كان
بعد الوقوع فيه وقبل أن يستوفي منه ما وجب به ليمنع بذلك
مؤاخذته به لم يجز أيضا وإن كان لا ليمنع ذلك بل ليمنع تعييره
به ساغ له ذلك كما صرح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم
موسى وأما الثاني فالواقع من عمر رضي الله تعالى عنه ليس من
الاحتجاج بالقدر في ذلك وإنما هو بيان لأسرار ما جاءت به
الشريعة المطهرة لأن الشارع نهى عن دخول بلد الطاعون مع
أنه إن قدر موته بذلك الطاعون لم ينفعه عدم الدخول وإلا لم
يضره ذلك الدخول فبين عمر رضي الله تعالى عنه أن المسببات منوطة
بأسبابها من غير نظر في عواقبها وأن الله تعالى كما قدر على
أناس الموت بالطاعون قدر على آخرين عدم الموت به فالامتناع من
الدخول فرار من القدر إلى قدر آخر والدخول تجاسر على ما العلم
يكون فتنة للداخل فإنه لو وقع به ربما نسب موته إلى فعله
فحرم عليه خشية الفتنة فإن قلت والممتنع من الدخول إذا
سلم ربما نسب السلامة إلى فعله أيضا قلت هذا أخف
لأن الأول أفضى بالعبد إلى التهلكة وهو منهي عنه في الكتاب

والسنة والثاني بمنزلة التداوي والفرار من المهالك وهذا
محمود في الكتاب والسنة فان قلت لم جاز الفرار فمن الدخول لا
بعده مع استوائهما في المعنى المعلل به فيما مر قلت لا مساواة
بينهما لان الوجوز للفرار لاهل البلد لخرجوا وتركوا المرضى من غير
حافظ ولا متعهد وذلك يؤدي الى هلاكهم غالبا فاقتضت المصلحة
العامة منع الناس من الخروج واما من لم يدخل فلا يفترق على عوده
مفسدة فجاز ثم رايت الغزالي ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر
رضي الله تعالى عنه ونقله عنه النووي وغيره واقروه حيث قال
فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا يرده فاعلم ان من جملة
القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة
كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات
من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء
والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ان لا يحمل السلاح
وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فقدر الله تعالى
الامر وقدر سببه انتهى فتامل هذا المحل فانه نفيس وفيه
شبه كثيرة ان لقا بحمد الله تعالى هذا التقرير الواضح لمن الهم
رشده واسعده الله جده :: وخلصه من ورطات الفتن وغوايل
البدع والمحن حققه لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه واذا تقرر انه لا
عذر فيهما بسوقه القضاء بالمعنى السابق سواء كانت المعصية

صغيرة

صغيرة او كبيرة فكيف يعذر من او تفتنه اي حبسته في الدنيا
عن الخلوص من التبعات وفي الاخرة عن مقامه المكرم من الذنوب
حال المتقدمة على صاحبها وهو ديون اي ديون ترادفت عليه
ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه في حقوق الله تعالى وحقوق
عباده شبه سبحانه صغايرها وكبايرها بذنوب لزمته ذمته
بجامع ان كلا يؤول الى الحبس والضنك ورشح التشبيه بذكر
الغرماء والتشديد في الطلب شددت في اقتضائها اي طلبها
منه الغرماء لان حقوق الادميين مبنية على المشاححة والمضايقة
ماله حيلة اي طريق في التخلص من تلك الديون سوى حيلة الموثق
اي الاسير الذي صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة من هو كذلك
تنحصر في شيئين لا ثالث لهما لانه اما توسل الى الله تعالى
في خلاصه بما سبق له من عمل صالح او بشفاعة الشافعين
او دعاء اليه في ان يرضي عنه غرماءه ويسبل عليه ذيل عفوه
وحلمه ورضاه راجيا حال من عاصي وضماير المذكورة اي مؤملا
املا قريبا ان تعود اعماله السوء عليه بغفران الله له مغفرة
عامة لا تبقي عليه وصمة ذنب ولا تدركه فلتة فلتات والحال ان
تلك الاعمال هي في جنب الغفران هباء اي مثله في انها لا وجود
لها اذ هو غبار يرى في شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها
من كوة او ان ترى سيئاته حسنات منة عليه باندراجه في سلك

او تفتنه من الذنوب ديون
تشددت في اقتضائها الغرماء

ماله حيلة سوى حيلة المو
ثق اما توسل او دعاء

راجيا ان تعود اعماله السوء
بغفران الله وهي هباء

او ترى سيئاته حسنات
فيها [illegible]

لا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
فبسبب استحالة السيئات حسنات يقال عند رؤية ذلك
استحالة الصهباء اي الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية
والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات بالخل استعارة
مصرحة واثبات الاستحالة التي هي من لوازم المشبه به تخييلية
كم امر تغني اي تعتني وتهتم انت يا رسول الله به وتلتفت اليه
تقلب الاعيان جمع عين وهي الجسم وهو معنى تفسيرها بانها
المبصر مستقلا بنفسه فيه بان تتحول من صفتها التي لا تر
يدها الى الصفة التي تريدها وتعجب البصراء جمع بصير حسا
ومعنى اي ذوي البصائر من ذلك القلب الخارق للعادة المشاهد
بالابصار الذي لا يعارض بجحود ولا انكار وشاهده ما وقع له
في ذلك بالفعل اذ رب هي هنا للتكثير قال الشارح عين من
عيون الماء اي عيون كثيرة تقلبت اي بصفت في مايها الملح
الذي لا يساغ لاحد فاضحى ماؤها الملح والحال انه هو الفرات اي
العذب السائغ للشاربين اه وهو كالنهر المسمى بالفرات الذي
هو احد الانهار الاربعة النازلين من الجنة كما صح به الحديث الرواء
بالفتح اي الذي يحصل بقليله الري الكامل للشارب فيه قال الشارح في
وهو الفرات الرواء الجملة خبر اضحى انتهى وهو جار في ذلك على
مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة الحالية

كم امر تغني به تقلب الاعيان
فيه وتعجب البصراء
رب عين تقلبت في مايها الملح
فاضحى وهو الفرات الرواء

لكن

٢١٨

لكن الجمهور انكروا ذلك وتأولوا الجملة على الحال والفعل على التمام
ولعل نسخته بلا واو فيرد هو تشبيه لم ار لخصوص التفل في ماء
عين ملح فانقلب عذبا فضلا عن كثرته الخ قال الشارح سلفا
ويحتمل ان الناظم اخذ ذلك مما رواه ابو نعيم ان النبي صلى الله
عليه وسلم بصق في بئر اريس فلم يكن بالمدينة بئر اعذب منها فوجه
الاعذبية في هذه ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها منزل
منزلة ماء ملح صار عذبا وفي حديث سنده حسن انه صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة
وهذا يقتضي ان ما عدا بئر رومة من بقية ابار المدينة كانت
مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة
هذه بئر اريس وقد صارت ببركة تفله فيها اعذب بئر بالمدينة
فصار ماؤها الذي تقرر ان به ملوحة اعذب بئر في المدينة فنتج
من هذا صحة ما قاله الناظم رحمه الله فتامله ثم رايت البغوي
في الصحابة عن بشير الاسلمي ان المهاجرين لما قدموا المدينة
استنكروا الماء الحديث السابق في بئر رومة فتعبيره باستنكارهم
مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما تقرر في بئر اريس يدل على زوال
ملوحتها بالكلية وانها صارت اعذب حتى من بئر رومة ثم رايت
الشربيني شارح مقامات الحريري ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
تفل في بئر اريس فعاد ماؤها عذبا بعد ان كان اجاجا وما ذكره

غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقي انه لم ير اصلا
لحديث تعليله صلى الله عليه وسلم في بيوان يسرقال غيره ومن الغرايب
قول العز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل فيها فجينئذ ما
قاله الشر بشيء لا اصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه زيادة كون
ما فيها كان اجاجا فصار عذبا وهذا لم يقل فيه ابن جماعة ولا غيره
انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم رءا ذلك في كلام مثل
الشر بشيء ممن لا يعتمد به في الحديث فاعتمده ثم رايت
الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند فقال وريقه صلى الله
عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى ويحتمل ان مراده كما يوخذ من
تعبيره بيعذب لا باعذب ان ريقه فيه قوة ذلك فلا يكون فيه
دليل لما في النظم اصلا واذا قد فرط منه ما قد سبقت الاشارة
اليه فلا يسعه الا مزيد الندم والتوجع منه والتاوه عليه بان
افول على الدوام والاستمرار اه كلمة توجع اي توجعي عظيم
وتندمي زايد دايم من اجل ما جنيت على نفسي من الذنوب وقبايح
العيوب ان هي بمعنى اذ على حد وخافون ان كنتم مومنين ولما
قررته ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه
وسلم انه توبة اي معظمها المتكفل بها فيها غالبا كالحج عرفة
كان يغني الي من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف وها
اي مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر

البشارشي

اي مما جنيت ان كان يغني الي من عظيم ذنب وصف

وبيع

ويبع ان تكون لن على حال الهام التشكك لانا وان سلمنا ان كلمة اه
تفيد التوبة لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح ولكن ان تمنعه
بانه يكفي في كونها بمعنى اذا ان قبولها ظني لان ظن الوقوع ينافي
وضعا ان من التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجايها
ليفيد ان الاهتمام بها منع من الاكتفاء فيها بالتعريض فقال ان تجي
اي او مل لحسن ظني عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه وبقوله تعالى
انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا التوبة وهي الندم على
الذنب من حيث هو ذنب بخلاف الندم عليه لغرض اخر كاطلاع
الناس عليه وصرف دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن
المعصية بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض
اخر ايضا وعزم ان لا يعود اليها ما عاش كذلك ايضا لا للخوف قطع
ذكره والخروج عن كل مظلمة عصا بها بقضاء ما عصا بترك ادايه
فورا او بادا ما عصى باخذه ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه
هذا ان قدر والا عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج
منه لعوده والتوبة ولو من الصغاير واجبة اجماعا وتصح على
الاصح من ذنب دون ذنب وتصح على الاصح ايضا وان سبقها توبة
من ذلك الذنب ثم عود اليه وان تكرر ذلك النصوح اي التي لا يعود
من حصلت له الى الذنب ابدا لوقوعها خالصة عن كل شكل تشابهه

اي في التوبة النصوح وفي الفعل
بفاء وفي اللسان بدنيا

من شوائب الحظوظ بل تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو أخرويا
كان ثوابا أو لأجل دخول الجنة فإن ذلك لا يؤثر في صحة أصل التوبة وإنما
يؤثر في كمالها لأنها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه
الله تعالى قال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لكن
أني بعيد من هذا الترجي والحال أني متلبس بما قدمنا فيها إذ
في القلب نفاق من حيث العمل باعتبار أنه قد يبطن خلاف ما يظهر
لا من حيث الاعتقاد لأن ذلك إنما يصدر ممن آمن بلسانه فقط
وفي اللسان والأركان رياء أي نظر إلى الخلق باعتبار أن ما يصدر منهما
قد يكون فيه شوب نظر إلى طلب رفق أو ثناء من مخلوق ومع ذلك
لا أترك التوبة ورجاء قبولها ولأجل ذلك قالت رابعة رحمها
الله تعالى استغفارنا وإن كان يحوج إلى استغفار لا يوجب ترك
الاستغفار وبين القلب واللسان والرياء والنفاق مراعاة النظير
ومتى للاستبعاد التعجبي يستقيم قلبي بأن لا يبقى فيه نظر
إلى ما يحجب عن الله تعالى من أهل ومال وجاه أو غير ذلك بل إلى الله وحده
والحال أني وصلت إلى حالة تدل على غلظ القلب وشدته وعدم قبوله
للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو وتلك الحالة هي أنه حصل
لجسمي اعوجاج من أجل كبري أي كبر سني ووهن عظمي من كبر
بكسر الباء أي أسن وانحناء لقامتي وهو من عطف الرديف أو الأخص
لأن الاعوجاج يعم الأعضاء كلها والانحناء مختص بالقامة إذ هو

تقوس

ومتى يستقيم قلبي ولجسمي اعوجاج من كبري وانحناء

تقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة بخلاف أيام الشباب
فإن العود رطب والقلب لين فبأدنى وعظ يؤثر فيه وأدنى زاجر
يردعه عما هو متلبس به فيبادر إلى التوبة سريعا وإنما أخرت
التوبة إلى هذا الزمن لأني كنت في نومة الشباب الذي تكثر
فيه الغفلات وتتوالى على أهله الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى
صرت كالنائم المستغرق الذي لا يفيق من نومه إلا بمحرك قوي فما
استيقظت من تلك الغفلة في حال من الأحوال إلا والحال أن لمتي
أي جمتي شمطاء أي اختلط سوادها ببياضها وما تقرر في زمن
الشباب أولا أنه محل قرب التوبة والانزجار بأدنى واعظ وهنا
أنه محل للغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لأنه وإن كان محل
الهفوة والزلة لكن صاحبه ينتبه سريعا إلى زلاته ويرجع عنها
حالا كما أن العود الرطب يستقيم اعوجاجه بأدنى عمل بخلاف
زمن الشيخوخة فإنه زمن الإمساك عن كل هفوة وزلة لكن صاحبه
المرتكب للمعاصي إلى أن شاب يعسر عليه الرجوع والتوبة فورا
لأن عوده قسى وصلب فلا يتقوم اعوجاجه إلا بعد اليأس ويشهد
لذلك الحديث إن قيل لك إن جبلا تحول عن مكانه فصدق وإن قيل لك
إن إنسانا تحول عن طبعه فلا تصدق وحينئذ بلغت هذا السن
الذي تعسر فيه التوبة كما تقرر فما ذنبي أي طلبتي أن أقتفي أي أتبع
أثر القوم الصالحين السائرين إلى المراتب العلية والفائزين بنيل

كنت في نومة الشباب فما استيقظت
إلا ولمتي شمطاء

فما ذنبي أن أقتفي أثر القوم

وتمام الحديث

المنازل الشفقية فطالت على مسافة بينه وبينهم لبعد الدرجات
التي جازوا فيها وافتقارا لاعمالهم واخلافهم لانهم استغرقوا فيها
اوقاتهم واتضعوا فيها الى الله تعالى عن كل علقة وتبعة وفيه
رد العجز على الصدر فبسبب طول المسافة التي بينه وبينهم وراء
خبر مقدم الشابرين اي الشابرين ليلا من السهر وهو السير ليلا
وعدل اليه عن وراءهم الذي هو القياس ليفيد انهم احيوا الليل
بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجات وهو اي ذلك الوراء
امامي جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله افتقي الخ انه مع
طول المسافة بينه وبينهم وتعذر اتباعه لهم صار بينه وبينهم
موانع ايضا سبل مبتدا اي طرق وعرة اي يعز سلوكها لان
اولئك القوم كلفوا انفسهم من الاعمال والتخلق بكرايم الاخلاق
والاحوال ما وجب لغيرهم عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم
على القيام بما قام به اولئك وارض عراء بفتح اوله اي فضاء واسعة
جدا اولئك القوم المذكورون اي الشابرون من اهل الليل والقياس جدا
ايضا فعدل الى الاظهار ليميز انهم على فرقتين منهم من يحيي
بعض الليل ومنهم من يحيي كله او اكثره وان هذا القسم الثاني افضل
واكمل لانهم راوا ما يجد به جدهم مثال لم يره من قبلهم غب
اي عاقبة سراهم من الفوز برضاء الله تعالى وقربه والاطلاع على
حقايق معرفته والتمتع بشهوده وهذا مقتبس من قولهم

لعله سارين

عند

عند الصباح يحمد القوم السرى وتجلى من تخلف عنهم في سير
هم وهذا راجع لقوله فوراء الشابرين وقوله جدا راجع لقوله
الشابرين فيه لف ونشر مرتب الابطاء اي التاخر في السير
المعوق لادراك منازلهم وفي ذكره هذا ايماء الى غاية التحسر
والتالم بذكره حالهم التي حمدوا عقباها وما تقع لعجزه عن
ادراكها لما هو عليه مثلا لا يوصله الى ذلك الغرض لبعده عن
تلك اللطايف وتقاعده عن بلوغ المعارف كيف وما هم عليه
من الجد في السير الى الله تعالى رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات
وبواطن الشبهات وقبايح الارادات وقواطع البطالات
ورحلتهم هذه عز على ان اقتفيهم فيها لاني لم يزل يقعدني
اي يكدني على وبضعف راي الصيف اذا ما زايدة نويتها
والشتاء كذلك اي اذا جاء الشتاء انوي الى الصيف لان الشتاء
يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا
جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتاء لان الاعمال تتيسر فيه
اكثر ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الشتاء ربيع المومن طال ليله
فقامه وقصر نهاره فصامه. وفي سنده من ضعفه جماعة
ووثقه اخرون والارجح توثيقه في هذا السند بخصوصه ومن
ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث منها مرحبا بالشتاء
فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل للقيام واما نهاره فقصير للصيام

اعرف الحديث الشتاء ربيع المومن الخ

وشديد لم ينزل عذاب قط من السماء على قوم الا عند انسلاخ الشتاء
ومعنا او وجبا بطاء عن تلك الرحمة انه يتقي حر وجهي وهو ما
يبدو امن الوجه من الحر والبرد بان يغابه عنهما خوفا من مشقتهما وهما
كما بينا زمن مشقة العبادة في الشتاء والصيف كما ان ما في البيت
الذي قبله كذلك والحال انه قد عزاني صعب علي من لظى اي جهنم
متعلق بقوله الا نقا لاني متابس ... اي ارتبي اليها الا ان يبعدني
الله برحمته ولاجل ظا اضعف ذرعا بالا محمة من اجل اما مو مولة
او مصدرية حنيفا اي ضعفت طاقتي من ان تتحمل وزره ولم اجد
من يخلصني من ثقله واصل الذرع الخلق فيومي قمطرير اي شديد
وهذا كذكر عرا والصيف والشتاء وضعفت ذرعا فيه اقتباس
من الايات المذكورة فيما ذكر وتلميح الى ما فيها من القصص وليلة
ذرعا بالمهملة اي مظلمة كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل
الدرعاء التي يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم
له نهارا او ليلا لا ينفك عنه في واحد منهما ولكن خفف عني ذلك
اني تذكرت رحمة الله اي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح
ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي
اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية عندية
الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا فلاح

يتقي حر وجهي الحر والبرد
وقد عرا من لظى الا نقا
ضعفت ذرعا فيها خفيفا
قمطريرا وليلتي درعا
وتذكرت رحمة الله فالبشر
لوجهي ان التجي تلقا

فبسبب

فبسبب ذلك البشر اي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر
البشر وهو تلقا وهذا اولى من جعل الشارح له خبرا ولتقا
خبرا ايضا بزاي في اي مكان انتحى اي اتوجه تلقا اي مقابل اي
في البشر مقابل الوجهي في اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر
لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن
عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا فبسبب تذكري لها حينئذ المقتضي
لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضي لسعة الرجاء الح اي اقام
الرجاء والخوف بالغلب فهما على حد سوا كما هو الراجح عند ائمتنا
ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب
الرجاء لئلا يغلب عليه داء الاياس من رحمة الله تعالى وقيل يغلب
الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ويردهما انهما اذا استويا
امنت غلبة احدهما فلا محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة احدهما
فانه يخشى منها المحذور الذي في مقابله اما المريض فيغلب
الرجاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بالله اي يظن انه يغفر له ويرحمه وللخوف والرجاء اذا تواردا على القلب
احتجا اي استقصا ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف
اعتزال شدة وحصر للنفس لا يطاق ان لازمه الكف عن كل محرم
بل وشبهة بل وعن ما فضل عن حاجته من الحلال كما هو شان الزاهدين

والخوف والرجا [illegible]

شديد

اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو من هول السؤال ومقتضى
الرجاء بسط النفس وانشراحها الا من لازمه استحضار سعة الرحمة
وان الذنوب وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها
بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقضي في مقتضاه ضد
ما يستقضيه الاخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده
المقتضيان لئلا يغلب احدهما فيخشى منه المحذور السابق انفا
ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي للاياس صاح اي يا صاحبي
وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي لا تايس من رحمة الله ان
ضعفت عن الداب في الطاعة لضعف همتك وغلبة بطالتك
وايثارك الراحة وغفلتك عن هول القيامة واستاثرت اي
انفردت بها الاقوياء بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها
المكروهات حتى تدربت عليها فصارت عندها من الذ مالوفاتها
واعظم مشتهياتها ان فيه شائبة تعليل للنهي عن الياس
ان ضعف عن الطاعة لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم
القوي والضعيف والشريف والوضيع واحق الناس منه متعلق
بقوله بالرحمة الضعفاء اي الذين لا يعولون على اعمالهم ولا يغترون
باحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه واخلاصهم لله تعالى في عباداتهم
فهم اقوى نية في العبادة وابعد عن الرياء فربما حصلت لهم بسبب
ذلك نعمة سبقوا بها الاقوياء وفي الحديث القدسي انا عند

صاح لا تايس ان ضعفت عن الطا
عة واستاثرت بها الاقوياء
ان لله رحمة واحق الناس
منه بالرحمة الضعفاء

المنكسرة

المنكسرة قلوبهم من اجلي اي لان مطلوبهم رضاي ومعتقدهم
انه لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك انه صلى الله عليه وسلم في منامه
الذي راه لابي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة
ابي بكر وطول مدة عمر اثبت لابي بكر مع انه افضل الناس بعد الانبياء
عليهم الصلاة والسلام نحو ذلك الضعف فقال بعد ان بين انه على
بير وانه نزع منها بدلو وان ابا بكر اخذها منه فنزع بها دلوا
او دلوين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف
يقين ولا عمل وانما هو ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث ان الله
لا ينظر الى الصور وانما ينظر الى الاعمال والقلوب اي لا الى الاعمال
وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من اخلاص وافتقار او ضدها
ثم استدل على ان الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل للقوي بمثال ظاهر
في الوجود فقال فبسبب الاحفية المذكورة للضعفاء اي في
الضعفاء المتشبهين بنحو العرج جمع اعرج وهو من برجله داء
يمنعه من استقامة المشي عند منقلب الذود اي رجوعه الى
ربه وهو جماعة الغنم في العود في الذود والعود جناس لاحق
تسبق العرجاء اليه فيفوز منه بمامولها فتاخرها اوجب
لها السبق وكذلك تاخرك عن كثرة الطاعات ربما اوجب لك
سبق المكثر منها لانه قد يصحبك من الذل والافتقار والاخلاص
ما لا يخلف تاخرك بخلاف المكثر فقد يصحبه من العجب والافتخار

٧

فان في العرج عند منقلب الذو
د تسبق العرجاء

ما يوجب تأخره ومن ثم قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله
رحمه الله تعالى رب معصية أورثتك ذلا وانكسارا خير من
طاعة أورثتك عزا واستكبارا واعلم أنه لم يجعل ذات المعصية
خيرا من ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وإنما الذي أفاده
أن المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي يصحب الطاعة
فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا
مقتضيا لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها فكذلك كلام الناظم
هنا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه له وإذا تأخرت عن الطاعة
لضعفك عنها فلازم الذلة والانكسار ولا تقل حال كونك حاسدا
لغيرك الذي أكثر منها أي متمنيا زوال نعمة التوفيق عنه هذا
القوي بسبب قوته أثمرت نخله أي كثرت أعماله فتشبيهها
بالنخل استعارة مصرحة وذكر الإثمار ترشيح وإيثار التشبيه
بالنخل لأن النخل أفضل الشجر لأنها خلقت من فضلة طينة
آدم عليه السلام ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عماتكم
النخل ولأجل هذا أشبهت الآدمي في كثير من صفاته الحسية
والمعنوية كما لا يخفى ونخلي أي أعمالي عقام بالفتح أي كالتراب
لا ثمرة لها بسبب ضعفي ولا تعتد بها لأنك معترض على الحكيم
في فعله وتخصيصه لكل منكما بما أراده وقدره ومن ثم كان
الحسد كفر النعمة المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

وخرج

لا تقل حاسدا لغيرك هذا أثمرت نخله ونخلي عقام

وخرج بحاسد المنصرف إلى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى
بالغبطة وهو أن تتمنى أن يكون لك من النعم والخيرات مثل ما لغيرك
مع بقائها له فهذا مطلوب كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله
لا حسد إلا في اثنتين الحديث واحذر أن تتكل على رجائك فقط من
غير عمل فإنه لا ينفع رجاء إلا مع عمل ومن ثم قالوا كل رجاء لم يصحبه
عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد وائت بالمستطاع من عمل
البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم الناسخ على ما قيل
لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فإنه صلى الله عليه وسلم لما فسر
هذا بأن يعبد فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا
أينا يطيق ذلك فنزلت تلك مبينة لهم أن المطلوب إنما هو ما (خ له)
تقدرون عليه دون ما عداه ويصح أن تكون تلك مبينة للمراد من
هذه فلا نسخ وهو الأولى فقد ينتج القليل ما لا ينتجه الكثير
بواسطة مزيد إخلاص وانكسار كما أنه قد يسقط الثمار الكثيرة
أو النفيسة الإناث أي النخل الصغار إذا خلصت أرضه وزاد ريه
وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك أنت قد تفوق بسبب
ضعفك بالمعنى السابق ما لم يفز به القوي الناظر إلى قوته ونفسه
وفي كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل وهو من أرفع فنون البلاغة
واللطف طرق البراعة وتفسير الإناث بالنخيل الصغار وقع في
كلام الشارح ولم يميز ضبطه أهو بفتح الهمزة أو كسرها ولا

وائت بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الإناث

أنه بالمثناة أو بالمثلثة ولم أر في القاموس هذا الذي ذكره
الشارح وإنما الذي فيه في الأثاء بالفوقية ككتاب تفسيره بما
يخرج من الشجر والثمار وفي الأثاء بالمثلثة تفسيره بالحجارة
والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه أي أن النخلة إذا
طالت وصعب عليك رقيها فقد يمكنك أن تسقط بعض ثمرها
بضربة حجر واعلم أن أفضل الأعمال وأسرعها إنتاجا وأعظمها
وسيلة هو مزيد محبة نبينا صلى الله عليه وسلم فإنها سبب لكل
خير دنيوي وأخروي وحينئذ فعليك أن تكون ممتثلا فلتحب
النبي صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم
حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله وولده والناس أجمعين ومن الكلام
على ذلك فربما ينبغي مراجعته وإذا حظيت بهذه المحبة
فابغ أي اطلب رضا الله وفي حبه الرضا من الله تعالى المنعم بما ليس
في الحساب والحباء أي العطاء منه تعالى لجميع الخيرات الدنيوية
والأخروية كالتوفيق للأعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية
فكن على رجاء من ذلك إذا أطلقته بمحبته صلى الله عليه وسلم فإنها
نعم الوسيلة فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد إلى الضراعة وإظهار
المسكنة والضعف وإبداء التحسر والاستغاثة والتحرز بمن لا يخيب
المستغيثين به فقال مؤملا أنه ببركة توسله به يتخلص من

ويحب النبي فابغ رضى الله وفي حبه الرضا والحباء

ورطات

ورطات ذنوبه بانجي الهدى أي الدلالة على الله تعالى بالنسبة للكل
ومنه وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم والإيصال إليه بالنسبة
للمومنين ومنه إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من
يشاء استغاثة بالرفع خبر مبتدإ محذوف أي مستغيث وهي نداء
من يخلص من شدة أو يخففها والنصب مفعول مطلق أي أستغيث
بك استغاثة أي أناديك نداء ملهوف أي مضطر متحسر
محتاج إلى من ينقذه مما يهلكه أضرت بحالي الحوبة أي مسكنة
ذنوبه وضعف همته وذلك لأنه يدعي الحب لله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم وهو أي والحال أنه يصدر منه ما يكذب دعواه
من مخالفتهما لأنه لا يزال يأمر نفسه أو غيره بالسوء أي الإثم
فعلا وتركا والمخالفة تنبئ عن عدم المحبة كما هو واضح لمن
تأمل قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولهذا أشار
إلى تمنيه أن يصدق في دعواه محبتهما فقال ومن أستقيها منية
أي من الذي يتكفل لي فيه الثقات أن تصدق مني الرغباء أي العزيمة
المصممة في الرجوع إلى الله بالتوبة والعمل الصالح وادعاء الحب
مع ظهور ما يكذبه نفس وأي نفس ومما يكذبه أيضا دوام الغفلة
عن محبوبه حتى أنه لا يمر بباله ولا في النوم ومن هذا حاله أي حب
يبقى منه التجافي والحال أن طرفي أي النعاس للكرى أي النوم وأن لا ينفك
النوم عنه في وقته وليس هذا شأن المحب وطيفك أي خيالك رآه

أي محجبا عني كما احتجبت الراء عن واصل الرجل المشهور لأنه هجرها
فلم يتكلم قط بكلمة فيها راء بل بمرادفها أو مقاربها خشية
من أن يعيبوا لثغته بالراء فصار هجر الشيء المستمر تمثيلا عندهم
بهجر واصل للراء ففي النظم التورية لأن واصلا بالنظر للكرى
اسم فاعل وللراء اسم علم والتلميح لأنه أشار إلى قصة واصل المشار
إليها وفيه الاستفهام الإنكاري أي كيف تصدق محبتي وأنا
مواصل للكرى والنوم سلمنا أن مواصلة النوم لا تؤثر في المحبة
لأنه أمر وجداني فكيف توجد مع عدم خطور خيال المحبوب
بالضمير ولا في حالة النوم وهذا بناء في المحبة كما هو محسوس
لاستلزامها أن طيف المحبوب لا يغيب عن مخيلة المحب نوما
ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا الاستلزام لمانع ولذا تردد
مع ما قدمه أن فقد خطور الطيف هل هو لذلك أو لغيره فقال في
ليت شعري أي ليتني علمت أذاك أي عدم خطور طيفك بقلبي
من أجل عظم ذنب وقع مني وهو الظاهر أم حظوظ المتيمين
أي المحبين حظاء جمع حظوة بالكسر والضم وهي المكانة
والقياس في الجمع الضم والكسر كعروة وعرى وبين حظوظ
وحظاء الجناس المطلق أي أنصباء منهم من المحبوب متفاوتة فبعضهم
يحظى بالقرب من غير كبير عمل وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل
إن يكن عظم زلتي التي ارتكبتها حجب رؤياك أي رؤيا طيفك عني

في النوم التي فقدتها فقد عز داء قلبي الدواء أي قل بل عدم الدواء
الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له شفاء بوجه لأنه لا يوجد إلا
من جنابه صلى الله عليه وسلم فإن فرض أنه أخذ إنسانا بعظيم ذنبه
لم يمكن أحدا غيره أن ينقذه منه ثم هذا التردد في وجود المحبة
الذي سبق إنما هو لمن بدا الخوف وإن الإنسان على مدرجة أن يؤاخذ
بذنبه وإن كان محبا لا لزوال محبته بل هي باقية ورجاؤه في محبوبه
واسع وإن كانت ذنوبه كثيرة وحينئذ كيف يصدى أي يسود
بسبب الذنب الذي ارتكبه ذلك المحب قلب محب لك وهي للحال
له أي لقلبه متعلق بجلاء ذكرك مضاف للمفعول أي ذكره لك
بالتصلية والتسليم عليك وسؤال الوسيلة وغيرها مما يعود
عليه وعليك بزيادة القرب فإن الخلق كلهم مفتقرون إلى ذلك ويحتمل
للفاعل ذكرك له الجميل العائد على الذاكر بما لم يكن في حسابه
جلا. ولما غلب على ظنه ما أشار إلى التردد فيه بأن في قوله إن يكن الخ
من أن سبب حجب الرؤيا عنه عظيم ذنبه صرح كما يصرح من وجد
أخذ ماله أو قاتل أبيه بعد أن يئس منه فقال هذه علتي التي أنحلت
جسمي وأدهشت لبي لا غيرها والحال أنك أنت طبيب العالم
بها الماهر في إزالتها فإنه ليس يخفى عليك في القلب داء وأنت
لا أحد من الخلق أكرم منك ولا أحلم فعجل لي بدواء ذلك المحل للشفاء
من وصمة جميع ما هنالك فإن شفاءه عندك لا تردد والمتوسل بك لا يخيب

وإنما رفعت إليك قصتي وشكوت إليك قلة حيلتي مما جنيت على
نفسي لأن من العوز أي الحاجة والفقر لمثلي بجميع المطلوب الذي
لا فوز أعظم منه أن بثك من بث وأبث نشر وأظهر شكوى
في الأخبار عن التفسير أو الغير بسوء وفعله لكن هذا إنما هي
شكوى مني لنفسي إليك لا إلى غيرك أي أنشر وأظهر بين يديك
في ضمن مدحي لك ما كاد أن يهلكني من عظيم ذنوبي وفيه عيوني
رجاء أن تلحظني بنظرة تزيل عني كل وصمة وتوجب لي منك كل
رحمة لأن رجائي فيك واسع ومحبتي لك متزايدة وهي أي تلك
الشكوى الواقعة في ضمن ذلك المديح البديع اقتضاء أي طلب من
كرمك الواسع وفيضك الهامع أن أتخلص من تلك الورطات وأنجو
من بوائق سائر الورطات وأن يحصل لي الشفاء من جميع الأدواء إن
جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق لكل مسئول ومرغوب لا سيما
لخادم حضرتك الفاني في محبتك كيف وقد ضمنتها بالبناء للمفعول
أي تلك الشكوى لتقبل ويعود علي بركة قبولها ما هو المقصود
منها بالذات مدائح لجنابك بديعة جمع مدحة أي كلام متضمن
للثناء الجميل الذي هو المدح المباين للحمد أو المرادف له أو الأعم منه
أو الأخص منه أقوال مرت مستطاب بالرفع صفة مدائح الذي هو
نائب الفاعل فيك منها أي من تلك الشكوى متعلقان بما قبلها
أو بما بعدها ومن تبعيضية المديح لك والإصغاء من سامعها

إليها

إليها لأن أوصافك الكريمة زينتها فصارت بها في غاية الكمال
الذي يشنف الأسماع ويملأ عبيره أرجاء القلوب والبقاع
ومن استطابة ذلك المديح أن الله تعالى يسره علي في هذه القصيدة
البديعة ببركة النجاء أي البكاء إذ قل أما مصدرية حاولت تلك
الشكوى مدحك أي الإبراز معنى فيه لم أسبق إليه أو أسلوب من
أنواعه اللائقة بك والمطلوب فيها أن تجري على أعلى سنن البلاغة
وقانون البراعة إلا ساعدتها ميم ودال وحاء أي مسمى هذه
الأسماء وهو مدح أي ما توقف على معنى أو نوع من تلك المعاني
أو الأنواع فوجهت همتي إلى الأحسن منها إلا وجدت الألفاظ
الدالة على مدحك تبادر في التأدية بغاية الإلطاف وتساعدني
عليه بنهاية الإسعاف فتأتي فيحقق منه بما هو أبدع وأبلغ
وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه فالمعنى فلت محاو
مدحك في غير حال كونها مساعدة لهذه الحروف الثلاثة
فإنها لا تقل حينئذ بل تكثر انتهى ويلزم عليه وقوع الاستثناء
المفرغ في غير نفي أو شبهه وهو النهي أو الاستفهام وهو
ممنوع عند أكثر النحاة ومن جوزه في الموجب كقام إلا زيد
ردوا عليه بأنه يلزمه الكذب إذ تقديره ثبوت القيام لجميع
الناس إلا زيد وهو غير جائز بخلاف النفي عنهم إلا فرادا فإنه جائز
فإن قلت جوز المبرد التفريغ في موجب يلزمه نفي كلو ولولا نحو

لولا الغوم الازيد لا كرمنك وما هنا كذلك لان فلا يلزمه نفي ما عدا
التقليل فيعني نفي في الجملة قلت ما ذكره يرد بان التفريع يدخل في
الجملة الثابتة النفي في الاولى واما الجواب الذي هو منفي فخارج عما
دخلت عليه لا على ان كون قل تفيد نفيا يشبه النفي الذي في
التفريغ ممنوع واذا تقرر ذلك تعين تاويل النظم بان يقال فاعل
قل محذوف دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثناء مفرغ من اعم
الاحوال والتقدير قل ان يستصعب علي ما اردته من مدحك لاني ما
حاولته في حال من الاحوال الا ساعدني سعدك على الكمال ما ينبغي
ولاجل هذه المساعدة المستقلة علي ما اردته من اعلا انواع
البلاغة حوالي ثبت واستقر لي فيك اي في مدحك ما لم يكن في
حسابي وهو ان اساجل قوما وهم الشعراء الذين مدحوك اي
افاخرهم فافوق ما صنعته خيرا مما صنعوه وابين لهم ذلك
حتى يذعنوا الي في ذلك ويصيرون قد سلمت منهم لدلو
الدلاء وحينئذ افوز منك بابلغ مما فازوا به وعبر بالدلو لان
السجل هو الدلو العظيمة المملوءة مذكورا الدلو ومن هذا قولهم ملوّ خ
الحرب بينهم سجال كالكتاب اي سجل منها على هؤلاء واخرى على هؤلاء
ذكره في القاموس وعليه فالمساجلة تطلق على تنازع المستقين
فابين بدلاء مختلفة ليريد كل منهم ان يظفر بملء دلوه قبل
الاخر بن شبه بهم الماد حين في تنازعهم فيما يبرزونه

وادعاء

وادعاء كل ان ما ابرزه خير مما ابرزه غيره ففيه استعارة بالكناية
واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم اشار
الى علة اخرى لتمييزه عليهم وتسليمهم له ذلك فقال ان لي غيرة
بالفتح على مديحك اي حمية توجب لي ان لا احب ان غيري يسبقني
فيه والحال انه قد زحمني في معاني الفاظ مديحك الشعراء
واردوا ان يسبقوني فيه والحال انه استحكم لغلبي فيك اي في
محبتك الغلواء اي مجاوزة الحد الذي يبلغ اليه امثالي واني يكون
للمساني في مديحك الغلواء اي الاسراع والتقدم اليهم بما لا يصلون
اليه لولا اسعافك وامدادك ونظرك بما يميزني عليهم فاني
استفهامية بمعنى كيف نحو انى يحيي هذه الله بعد موتها
او بمعنى من اين نحو انى لك هذا وترد ايضا بمعنى متى او حيث ويحتمل
الكلام انها ناهية نحو فاتوا حرثكم انى شئتم لكن الذي اختاره ابو حيان وغيره انها
في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها عليه لا استفهامية
والا لاكتفت بما بعدها كما هو شان الاستفهامية ان تكتفي بما بعدها اي
يكون كلاما يحسن السكوت عليه اسما كان او فعلا وفي كسر
ان اي واني فاليا اسمها الكن لان ابلغ واظهر كما لا يخفى فبسبب
صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني لي مع ارادتهم التقدم
علي اتيت خاطرا اي فرحا لي على هذا المدح البديع بان تمدها بما
تعوق به جميع مزاحميها ومسابقيها فانك اكرم من جازى محبيه
١٣٣

واجود من جاد على مادحيه وأنا من اصدقهم محبة وابلغهم مدحة فيك وقلبي يلذ له مدحك لذة تحمله على ان يبذل وسعه مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع ما لم يسبقوا اليه ولا حام احد قبله عليه علما اي لاجل علمه بانه اي مدحك الالا اي العرج التام كذا في القاموس وغيره فان كان العرج بالجيم فواضح واما بالحاء المهملة ففيه بعد وفيه انه من قبيل الالا البرق بمعنى لمع اي علما بان مدحك يضيء فلو في المادحين لا سيما ابلغهم حتى يأتي في مدحك بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لي في هذا النظم لتميزه على غيره بامور منها انه حاك اي نسج ذلك الخاطر فيه من صنعة القريض اي الشعر برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية فيه زينة لك لم يحك وشيها اي نقشها بالالوان المختلفة صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشي شبه المعاني البديعة المنظومة في ادها شها للقلوب عند سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار عند رؤيتها واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الوشي والحوك كما اثبت للمشبه به ما هو ملايم له وهو القريض ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد اعجز الدر نظمه اي نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذي يدهش العقل ويخطف البصر لضوئه

وصعابه

وصعابه فاشتوقت فيه اي في العجز عنه اليدان اي القريحتان الصناع بفتح الصاد المهملة والنون والعين المهملة اي الحاذقة الماهرة والخرقاء اي الغبية فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره ارضه اي اقبله يا خير من اقبله المادحون ورجاله العارفون واكرم خلق الله واجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة ما لا يدركه غيري يا افصح امرئ نطق الضاد اي بها اي افصح العرب العرباء وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم انا افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب لا تحسن اخراجها من مخرجها والعرب وان احسنوا لكنهم متفاوتون فيه وكلهم لم يصل احد منهم الى الحد الذي كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تأديتها وكان وجه هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به ولو بالغ في بلاغته لا يبلغ الى مدحه لان فصاحته معجزة لغيره فاي بلاغة تؤدي الى ما يليق به فكانه يقول يا افصح الفصحاء اقبل ما جئت به وان لم يشتمل ادنى رائحة من روائح فصاحتك بل ولا وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتي آبذكر الآيات الخ فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق بها على غير العرب وتعذر نطقها به على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب الظاء من مخرجها لم تطق بما اطقت به الضاد فاضعفت بامه الظاء واشار بقاصفة الى انها تسمى بالظاء القائم حال كونها تقارنها اي الضاد الظاء لكون الضاد تميزت عليها بتلك المرتبة

العلية أي أرادت الظا فضلا عن غيرها أن يحصل لها مرتبة تضاهي
تلك المرتبة ولم يحصل لها ففارقت حينئذ ثم طلب من كرمك يا أكرم
الخلق الرضا بهذه القصيدة ليسر لكونها وفت بحقوقك الواجب
استقصاؤها في مدحك بل للطمع في سعة حلمك وجودك إذ
كم الآيات في هذا النظم أي الخصائص والمعجزات التي علمناها
الدالة على علوك لما لم يصل إليه مخلوق أو فيك مدحا لأنه
لا يمكن أن يوفيك ذلك إلا من أحاط بمقامك وأنى ذلك لغيرك
منا أين مني الوفاء بذلك وأنا من جملة العاجزين المقصرين وأين
منتهى الوفاء بذلك وهي محصورة وكمالاته صلى الله عليه وسلم
غير محصورة أم متصلة أمارني أي أجادي بمن أي بذكري لتلك
الآيات فوم نبي أي المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم أي لم أذكر
تلك الآيات بقصد أني أوفي بما حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد
أن أجادي بها أمته ومن ظن في واحد منهم فهو غبي لا يفهم ولا
يعقل شيئا وساء ما ظنه في الأغبياء لأنهم لغلبة فطنتهم
يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه ولك استيناف أو عطف
على محذوف أي تلك الآيات التي لا تحصى ولك الأمة الوسطى كما
قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي خيارا عدولا لتكونوا
شهداء على الناس التي غبطتنا من الغبطة وهي كما مر ود
الإنسان أن يكون له من الخير مثل غيره من غير سلبه عنه والحسد

وذلك مع سلبه عنه بك لما أي حين أتيتنا أي أرسلت إلينا
الأنبياء فإنهم وإن كانوا من أمتك بقص وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة الآية ومر الكلام عليها
لكنهم ودوا أن يكونوا من أتباعك الذين بعثت فيهم ليفوزوا
بغاية الفخر كما فاز بذلك أمتك الذين بعثت فيهم فأطاعوك
فإن قلت كان القياس غبطتك بها الأنبياء لأنهم أفضل من
أممهم بقص جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
أي ودوا أن يكونوا أمة مثلهم كما صرح به موسى فيما يأتي
قلت هذا وإن كان هو القياس لكنه ارتكب فيه القلب الذي هو
من أحد أنواع البديع خشية أن يتوهم من ذلك مدحه لنفسه لأن
مدح العام مدح لكل من أفراده فتأمله ثم رأيت ما يدل على القياس
المذكور وهو ما رواه أبو نعيم أيضا أن الله تعالى لما ذكر لموسى
عليه السلام صفات هذه الأمة قال يا رب فاجعلني نبي تلك
الأمة قال إن نبيها منها قال يا رب فاجعلني من أمة ذلك النبي
قال استقدمت واستأخروا ولكن سأجمع بينك وبينه في دار وا
الجلال والعلى نظرك إليها لم تخف بعدك الضلال عما تركتنا
عليه من الشريعة الواضحة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك
والحال أن فينا أعلام الهدى وهم وارثوا نور هديك أي ما كنت
عليه أنت وأصحابك وهؤلاء هم العلماء الذين هم أهل السنة

والجماعة وهم اتباع ابي الحسن الاشعري وابي منصور الماتريدي
رحمهما الله تعلى كما اخبر تنابه بقولك في الاحاديث الصحيحة لا
تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتيهم
امر الله وهم على ذلك اي وهولاء هم اهل العلوم الشرعية والايمة
من اهل السنة لان الناس مع وجودهم امنون من كل محنة وظلمة فع
دينية وبقولك ايضا العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر
صححه جماعة وفي رواية زيادة تحبهم اهل السما وتستغفر لهم
الحيتان في البحر وفي اخرى وانما العالم من عمل بعلمه وفي اخرى
اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وفي اخرى كاد
حملة القران ان يكونوا انبيا الا انهم لا يوحى اليهم وفي اخرى من
حفظ القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه فع
ورواية علماء امتي كانبيا بني اسرايل لا اصل لها ولكن معناها
صحيح لما تقرر ان العلماء ورثة الانبيا وقوله تعلى وورث سليمان
داوود اي في العلم والحكم والنبوة والرسالة ومنه فهب لي من والحكمة
لدنك وليا يرثني للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبيا لا نورث ما
تركناه فهو صدقة واشار الناظم رحمه الله تعا بما ذكره الى
ان الله تعلى خص هذه الامة في التورية بخصايص لم يوتها الغيرهم
تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفهم منها كما في حديث ابي

نعيم

نعيم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما راى مدح هذه الامة في
التورية قال يارب اجد في الالواح امة هم الاخرون السابقون
فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد ثم ذكر ذلك مع اوصاف اخر وكرر كرز السوان :كرز ذالك
جوابه كذلك فقال يارب فاجعلني من امة احمد فقال اني اصطفيتك
على الناس برسالتي وبكلامي الاية فقال رضيت يارب وفي رواية
انه سال ربه هل في الامم اكرم عليك من امتي فبشره ان فضل امة
محمد صلى الله عليه وسلم على ساير امم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كفضله تعا على جميع خلقه ومنها ان احد الابد خل الجنة قبلهم ٢٣٢
ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم واباحة الغنايم
وان كل الارض تصح الصلاة فيها ويجوز جعلها مسجدا الا محل مسجد
الضرار ومجموع الصلوات الخمس والتامين خلف الفاتحة كما صح به
الخبر والركوع لخبر به رواه البزار والطبراني ومن ثم قال جمع مفسرون
ان صلاة من قبلنا لا ركوع فيها وفسروا اركعوا بصلوا واركعي
مع الراكعين بصلي مع المصلين وان صفوفهم في الصلاة كصفوف
الملايكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة الاجابة
يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه في الاية لمطلق الصوم وخبر
انه كتب على من قبلنا في سنده مجهول ونظر الله اليهم اوله وتزيين
الجنة فيه وخلوف افواههم اطيب من ريح المسك واستغفار
الملايكة لهم حتى يفطروا وعموم المغفرة لهم اخر ليلة منه

رواه البيهقي بسند لا بأس به بلفظ أعطيت أمتي في شهر رمضان
خمسا لم يعطهن نبي، فعلى الحديث واستغفار الحيتان لهم حتى
يفطروا رواه البزار والسحور وتعجيل الفطر رواه الشيخان وإباحة
الطعام والشراب والجماع إلى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قاله
سعيد بن جبير ووضع أثقال التكليفات التي كانت على من قبلهم
كتحتم القصاص حتى في الخطإ وقطع الأعضاء الخاطئة وموضع
النجاسة وقتل النفس في التوبة والمؤاخذة بالخطإ والنسيان وما
استكرهوا عليه كما صح به الخبر وأن الله لم يجعل عليهم في الدين
من حرج وأن الإسلام وصف خاص بهم عند جماعة لكن الذي اعتمده
ابن الصلاح وغيره خلافه وأن شريعتهم أكمل من سائر الشرائع
كما أن نبيهم صلى الله عليه وسلم أكمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وقد كان لموسى عليه السلام شريعته من الجلال الصرف وضدها في
كان لعيسى عليه السلام وشريعته من كل وجه وشريعتنا اعتدل
فيها الأمران فسلمت عن شدة تلك ولين هذه واعتدلت في جميع جزئ
ياتها ومن ثم وهب الله تعالى لهم من حلمه وعلمه وجعلهم خير
أمة أخرجت للناس وأعطاهم مرتبة الشهادة على من سبقهم
في القيامة وأقامهم مقام الأنبياء في الشهادة عليهم وكمل لهم
من المحاسن ما فرقه في الأمم كما كمل نبيهم ما فرقه في الأنبياء و(لكتا)
بهم ما فرقه في الكتب وأنهم لا يجتمعون على ضلالة كما في الحديث

المشهور

المشهور وأسانيده كثيرة وشواهد متعددة من المرفوع
وغيره وأن إجماعهم حجة واختلافهم رحمة وفي حديث ضعيف
منقطع اختلاف أصحابي لكم رحمة وفي رواية اقتضى كلام الخطابي
أن لها أصلا عنده وبه يرد زعم كثير من الأئمة أنه لا أصل لها
اختلاف أمتي رحمة للناس وأن الطاعون شهادة لهم وعذاب
على غيرهم لخبر به رجاله ثقات وأنهم حفظوا آثار رسولهم
على قوانين علم الحديث بما لم يوجد نظيره في أمة وأن منهم
أقطابا وأوتادا ونقباء ونجباء وأبدالا كما جاء في الحديث في الأبدال
ونحوهم وأنهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين
لهم رواه الطبراني وغيره وأنهم أول من تنشق عنه الأرض رواه
أبو نعيم ويميزون يوم القيامة بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء
رواه البخاري وينادون بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة
ويكونون مع نبيهم على كوم مشرف في الموقف يغبطهم فيه
جميع الأمم رواه الجماعة ويميزون بسيما السجود في وجوههم
قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي بياض شديد وقال شهر بن حوشب
نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر
السجود الآية وقيل هذا في الدنيا وعليه قال ابن عباس السمت
الحسن أو سمت الإسلام وخشوعه وقيل الصفرة في الوجه من
أثر السهر ويؤتون كتبهم بأيمانهم رواه أحمد وغيره ويسعى

٣٤٣

لعله عنهم

كوم

نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كما صح به الخبر ويحصل لهم ما سعى
لهم من صوم وحج وصدقة ودعاء وقراءة قرآن وكل عبادة عند كثير من
وآية وأن ليس للإنسان إلا ما سعى منسوخة أو في حق الكافر ويدخل
الجنة منهم سبعون ألفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبراني
والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون ألفا وفي مسنده أن في الأمة
وارثي بعد نبيك المخصوصين بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم
من الأمم انقضت أي الأنبياء أي معجزاتهم لانتساخ شرائعهم
بموتهم وإن كان من بعد موسى إلى عيسى إنما هو مرسل بكتاب
موسى وآياتك أي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعد
وفاتك ما لهن انقضاء ففيه العكس لأنهن جل لهم ولأنهم يجلون
لهن وذا العجز على الضد أما الأولان فقد من منهما جملة منها
ما في كتب الله تعالى من ذكره ونعته وخروجه بأرض العرب وما
خرج بين يدي أيام مولده ومبعثه من الأمور العجيبة المهولة
للكفر وأهله والمؤيدة لشأن العرب كقصة الفيل وعقاب أهله
وخمود نار فارس وسقوط شرافات إيوان كسرى وغيض ماء
بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف الصارخة به
صلى الله عليه وسلم بأوصافه وانتكاس الأصنام المعبودة لولادته
وتظليل الغمام له في سفره إلى غير ذلك مما ورد في الأخبار إلى بعثته
صلى الله عليه وسلم مما هو تأسيس لنبوته صلى الله عليه وسلم وإرهاصا

لرسالته

لرسالته وأما الأخير فكثير جدا في كل حين يقع لخواص أمته
من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم مما
لا يحصى كما قال والكرامات الواقعة منهم أي الناس معجزات إذ
كل منهما أمر خارق للعادة وإنما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها
في الحقيقة معجزات لك حاز بها من نوالك أي عطائك وكرمك الأولياء
وكان القياس حازوها لكنه أظهر ليتبين أن مراده بمنهم العائد
على الناس خواصهم وهم الأولياء جمع ولي فعيل بمعنى فاعل لأنه
والى الله ورسوله فلم يخرج عن أمرهما ونهيهما إلى ما يغضبهما
أو مفعول لأن الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله والاه بمزيد
إمداده وكرمه وضابط الولي أنه المداوم على فعل الطاعات
واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات كذا قالوه ونجم
أن هذا ضابط للولي الكامل وأن أصل الولاية تحصل لمن وجدت فيه
صفة العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقهاء ومن
معجزاته المتكررة الدائمة أيضا ما يقع للمتوسلين به من خوارق
العادات بسببه مما لا يحصى أيضا هذا كله مع قطع النظر إلى
القرآن الكريم فبالنظر إليه وأنه معجزته الكبرى ففيه من المعجزات
المتكررة بتكرر الأزمنة ما لا يحصى أيضا واعلم أنه صلى الله عليه
وسلم كما فضله الله تعالى في البدء بأن جعله أول الأنبياء خلقا
وأجابة يوم ألست جعله أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع

وأول مشفع وأول ناظر الى ربه تعالى وأول نبي يقضي بين أمته وأول
لهم اجازة بأمته على الصراط وداخلا الجنة وتعم أول الامم دخولا
اليها وزاده من لطائف التحف وتوابع الظرف ما لا يحد كثرته
ركبانا وتخصيصه بالمقام المحمود وهو الشفاعة العظمى في
فصل القضاء وبلواء الحمد الذي تحته آدم فمن دونه وبالسجود
امام العرش ويفتح عليه حينئذ الا يفتحه عليه ولا على احد
قبله ولا يفتح ايضا على احد بعده والنداء يا محمد ارفع راسك
وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وقيامه صلى الله
عليه وسلم عن يمين العرش الذي لم يقمه مخلوق يغبطه فيه
الاولون والاخرون وشهادته للانبياء عليهم الصلاة والسلام
على اممهم تنبيه علم مما تقرر ان الكرامة ظهور أمر خارق
للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرف بالديانة
واشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به والا فهي
استدراج او سحر او اذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب لعنه الله
تعالى انه جاءه اعور يدعو له فدعا له فعميت الصحيحة ايضا وتسمى
اهانة وقد يظهر الخارق ايضا على يد عامي تخليصا له من فتنة
وتسمى معونة وانكر جماعة محرومون كاكثر المعتزلة وان
وافقهم بعض منا لكن يتعين تاويل كلامه لان جلالته تأبى ان
ترضى بهذا الزيغ الذي انتحلوه جواز الكرامة ووقوعها وعليه

قيل

قيل تمتنع كونها بقصد واختيار لأدائها الى السقوط عن رتبة
الولاية وقيل تمتنع كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست
بالمعجزة وردهما الفخر الرازي بأن المرضي تجويز جميع خوارق العا
دات في معرض الكرامات والمميز لها عن المعجزة انما هو ادعاء
النبوة وكأنه لم يرض قول جماعة منهم القشيري لا تنتهي الى
٢٢٥ احياء ميت ولا وجود ولد من غير اب ومن ثم رد بعموم قولهم
ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من
شرط المعجزة عند الغير ان لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون
عن نظيرها ومن ادلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة وقدرة
الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله بخرق بعض
العادات ثم يفعل مثل ذلك ببعض اتباعه اكراما لهم ومن
ادلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم كلما دخل عليها
زكريا المحراب الآية وفي ولادة عيسى عليه السلام ولاصحاب
الكهف ولوزير سليمان عليه السلام في عرش بلقيس ونظائر
ذلك وزعم بعضهم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة لا يقولون
به سلمناه فهو لا تمنع تسمية ذلك كرامة على يد من ظهرت عليه
والتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل آحادا في كرامات الصحابة
لا سيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله تعالى عنهما وتابعيهم ومن
بعدهم الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات

الانبياء ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا مشا
هدة شيء منها من انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها
لا يخرجها عن كونها خارقا خلافا لمن زعمه لانه يلزمه ذلك في
المعجزة على ان الكثرة فيها لا تنافي قلتها بالنسبة للعادة
المستمرة وظهور الخارق على غير الانبياء لا يخل بقدرهم بل يزيد
في جلالة اقدارهم والرغبة في اتباعهم حيث نالت اممهم
واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتداء بشرعهم
والاستقامة على طريقتهم ومما ان الخارق لا يسمى كرامة
الا ان ظهر على يد من مر تعلم ان الكرامة لا تشتبه بالسحر اصلا
لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت فيه شروط
الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر او غيره
كما من زعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا كادمي حمارا ولا
يقلب طبيعة بخلاف الولي ليس في محله بل الخلاف فيهما واحد
فالجمع يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز في حقهما ذلك وهو
الاصح واما قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى الاية قف
فالاستثناء فيه منقطع بدليل فانه الخ بل بعينه ان غيبه
مفرد مضاف فهو للعموم واستغراق النفي في هذا الكلام فرد فرد
من المخلوقين اذ مدلول العام كلية لا كلي ولا كل خلافا لمن وهم
فيه فحمل الاية باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع

الله

الله عليها احدا من خلقه وانما غاية من اطلعه منهم انه
اطلعه على جزئيات مخصوصة فيعتقد بانه منفصل وان المراد انه
لا يظهر على بعض غيبه الا الرسل فلا حجة لهم فيه لان القطع
الضروري بوقوع الكرامات للانبياء والاولياء يعين ان المراد من
الاية غيب مخصوص اي لا يظهر على ذلك الغيب المخصوص الا من
ارتضاه من رسله واما البقية من الرسل والانبياء والاولياء فلا
يظهرهم على ذلك المخصوص بل على غيره واعلم ان من الكفر الصراح مما
حكي عن بعض الكرامية ان الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوءة
وعن بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق درجة النبوءة وان
الولي قد يبلغ حالة يسقط عنه فيها التكليف قال الغزالي رحمه
الله تعالى وقتل الواحد من هؤلاء خير من قتل مائة كافر لان ضرر اوليك
في الدين اشد وليس من اوليك العارف فان العالمان المحققان الوليان
الكبيران الصوفيان ابن عربي والسراج بن الفارض واتباعهما بحق
خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغا قلمه الا ان يكون اراد بما قاله
الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المتبادرة عند من لا يحيط با
صطلاحهم من تاكيد لقوله مالهن انقضا من معجزاتك الباهرة
العجز من سائر الناس عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اي عن الاحاطة
بكل فرد فرد من اوصافك التي اختصك الله تعالى بها اذ لا تحده اي الوصف
المذكور الاحصا اي العد كيف يستوعب الكلام الصادر من واصفيك

٢٣٦ قف

سجاياك اي ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضائل والاوصاف
البالغة اقصى ما يمكن البشر الرقي اليه وهي لا حد لها باعتبار
انك لا تزال تترقى في مراتب القرب في الحياة وبعد الممات وفي البرزخ
وفي الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضاء وهل تنزح البحار المشبهة
اوصافك بها في ان بقلتك قيام الوجود الحسي وبهذه قيام الوجود
المعنوي لما انه صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاعظم
عن الله تعالى في امداد الركايا المشبهة بها الا لعاطش في ان
لا يتوصل به الى حيازة معظم المطلوب دون انتهائه وهذا
تذييل مبين بما اشتمل عليه من الاستفهام الانكاري الحصر حسن المرشح
لها بذكر النزح ان اوصافه صلى الله عليه وسلم لو عبر عنها من
اول الزمان الى الآخر لا تحد ولا تحصى ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا انه
ليس من غاية لوصفك اي اوصافك توجد حتى انتهي اي ابلغها اي في
الطلب وللقول اي منتهى غاية لما تقرر ان ذلك الترقي لا نهاية له
اذ لا مطمع في الاطلاع عليه وبعضه لا تحده العبارة بخلاف القول
منه فانه محدود متناه وبهذا اعني قولي منتهى اولا ومنه ثانيا
مع ما تقرر يندفع ما اشار اليه الشارح من اشكال في ذلك وانتهاء
تاكيد والفرق بين الغاية والنهاية اعتباري ومما يزيده بيانا
وايضاحا ايضا ان يقول انما فضلك اي فضائلك الزمان اي يشبهه
من حيث الاجمال فيهما واما بالنسبة للتفصيل فجزئيات كل جزئيات

الاخر

الاخر اذ اياتك اي معجزاتك وخصائصك فيما نعده ونحسبه
الاناء جمع انى كمعى وامعاء كذا ذكره الشارح والذي في القاموس
... وبكسر والانو بالكسر الدهر والساعة من الليل او ساعة
ما منه والانا كالى وعلى كل النهار انتهى والمراد هنا مطلق الساعات
اي اللحظات فكما ان هذه لا تحد فكذلك هذه ولا تظفر اني
باطالتي في هذه القصيدة تعداد اوصافه صلى الله عليه وسلم
اخالف ما قدمته انها لا تعد لاني لم اطل في تعداد مدحك
فيها تطفلا والحال ان مرادي بذلك استقصاء اي حصر لاوصافه
وانما مرادي بذلك برد الغليل وشفاء العليل كما افاده قوله
المشتمل على اداة الاستثناء الذي هو منقطع هنا غير اني لم
ارد الحصر لكني ظمآن وجدا اي من شدة شوقي لسماع تلك
الاوصاف غاية الظمإ والتعطش للارتواء من سماعها وما اي
ليس يحصل لي بقليل من الماء الذي اشربه حال الورود منه ارتواء
مما بي من العطش فاطالتي في التعداد لطلب مزيد الارتواء من
سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر لتعذره وفي كلامه استعارة
مصرحة لانه شبه شغفه بتعداد الابيات وذكر افضل الصفات
بظمإ شديد لا يرويه الا الماء الكثير ورشح لذلك بذكر الورود
والارتواء فبسبب حصول الارتواء من تلك الاطالة اختمها بما
هو المتعين من الدعاء بالصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى صلوا عليه

٢٣٧

وسلموا تسليما اي فو اسلام عظيم شريف اي سلامة من كل افة
ونقص كائنة عليك تترا اي يتكرر ويتبع بعضه بعضا اذ هو في
القاموس ترى يترى كرمى تراخى واترا عصا عما الامتواترة بين كل
عملين فترة انتهى وقد يشكل على استعمال الناظم تترا هنا مرادا به
ما ذكر الا ان يجاب بانه اراد به اصل المعنى وهو مطلق التتابع من غير
اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد يخرج البليغ عن المعنى
اللغوي الى ما هو اخص او اعم منه للضرورة مع الاستغنا بفهم
ذلك الخصوص او العموم منه من قرينة المقام والسياق فتامله من
الله وتبقى به اي بسببه على ممر الازمنة الى تناهيها وما بعد
ذلك مما لا انقضا له لاخره لك البقا والا اي العمر لان تسليم امتك
عليك مع التكرر والدوام زيادة في شرفك ومجدك وانما ذكرت
سلام الله تعلى عليك ابتداء مبادرة الى تشريفه وسلامك ثانيا
لانك في الحقيقة لا يكافيك من سلام الخلق غير سلامك على نفسك
فحينئذ سلام عليك منك فما اي ليس غيرك من المخلوقين منه
متعلق بالسلام لا متعلق بكفا السلام ولك بمعنى عليك كفاء
اي مكافي لحضرتك من المكافات وهي المساوات اذ كيف يساوي سلام
من هو دونك ولم يحط ببعض بابك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم
السلام عليك بل يطلب من كل احد السلام عليك وان لم يكافيك سلامه
فمن ثم قال وسلام عليك من كل ما خلق الله من كل نام وجامد وفي

نسخة

نسخة من قبا الاولى غلبت غير العاقل لكثرته والثانية غلبت
العاقل لشرفه قال تعالى ولله يسجد من في السماوات ومن في الارض
وانما جئت بهذا ... ع لتعني بذكر الاملا جمع ملا وهو
الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام عليه صلى الله عليه
وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من ساير المخلوقات ليجتمع له صلى
الله عليه وسلم ساير وجوه السلامة فيه وفي شريعته وامته
وجميع اثاره ولاجل هذا العموم الذي يوجد في السلام دون الصلاة
خصه بالذكر وقد ذكروا كما ذكرته في كتابي الجوهر المنظم في
٣٣٨ زيارة القبر المكرم الذي لم يصنف في هذا الباب مثله في ايثار الزاير
للسلام وتكرره دون الصلاة ما يوخذ منه ما ذكرته فتامله وصلاة
وهي من الله تعالى الرحمة المقرونة بالتعظيم اي من الله تعالى ومنك ومن كل
مخلوق نظير ما مر في السلام كالمسك في الطيب والنفع البالغ
نحله اي ذلك المسك الذي هو عنبر صلاتي مني شمال وهي التي
تهب من جهة القطب الى المغرب اليك حتى يتعطر الوجود بعبيره
بنشره
وتحيا الارواح بعرفه ومسيره او نكبا وهي الصبا وتهب من
سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب وهي التي تهب من
سهيل الى المغرب والدبور وهي التي تهب من المغرب سميت بذلك
لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح اذا هبت من تجاه الكعبة
فالصبا وهي حارة يابسة او من ورايها فالدبور وهي باردة رطبة

أو من بينهما قالجنوب وهي حارة رطبة أو من بين المغرب والشمال وهي
باردة يابسة وهي ريح الجنة التي تهب عليهم رواه مسلم لمزيد
الخصوصية للشمال بدا بها الناظم وسلام على ضريحه اي قبره
المكرم وهو افضل حتى من الكعبة بل من العرش لكون المراد من الضريح
هنا البقعة التي ضمت اعضاءه الشريفة لم يكن من عادة الناظم
هنا كراهة لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما هو
تخصل بمعنى منيزاء تيتمل به منه اي القبر المكرم تربة وعساه
اي ليّنة ذات رمل شبيه السلام بالماء الكثير الطيب البارد البالغ
في النفع فهو استعارة مصرحة وخيل له بذكر تخضل وتناءى
في هذه القصيدة قدمته بين يدي نجواي اي سؤالي منك بلوغ
المامول الواقع في هذه القصيدة بقولي جد لعاصي الخ و في
غيرها اذ اي لاجل ان لم يكن لدي اي عندي ثرا بالمثلثة اي مال
اتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ بما بعدها
وهو ءاشفقتم الاية وجاء انه لم يعمل بها قبل النسخ من تقديم
الصدقة بين يدي النجوى غير علي كرم الله وجهه ولا يلزم من
نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يستحب لمن يريد زيارته صلى الله عليه
وسلم ان يقدم بين يدي زيارته صدقة والناظم رحمه الله تعالى
ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقاء الندب فاعتذر بانه لا مال الـه

بنصه

بسؤالـه

بنصه وبه بين يدي الله ورسوله وانه جعل حسن توسله وثنايه
بدل ... بين يديه صدقة تتميمه تفسير لدي بعندي لانها
... احكامها ... طرف مكان تستعمل في الحضو
والغيبة ... وعندي مقتدرا ان الله كتب
... قبل ... فوق ... سبقت غضبي و لا
... الاطرف ... غير ذلك ... ذلك انهما قد تتفارقهما
في كثرة جر عند بمن خاصة وامتناع جر لدي مطلقا وفي ان عند
تكون ظرفا للاعيان والمعاني وتستعمل في الحاضر والغائب بخلاف
لدي فيهما وتتفارق عند ولدي لدن في ان ذي يك يصلحان في ابتداء
غاية وغيرها ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ويعربان
بخلافها في لغة الاكثر بين وجر لدن اكثر من نصبها وقد لا تضاف
وقد تضاف للجملة بخلافهما قال الراغب لدن اخص من عند — وفي كانتظاب
وابلغ لانه يدل على ابتداء نهاية الفعل ما مصدرية ظرفية اقام
الصلاة اللغوية والشرعية من عبد الله وابد بعدها مع انقطاعه
استغناء عنه بما بعده على انا لا نسلم انقطاعه لان اهل الجنة
يدعون ويتعبدون كما علم من احاديث شتى اقراوا رق وغيرها لكن للتلذذ
لا للتكليف ولا يضر في ذلك التابيد انقطاعه مدة يسيرة للخبر
الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله ولا ينافيه
الخبر الصحيح لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من

٢٣٦

خالفهم الى ان تقوم الساعة لان المراد قرب قيامها لما جاء ان الله
قبيلها بارسال ريح ليّنة فلا تمرّ على مومن ولا مومنة الا اماتته ثمّ
تنحجز فلا يبقى على وجه الارض مومن ثم تقوم الساعة وما
فامتنا اي بقيت على ابلغ نظام واتقن احكام بربها اي بايجاده
وامداده الاشياء اي الموجودات في الدنيا والاخرة وابدها
بالاول مع انقطاعه بفناء هذه الدار لما من المشترك بذكر المنعم
اخر كلامه وبالثاني الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب
النار ليجمع بين شرف الاول ودوام الثاني مع الاشارة بالختم
بذكر الرب سبحانه وتعالى الى استفتاح ابواب تربيته، واستمداد
موانح لطفه وهدايته. جعلنا الله تعالى ممن حقوله حقائق
قربه وامداده. واسعافه واسعاده. وامّننا من كل فتنة
ومحنة. مسبغا علينا رضاه. متفضلا بكل ما نتمناه. انه
هو الجواد الكريم. الرءوف الرحيم. فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون. سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على
المرسلين. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم وبارك
افضل صلاة وافضل سلام وافضل بركة على افضل الخلق سيدنا
محمد وآله وصحبه عدد معلوماتك ابدا وعلينا معهم
كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون امين
ووقع الفراغ من نسخ النسخة المنتسخ منها هذه النسخة

جو

في النسخة المطبوعة ايام السلطان اسماعيل بن ابراهيم
ابن محمد علي بتاريخ ثالث ربيع عام 1292
ما بعده عقب قوله الغافلون — قال مؤلفه رحمه
الله تعالى وكان الفراغ منه في نصف ليلة الجمعة ثاني
جمادى الاولى سنة ست وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية هـ رحم الله الجميع بمنه